

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

حَجْرٌ مِثْرُ الْخَشْيَةِ

أَحْكَامُهَا وَصُورُهَا وَأَثَارُهَا الْمُدْمِرَةُ

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ الدُّكُونِ

أَبُو نَسْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مَوْسَى بْنِ النَّصْرِ

مكتبة الفرقان

دبي - الإمارات

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

جريمة الغش

أحكامها وصورها وأثارها المدمرة

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٠٧ / ٢١٢٩٨م

مكتبة الفرقان - دبي

الإمارات العربية المتحدة - دبي - الممزر

جوال: ٠٠٩٧١٥٠٥٩٠٢٨٩٢

فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٩٦٧٤٣٣

هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٩٦٩٩٦٧

E-Mail: tawfiq٦٦@emirates.net.ae

جريمة الغش أحكامها وصورها وآثارها المدمرة

تأليف

فضيلة الشيخ الدكتور

محمد بن موسى نصر

مكتبة الفرقان

دبي - الإمارات

رفع

عبد الرحمن العبدى
أسكنه الفردوس
www.moswarat.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي نزه شريعته عن الفساد والإفساد، «وجعلها كفيّة وافية بمصالح خلقه في المعاش والمعاد، وجعلها من أعظم آياته الدالة عليه، ونصبها طريقاً مرشداً لمن سكن إليه، فهو نوره المبين، وحصنه الحصين، وظله الظليل، وميزانه الذي لا يعول، لقد تعرف بها إلى ألباء عباد غاية التعرف، وتحبب بها إليهم غاية التحبب، فأنسوا بها منه حكمته البالغة، وتمت بها عليهم من نعمه السابغة، ولا إله إلا الله الذي في شرعه أعظم آية تدل على تفرده بالإلهية وتوحده بالربوبية، وأنه الموصوف بصفات الكمال المستحق لنعوت الجلال، الذي له الأسماء الحسنی والصفات العُلا، وله المثل الأعلى، فلا يدخل السوء في أسمائه، ولا النقص والعيب في صفاته، ولا العيب ولا الجور في أفعاله، بل هو منزّه في ذاته وأوصافه وأفعاله وأسمائه عما يضاد كماله بوجه من الوجوه، وتبارك اسمه وتعالى جدّه وبهرت حكمته وتمت نعمته وقامت على عبادته حجته، والله أكبر كبيراً أن يكون في شرعه تناقض واختلاف، فلو ﴿كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوْجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، بل شريعته مؤتلفة النظام، متعادلة الأقسام، مبرأة من كل نقص، ومطهرة من كل دنس ﴿مُسَلَّمَةٌ لَا شَيْءَ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧١]، مؤسسة على العدل والحكمة والمصلحة والرحمة، قواعدها ومبانيها، إذا حرّمت فساداً حرمت ما هو أولى منه أو نظيره، وإذا رعت صلاحاً رعت ما هو فوقه أو شبيهه، فهي صراطه المستقيم الذي لا أمت فيه ولا عوج، وملته الحنيفية السمحة التي لا ضيق فيها ولا حرج، بل هي حنيفية التوحيد، سمحة العمل، لم تأمر بشيء فيقول العقل:

لو نهت عنه لكان أوفق، ولم تنه عن شيء فيقول ذوو الحجى: لو أباحتها لكان أرفق، بل أمرت بكل صلاح ونهت عن كل فساد، وأباحت كل طيب وحرمت كل خبيث، فأمرها غذاء ودواء، ونواهيها حمية وصيانة، وظاهرها زينة لباطنها، وباطنها أجمل من ظاهرها، شعارها الصدق، وقوامها الحق، وميزانها العدل، وحكمها الفصل، لا حاجة بها ألبة إلى أن تكمل بسياسة ملك، أو رأي ذي رأي، أو قياس فقيه، أو ذوق ذي رياضة، أو منام ذي دين وصلاح، بل بهؤلاء كلهم أعظم حاجة إليها، ومن وفق منهم للصواب فلاعماده وتعويله عليها، لقد أكملها الذي أتم نعمته علينا بشرعها قبل سياسات الملوك وحيل المتحيلين وأقيسة القياسيين وطرائق الخلافيين.

وأين كانت هذه الحيل والأقيسة والقواعد المتناقضة والطرائق القدِّد وقت نزول قوله ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وأين كانت يوم قوله: ﷺ: «لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»^(١)، ويوم قوله: ﷺ: «ما تركت من شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار إلا أعلمتكموه»^(٢)؟

وأين كانت عند قول أبي ذر: «لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقرب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً»^(٣)، وعند قول القائل لسلمان: «لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة، فقال: أجل»^(٤)؟

فأين علمهم الحيل والمخادعة والغش والمكر، وأرشدهم إليه ودلهم عليه؟

(١) رواه أحمد (١٢٦/٤)، وابن ماجه (٤٤)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٨)، والحاكم في المستدرک (٩٦/١). وصححه شيخنا الإمام الألباني في «الصحیحة» (٩٣٧).

(٢) أخرجه الشافعي في المسند، وابن خزيمة من حديث علي بن حجر (٣/ رقم ١٠٠)، كما في السلسلة الصحيحة رقم (١٨٠٣).

(٣) رواه البزار في مسنده (١٤٧)، والطبراني في المعجم الكبير (١٦٤٧).

(٤) أخرجه مسلم (٢٢٣/١) (٢٦٢).

كلا والله! بل حذرهم أشد التحذير وأوعدهم عليه أشد الوعيد، وجعله منافياً للإيمان، وأخبر عن لعنة اليهود لما ارتكبوه، وقال لأمته: «لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله تعالى بأدنى الحيل»^(١)، وأغلق أبواب المكر والاحتيال، وسدّ الذرائع، وفصل الحلال عن الحرام، وبيّن الحدود، وقسم شريعته إلى حلال بيّن وحرام بيّن، وبرزخ بينهما فأباح الأول وحرّم الثاني، وحض الأمة على اتقاء الثالث خشية الوقوع في الحرام.

وقد أخبر الله تعالى عن عقوبة المحتالين على حلّ ما حرّم عليهم، وإسقاط ما فرضه عليهم في غير موضع من كتابه^(٢).

وإن ظاهرة الغش بأنواعه وصوره من دينية وديوية، قد ملأت اليوم السهل والواد، وضج منها الحاضر والباد، فلا تكاد ترى صنعة أو مهنة أو تجارة أو علاقة بين اثنين - إلا من رحم الله - إلا وقد شابها الغش، مما أفسد الدين والدنيا، وأوقع العداوة والبغضاء بين الراعي والرعية، وبين الزوج وزوجه، وبين الأخ وأخيه، والشريك وشريكه، والجار وجاره، وكل ذلك - أي الغش بكل صنوفه وأشكاله - من الظلم الذي حرّمه الله في كتابه، وكل كسب نتج عن غش فهو كسب حرام خبيث، صاحبه في مقت من الله كبير، والأدلة متوافرة من الكتاب والسنة على منع الغش، وكل صورته من غرر وتدليس وغبن ونجش.

ومع كثرة النصوص الصحيحة الصريحة في تحريم جريمة الغش، غير أنها كل يوم في ازدياد. وهذا يؤكد مدى انحراف أخلاق الناس أفراداً ومجتمعات عما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه من أمانة وصدق وحسن معاملة مع الله ومع الناس، مما كان له أكبر الأثر في هداية الناس وتعلقهم بهذا الدين وتفانيهم في التضحية في سبيله ومن أجله.

(١) انظر تخريجه في: إرواء الغليل (٥/ ٣٧٥) (١٥٣٥).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لشيخ الإسلام ابن قيم الجوزية (٥/ ١٣٦-١٣٩) بتصرف، دار ابن الجوزي.

إن الغش تشويه للدين وطمس لمعالمه وصدّ للآخرين عنه؛ لأن الغشاشين قطاع طرق يصدون الناس عن دين الله، قصدوا أم لم يقصدوا، وهم من جملة المفسدين في الأرض؛ لأن جرائمهم لا تقف عند ضرر بعينه، بل تتعداه إلى الاتجار بأرواح الناس وأموالهم ودمائهم؛ لذا حق لنا أن نسمي كتابنا هذا «جريمة الغش»، ومعرفة الشر لا يقل شأنًا عن معرفة الخير للحذر منه وتحذير الآخرين قبل هجومه.

عَرَفْتُ الشَّرَّ لَا لِلشَّرِّ لَكِنْ لِتَوَقُّيهِ وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ يَقَعُ فِيهِ

ومن أسباب انتشار الغش والخداع في التعامل «التقدم الواسع المدى في مجال العلوم الطبيعية والكيميائية والبيولوجية التي سهلت إمداد مرتكبي الغش بإمكانيات واسعة لارتكاب هذه الجرائم. ومهارة عملية فائقة لإخفاء آثار جرائمهم وخداع المستهلكين. وقد اهتمت دول العالم جميعًا بمقاومة هذه الظاهرة تشريعياً واجتماعياً»^(١).

وسنت القوانين الرادعة^(٢) لهذه الظاهرة التي تدمر المجتمعات وتعصف بها لكثرة ضروب الغش ووسائله وصوره؛ حتى إنك «لو فتشت الصناعات والحرف والتجارات والبيوعات والعطارات والصياغات والمصارفات وغيرها، لوجدت عندهم من صور الغش والتدليس والخيانة والمكر والتحيل بالحيل الكاذبة ما تنفر عنه الطباع وتمجه الأسماع، لأننا نجدهم في معاملاتهم كرجلين معهما سيفان متقابلان، فمتى قدر أحدهما على الآخر قتله لوقته، كذلك التجار والمتبايعون الآن لا ينوي كل واحد منهما إلا أنه إن ظفر بصاحبه أخذ جميع ماله بحق وباطل وأهلكه وصيره فقيراً لوقته، وإذا وقع لأحد منهم شيء من ذلك فرح به فرحاً كثيراً، وسوّلت له نفسه الخبيثة أنه غلبه وظفر به بما غشه واحتال عليه بالباطل إلى أن

(١) تشريعات الغش، د. عبدالفتاح مراد (ص ١٣).

(٢) ولكن هيهات هيهات، ولن يرتدع هؤلاء الغشاشون إلا أن يشاء الله رب العالمين... ﴿وَمَا كُنَّا بِهٖٓ إِلَّا أَنْ نَشَاءَ

استأصل ماله وظفر به ، ككلب ظفر بجيفة وأكل منها حتى لم يُبق منها شيئاً»^(١) .

وإن من أعظم نتائج الغش وأضراره ما ذكره الفقيه ابن حجر الهيثمي حيث قال : «ولهذه القبائح التي ارتكبتها التجار والمتسبون وأرباب الحرف والصنائع ، سلط الله عليهم الظلمة فأخذوا أموالهم ، وهتكوا حریمهم ، بل وسلط عليهم الكفار فأسروهم واستعبدوهم ، وأذاقوهم العذاب والهوان ألواناً ، وكثرة تسلط الكفار على المسلمين بالأسر والنهب وأخذ الأموال والحریم إنما حدث في هذه الأزمنة المتأخرة لما أن أحدث التجار وغيرهم قبائح ذلك الغش الكثيرة المتنوعة وعظائم تلك العجبايات والمخادعات والتخيلات الباطلة على أخذ أموال الناس بأي طريق قدروا عليها ، لا يراقبون الله المطلع عليهم ، ولا يخشون سطوة عقابه ومقته ، مع أنه تعالى لهم بالمرصاد ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩] و﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَالْخَفَى﴾ [طه: ٧] ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك: ١٤]»^(٢) .

ثم قال : «فتأمل ذلك أيها الماكر المخادع الغشاش الآكل أموال الناس بتلك البيوعات الباطلة والتجارات الفاسدة ، تعلم أنه لا صلاة لك ولا زكاة ولا صوم ولا حج ، كما جاء عن الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ، وليتأمل الغشاش بخصوصه قوله ﷺ : «من غشنا فليس منا»^(٣) يعلم أن أمر الغش عظيم ، وأن عاقبته وخيمة جداً ، فإنه ربما أدت إلى الخروج عن الإسلام والعياذ بالله تعالى ، فإن الغالب أنه ﷺ لا يقول : «ليس منا» إلا في شيء قبيح جداً يؤدي بصاحبه إلى أمر خطير ويخشى منه الكفر ، فإن لم يعرض دينه إلى زوال ويسمع قوله ﷺ : «من غشنا فليس منا» ، ولا ينتهي عن الغش إثارة لمحبة الدنيا على الدين ورضا بسلوك سبيل الضالين»^(٤) .

(١) «الزواجر عن اقرار الكباثر» (٢٣٩/١).

(٢) المرجع السابق (٢٤٠-٢٤١).

(٣) سيأتي تخريجه .

(٤) «الزواجر عن اقرار الكباثر» (٢٤١/١).

وإنك ستجد أخي القارئ الكريم في كتابي هذا أبحاثاً مثيرة للاستغراب والدهشة والضحك في آن واحد، وإني لأرجو أن أكون قد نصحت للمسلمين وحذرتهم من هذه الجريمة البشعة فيما أحسب، ولا أدعي لنفسي الكمال، فالكمال لله وحده، وكل رجل يؤخذ منه ويرد عليه إلا النبي ﷺ - كما قال الإمام مالك - فما كان من فضل وتوفيق وسداد فمن الله وحده، فهو حسبي وعليه اتكالي، وما كان من خطأ أو سهو أو زلل أو تقصير فهو من عجزتي وضعفي الذي هو من طباع البشر، ورحم الله أخاً رأى خللاً فنصح برفق ولين لا بإعلان وتشهير، بل يذكر بالتي هي أحسن للتي هي أقوم، وأنا له من الشاكرين، ولمنته من المتقلدين، والله من وراء القصد.

والحمد لله رب العالمين .

وكتب

أبو أنس

د. محمد بن موسى نصر

السابع من رمضان ١٤٢٤هـ

بين يدي البحث

«الغش التجاري من الجرائم الاقتصادية والأمراض التجارية المتفشية في العالم أجمع، وهو قديم قدم التجارة، ونلمسه على الصعيد الداخلي والخارجي، أما الغش الذي يعم داخلياً بين التجار فيما بينهم أو بين التجار وغيرهم، فكل حكومة تضع نظاماً داخلياً خاصاً يقاوم الغش الداخلي، أما الغش الخارجي فتعقد الدول اتفاقيات دولية لمكافحة الغش الدولي تتفق عليها وتلتزم بها، ولكننا نجد عددًا كبيراً من الأنظمة الداخلية، والاتفاقيات الدولية تصدر وتطبق وتعلل وتبدل، وكلها لمكافحة الغش»^(١).

ومن الجدير بالذكر أن «سبب تزايد الغش واستمراره تقدم التجارة وتطورها نتيجة لظهور مخترعات جديدة وتطور وسائل الاتصال والمواصلات، فلو أن الأمر كذلك فيكون تطور وتقدم التجارة ضرراً للبشرية!! وظهور مخترعات جديدة وتطور وسائل المواصلات والاتصالات فساداً وإفساداً للمجتمع!!... هذا اعتقاد باطل ويخالف «سنن الله الكونية» فالله - تبارك وتعالى - استخلف الإنسان في هذه الأرض قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٢) بعد أن خلق كل شيء وسخره للإنسان قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾^(٤)، ثم فتح الله مجال الكشف وتطوير الوسائل، والبحوث العلمية، والتفكير والتدبر فتحاً واسعاً

(١) من مقدمة رسالة مكافحة الغش التجاري (ص ٨) لأحمد حسن الشوربجي .

(٢) سورة البقرة: (آية ٣٠).

(٣) سورة البقرة: (آية ٢٩).

(٤) سورة لقمان: (آية ٢٠).

بوسع الأرض المسخرة للإنسان. قال تعالى: ﴿سَأْتِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(١).

وإن كان السبب راجعاً إلى «ما اختارته النفس البشرية من خير أو شر دونما اعتبار لتطور وسائل الحياة، فالجريمة ظهرت مع بداية الإنسان قاييل وهاييل^(٢)، ثم استمرت وانعدمت في مجتمع المدينة النبوية الذي رباه رسول الهدى ﷺ، وقت أن كان عمر الفاروق رضي الله عنه قاضياً في المدينة لم تعرض عليه قضية، ولكن بعد ذلك ظهرت الجريمة واستمرت وتطورت وهذا كله في غياب تقوى الله صلى الله عليه وسلم ومخافته ومراقبته»^(٣).

* * *

(١) سورة فصلت: (آية ٥٣).

(٢) قلت: هذان الاسمان مما لا أثر لهما في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ وإنما هما من الإسرائيليات، فتنبه.

(٣) مقدمة «مكافحة الغش التجاري» (ص ٨-٩) للشوريجي. بتصرف يسير.

تعريف الغش

١- تعريف الغش لغة:

- الغش اسم من قولهم: غَشَّه يَغْشُهُ غِشًّا - بالكسر - وهو مأخوذ من مادة (غ ش س) .

يقول ابن فارس: «الغين والشين أصول تدل على ضعف في الشيء واستعجال فيه، من ذلك الغِشُّ، ويقولون: الغِشُّ ألا تمحض النصيحة»^(١) واستغشَّه خلاف استنصحه^(٢).

- ويقول الفيومي: «غَشَّه غِشًّا من بابِ قَتَلَ، والاسم غِشٌّ - بالكسر - لم ينصحه وزين له غير المصلحة. ولبن مغشوش، مخلوط بالماء»^(٣).

وغشَّه يَغْشُهُ لم يَمَحْضُهُ النصح، وأظهر له خلاف ما أضمره، وهو بعينه، عدم الإمحاظ في النصيحة كغَشَّشَهُ تَغْشِيشًا، وهو مبالغة في الغش. والغشُّ الغل والحقد، وقد غش صدره يَغْشُ إِذَا غَلَّ^(٤).

- وقال ابن منظور: «الغِشُّ نقيض النصح، وهو مأخوذ من الغَشِّشِ وهو المشربُّ الكدِرُ. ومن هذا الغِشُّ في البياعات.

- قال أبو عبيدة: وقد غَشَّه يَغْشُهُ غِشًّا، لم يمحضه النصيحة، وشيء مغشوش، ورجلٌ غِشٌّ: غاشٌّ والجمع: غِشُونٌ. وقال أوس بن حُجْرٍ:

مُخَلَّفُونَ وَيَقْضِي النَّاسُ أَمْرَهُمْ غَشَّوْا الْأَمَانَةَ صُنْبُورٌ لِصُنْبُورِ

(١) المقاييس (٤/٣٨٣)، لسان العرب (٦/٣٢٣).

(٢) الصحاح (٣/١٠١٣).

(٣) المصباح المنير (١٧٠).

(٤) التاج (٩/١٥٤).

وَاسْتَعَشَّهُ وَاعْتَشَّهُ: ظَنَّ بِهِ الْغِشَّ، وَهُوَ خِلَافُ اسْتَنْصَحَهُ.

وَاعْتَشَشْتُ فَلَانًا: أَيَّ عَدَدْتُهُ غَاثًا، قَالَ الشَّاعِرُ:

أَيَا رَبِّ مِنْ تَغْتَشُّهُ لَكَ نَاصِحٌ وَمُنْتَصِحٌ بِالْغَيْبِ غَيْرُ أَمِينٍ^(١)

٢- تعريف الغش اصطلاحًا:

- قال نور الدين الهيثمي: «الغش ضد النصح والنصح والنصيحة: إرادة الخير

للمنصوح له»^(٢).

- وقال المناوي: «الغش ما يُخَلِّطُ مِنَ الرَّدِيِّ بِالْجَيِّدِ»^(٣).

- وقال ابن حجر الهيتمي: «الغش (الحرام) أن يعلم ذو السلعة من نحو بائع

أو مُشْتَرٍ فِيهَا شَيْئًا لَوْ أَطْلَعَ عَلَيْهِ مُرِيدٌ أَخْذَهَا مَا أَخْذَهَا بِذَلِكَ الْمَقَابِلِ»^(٤).

- وقال الكفوي: «الغش سواد القلبِ وَعُجُوسُ الْوَجْهِ»^(٥).

- وقال ابن عرفة: الغش: «إبداء البائع ما يوهم كما لا في مبيعه كاذبًا، أو كتم

عيبه»^(٦).

- «الغش: عدم إعلان ما في السلعة من نقص وعيب ولو لم يبذل جهدًا في

إخفائه، بحيث تحتمل أن يزداد في ثمنها»^(٧).

٣- تعريف الغش في القوانين الوضعية:

يمكننا تعريف الغش كما عنته المادة الثانية من القانون رقم ٤٨ لسنة ١٩٤١

(١) لسان العرب (٦/٣٢٣).

(٢) انظر كشف الأستار (٢/٨٢-٨٣)، باب ما جاء في الغش رقم (١٢٥٥-١٢٥٦).

(٣) التوقيف (٢٥٢).

(٤) الزواجر (٣٢٣).

(٥) الكلبيات (٦٧٢).

(٦) «شرح حدود ابن عرفة» (١/٣٧٠).

(٧) الضرر في الفقه الإسلامي، د. أحمد موافي (١/٢٠٠).

والمعدل بالقانون رقم ٢٨١ لسنة ١٩٤١ بأنه : كل تغيير أو تشويه يقع على الجواهر أو التكوين الطبيعي لمادة أو سلعة معدة للبيع، ويكون من شأن ذلك النيل من خواصها الأساسية، أو إخفاء عيوبها، أو إعطاؤها شكل ومظهر سلعة أخرى تختلف عنها في الحقيقة، وذلك بقصد الاستفادة من الخواص المسلوقة أو الانتفاع بالفوائد المستخلصة والحصول على فارق الثمن .

ويمكن القول بأن فعل الغش يتحقق من جانب المخالف بقيامه بإحداث أي تغيير في البضاعة لتغيير حقيقتها أو إخفائها . ويتم ذلك بأية وسيلة تؤدي إلى التغيير المادي في البضاعة أو نزع بعض صفاتها الطبيعية أو عناصرها النافعة، أو إخفاء حقيقتها في مظهر مادي غير صحيح، على وجه يؤدي إلى الإضرار والمساس بحقوق ومصالح المتعاقدين .

وقد صنف قانون قمع التديليس والغش رقم ٢٨١ لسنة ١٩٩٤ جريمة الغش بين عمدية وغير عمدية^(١) .

تاريخ تطور الغش التجاري

«الغش التجاري له تاريخ قديم يرجع إلى ما قبل الميلاد فمن أوائل جرائم الغش التجاري كان عند اليونانيين وكان ذلك سنة ٣٦٠ قبل الميلاد عندما أقبل تاجر يدعى (زينوثيميس) بالاشتراك مع (هيجو سترانوس) - وهو صاحب سفينة - على إقناع أحد المشتريين بأن يدفع ثمن بضاعة مقدماً بعد أن أخطرا بأن البضاعة تم تحميلها للسفينة، وكانت البضاعة ذرة، ولكن الحقيقة أن السفينة كانت خالية من البضاعة، وبعد ثلاثة أيام من إقلاع السفينة حاول الأول أن يحدث ثقباً في السفينة لتغرق في البحر، ولكن المسافرين ضبطوه متلبساً، فقفز مذعوراً إلى البحر ومات

(١) «جرائم الغش التجاري والصناعي» ص (٢٧١).

غرقاً وفسلت محاولته^(١).

ومن أوائل الغش التجاري كان في قوم شعيب وكانوا يخدعون المشتريين ويبخسون الناس أشياءهم وكانوا يطففون المكيال قال تعالى: ﴿وَالْإِن مَدَّيْتَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْفَوِرَ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٢). ولكن كذبه قومه فأخذتهم الرجفة وهي عذاب من الله نزل بهم، قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ﴾^(٣)، وفي آية أخرى ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ﴾^(٤).

ومن قبلهم كان اليهود يغشون الشحم يجملونه ويبيعونه للناس ويأكلون ثمنه حراماً، خالفوا أمر الله ببيع الحرام وأكل ثمنه وخالفوه في غشهم وخداعهم للناس، قال تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَعْثِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾^(٥)، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح: «إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام»، فقيل: يا رسول الله، أرأيت شحوم الميتة فإنها يدهن بها الجلود وتطلى بها السفن ويستصبغ بها الناس؟ فقال: «لا، هي حرام»، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك: «قاتل الله اليهود، إن الله حرم عليهم شحومها، فجملوه وباعوه وأكلوا ثمنه»^(٦). ومعنى جملوه: أذابوه.

(١) دليل مكافحة الغش التجاري ICC ١٩٨٥م (ص ٤).

(٢) سورة الأعراف: (آية ٨٥).

(٣) سورة العنكبوت: (آية ٣٧).

(٤) سورة هود: (آية ٩٤).

(٥) سورة الأنعام: (آية ١٤٦).

(٦) أخرجه أبو داود (٣٤٨٦)، وابن ماجه (٢١٦٧)، والنسائي (٤٢٥٦)، والترمذي (١٢٩٧) وصححه شيخنا في

«صحيح أبي داود» (٢٩٧٧).

وفي عهد داود عليه السلام كان يحدث الغش التجاري بين الشركاء وهو أن يطمع أحدهم في نصيب الثاني فيحاول أن يأخذه بوسائل الغش . قال تعالى : ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَعَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً وَلِي نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ لِسُؤَالِ نَجْمِكَ إِلَيَّ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾﴾ .^(١) . أكفلنيها : أي اجعلني كافلها بمعنى : تنازل لي عنها وملكنيها ، وعزني : أي غلبني في الكلام الجدلي فأخذها مني ، والخلطاء : الشركاء .

وجاء الإسلام بتعاليمه السمحة ووضع حدًا للغش التجاري ، في رواية لمسلم : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صُبْرَة طعام فأدخل يده فيها ، فنالت أصابعه بللًا ، فقال : « ما هذا يا صاحب الطعام ؟ » قال : أصابته السماء يا رسول الله ، قال « أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس . من غشنا فليس منا » ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تناجشوا » . وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : ذكر رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه يخدع في البيوع . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من بايعت فقل لا خلافة »^(٢) .

وفي القرن الثاني عشر الميلادي تزايد عدد السكان في أوروبا الوسطى وكثرت المنتجات وتوسعت التجارة ، ولكن النفس البشرية هي هي . . . كانت الثقة أساس التعاملات في ذلك الوقت ، ولكن بعض التجار غير الأمناء يختفون ومعهم نقود عملائهم أو مموليهم وكان البعض يدعي حدوث المخاطر ، ووقوعهم ضحايا لحوادث السرقة أو لغارات القراصنة ، ففي ذلك العصر تطور خطاب الاعتماد والذي كان يشبه (شيك المسافرين) في الوقت الحاضر فتزايدت حالات الغش التجاري إلا أن طابعها كان محليًا .

(١) سورة ص : (آية ٢١-٢٤) .

(٢) سيأتي تخريجه .

ثم بعد ذلك انتشرت التجارة الدولية وتوسعت وظهرت وتزايدت حوادث الغش الدولي في العصر الحديث ولاسيما بعد منتصف السبعينيات عندما تسببت أزمة اختناق موانئ الشرق الأوسط ونيجيريا في انتظار السفن لمدة أسابيع، وأحياناً لشهور في انتظار تفريغ البضاعة إلى أماكن أخرى ويقومون بتفريغها، ومن هذا المنطلق بدأ غير الأمناء بنشاط آخر وهو أن يقوموا ببيع البضاعة بعد نقلها إلى مشترك آخر^(١). واستمر الغش التجاري وتطور حتى يومنا هذا، وأخيراً ظهرت وسائل جديدة لظاهرة الغش التجاري في شكل نصب واحتيال وهي (الوساطة) لتقديم قروض وتسهيلات ائتمانية لبعض المستثمرين الذين يبحثون عن تمويل لمشروعاتهم مقابل عمولة - نسبة - معينة، وبعد أن يأخذ المحتمل النسبة مقدماً يختفي نهائياً بعد أن يقدم مستندات مزورة تدل على علاقته بالبنك إشعارات قيد أو خصم، وقد جمع من ضحاياه مبالغ طائلة من العمولات. وأسلوب آخر وهو بيع الديون الخارجية لبعض أصحاب المال في دول الخليج فيشتري رجال الأعمال الرّبويّون ويدفعون في المقابل (المخاطرة) القليل طمعاً في الأرباح الكبيرة ويكون مشروع الديون كله مشروعاً وهمياً واعتماداً على وثائق مزورة^(٢)»^(٣).

حكم الشريعة الإسلامية في الغش

«يعتبر الإسلام الغبن والتغريب والغرر والنجش أنواعاً مختلفة من الغش وحكمه عليها هو نفس حكمه على جريمة الغش.

نص الكتاب الكريم بصريح العبارة التي لا تحتاج إلى تفسير أو تأويل ما يجب على المسلم من مراعاة الصدق في المقياس والمكيال والميزان»^(٤).

(١) دليل مكافحة الغش الدولي - ICC - ١٩٨٥، (ص ٤).

(٢) أرشيف مركز المعلومات بال غرفة التجارة الصناعية بالطائف.

(٣) مكافحة الغش التجاري (ص ١٧-١٩) للشوربجي.

(٤) جرائم الغش التجاري والصناعي (ص ٢٩٨-٢٩٩).

ولقد «حرمت الشريعة الغش بصورتيه السلبية (وهي مجرد السكوت عن العيب والنقص) والإيجابية (وهي القيام بجهد ما في إخفاء العيب أو تزيين السلعة)، وهذه الصورة الثانية أعلى صورتَي الغش، وأشدّهما في التحريم»^(١).

وقد «اتفق الفقهاء على أن الغش حرام سواء أكان بالقول أم بالفعل، وسواء أكان بكتمان العيب في المعقود عليه أو الثمن أم بالكذب والخديعة، وسواء أكان في المعاملات أم في غيرها من المشورة والنصيحة»^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ويأمر المحتسب بالجمعة والجماعات، وبصدق الحديث، وأداء الأمانات، وينهى عن المنكرات من الكذب والخيانة، وما يدخل في ذلك من: تطفيف المكيال والميزان، والغش في الصناعات والبياعات والديانات ونحو ذلك... والغش يدخل في البيوع بأثمان العيوب وتدليس السلع؛ مثل: أن يكون ظاهر المبيع خيراً من باطنه، كالذي مر عليه النبي ﷺ وأنكر عليه، ويدخل في الصناعات؛ مثل الذين يصنعون المطاعم من الخبز والطبخ والعدس والشواء وغير ذلك، أو يصنعون الملابس؛ كالنساجين والخياطين ونحوهم، ويصنعون غير ذلك من الصناعات، فيجب نهيمهم عن الغش والخيانة والكتمان، ومن هؤلاء الكيماوية الذين يغشون النقود والجواهر والعطر وغير ذلك، فيصنعون ذهباً أو فضة أو عنبراً أو مسكاً أو جواهر أو زعفراناً أو ماء ورد، أو غير ذلك، يضاھون به خلق الله، ولم يخلق الله شيئاً فيقدر العباد أن يخلقوا كخلقه...»

ويدخل في المنكرات ما نهى الله عنه ورسوله من العقود المحرمة، مثل عقود الربا والميسر، ومثل بيع الغرر، وكحبل الحبلية، والملامسة، والمنابذة، وربا النسئة، وربا الفضل، وكذلك النجش، وهو أن يزيد في السلعة من لا يريد

(١) الضرر في الفقه الإسلامي - د. أحمد موافي (١/٢٠٠) بتصرف يسير.

(٢) «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (١/١٩٢).

شراءها، وتصرية الدابة اللبون، وسائر أنواع التدليس»^(١).

و«الغبين محرّم لما فيه من التغرير للمشتري والغش المنهي عنه، ويحرم تعاطي أسبابه»^(٢). لقوله: ﷺ: «من غشنا فليس منا»، قال ابن العربي: «إن الغبن في الدنيا ممنوع بإجماع في حكم الدنيا، إذ هو من باب الخداع المحرّم شرعاً في كل ملة، لكن اليسير منه لا يمكن الاحتراز منه لأحد فمضى في البيوع، إذ لو حكمنا برده ما نفذ بيع أبداً، لأنه لا يخلو منه، حتى إذا كان كثيراً أمكن الاحتراز منه ووجب الرد به.

والفرق بين القليل والكثير أصل في الشريعة معلوم»^(٣).

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾^(٤)، وقال تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام: ﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾^(٥)، وقال: ﴿وَيَقْوُوا أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(٦)، وقال: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾^(٧)، ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾^(٨) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(٩)، وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَّمْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(١٠)، وقال: ﴿وَبَدِّلْ اللَّمَطْفَيْنِ﴾^(١١) الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾^(١٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾^(١٣)، وقال تعالى في سورة الأحزاب^(١٤) ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا كَتَبْنَا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾.

(١) «الحسبة في الإسلام» لابن تيمية (ص ٩-١١).

(٢) «الروض المربع شرح زاد المستقنع» (٤/٤٣٧).

(٣) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/١٨٠٤).

(٤) سورة الأعراف: (آية ٨٥).

(٥) سورة هود: (آية ٨٤).

(٦) سورة هود: (آية ٨٥).

(٧) سورة الشعراء: (آية ١٨١-١٨٣).

(٨) سورة الإسراء: (آية ٣٥).

(٩) سورة المطففين: (آية ٣-١).

(١٠) سورة الأحزاب: (آية ٥٨).

وكذلك السنة الصحيحة قد جاءت أدلتها واضحة في تحريم الغش وذمه وذم فاعله فمن ذلك :

أولاً : الأحاديث الواردة في النهي عن الغش :

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من خَبَبَ زوجة امرئٍ أو مملوكه فليس مِنَّا»^(١).

* وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «من حمل علينا السلاح فليس منا ومن غشنا فليس منا»^(٢).

قال الشيخ الإمام عبد الرحمن السعدي رحمه الله : «فهذا عام في الغش في المعاملات كلها من التجارة والإجارة والمشاركة وكل شيء ، فإنه يجب في المعاملات الصدق والبيان ، ويحرم فيها الغش والتدليس والكتمان .

والغش : إما أن يظهر أن المبيع على صفة حسنة هو خال منها ، وهو الذي يسمونه بخيار التدليس ، كتصرية اللبن في الضرع ، وتسويد شعر العجوز ، وجمع ماء الرحي وإرساله وقت عرضها للبيع .

ومن هذا : أن يريه بعض المبيع وهو أحسن ما يكون في المبيع ويوهمه أن الباقي مثل الذي رأى ، كأن يُزَيَّن وجه الصبرة وينقيها ، أو يبيعه بالأنموذج ويريه أحسن مما باعه ، والضابط لهذا النوع : ما قالوا أن يدلّس المبيع بما يزيد به الثمن . وإما أن يكون فيه عيب فيكتمه ولا يبينه .

وإما أن يغبنه بنجش أو إخبار أنه أعطي في السلعة كذا وهو كاذب ، أو تلقي الركبان ليشتري منهم أو يبيعهم أو يخدع من لا يحسن المماكسة أو نحو ذلك .

فالغار في هذه الأشياء آثم ، وللآخر المخدوع الخيار ، إن شاء أمسك وإن شاء

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٠١) (١٦٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٩).

ردّ وأخذ ما دفع . . .

ومثل التغيرير في المبيع: التغيرير في العين المؤجرة غبنًا وتدليسًا وكنتم عيب . . . ، ومما يدخل في هذه القاعدة: من غرّ غيره فأخبره أنه عبد زيد وهو كاذب فاشتراه منه، أو أخبره أن المال ماله فاشتراه، أو أخبره بصفة مقصودة في المبيع لغيره فاغتر واشتراه ووجد الأمر على خلاف ما قال، فإنه يرجع على من غرّه . . .

والقاعدة: أن المباشر والمتسبب كلاهما ضامن، لكن إذا اجتمعا قُدِّم تضمين المباشر، فإن تعذر تضمينه فعلى المتسبب.

ومن هذا الباب: رجوع الزوج المضرور بزوجة معيبة أو مجنونة على من غرّه من وليّ وزوجة عاقلة وأجنبي^(١).

* عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من غشنا فليس منا، والمكر والخديعة في النار»^(٢).

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أفتني بغير علم كان إثمه على من أفتاه، ومن أشار على أخيه بأمر، يعلم أن الرشد في غيره فقد خانته»^(٣).

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ، فقال: «يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجلٌ من أهل الجنة» - الحديث وفيه - : فما بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ فقال: ما هو إلا ما رأيت. قال: فانصرفت عنه، فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أنني لا أجد في نفسي على أحد من المسلمين غشًا، ولا أحسده على خير أعطاه الله إياه. فقال عبدالله: فهذه التي بلغت بك، وهي

(١) إرشاد أولي البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب، للعلامة السعدي (ص ١٨٢-١٨٤) أضواء السلف.

(٢) أخرجه ابن حبان (١١٠٧) والطبراني في «المعجم الصغير» (ص ١٥٣)، والكبير (٣/ ١٦٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٨٨/٤) وانظر الصحيحة (٣/ ٤٨-٤٩).

(٣) رواه أبو داود في سننه (٣٦٥٧)، والدارمي (١/ ٥٧) وهو في صحيح أبي داود (٣١٠٥، ٣٦٥٧).

التي لا نطبق^(١).

* عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مرَّ على صُبْرَةِ طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً. فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟» قال: أصابته السماء يا رسول الله. قال: «أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟ من غشَّ فليس منِّي»^(٢).

«كان سفيان بن عيينة يكره تفسير مثل هذا ويقول: نمسك عن تأويله ليكون أوقع في النفوس وأبلغ في الزجر، والحديث دليل على تحريم الغش وهو مجمع على تحريمه شرعاً، مذموم فاعله عقلاً»^(٣).

* عن معقل بن يسار المزني رضي الله عنه في مرضه الذي مات فيه قال: إنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبدٍ يسترعيه الله رعيَّةً، يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة»^(٤).

قلت: قال القاضي عياض في «إكمال المعلم بفوائد مسلم»: «معناه بيِّن في التحذير من غش المسلمين لمن قلده الله شيئاً من أمرهم، واسترعاه عليهم ونصبه خليفة لمصلحتهم وجعله واسطة بينه وبينهم في تدبير أمورهم في دينهم ودنياهم، فإذا خان فيما أوثمن عليه، ولم ينصح فيما قلده واستخلف عليه إما بتضييع لتعريفهم ما يلزمهم من دينهم وأخذهم به والقيام بما يتعين عليه من حفظ شرائعهم والذب عنها لكل مُتَصَدِّقٍ لإدخال داخلته فيها أو تحريف لمعانيها أو إهمال حدودهم أو تضييع حقوقهم أو ترك حماية حوزتهم ومجاهدة

(١) رواه أحمد في المسند (١٦٦/٣) واللفظ له، والبعثوني في شرح السنة (١١٣/١٣، ١١٤)، وقال محققه: إسناده صحيح.

(٢) رواه مسلم (١٠٢). وفي رواية لأحمد: «بع هذا على حدة وهذا على حدة، من غشنا فليس منا». وله ألفاظ أخرى «ليس منا من غش»، «ألا من غش فليس مني». انظر «الإرواء» - لشيخنا رحمته الله (١٦٠-١٦٤) (١٣١٩).

(٣) سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، للصنعاني (٨٤/٥) - دار ابن الجوزي.

(٤) رواه البخاري (٧١٥٠)، ومسلم (١٤٢) واللفظ له.

عدوهم أو ترك سيرة العدل فيهم ، فقد غشهم^(١) .

وقد نبه ﷺ أن ذلك من كبائر الذنوب الموبقة المبعدة عن الجنة إذا دخلها السابقون والمقربون ، إن أنفذ الله عليه وعيده الموجب لعذابه بالنار ، أو إيقافه بالبرزخ والأعراف المدة التي يشاء الله تعالى ، أو يحرم الجنة رأساً إن فعل ذلك مستحلاً^(٢) .

ثانياً : الأحاديث الواردة في ذم أنواع من الغش :

* عن أبي بكره رضي الله عنه قال : كُنَّا عند رسول الله ﷺ فقال : «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ (ثلاثاً) : الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ ، وَعَقُوقُ الْوَالِدِينَ ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ (أو قول الزور)» وكان رسول الله ﷺ مُتَكِنًا فجلس . فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت^(٣) .

* عن ابن عمر رضي الله عنهما : «أن رسول الله ﷺ لعن الواصلة والمُستوصلة والواشمة والمستوشمة»^(٤) .

قلت : فالواصلة وأمثالها تغش الخُطَّاب بشعرها المستعار ، فيحسبون أنه لها حقيقة ، ثم سرعان ما تفجعهم الحقيقة حينما تسقط الباروكة ، فلا يرون إلا صحراء قاحلة أو شبه صحراء ، ثم يندبون حظهم بعد هذا الاكتشاف المرعب .

ومثل ذلك تركيب عدسات ملونة لتغيير لون قرحية العين ، فيظن أن عيون المخطوبة زرقاء ، وقد حدث لإحداهن نتيجة هذا الغش والتدليس أن فقدت بصرها ، وذلك حينما استعملت (الماكينة التي تصفف الشعر) والتي ينبعث منها

(١) رحم الله القاضي عياضاً ، لو أنه أبصر واقع أكثر العالم الإسلامي وما فيه من تنازع واختلاف وتسليط الأعداء وإقصاء للشريعة الغراء ، لبكى لحاله . والله المستعان .

(٢) إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم (١/٤٤٦-٤٤٧) للقاضي عياض رحمته الله .

(٣) رواه البخاري (٢٦٥٤) ، ومسلم (٨٧) واللفظ له .

(٤) رواه البخاري (٥٩٣٧) ، ومسلم (٢١٢٤) واللفظ له .

هواء ساخن مما أدى إلى ذوبان المادة البلاستيكية الملتصقة بالعينين ، فقدت تلك المرأة بصرها على حد من قال : أردنا أن نكحلها فعميناها ، وعلى نفسها جنت براقش .

* عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته : «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا . كل مال نحلته عبداً ، حلالٌ . وإنني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم . وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً . وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم ، عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب . وقال : إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك . وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء . تقرؤه نائماً ويقظان . وإن الله أمرني أن أحرق قريشاً . فقلت : رب إذن يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة . قال : استخرجهم كما استخرجوك . واغزهم نغزك . وأنفق فسنفق عليك ، وابعث جيشاً نبعث خمسة مثله . وقاتل بمن أطاعك من عصاك . قال : وأهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق . ورجل رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم . وعفيف متعفف ذو عيال . قال : وأهل النار خمسة : الضعيف الذي لا زبر له ، الذين هم فيكم تبعاً لا يتبعون أهلاً ولا مالاً . والخائن الذي لا يخفى له طمع . وإن دق إلا خانه . ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك . وذكر البخل أو الكذب «والشنظير الفحاش» . ولم يذكر أبو غسان - أحد رواته - في حديثه : «وأنفق فسنفق عليك»^(١) .

* عن ابن عمر رضي الله عنهما : «أن رسول الله ﷺ نهى أن تتلقى السلع حتى تبلغ الأسواق»^(٢) .

* عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً ذكر للنبي ﷺ ، أنه يُخدع في البيوع .

(١) رواه مسلم (٢٨٦٥)

(٢) رواه البخاري (٢١٦٥) ، ومسلم (١٥١٧) واللفظ له .

فقال: «إذا بايعت فقل: لا خلافة»^(١)

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل، ورجل بايع رجلاً بسلعة بعد العصر فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه، وهو على غير ذلك، ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا. فإن أعطاه منها وفي، وإن لم يعطه منها لم يف»^(٢).

* عن أسماء رضي الله عنها جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: إن لي ضرة، فهل علي جناح أن أتشبع من مال زوجي بما لم يعطني؟ فقال رسول الله ﷺ: «المتشبع بما لم يعط، كلابس ثوبي زور»^(٣).

* عن سعيد بن المسيب؛ قال: قدم معاوية المدينة فخطبنا وأخرج كبة من شعر. فقال: ما كنت أرى أحداً يفعله إلا اليهود، إن رسول الله ﷺ بلغه فسماه الزور^(٤).

* عن أبي الطفيل، عامر بن واثلة. قال: كنت عند علي بن أبي طالب، فأتاه رجل فقال: ما كان الرسول ﷺ يُسِرُّ إليك؟ قال: فغضب وقال: ما كان الرسول ﷺ يُسِرُّ إليّ شيئاً يكتبه الناس. غير أنه قد حدثني بكلمات أربع. قال: فقال: ما هنّ يا أمير المؤمنين؟ قال: قال «لعن الله من لعن والديه، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثاً، ولعن الله من غير منار الأرض»^(٥).

قلت: والشاهد لما نحن بصدد قوله: ﷺ: «ولعن الله من غير منار الأرض»؛

(١) رواه البخاري (٦٩٦٤) واللفظ له، ومسلم (١٥٣٣).

(٢) رواه مسلم (١٠٨) واللفظ له وأبو داود (٣٤٧٤)، وبعضه عند البخاري (٢٦٧٢).

(٣) رواه البخاري (٥٢١٩)، ومسلم (٢١٣٠) واللفظ له، وأبو داود (٤٩٩٧).

(٤) رواه البخاري (٥٩٣٨)، ومسلم (٢١٢٧) واللفظ له.

قلت: وقد تقدم التعليق على حديث الواصلة المتقدم آنفاً.

(٥) رواه مسلم (١٩٧٨).

إذ في تغيير منار الأرض غش وتدليس وتزوير ولبس الحق بالباطل، وادعاء ما ليس له، وأكل أموال الناس بالباطل، وكل ذلك ظلم وغش وعدوان موجب للعن - عيادًا بالله - .

* عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يتلقى الركبان لبيع ولا يبيع بعضهم على بيع بعض، ولا تناجشوا، ولا يبيع حاضر لباد، ولا تصروا الإبل والغنم. فمن ابتاعها بعد ذلك فهو بخير النظرين، بعد أن يحلبها فإن رضيها أمسكها وإن سخطها ردها وصاعًا من تمر»^(١).

قال الشيخ عبد الله البسام رحمته الله في «شرح العمدة»: ويؤخذ من الحديث:

١- النهي عن تلقي القادمين لبيع سلعهم، والشراء منهم قبل أن يصلوا إلى السوق، والحكمة في النهي لئلا يخدعوا فيشتري منهم سلعهم بأقل من قيمتها كثيرًا.

٢- تحريم البيع على بيع المسلم، وهو أن يقول لمن اشترى سلعة بعشرة عندي مثلها بتسعة، ومثله الشراء على شرائه، كأن يقول لمن باع سلعته بتسعة عندي فيها عشرة، ليفسخ العقد مع الأول ويعقد معه، ومثل البيع في التحريم خطبة النكاح على الخاطب قبله.

٣- النهي عن بيع الحاضر للبادي. وصفته أن يقدم من يريد بيع سلعته من غير أهل البلد، فيتولى بيعها له أحد المقيمين في البلد.

٤- النهي عن تصرية اللبن في ضروع بهيمة الأنعام عند البيع، وتحريم ذلك لما فيه من التدليس وتغريير المشتري، فهو من الكذب وأكل أموال الناس بالباطل.

٥- كل بيع يقع فيه التدليس فهو محرم، وأن المدلس عليه بالخيار إذا علم التصرية، ردها بعد حلبها، وردّ معها صاعًا من تمر بدلًا من اللبن، سواء كانت

(١) رواه البخاري (٢١٥٠)، ومسلم (١٥١٥) واللفظ له.

المصرّاة من الغنم أو الإبل، أو البقر، قلّ اللبن أو كثر، وهذا التمر مقابل اللبن الذي اشترت وهو في ضرعها، أما الحادث بعد، فلا يرد عنه شيئاً؛ لأن الخراج بالضمان^(١).

* عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجمع بين مفترق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة»^(٢).

* عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله ﷺ المحلل والمحلل له»^(٣).

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن غر كريم، والفاجر خب لئيم»^(٤).

* عن أبي هريرة رضي الله عنه - قال: «نهى رسول الله ﷺ عن بيع الحصة وعن بيع الغرر»^(٥)^(٦).

قال الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمته الله في شرحه لهذا الحديث: «وهذا كلام جامع لكل غرر، والمراد بالغرر: المخاطرة والجهالة، وذلك داخل في الميسر، فإن الميسر كما يدخل في المغالبات والرهان - إلا رهان سباق الخيل والإبل والسهام - فكذلك يدخل في أمور المعاملات.

فكل بيع خطر: هل يحصل المبيع أو لا يحصل؟ - كبيع الآبق والشارد والمغصوب من غير غاصبه أو غير القادر على أخذه، وكبيع ما في رحم الناس - وخصوصاً المماطلين والمعسرين - فإنه داخل في الغرر.

(١) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام (٢/١٩-٢١) بتصرف.

(٢) رواه البخاري (٦٩٥٥)، وأبو داود (١٥٦٧) واللفظ له.

(٣) رواه الترمذي (١١٢٠) وابن ماجه (١٥٣٥)، وصححه شيخنا الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي رقم (٨٩٣).

(٤) رواه الترمذي (١٩٦٤)، وأبو داود (٤٧٩٠) واللفظ له وهو في الصحيحة (٩٣٢).

(٥) الغرر: ما له ظاهر تؤثره وباطن تكرهه. وسيأتي الكلام عنه مفصلاً.

(٦) رواه مسلم (١٥١٣).

وكذلك كل بيع فيه جهالة ظاهرة يتفاوت فيها المقصود، فإنها داخلة في بيع الغرر، كبيعه ما في بيته من المتاع، أو ما في دكانه، أو ما في هذا الموضع، وهو لا يدري به ولا يعلمه، أو بيع الحصاة التي هي مثال من أمثلة الغرر، كأن يقول: ارم هذه الحصاة، فعلى أي متاع وقعت فهو عليك بكذا، أو ارمها في الأرض مما بلغت من المدى فهو لك بكذا. أو بيع المنابذة أو الملامسة أو بيع ما في بطون الأنعام، وما أشبه ذلك. فكل ذلك غرر واضح.

ومن حكمة الشارع: تحريم هذا النوع لما فيه من المخاطر وإحداث العداوات التي قد يغبن فيها أحدهما الآخر غبنًا فاحشًا مضرًا، ولهذا اشترط العلماء للبيع: العلم بالمبيع والعلم بالثمن.

واشترطوا أيضًا أن يكون العاقد جائر التصرف بأن يكون بالغًا عاقلًا رشيدًا؛ لأن العقد مع الصغير أو غير الرشيد لا بد أن يحصل به غبن مضر، وذلك من الغرر. وكذلك اشترطوا العلم بالأجل إذا كان الثمن أو بعضه أو المبيع في السلم مؤجلًا؛ لأن جهالة الأجل تصير العقد غررًا.

وكما يدخل في النهي عن بيع الغرر، الغرر الذي يتفقان عليه، فمن باب أولى أن يدخل فيه التغيرير وتدليس أحدهما على الآخر شيئًا من أمور المعاملة من معقود به أو عليه أو شيء من صفاته.

والغش كله داخل في التغيرير. وأفراد الغش وتفصيله لا يمكن ضبطها، وهي معروفة بين الناس، وحاصل بيع يرجع إلى المعدوم؛ كحبل الحبل^(١) والسنين أو بيع المعجوز عنه كالأبق ونحوه، أو بيع المجهول المطلق في ذاته أو جنسه أو صفاته^(٢).

(١) حبل الحبل - بفتح الحاء -: ولد الجنين الذي في بطن الناقة. انظر: المصباح المنير (١٦٤ - ط. دار القلم).

(٢) بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخبار في شرح جوامع الأخبار، للشيخ الإمام عبد الرحمن السعدي - الحديث الثامن والثلاثون - (ص ١٠٥ - ١٠٦).

* عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «نهى النبي ﷺ عن النجش»^(١)»^(٢)

* قوله: ﷺ لفاطمة بنت قيس لما خطبها أبو جهم ومعاوية: «فأما معاوية صعلوك لا مال له، وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه»^(٣)

* عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما»^(٤).

قال العلامة السعدي في شرحه لهذا الحديث: «هذا الحديث أصل في بيان المعاملات النافعة والمعاملات الضارة، وأن الفاصل بين النوعين: الصدق والبيان، فمن صدق في معاملته وبيّن جميع ما تتوقف عليه المعاملة من الأوصاف المقصودة ومن العيوب والنقص، فهذه معاملة نافعة في العاجلة بامثال أمر الله ورسوله، والسلامة من الإثم، وبنزول البركة في معاملته، وفي الآجلة بحصول الثواب والسلامة من العقاب. ومن كذب وكتم البيع وما في المعقود عليه من الصفات، فهو مع إثمه، معاملته محققة البركة، ومتى نزع البركة من المعاملة خسر صاحبها دنياه وأخراه.

ويستدل بهذا الأصل على تحريم التدليس وإخفاء العيوب وتحريم الغش والبخس في الموازين والمكاييل والذرع وغيرها، فإنها من الكذب والكتمان، وكذلك تحريم النجش والخداع في المعاملات وتلقي الجلب لبيعهم أو يشتري منهم، ويدخل فيه الكذب في مقدار الثمن والمثمن، وفي وصف المعقود عليه، وغير ذلك»^(٥).

(١) النجش: الزيادة في ثمن السلعة ممن لا يريد شراءها ليقع غيره فيها. وسيأتي الكلام عنه مفصلاً.

(٢) رواه البخاري (٢١٤٢) واللفظ له، ومسلم (١٥١٦).

(٣) رواه مسلم (١٤٨٠).

(٤) أخرجه البخاري (٢٠٧٩)، ومسلم (١٥٣٢).

(٥) بهجة قلوب الأبرار، للسعدي - الحديث السابع والثلاثون - (ص ١٠٣).

معنى قول النبي ﷺ «من غشنا فليس منا»:

قال الإمام سحنون رَحِمَهُ اللهُ:

«تحريم التدليس بالعيوب: والتدليس بالعيوب من أكل المال بالباطل الذي حرمه الله في كتابه وعلى لسان رسوله، ومن الغش والخلافة التي نهى عنهما رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، فقال: «من غشنا فليس منا»، أي ليس على هدينا وطريقتنا، إلا أن الغش لا يخرج الغاش من الإيمان، فهو معدود في جملة المؤمنين، إلا أنه ليس على هديهم وسبيلهم، لمخالفته إياهم في التزام ما يلزمه في شريعة الإسلام لأخيه المسلم، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(١)، وقال النبي ﷺ: «المؤمن أخو المؤمن يشهده إذا مات، ويعوده إذا مرض، وينصح له إذا غاب»^(٢).

وقال شيخ الإسلام في شرحه للحديث: «أخبر النبي ﷺ أن الغاش ليس بداخل في مطلق اسم أهل الدين والإيمان، كما قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن...»^(٣)، فسلبه حقيقة الإيمان التي بها يستحق حصول الثواب، والنجاة من العقاب، وإن كان معه أصل الإيمان الذي يفارق به الكفار، ويخرج به من النار»^(٤).

وقال علي القاري رَحِمَهُ اللهُ:

«عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ مرّ على صبرة طعام، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللاً، (أي: البلل المبني غالباً عن الغش من غيره) فقال: «يا صاحب الطعام؟» قال: أصابته السماء يا رسول الله. قال: «أفلا جعلته فوق

(١) سورة الحجرات: (آية ١٠).

(٢) «المدونة الكبرى» (٣/٢٩٤-٢٩٥) كتاب العيوب.

(٣) رواه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (١٠١)، والنسائي (٥٦٥٩)، وابن ماجه (٣٩٣٦).

(٤) «الحسبة في الإسلام» (ص ١٠).

الطعام حتى يراه الناس» وهنا فيه إيذان بأن للمحتسب أن يمتحن بضائع السوق ليعرف المشتمل منها على الغش من غيره (من غش) أي خان وهو ضد النصح (فليس مني) أي هو ليس على سنتي وطريقتي^(١).

وقال محمد بن علان الصديقي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

«وقوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من غشنا فليس منا»، ومن الغش خلط الجيد بالرديء، ومزج اللبن بالماء، وترويح النقد الزغل (فليس منا) أي ليس على هدينا ولا من أهل طريقتنا، ولكنه لا يخرج من الملة»^(٢).

قال الخطابي: «معناه ليس على سيرتنا ومذهبنا، يريد أن من غش أخاه وترك مناصحته فإنه قد ترك اتباعي والتمسك بسنتي، والحديث دليل على تحريم الغش وهو مجمع عليه»^(٣).

«ومثله ما ذكره ابن رشد الجد في معنى الحديث؛ حيث قال: «من غش فليس منا». أي: ليس على مثل هدانا وطريقتنا، إلا أن الغش لا يُخرج الغاش من الإيمان، فهو معدود في جملة المؤمنين، إلا أنه ليس على هداهم وسبيلهم، لمخالفته إياهم في التزام ما يلزمه في شريعة الإسلام لأخيه المسلم... فلا يحل لامرئ مسلم أن يبيع سلعة من السلع أو داراً أو عقاراً أو ذهباً أو فضة أو شيئاً من الأشياء - وهو يعلم فيه عيباً قلّ أو كثر - حتى يبين ذلك لمبتاعه، ويقفه عليه وقفاً يكون علمه به كعلمه، فإن لم يفعل ذلك وكتمه العيب وغشه بذلك لم يزل في مقت الله ولعنة ملائكة الله»^(٤).

ثم قال: «وقد يحتمل أن يحمل قوله: «من غشنا فليس منا» على ظاهره فيمن

(١) مرقاة المفاتيح (٣/٣٢١).

(٢) دليل الفالحين (٤/٤٣٢ - ٤٣٣).

(٣) عون المعبود (٩/٣٢١ - ٣٢٢) وتحفة الأحوزي (٤/٥٤٤).

(٤) المقدمات والممهديات (٢/٥٦٩).

غش المسلمين مستحلاً لذلك؛ لأنه من استحل التدليس بالعيوب والغش في البيوع وغيرها، فهو كافر حلال الدم يستتاب، فإن تاب وإلا قتل^(١)»^(٢).

وقال الإمام البغوي:

«وقوله: «من غش فليس مني»، لم يرد به نفيه عن دين الإسلام، وإنما أراد أنه ترك اتباعي، إذ ليس هذا من أخلاقنا وأفعالنا، أو ليس هو على سبتي وطريقتي في مناصحة الإخوان، هذا كما يقول الرجل لصاحبه أنا منك، يريد به الموافقة والمتابعة، قال عليه السلام إخباراً عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾^(٣)، والغش نقيض النصح، مأخوذ من الغشش، وهو المشرب الكدر.

قال الإمام: والتدليس في البيع حرام مثل أن يخفي العيب أو يُصَرِّي الشاة أو يحمر وجه الجارية فيظنها المشتري حسناء، أو يجعل شعرها، غير أن البيع معه يصح، ويثبت للمشتري الخيار إذا وقف عليه، وروي أن عبد الرحمن بن عوف ابتاع وليدة من عاصم بن عدي فوجدها ذات زوج فردّها^(٤).

وقال ابن قدامة: «واعلم أن الغش حرام في البيوع وفي الصناعات، وقد سئل الإمام أحمد عن رفو الثوب حتى لا يبين، فقال: لا يجوز لمن يبيعه أن يخفيه.

وينبغي للتاجر أن يحقق الوزن ولا يتخلص في هذا حتى يرجح إذا أعطى وينقص إذا أخذ، ومتى خلط العلاف الطعام تراباً ثم كاله فهو مطف، وكذلك القصاب إذا خلط عظماً لم تجر العادة بمثله^(٥).

(١) المرجع السابق.

(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية (٢١٩/٣١).

(٣) سورة إبراهيم: (آية ٣٦).

(٤) شرح السنة (١٦٥/٨ - ١٦٧).

(٥) مختصر منهاج القاصدين (ص ١١٠-١١١).

ثالثاً : من الآثار الواردة في ذمّ الغش :

* عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج ، وكان أبو بكر يأكل من خراجه ، فجاء يوماً بشيء فأكل منه أبو بكر ، فقال له الغلام : أتدري ما هذا؟ فقال أبو بكر وما هو؟ قال : كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية ، وما أحسنُ الكهانة ، إلا أنني خدعته فأعطاني بذلك ، فهذا الذي أكلت منه . فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه»^(١) .

قلت : وفي هذه القصة بيان فضل أبي بكر الصديق وتحريمه الحلال وتنظيف بدنه من الشبهات والحرام ، فرضي الله عنه وأرضاه .

* قال ابن أبي أوفى : «الناجش آكل رباً خائن وهو خداع باطل لا يحل»^(٢) .

* قال ابن الجوزي : «كان لبَّان يخلط اللبن بالماء ، فجاء سيل فأهلك الغنم فجعل يبكي ويقول : اجتمعت القطرات فصارت سيلاً ولسان الجزاء يناديه : يَدَاكَ أَوْكَنَا وفوك نفخ»^(٣) .

* قال الشاعر :

لَقَدْ أَبَا حَكَ غِشًّا فِي مُعَامَلَةٍ مَنْ كُنْتَ مِنْهُ بِغَيْرِ الصِّدْقِ تَنْتَفِعُ^(٤)

وقاية المجتمع المسلم من الغش التجاري :

«ومن عظمة التشريع الإسلامي أنه لا يبني ويُنشئ المجتمع الإسلامي قبل أن يضع له نظاماً يسير عليه ، فهو يعد ويهيئ ويربي أولاً ، وبعد ذلك يأمر وينهى مما يكون للأمر والنهي أثر عظيم في نفوس المسلمين ؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم ظل يدعو الناس

(١) رواه البخاري (٣٨٤٢) .

(٢) علقه البخاري قبل حديث (٢١٤٢) .

(٣) اليواقيت الجوزية (ص ٦٨) - مكتبة السنة .

(٤) موسوعة نضرة النعيم (١١/ ٥٠٧٤) .

إلى التوحيد عشر سنوات ، وبعد أن أرسى قواعد العقيدة هاجر إلى المدينة المنورة ليبنى دولة مثالية عظيمة يحتذى بها إلى يوم القيامة ، فأيات الأحكام كلها ما نزلت إلا في المدينة والمجتمع المسلم كان مثالا في التطبيق^(١).

دوافع الغش التجاري :

«١) الركود العالمي وانخفاض مستوى الدخل .

«٢) عدم قيام المؤسسات المالية والغرف التجارية باتخاذ التدابير الوقائية والعلاجية .

«٣) عدم توخي رجال الأعمال والمستوردين الدقة والحذر قبل الدخول في المعاملات»^(٢).

وأهم من هذا سوء الأخلاق؛ «بمعنى أن السبب الذي دفع الإنسان إلى ارتكاب جريمة الغش هو سوء الأخلاق» .

فبالنسبة للمجتمع المسلم فإنه يرفض هذه الجريمة ويحاربها بل ويضع لها الوقاية قبل حدوثها ، أما المجتمعات غير المسلمة فإنها ليست جادة في محاربة جرائم الغش التجاري ولا تضع الوقاية لها ، ولكنها تحاول مكافحتها بعد أن تقع ، والذي يهمنا في هذا المجال المجتمع المسلم ونظامه العظيم الذي يضع الوقاية وهي التي وصفت بأنها خير من العلاج^(٣).

لذلك فإن السبب الرئيس الذي يدفع المسلم إلى أن يقع في هذا الإجرام هو «عدم التزامه المنهج الذي وضعه له ولغيره رب العزة والجلال ، وهذا ناتج عن عدم التقوى وانعدام التقوى هو الدافع الأساس والوحيد ، فعديم التقوى لا يزكي وإذا أخذت منه الزكاة قهراً فهو طماع شحيح بخيل هلوع منوع جزوع ، فالذي لا يعطي

(١) مكافحة الغش التجاري (ص ٢٢).

(٢) مكافحة الغش التجاري (ص ٢١).

(٣) مكافحة الغش التجاري (ص ٢٢).

المال بالحق فإنه يأخذ أموال الناس بالباطل ولا يكتفي بما أعطاه الله .

ولضعف إيمانه يلجأ إلى الغش كوسيلة لجمع المال والثراء الحرام^(١)

ذكر الغش في كتب الفقه المختلفة :

لما كان موضوع الغش يشمل مناحي الحياة الدينية والدنيوية ، ولما كان له من أخطار مدمرة على الأمم والشعوب ، فجرائمه كثيرة وصوره شنيعة مستبشرة ، جاءت الأحاديث محذرة منه في نصوص صحيحة صريحة ، وكان لفقهاءنا وعلمائنا دور بارز في التحذير من هذه الجريمة النكراء ، والفقهاء -رحمهم الله- ضربوا بنصيب وافر في كتبهم ومصنفاتهم ، ولتصور مدى اهتمامهم في موضوع الغش أوردت أطرافاً مما ورد في كتب الفقه من تحذير من هذه الظاهرة الخطيرة القديمة الحديثة المتكررة .

أولاً : بعض ما ورد في كتب المذهب الحنفي :

يقول ابن عابدين : «قوله : لأن الغش حرام . ذكر في البحر أول الباب بعد ذلك عن البزازية عن الفتاوى : إذا باع سلعة معيبة عليه البيان . وإن لم يبين ، قال بعض مشايخنا : يفسق وترد شهادته . قال الصدر : لا نأخذ به اه . قال في النهر : أي لا نأخذ بكونه يفسق بمجرد هذا ؛ لأنه صغيرة اه . قلت : وفيه نظر ؛ لأن الغش من أكل أموال الناس بالباطل ، فكيف يكون صغيرة ، بل الظاهر في تعليل كلام الصدر أن فعل ذلك مرة بلا إعلان لا يصير به مردود الشهادة وإن كان كبيرة ، كما في شرب المسكر»^(٢) .

قال الإمام الكاساني : «فصل : وأما بيان ما يجب بيانه في المراجعة وما لا يجب ؛ فالأصل فيه أن بيع المراجعة والتولية بيع أمانة ؛ لأن المشتري ائتمن البائع

(١) مكافحة الغش التجاري (ص ٢٢) .

(٢) «حاشية ابن عابدين» (٤٧/٥) . وانظر : (١٤٠/٥) .

في إخباره عن الثمن الأول من غير بينة ولا استحلاف، فتجب صيانتها عن الخيانة وعن سبب الخيانة والتهمة؛ لأن التحرز عن ذلك كله واجب ما أمكن. قال الله - عز شأنه -: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]، وقال - عليه الصلاة والسلام -: «ليس منا من غشنا»^(١).

وقال أيضًا: «إذا حدث بالسلعة عيب في يد البائع أو في يد المشتري، فأراد أن يبيعها مرابحة، ينظر إن حدث بأفة سماوية له أن يبيعها مرابحة بجميع الثمن من غير بيان عندنا. وقال زفر والشافعي - رحمهما الله -: لا يبيعها مرابحة حتى يبين. وإن حدث بفعله أو بفعل أجنبي لم يبيعه مرابحة حتى يبين بالإجماع. وجه قولهما: أن البيع من غير بيان حدوث العيب لا يخلو من شبهة الخيانة؛ لأن المشتري لو علم أن العيب حدث في يد المشتري لكان لا يربحه فيه، ولأنه لما باعه بعد حدوث العيب في يده فقد احتبس عنده جزءاً منه، فلا يملك بيع الباقي من غير بيان كما لو احتبس بفعله أو بفعل أجنبي»^(٢).

ثانياً: بعض ما ورد في كتب المذهب المالكي:

يقول أبو الحسن المالكي: «ولا يجوز في البيوع التدليس؛ وهو أن يعلم أن سلعته عيباً فيكتمه عن المشتري، ولا يجوز الغش؛ وهو أن يخلط الشيء بغير جنسه؛ كخلط العسل بالماء، ولا تجوز الخلافة؛ بكسر الخاء المعجمة وتخفيف اللام؛ وهي الخديعة بالكذب في الثمن أو يرقم عليها أكثر مما اشتراها به ولا يصرح بذلك، ولا يجوز الخديعة؛ وهي أن يخدعه بالكلام حتى يوقعه؛ مثل أن يقول: تعال اشتر مني وأنا أرخص لك. وقوله: ولا تجوز كتمان العيوب هو معنى قوله: ولا يجوز في البيوع التدليس، ولا يجوز خلط دنيء - بالهمز - بجيد؛ كخلط حنطة دنيئة بجيدة، ولا يجوز أن يكتتم من أمر سلعته شيئاً إذا ذكره كرهه المبتاع؛

(١) «بدائع الصنائع» للكاساني (٥/٢٢٣).

(٢) المرجع السابق.

كثوب الميت أو المجذم، أو كان ذكره - أي الشيء - أبخس - أي أنقص - له - أي للبائع - في الثمن؛ كالثوب الجديد إذا كان نجسًا أو مغسولًا. والأصل في تحريم الغش ما صح من قوله: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من غشنا فليس منا». لا أعلم خلافًا في تحريم الغش والخديعة وما ذكره معهما؛ لأن هذه أمور ممنوعة في الشرع؛ لأنها ضرب من المكر والحيل على الناس والتوصل إلى أخذ أموالهم بغير حق»^(١).

ويقول ابن رشد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مسألة: قال مالك: سألتني صاحب السوق عن رجل فجر في السوق يريد جعل في مكياله زفتًا، فأمر به أن يخرج منه ولا يتركه فيه، وذلك أشد عليه من الضرب.

قال محمد بن رشد: قوله: وذلك أشد عليه من الضرب، يريد أن ذلك أرفع لهم، لأن أهل الفجور والغش كلما ينكلهم الضرب، وظاهر قوله: أنه يخرج من السوق أدبًا له، وإن لم يكن معتادًا للغش، خلاف ما حكى ابن حبيب عن مطرف وابن الماجشون أن من غش في أسواق المسلمين يعاقب بالسجن والضرب وبالإخراج من السوق إن كان معتادًا للغش، ولا يرجع إلى السوق حتى تظهر توبته وتعرف. وقول ابن حبيب: إن المعتاد للغش، يريد الذي قد أدب عليه فلم يردعه الأدب عنه وعاد إليه، يخرج من السوق ولا يرجع إليه حتى تظهر توبته وتُعرف، صحيح إذ لم يخرج من السوق أدبًا له، وإنما أخرج لقطع ضرره عن الناس، إذ قد أدب فلم ينفع فيه الأدب، وأما إذا أخرج عنه أدبًا له من غير أن يكون معتادًا للغش على ظاهر قول مالك هذا، فلا يمتنع أن يرد إليه بعد مدة يرجي أن يكون قد تاب بها، وإن لم تظهر منه توبة. قال بعض أهل النظر: وإنما يؤدب الغاش بالإخراج من السوق إذا كان لا يمكن أن يرجع إليه دون أن يُعرف، وأما إذا كان يمكن أن يرجع إليه ولا يُعرف ذلك لاتساع السوق فإنه يؤدب بالضرب، والأصل في إخراج المعتاد بالغش عن السوق ما جاء من أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتب إلى أمير

(١) «كفاية الطالب» لأبي الحسن المالكي (٢/١٩٥-١٩٦)، وانظر أيضًا (٢/٢١٨)، حاشية الدسوقي (٣/٤٦)،

الأجناد ألا يتركوا النصارى بأعمالهم في أسواق المسلمين جزارين ولا صرافين ، لأنه يخشى من المعتاد للغش أن يغش المسلمين بما يعلم من استحلاله له ، وقد قال سحنون قياساً على قول عمر بن الخطاب : إنه يمنع من السوق من لا يبصر البيع من المسلمين حيطة له وللمسلمين ، فالذي يغش المسلمين وقد اعتاد ذلك وأدب عليه فلم يردعه الأدب أحق بذلك وأولى وبالله التوفيق»^(١) .

ثالثاً : بعض ما ورد في كتب الشافعية :

قال الشيرازي : «باب بيع المصرة والرد بالعيب : إذا اشترى ناقة أو بقرة أو شاة مصراً ، وتبين فيه التصرية ، فهو بالخيار بين أن يمسه وبين أن يرد ويرد معها صاعاً من تمر بدل اللبن ، وإن اشترى أتاناً مصراً ردّها ولا يرد بدل اللبن ، وإن اشترى جارية مصراً فقد قيل : لا يرد ، وقيل : يرد ، إلا أنه لا يرد بدل اللبن ، وإن اشترى جارية قد جعد شعرها أو سود ، ثم بان أنها سبطة الشعر أو بيضاء الشعر ، ثبت له الخيار . ومن علم بالسلعة عيباً لم يجز أن يبيعها حتى يبين عيبها ، فإن باع ولم يبين عيبها فالبيع صحيح . وإذا علم المشتري بالمبيع عيباً كان موجوداً عند العقد ، أو حدث قبل القبض ، فهو بالخيار بين أن يمسه وبين أن يرده»^(٢) .

وسئل الفقيه ابن حجر الهيتمي : «اعتيد الآن أن بعض التجار يشتري الفلفل في ظرف خفيف جداً كالحصف ، ثم يجعله في ظرف ثقيل نحو خمسة أضعاف الحصف ؛ لأنه غالباً ثلاثة أثمان ، وذلك الظرف الثقيل يجمع من خيش حتى يكون نحو عشرين مثناً ، ثم يباع ذلك الظرف وما فيه ويوزن جملة الكل ، ويكون الثمن مقابلاً للظرف والمظروف ، فهل هذا الفعل جائز أو غش محرّم يعزر فاعله بما يراه الإمام من ضرب و صفع وطواف به في الأسواق ، وحبس وأخذ ماله إن كان ذلك

(١) «البيان والتحصيل» لأبي الوليد بن رشد (٣١٠-٣١١) . وانظر (٣١٥-٣١٦ ، ٣١٨-٣٢٠) ، وانظر كذلك :

«التاج والإكليل» (٣٤٢-٣٤٤) ، «مواهب الجليل» (١٨٣/٢) ، «التمهيد» لابن عبد البر (٣٤٠-٣٤١) ،

«القوانين الفقهية» (ص ١٧٥) .

(٢) «التنبيه» للشيرازي (ص ٩٤) .

مذهب ذلك الحاكم؟ وهل البيع صحيح أو باطل؟ وإذا كان باطلاً فهو من أكل أموال الناس بالباطل أو لا؟ وهل يجب على ولي الأمر أن يزرع التجار ويمنعهم عن ذلك ويعزر من فعل منهم ذلك؟ وهل يجب على المتقين من التجار إذا علموا من إنسان أنه يفعل ذلك أن يخبروا به حكام الشريعة أو السياسة حتى يمنعه من ذلك المنع الأكيد ويعزروه عليه إن أبى التعزير الشديد؟ وهل يجري ذلك في غير هذه الصورة من نظائرها كما يقع لبعض العطارين والتجار أنه يقرب بعض الأعيان إلى الماء فيكتسب منه مائة تزيد في وزنه نحو الثلث كالزعفران، وبعضهم يصطفي حوائج تصير كصورة الزباد فيبيعه على أنه زباد، وبعض البزازين يرفأ الثياب رفاً خفيفاً ثم يبيعه من غير أن يبين ذلك، وكذا يفعل ذلك في البُسْط وغيرها، وبعضهم يلبس الثوب خاماً إلى أن تذهب قوته جميعها ثم يقصره حينئذ ويجعل فيه نشا يوهم به أنه جديد ويبيعه على أنه جديد، وبعضهم يسعى في إظلام محلّه إظلاماً كثيراً حتى يصير الغليظ يرى رقيقاً والقبيح حسناً، وبعضهم يصقل بزّه بشمع صقلاً جيداً حتى لا تصير الرؤية المحيطة به من كثرة ذلك الشمع وجودة ذلك الدق والصقال، وبعض الصواغين يخلط بالنقد نحاساً ونحوه ثم يبيعه على أنه كله فضة أو ذهب، وبعضهم يأخذ ممن يستأجر على صياغته وزناً معلوماً فينقص منه نقداً ويجعل بدله نحاساً أو نحوه، وكثير من التجار وأهل البهار والحبايين وغيرهم يجعل أعلى البضاعة حسناً وأسفلها قبيحاً، أو يخلط بعض القبيح في الحسن حتى يروج ويندمج على المشتري فيأخذ القبيح من غير أن يشعر به، ولو شعر به لم يأخذ شيئاً منه، وغير ذلك من صور الغش كثير»^(١).

وقال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: «إذا اكرى دابة بعينها فتلفت انفسخ العقد، وإن وجد بها عيباً فله الخيار. والعيب مثل أن تتعثر في المشي، أو لا تبصر في الليل، أو يكون بها عرج تتخلف به عن القافلة»^(٢).

(١) «الزواج عن اقرار الكبار» لابن حجر الهيتمي (١/٢٣٨-٢٣٩) - دار المعرفة.

(٢) «روضة الطالبين» للنووي (٥/٢٣٣). وانظر كذلك: «مغني المحتاج» للشرييني (٢/٦٣)، «نهاية الزين»

(ص ١٦٧)، «حاشية البجيرمي» (٢/٢٨).

رابعاً: بعض ما جاء في كتب الحنابلة:

قال ابن قدامة رحمته الله: «ولا يحل لبائع الصبرة أن يغشها، بأن يجعلها على دكة أو ربوة أو حجر ينقصها أو يجعل الرديء في باطنها أو المبلول ونحو ذلك، لما روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ على صبرة من طعام فأدخل يده، فنالت أصابعه بللاً، فقال: «يا صاحب الطعام ما هذا؟» قال: «أصابته السماء يا رسول الله، قال: «أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس»، ثم قال: «من غشنا فليس منا»^(١)، فإذا وجد ذلك ولم يكن المشتري علم به فله الخيار بين الفسخ وأخذ تفاوت ما بينهما لأنه عيب، وإن بان تحتها حفرة أو باطنها خيراً من ظاهرها فلا خيار للمشتري لأنه زيادة له، وإن علم البائع ذلك فلا خيار له لأنه دخل على بصيرة به وإن لم يكن علم فله الفسخ، كما لو باع بعشرين درهماً فوزنها بصنجة ثم وجد الصنجة زائدة كان له الرجوع، وكذلك بمكيال ثم وجده زائداً، ويحتمل أنه لا خيار له، لأن الظاهر أنه باع ما يعلم، فلا يثبت له الفسخ بالاحتمال»^(٢).

ثم قال: «قال القاضي: وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن بيع الطعام مجازفة وهو يعلم كيله، والنهي يقتضي التحريم، وأيضاً الإجماع الذي نقله مالك، ولأن الظاهر أن البائع لا يعدل أي البيع جزافاً مع علمه بقدر الكيل إلا للتغريب بالمشتري والغش له، ولذلك أثر في عدم لزوم العقد، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «من غش فليس منا»، فصار كما لو دلس العيب»^(٣).

وقال في موضع آخر: «وكل تدليس يختلف الثمن لأجله مثل أن يسود شعر الجارية أو يجعله أو يحمر وجهها أو يضم الماء على الرحا ويرسله عند عرضها على المشتري، يثبت الخيار، لأنه تدليس بما يختلف الثمن باختلافه، فأثبت

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر «المغني» (٦/٢٠٣).

(٣) المرجع السابق.

الخيار كالتصيرية .

وبهذا قال الشافعي ووافق أبو حنيفة في تسويد الشعر، وقال في تجعيده: لا يثبت به الخيار، لأنه تدليس بما ليس بعيب، أشبه ما لو سوّد أنامل العبد ليظنه كاتباً أو حداّداً^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فصل: وبيع المغشوش الذي يعرف قدر غشه، إذا عرف المشتري بذلك ولم يدلّسه على غيره جائز، كالمعاملة بدراهمنا المغشوشة، وأما إذا كان قدره مجهولاً كاللبن الذي يخلط بالماء، ولا يقدر قدر الماء، فهذا منهي عنه وإن علم المشتري أنه مغشوش، ومن باع مغشوشاً لم يحرم عليه الثمن إلا مقدار ثمن الغش، فعليه أن يعطيه لصاحبه أو يتصدق به عنه إن تعذر رده، مثل من يبيع مغشوشاً بعشرة وقيمه لو كان سالمًا بعشرة، وبالعيب قيمته ثمانية، فعليه إن عرف المشتري أن يدفع إليه الدرهمين إن اختار، وإلا ردّ إليه البيع، وإن لم يعرفه تصدق عنه الدرهمين، والله أعلم»^(٢).

حث الشريعة على المكاسب والاقتصار على الحلال الطيب:

إن «من محاسن الشريعة الإسلامية أنها أباحت كل ما فيه مصلحة ومنفعة، للروح والبدن، للأفراد والمجتمعات، من مأكول ومشروب وملبوس.

فشريعتنا أباحت كل نافع معين على طاعة الله تعالى، وحرّمت كل ما فيه مضرّة، أو ما كانت مضرته ومفسدته أكثر من منفعته، وما أباحه الله -جل شأنه- لنا من الضروريات والكماليات، فيه غنية وكفاية عن المحرّم، لكن النفوس الشريرة، والقلوب المتحجرة التي غلب عليها الشر والبطر تأبى إلا مخالفة خالقها وباريها»^(٣).

(١) «المغني» (٢٢٣/٦) وانظر كذلك: (٣٢٠/٩).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣٦١/٢٩ وما بعدها) وانظر: (٣٧١/٩ وما بعدها). وانظر كذلك: «كشاف القناع» (٢/٢٣١-٢٣٢).

(٣) «اللقطات فيما يباح ويحرم من الأطعمة والمشروبات» (ص ٦) للشيخ محمد الحمود النجدي -جمعية إحياء التراث.

وإن لإطابة المطعم أثراً بالغاً على الإنسان في سلوكه وحياة قلبه واستنارة بصيرته، وقبول دعائه، وإن لخبث المطعم أثراً سيئاً على الإنسان، ولو لم يكن من ذلك إلا عدم قبول دعائه لكفى ذلك زاجراً، فإن العبد ليس له غنى عن دعاء ربه طرفه عين، إن المحرم إما أن يكون تحريمه لخبثه في ذاته لكونه يغذي تغذية خبيثة، كالميتة والدم ولحم الخنزير، وإما أن يكون محرماً لحق الله أو حق عباده؛ كالمكاسب المحرمة من الربا والقمار والسرقة، والغش في البيع والشراء، والغش في العمل الذي استؤجر عليه، وما أخذ بطريق الرشوة، أو الخيانة في العمل الذي أسند إليه»^(١).

قال النبي ﷺ: «إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وأن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحاً﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنَ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾^(٣). ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء: يا رب! يا رب! ومطعمه حرام ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له؟»^(٤).

ومن جملة ما أمر الله ﷻ به وحث عليه أمره سبحانه عباده بالحلال ونهيه عن الحرام، قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾^(٥).

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِإِلْبَاطٍ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِحَكْرَةٍ عَنْ تَرَضٍ مِّنْكُمْ﴾^(٦).

وحث الله ﷻ عباده على أن يأكلوا مما عملت أيديهم؛ فعن المقدم ﷺ عن

(١) «الخطب المنبرية في المناسبات العصرية» (١/١٦٨-١٦٩) للشيخ صالح الفوزان - مؤسسة الرسالة.

(٢) سورة المؤمنون: (آية ٥١).

(٣) سورة البقرة: (آية ١٧٢).

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١٠١٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٥) سورة البقرة. آية ٢٧٥

(٦) سورة النساء. آية ٢٩

النبي ﷺ قال: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده»^(١).

وحدث أيضاً على الاقتصاد في طلب الرزق فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب فإن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها، وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حل ودعوا ما حرم»^(٢).

فبين لنا هذا الحديث ما هو حلال طيب لنا وما هو حرام خبيث علينا، فكان آخر عهد النبي ﷺ بأمة أن حذر من الحرام؛ فقال في حجة الوداع: «... ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع»، إلى أن قال: «وربا الجاهلية موضوع، وأول رباً أضع، ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله»^(٣).

فبهذا كمل الدين وتمت النعمة على المسلمين والمؤمنين بأن بين الله ﷻ على لسان نبيه ﷺ ما كان حلالاً وحراماً فقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٤).

عقوبة من ارتكب الغش

١- في الشريعة الإسلامية:

شرع الإسلام حدوداً وتعزيرات وزواجر للنفوس ونكالاً وتطهيراً، فهي عقوبات مقدرة لحق الله تعالى، ثم لأجل مصلحة المجتمع، فالله تعالى أوجبها على مرتكبي الجرائم التي تتقاضاها الطباع البشرية، فهي من أعظم مصالح العباد

(١) رواه البخاري (٢٠٧٢).

(٢) رواه ابن ماجه (٢١٤٤)، وصححه شيخنا رحمه الله.

(٣) رواه مسلم (٢/١٢١٨-٨٨٦).

(٤) سورة المائدة: (آية ٣).

في المعاش والمعاد، فلا تتم سياسة الملك إلا بزواج وعقوبات لأصحاب الجرائم، منها ينزجر العاصي، ويطمئن المطيع، وتحقق العدالة في الأرض، ويأمن الناس على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم، من أن يعتدي عليها معتد، كما هو مشاهد في المجتمعات التي تقيم حدود الله، فإنه يتحقق فيها من الأمن والاستقرار وطيب العيش ما لا ينكره منكر، بخلاف المجتمعات التي عطلت حدود الله، وزعمت أنها وحشية، وأنها لا تليق بالمدينة المعاصرة، فحرمت مجتمعاتها من هذه العدالة الإلهية، ومن نعمة الأمن والاستقرار، وإن كانت تملك من الأسلحة والأجهزة الدقيقة ما تملك، فإن ذلك لا يغني عنها شيئاً، حتى تقيم حدود الله التي شرعها لمصالح عباده، ولكن إذا انتكست العقول وفسدت الفطر، فإنها ترى الحق باطلاً والباطل حقاً؛ كما قال الشاعر:

قد تُنكر العينُ ضوءَ الشمس من رَمَدٍ وينكرُ الفمُ طعمَ الماءِ من سَقَمٍ^(١)

ومن الجرائم والمعاصي التي يُقام في حق فاعلها عقوبات وتعزيرات: الغش؛ فالغاش يؤدب بالتعزير بما يراه الحاكم مؤدباً وزاجراً له؛ وذلك لأن الغش من المعاصي التي لا حدَّ فيها ولا كفارة، فعقوبتها التعزير.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : «وأما المعاصي التي ليس فيها حد مقدر ولا كفارة، كالذي يقبل الصبي والمرأة الأجنبية، أو يباشر بلا جماع، أو يأكل ما لا يحل كالدم والميتة، أو يقذف الناس بغير الزنا، أو يسرق من غير حرز، ولو شيئاً يسيراً، أو كخون أمانة كولاية أموال بيت المال أو الوقوف، ومال اليتيم، ونحو ذلك إذا خانوا فيها، وكالوكلاء والشركاء إذا خانوا، أو يغش في معاملته؛ كالذين يغشون في الأطعمة والثياب ونحو ذلك، أو يطفف المكيال والميزان، أو يشهد بالزور أو يلغن شهادة الزور، أو يرتشي في حكمه، أو يحكم بغير ما أنزل الله، أو يعتدي على رعية، أو يتعزى بعزاء الجاهلية، أو يلبي داعي الجاهلية، إلى غير ذلك من أنواع المحرمات؛ فهؤلاء يعاقبون تعزيراً وتنكيلاً

(١) «الملخص الفقهي» للشيخ صالح الفوزان (٢/٤٤١-٤٤٢) بتصرف - دار الإيمان.

وتأديباً، بقدر ما يراه الوالي، على حسب كثرة ذلك الذنب في الناس وقلته، فإن كان كثيراً زاد في العقوبة، بخلاف ما إذا كان قليلاً، وعلى حسب حال المذنب؛ فإذا كان من المدمنين على الفجور زيد في عقوبته، بخلاف المقل من ذلك، وعلى حسب كبر الذنب وصغره، فيعاقب من يتعرض لنساء الناس وأولادهم بما لا يعاقب من لم يتعرض لامرأة واحدة، أو صبي واحد.

وليس لأقل التعزير حد، بل هو بكل ما فيه إيلام الإنسان، من قول وفعل، وترك قول، وترك فعل، فقد يعزر الرجل بوعظه وتوبيخه والإغلاظ له، وقد يعزر بجهله وترك السلام عليه حتى يتوب إذا كان ذلك هو المصلحة، كما هجر النبي ﷺ وأصحابه الثلاثة الذين خلفوا، وقد يعزر بعزله عن ولايته، وقطع أجره نوع تعزير له، وكذلك الأمير إذا فعل ما يستعظم فعزله عن إمارته تعزير له، وكذلك قد يعزر بالحبس، وقد يعزر بالضرب، وقد يعزر بتسويد وجهه وإركابه على دابة مقلوباً...»^(١).

وقال أبو الحسن الماوردي: «ومما يتعلق بالمعاملات: غش المبيعات وتدليس الأثمان، فينكره - أي: المحتسب - ويمنع منه، ويؤدب عليه بحسب الحال فيه، فإن كان هذا الغش تدليساً على المشتري ويخفى عليه، فهو أغلظ الغش تحريماً وأعظمها مائماً، فالإنكار عليه أغلظ، والتأديب عليه أشد، وإن كان لا يخفى على المشتري كان أخف مائماً، وألين إنكاراً، وينظر في مشتريه، فإن اشتراه لبيعه من غيره توجه الإنكار على البائع بغشه، وعلى المشتري باتباعه؛ لأنه قد يبيعه لمن لا يعلم بغشه، فإن كان يشتره ليستعمله خرج المشتري من جملة الإنكار، وتفرد البائع وحده، وكذلك القول في تدليس الأثمان.

ويمنع من تصرية شيء عند البيع؛ للنهى عنه، فإنه نوع من التدليس»^(٢).

(١) «السياسة الشرعية» (ص ١٠١-١٠٢) - دار الكتب العلمية.

(٢) «الأحكام السلطانية والولايات الدينية» للماوردي (ص ٢٥٣) - دار الكتب العلمية.

ولا شك أن هذه العقوبات التعزيرية الشرعية، أكبر شاهد على شمولية الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان؛ إذ هو كما تبنى معالجة القضايا والمسائل الدينية الشرعية التي تتصل بعقيدة المسلم وزيادة إيمانه بالله تعالى وطاعته له، وتجنبه أسباب سخطه، نجد أنه أيضًا حض على اتباع مبادئ تتصل بالحياة الاقتصادية؛ فنهى عن الغش في المعاملات عمومًا، وحرّم الاحتكار، ونهى عن مبيعات أو معاملات لا تتفق مع الأخلاق التي يدعو إليها؛ لأن النظام الذي أقامه الإسلام في جانب المعاملات وشئون المال والاقتصاد هو نظام أخلاقي بحت فضلًا عن أنه يقيم مجتمعًا يتكافل فيه الناس. ولذا نجد الإسلام يحارب الغش والتدليس ويأمر بأن تعرض البضائع على حالتها التي هي عليها، ولا يجوز للبائع أن يخفي شيئًا منها عن المشتري، ولا أدل على ذلك من قصة الرجل الذي كان يبيع القمح وباطنه فيه الماء وظاهره صحيح قصة مشهورة، قال له الرسول ﷺ: «ما هذا يا رجل؟»، قال: أصابته السماء يا رسول الله، فقال له: «أظهر ما في باطنه حتى يعرفه الناس، من غشنا فليس منا».

وعالج الإسلام الأعمال والآثام والمفاسد التي تلحق بالأفراد والجماعات الضرر، بأن يحق للحاكم العقاب على كل مرتكب لجرائم التغيرير، فقد تكون العقوبة السجن المؤبد أو الإعدام، فمثلًا من يبيع السلع الفاسدة المستوردة وغيرها يحدث ضررًا كبيرًا وأمراضًا، وقد تؤدي إلى موت المشتري، فيلزم تشديد العقوبة ردعًا لهؤلاء ولغيرهم.

ومن الضوابط الشرعية في الإسلام أنه أوجب على التجار أن يحترموا حق الفرد في الحياة، والمسئولية لا تكون مقصورة على الفعل الإيجابي كالقتل، بل تمتد إلى الفعل السلبي كالإهمال المؤدي إلى الوفاة، فتتأكد بذلك شمولية هذا الدين وعظم قدره^(١).

(١) انظر: «شرح تشريعات الغش»، للدكتور عبد الفتاح مراد (ص ١٩-٢٠).

٢- تحريم الغش في القوانين الوضعية بين الدول :

«ذهبت جميع التشريعات المقارنة المعاصرة إلى تجريم الغش ، وسوف نورد فيما يلي نماذج من تلك التشريعات على سبيل المثال في دول السوق الأوروبية المشتركة بصفة عامة ، حيث يوجد نظام قانوني عبر الدول لمقاومة الغش يتضمن ما يأتي :

١- يتم تنظيم مواصفات جودة السلع والمنتجات تضمن الحد الأدنى من الجودة والأداء ، وكذا مواصفات للنظم ذاتها لا تضمن تحقيق الجودة فقط بل تأكيد وضمان الجودة للسلع والمنتجات بصفة عامة وللسلع التي تمس أمن وأمان وصحة وسلامة المستهلك بصفة خاصة ، وتضع مواصفات النظم معايير دقيقة للحد الأدنى من الموارد التي يتعين توافرها من إدارة وأفراد مدربين مهرة وآلات ومعدات وفحوص واختبارات ، كما تؤكد الإجراءات على أهمية وضمان وفاعلية اتباع مواصفات النظم ومواصفات السلع والمنتجات ، وينفذ ذلك من خلال تشريعات وطنية خاصة بكل دولة من دول السوق الأوروبية المشتركة .

٢- صدر التشريع الأوروبي رقم ٣٧٤ / ٨٥ في شأن المسؤولية المدنية عن الأضرار التي تسببها المنتجات ويقضي هذا التشريع بأنه يحق للمتضرر الحصول على التعويضات المناسبة ، سواء أكانت الأضرار التي حدثت من قبيل الأضرار المادية أو كانت في الأضرار الجسدية التي تهدد سلامة وصحة مستخدمي هذه المنتجات .

٣- صدور تشريعات بوضع عدة نظم لتبادل المعلومات على الصعيد الداخلي للدول الأوروبية ، ثم على الصعيد الإقليمي بين الدول أعضاء السوق المشتركة .

٤- التشريع الأوروبي المنظم للالتزام العام بضمان السلامة ، ويسعى إلى تحقيق هدفين :

الأول وقائي ، والثاني علاجي ، ويهدف إلى إنشاء التزام عام بضمان وتأكيد

السلامة ويمنع المنتجين من توزيع منتجاتهم إلا بعد التأكد من كونها آمنة، ويعتبر أن المنتج المسئول هو كل مسئول عن إنتاج وتداول السلع والمنتجات، وكذا كل من يقوم بتمثيل الصانع، ويعتبر التشريع المنتج الآمن بأنه ذلك لا يمثل أي خطورة على حصة المستخدمين ولا تعرض سلامتهم لأية مخاطر»^(١).

قوانين الدول في منع الغش

أولاً: في القانون الوضعي المصري:

الغش في المنتجات والسلع أو الشروع فيه طبقاً لقانون قمع التدليس والغش

رقم ٢٨١ لسنة ١٩٩٤

أ- كان «هدف المشرع»^{(٢)(٣)} من قانون قمع التدليس والغش تحقيق أمرين:

الأول: الضرب على أيدي من يلجأ إلى الغش في سبيل تحقيق كسب غير مشروع. والآخر: التوقي لما قد ينجم من أضرار عن تداول أو عن استعمال أو تداول أو استهلاك المواد المغشوشة، ولهذا نجده يجرم فعل الغش في ذاته وبيع حتى مجرد الطرح أو العرض للبيع للمواد المغشوشة أو الفاسدة التي تستعمل في الغش، وجعل من مجرد حيازة تلك المواد جريمة، وجرياً وراء ذات الهدف نجده يضع بالنسبة إلى بعض البضائع- من المواصفات ما يجعلها صالحة للتداول

(١) شرح تشريعات الغش للدكتور عبد الفتاح مراد (ص ٢٠-٢١).

(٢) قد انتشر في الكتب اليوم لفظ- المشرع- على غير مرادها الشرعي وإنما المشرع هو الله ﷻ وإطلاقه على غيره محادة لله ولشرعه وهو لفظ حادث. قال الله تعالى ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذُنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

(٣) «وردعاً لسياسة مقاومة الغش أصدر المشرع المصري القانون رقم ١٠ لسنة ١٩٦٦ شأن مراقبة الأغذية وتنظيم تداولها والمعدل بالقانون رقم ٣٠ لسنة ١٩٧٦ يحظر تداول الأغذية إذا كانت غير مطابقة للمواصفات الواردة في التشريعات النافذة أو كانت غير صالحة للاستهلاك الآدمي أي ضارة بالصحة أو فاسدة أو تالفة أو مغشوشة». جرائم الغش (ص ٢٦٩).

ومحققة للغرض منها، واعتبر الإخلال بتلك الشروط جريمة. وأخيراً فإنه قد فرض بعض الأحكام الخاصة بكيفية تغليف وتصدير واستهلاك البضائع، وكذلك استيرادها^(١).

تعاقب المادة الثانية من القانون الخاص بقمع التدليس والغش، بالحبس مدة لا تقل عن سنة ولا تتجاوز خمس سنوات وبغرامة لا تقل عن عشرة آلاف جنيه ولا تتجاوز ٣٠ ألف جنيه أو ما يعادل قيمة السلعة موضوع الجريمة أيهما أكبر:

١- كل من غش أو شرع في أن يغش شيئاً من أغذية الإنسان أو الحيوان أو من العقاقير أو النباتات الطبية أو الأدوية أو من الحاصلات الزراعية أو المنتجات الطبيعية أو المنتجات الصناعية معدداً للبيع، وكذلك كل من طرح أو عرض للبيع أو باع شيئاً من هذه الأغذية أو العقاقير أو النباتات الطبية أو الأدوية أو الحاصلات أو منتجات مغشوشة كانت أو فاسدة أو انتهى تاريخ صلاحيتها مع علمه بذلك.

٢- كل من صنع أو طرح أو عرض للبيع أو باع مواد أو عبوات أو أغلفة مما تستعمل في غش أغذية الإنسان أو الحيوان أو العقاقير أو النباتات الطبية أو الأدوية أو الحاصلات الزراعية أو المنتجات الطبيعية أو المنتجات الصناعية على وجه ينفي جواز استعمالها استعمالاً مشروعاً أو بقصد الغش، وكذلك كل من حرض أو ساعد على استعمالها في الغش بواسطة كراسات أو مطبوعات أو بأية وسيلة أخرى من أي نوع كانت.

وتكون العقوبة الحبس مدة لا تقل عن سنتين ولا تتجاوز سبع سنوات وبغرامة لا تقل عن عشرين ألف جنيه ولا تتجاوز أربعين ألف جنيه أو ما يعادل قيمة السلعة موضوع الجريمة أيهما أكبر، إذا كانت الأغذية أو العقاقير أو النباتات الطبية أو الأدوية أو الحاصلات أو المنتجات المغشوشة أو الفاسدة أو التي انتهى تاريخ

(١) مؤتمر التنظيم القانوني لمواصفات المنتجات الغذائية والدوائية- عقد في مقر كلية الحقوق- جامعة القاهرة في

صلاحيتها أو كانت المواد التي تستعمل في الغش ضارة بصحة الإنسان أو الحيوان .

وتطبق العقوبات المقررة في هذه المادة ولو كان المشتري أو المستهلك عالمًا بغش البضاعة أو بفسادها أو بانتهاء تاريخ صلاحيتها»^(١).

ب- قانون قمع التدليس والغش رقم ٢٨١ لسنة ١٩٩٤ قد صنف جريمة الغش بين عمدية وغير عمدية فيبينهما في هذين المطلبين :

١- جرائم الغش العمدية :

عبر المشرع المصري عن قصد العمد في جرائم الغش بعبارة «مع علمه بذلك» الواردة في الفقرة الأولى من المادة الثانية من القانون رقم ٢٨١ لسنة ١٩٩٤ بشأن التدليس والغش ، وستتناول هذه الجرائم المتنوعة بالدراسة في ثلاثة أفرع على النحو التالي :

الفرع الأول: جريمة الغش في جوهره وصوره والتحريض على استعمال مواد مغشوشة .

أولاً: جريمة الغش في جوهره :

يتطلب القانون لوقوع هذه الجريمة أن يكون لها موضوع مادي ينصرف إليه السلوك الإجرامي ويتوافر لها ركنان هما الركن المادي والركن المعنوي .

ولما كان الركن المعنوي عاملاً مشتركاً في جريمة الغش في جوهره وصوره متمثلاً في ضرورة توافر القصد الجنائي في اتجاه إرادة الجاني إلى النشاط الإجرامي والنتيجة مع علمه بذلك، لذا سيقصر بحثنا هنا على كل من موضوع الجريمة وركنها المادي- وستتناول في ختام هذا الفرع الركن المعنوي في جميع هذه الجرائم لاتحاده فيها جميعاً .

(١) جرائم الغش التجاري والصناعي (ص ٢٦٩-٢٧٠).

أ- موضوع الجريمة:

ويتضمن الأشياء التي نص عليها القانون على أن تكون معدة للبيع وذلك على التفصيل الآتي:

(١) يجب أن ينصب الغش على موضوع أو محل معين يتطرق إليه القانون بالحماية الجنائية:

ومحل الحماية الجنائية في جريمة الغش إنما يتمثل في حق الإنسان في سلامة جسمه وحياته، وقد عدت المادة الثانية من قانون ٢٨١ لسنة ١٩٩٤ الأشياء التي تهدد هذا الحق على سبيل الحصر.

وهذه الأشياء هي:

(أ) أغذية الإنسان أو الحيوان المغشوشة أو الفاسدة أو التي انتهى تاريخ صلاحيتها: وتشمل المأكولات والمشروبات المخصصة لغذاء الإنسان أو الحيوان. سواء كانت مواد صلبة أم سائلة أم غازية، ويقصد بالأغذية أية مأكولات أو مشروبات- ما عدا الماء والدواء- سواء أكانت بحالتها الطبيعية أو مجهزة أو مضافاً إليها مواد أخرى غير غذائية مثل المواد الملونة أو الحافظة أو محسنات الطعم والنكهة^(١).

يلاحظ بالنسبة للأغذية أنه يشترط فيها أن تكون مخصصة لغذاء الإنسان أو الحيوان لأن الغرض الأصلي من العقوبة حماية الصحة العامة، فإذا كانت المادة مخصصة أساساً لأغراض صناعية أو غيرها من الأغراض الأخرى ولو كانت في

(١) موسوعة قوانين الأغذية (١/٧٤).

- المرسوم الصادر في ١٩٤٦/٥/٥ (وتعدلاته) بشأن تنظيم صنع وبيع واستعمال المواد الملونة المستخدمة لتلوين المواد الغذائية.

- قرار وزير الصحة رقم ٣٨١ لسنة ١٩٨٢ (وتعدلاته) بشأن المواد الغذائية المسموح بإضافة مواد ملونة إليها.

- المرسوم الصادر في ١٩٥٣/١٢/٢٦ (وتعدلاته) بشأن المواد الحافظة التي يسمح بإضافتها للمواد الغذائية.

الأصل مادة غذائية، فإنها تخرج من عداد المواد المقصودة في هذا المجال. ويتعين أن تكون المواد الغذائية معدة للاستهلاك المباشر لهذا الغرض، فإذا كانت تتطلب إجراء بعض العمليات الأخرى حتى تصبح صالحة للاستهلاك، فلا يتحقق بشأنها هذا الركن وتخرج من عداد المواد التي تنصرف إليها الجريمة، ويظهر ذلك في حالة الحيوان أو الطائر قبل ذبحه وتهيئته للاستهلاك.

(ب) العقاقير والنباتات الطبية والأدوية: أي أدوية الإنسان أو الحيوان التي تنطبق عليها الأوصاف السابقة، وتشمل المركبات أو العقاقير الطبية بصفة عامة. وتضم كافة المواد الأساسية التي تدخل في تحضير الأدوية والمركبات المستخدمة لعلاج الإنسان أو الحيوان، وهي المواد التي يستعين بها الطب للعلاج أو للوقاية من مرض معين بحيث يلزم أن تتوافر فيها خاصية الشفاء أو الوقاية كما يلزم أن يعترف الطب بذلك. فإذا أنكر الطب خاصية الشفاء أو الوقاية ولم يعترف بها، فلا تعتبر المادة من قبيل الأدوية ولو كانت تؤدي إلى الشفاء أو الوقاية فعلاً في بعض الحالات.

وقد عرف البعض الأدوية أو العقاقير الطبية بأنها: جميع المواد المستعملة في الطب لتخفيف أمراض الإنسان، وعرفها فريق آخر بأنها مادة أو خليط من مواد معينة تستخدم كدواء للإنسان أو الحيوان سواء أكان يستعمل من الظاهر أو من الباطن، وعرفها آخرون بأنها: المواد الأساسية التي تدخل في تحضير الأدوية والمركبات التي تستخدم لعلاج إنسان أو حيوان، ويمكن القول بأنها: المواد التي تستعمل من الظاهر أو تعطى من الباطن لعلاج الإنسان أو الحيوان من الأمراض أو الوقاية منها أو توصف بأنها لها هاتين الخاصيتين^(١).

(ج) الحاصلات الزراعية: ويقصد بها- بالمعنى الواسع- كل المواد التي تنتج من فلاحة الأرض.

(١) نظم القانون رقم ١٢٧ لسنة ١٩٥٥ بشأن مزاوله مهنة الصيدلة، الضوابط القانونية لممارسة المهنة في مصر.

ويدخل فيها ما يعتبر من المواد الغذائية كالحبوب والألبان والخضراوات والفاكهة واللحوم والطيور والزبدة والجبن والزيوت المأكولة والبيض . . . الخ، ومنها ما يستعمل في الصناعة سواء للبناء والتدفئة كالخشب أو صناعة البلاستين كالصمغ أو الورق أو النسيج (كالقطن والصوف والحريز)، وتكون هذه المنتجات موضوعًا للغش المعاقب عليه، ويدخل فيها أيضًا ما يلزم للزراعة من بذور وري وأدوات صرف وحصاد.

ومع ذلك فإن كثيرًا من هذه المواد قد تحتاج إلى تحويل كي تصلح للاستهلاك، فمتى يمكن أن تفقد تلك المنتجات الزراعية صفاتها؟

لم يتحدث القانون رقم ٤٨ لسنة ١٩٤١ عن هذه المسألة، فقد يحدث أن يدخل على هذه المواد بعض التحولات، فيختفي الإنتاج الأصلي ويحل محله إنتاج جديد أو شيء يختلف يحمل اسمًا آخر، ولكن ما هي اللحظة التي يتلقى فيها الإنتاج هذا الاسم الجديد؟ ينبغي الاستناد إلى الاعتبارات العلمية الطبيعية أو الكيميائية لكي نعرف ما إذا كنا بإزاء جسم جديد أو قديم. والواقع أن هذه المنتجات لا تتغير طبيعتها وصفاتها باختلاف الأسماء ولكن نتيجة الأعمال التي يجريها المزارع أو الصانع، ولكن يتعين التمييز بين كيفية التدخل هل هو من عمل المزارع أو الصانع، فإذا كان الأول احتفظ الإنتاج بصفته كمحصول زراعي دون أي تغيير رغم تغيير الاسم، أما إذا قام به الثاني فإنه يفقد كل الحق في هذه التسمية.

(د) المنتجات الطبيعية: ويقصد بها كل المنتجات التي يمكن أن تمنحها

الطبيعة^(١) إلى الإنسان بدون أي تدخل منه، وهي بذلك تشمل جميع موارد الثروة الطبيعية: أي ما كان محتويًا في باطن الأرض، أو موجودًا على سطحها، سواء في المناجم، كالمعادن من ذهب وفضة وبترو، أو في المحاجر بما تحويه من أحجار غير نفيسة كالإردواز والجرانيت والرخام وغيرها، أو ما تطرحه البحار

(١) الطبيعة لا تمنح وإنما الله هو الذي يمنح، فيسخر للإنسان هذا الكون الواسع الفسيح.

والمحيطات والأنهار كالإسفنج واللؤلؤ والمحار، ويدخل فيها أيضًا المياه المعدنية التي تدرها العيون المنتشرة في إقليم معين .

(هـ) المنتجات الصناعية: ويقصد بها الأدوات الكهربائية كالغسالات والثلاجات وسخانات المياه وأنايب غاز البوتاجاز وزجاجات المياه الغازية التي لا يراعى الأصول الفنية في صنعها .

(٢) أن تكون هذه الأشياء محل الجريمة معدة للبيع :

أن تكون الأغذية أو الأدوية موضوع الجريمة معدة للبيع ، وإذا كان النص قد اقتصر على ذكر البيع فقط فذلك لأنه يمثل الصورة المألوفة في التعامل ، ولما كان البيع هو أحد مظاهر النشاط التجاري في التعامل في الأسواق وتوجد بجانبه بعض المظاهر الأخرى الهامة كالمقايضة والمبادلة والرهن والعارية ، ومراعاة للحكمة من القانون والغاية منه في تعقب الجرائم المتعلقة بالغش في كافة صورته وحالاته ، ومن ثم فإن المقصود بأن تكون الأغذية والأدوية والمنتجات الطبيعية والصناعية موضوع الجريمة معدة للبيع ، أن تكون هذه المواد معدة أو مجهزة ومهيأة للتداول أو التعاقد عليها بعوض بأية صورة سواء بالبيع أو بغيره .

ب- الركن المادي :

حدد نص المادة الثانية من القانون الأفعال المادية التي يتكون منها الركن المادي لجريمة الغش وهي :

فعل الغش ذاته أو الشروع فيه ، وكذلك يتحقق بالفساد الذي يطرأ على المادة أو بانتهاء صلاحيتها .

والمقصود بالغش في هذه الجريمة إعطاء البضاعة مظهرًا كاذبًا بقصد خداع المشتري أو الإعداد المادي للبضاعة بقصد الغش .

أساليب الغش المادي :

ويمكن القول بأن للغش وسائل متعددة يتحقق بها الركن المادي لهذه الجريمة ، نوضحها فيما يلي :

أ- الغش عن طريق الخلط أو الإضافة : ويتم خلط البضاعة طبقاً لهذه الوسيلة بمادة أخرى أقل في الجودة سواء أكانت من ذات طبيعتها أو من طبيعة مغايرة . مؤدى ذلك أن الإضافة لا تقتصر على إضافة عنصر مغاير للعنصر الأصلي للبضاعة ، بل تمتد لتشمل إضافة عنصر من طبيعة البضاعة ذاتها ولكنه أقل منها في الجودة أو القيمة .

«مثال ذلك : حالات إضافة الماء إلى اللبن أو إلى اللحوم لزيادة الوزن ، أو إضافة الزيت إلى المقلو ، أو إضافة الدقيق العادي إلى الدقيق الفاخر أو الممتاز»^(١) .

ويلاحظ أنه إذا جرى العرف في التجارة أو الصناعة على إضافة بعض المواد إلى البضاعة بقدر يسير أو نسبة معينة لتحسينها أو لحفظها ، فإن الإضافة في مثل هذه الحالات لا تعتبر وسيلة للغش طالما أنها في الحدود المسموح بها دون تجاوز أو مغالاة ويمكن إدراكها ومعرفتها من البيانات المتعلقة بالبضاعة والمدونة عليها ، ومن ثم فإن كل إضافة أو خلط في البضاعة لا يعتبر بالضرورة وعلى الإطلاق غشاً معاقباً عليه .

ويتضح مما تقدم ، أنه يشترط لتحقيق الغش عن طريق الإضافة أن يترتب عليها تغيير واضح وملموس في البضاعة من حيث صفاتها أو جودتها أو نوعها أو خواصها أو عناصرها الرئيسية التي تكون محل الاعتبار في التعامل ، «كما هو الشأن في حالة إضافة زيت جوز الهند للسمن الطبيعي ، وفي حالة عرض سمن

(١) انظر ما يأتي من صور غش الأطعمة والأشربة من هذا الكتاب .

طبيعي مخلوط بسمن صناعي للبيع على أنه سمن طبيعي بالكامل» .

ب- الغش عن طريق نزع أو سلب بعض العناصر: ويتم ذلك بنزع بعض العناصر التي تدخل في التركيب العادي للبضاعة مع احتفاظ الناتج الجديد بذات الاسم وبيعه أو التعامل بشأنه بالثمن ذاته، «مثال على ذلك: نزع القشدة من اللبن الأمر الذي يؤدي إلى التقليل من الخصائص أو القيمة الغذائية له»، وهذه الوسيلة تؤدي بالضرورة إلى تغيير في جوهر البضاعة أو إحداث عيب فيها .

ج- الغش عن طريق نزع بعض العناصر في آن واحد: كما في حالة تلوين البضاعة بمادة ملونه بعد نزع بعض عناصرها الأصلية حتى تظهر بالمظهر الأصلي للبضاعة .

د- الغش عن طريق الصناعة: وتعني هذه الوسيلة صناعة بضاعة دون أن يدخل في تركيبها إحدى المواد التي يتعين دخولها وفقا للأنظمة أو العرف التجاري أو الصناعي . وقد يتم الغش بهذه الوسيلة بنزع كل العناصر الأساسية الواجب دخولها في التركيب، مثل بيع شراب مصنوع من روح الفراولة أو المانجو على أنه شراب فراولة أو مانجو طبيعي، في حين أنه لا توجد به عناصر الفراولة أو المانجو الطبيعية، وكذلك الحال بالنسبة لباقي المشروبات أو المياه الغازية^(١)، كما قد يتم الغش عن طريق الصناعة بنزع بعض العناصر الأساسية أو إحلال مادة أخرى محل مادة يلزم دخولها في صناعة البضاعة وفقاً للأصول القانونية أو العرف .

وقد تظهر هذه الحالة الأخيرة في مجال تحضير وتركيب الأدوية في الصيدليات، كما لو تم تركيب الدواء الذي حدد الطبيب عناصره الفعالة دون أن يتضمن كل هذه العناصر أو مع إضافة عنصر محل عنصر آخر^(٢) .

(١) وقد بينت في هذا الكتاب أضرار المياه الغازية وآثارها الخطيرة على صحة متعاطيها، فالواجب الحذر منها والامتناع عنها ما أمكن .

(٢) انظر ما سيأتي من صور غش الأطباء والمستشفيات من كتابنا هذا .

ولا يتطلب الغش حدوث ضرر بالصحة، ومن ثم فإن المياه الغازية المحتوية على مواد غريبة تعتبر مغشوشة ولو لم تكن ضارة بالصحة^(١)، ولكن يتعين مساهمة التاجر بنشاطه في الواقعة، وعلى ذلك لا يعتبر غشاً فساد السلعة بمرور الوقت أو بإهمال الحائز كما في حالة تسوس الغلال أو الحبوب بصفة عامة.

كما أن قلة الدسم في اللبن عن الحد الأدنى المقرر لا يعتبر غشاً في المادة طالما أنه بسبب طبيعة اللبن دون مساهمة في ذلك من جانب التاجر^(٢).

ثانياً: صور جريمة الغش من بيع أو طرح أو عرض للبيع لمواد مغشوشة أو فاسدة أو مما تستعمل في الغش:

تعاقب المادة الثانية من قانون قمع التدليس والغش على أفعال تعد بحسب القواعد العامة أفعالاً تحضيرية لارتكاب جريمة غش السلع، من ذلك أن المادة ٢-٢ تعاقب كل من طرح من أجل البيع أو عرض للبيع أو باع مواد مما تستعمل في غش الأغذية المخصصة لغذاء الإنسان أو الحيوان أو المنتجات الزراعية أو الصناعية مع علمه بالعرض الذي تستخدم فيه.

ومن ناحية أخرى، قد يعاقب المشرع^(٣) على مجرد التحريض على استخدام المواد السابقة بواسطة إعلانات أو مطبوعات من أي نوع كانت خلافاً للقواعد العامة في العقاب على التحريض، كوسيلة من وسائل الاشتراك، إذ يشترط وفقاً لهذه القواعد وقوع الجريمة المحرض عليها.

(١) بل قد ثبت أنها ضارة جداً بالجسم وتسبب هشاشة العظام وغيرها من الأمراض

(٢) La tromperie ne peut tre rntendre de mani, re gunurale. Elle doit, selon l'article l de la loi de ,1905 porter sur l'un des uluments unumurus par ce texte, unumuration complutue par la loi du 10 janvier (1978 Luc Bihl, op. Cit., p,9.

(٣) لفظ محدث غير مشروع؛ لأن المشرع هو الله وحده وليس لأحد من الخلق أن يشرع شيئاً في دين الله أو يخالف شرع الله؛ قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١] وقال تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وبيع البضاعة عبارة عن نقل ملكيتها للمشتري . وطرح البضاعة للبيع يفترق عن عرضها في أن الأمر الأول يقصد به أن لكل راغب أن يتقدم لابتياح البضاعة . أما العرض للبيع فإنه يفيد اطلاع مشتر محدد عليها بأية صورة من الصور^(١) .

ويتكون الركن المادي لهذه الجرائم من ثلاثة أنواع من الأفعال المادية :

الطرح للبيع ، والعرض للبيع ، والبيع ، الذي ينصب على المنتوجات المغشوشة ، أو الفاسدة وتعداد الأفعال هنا يكون محددًا بنص القانون .

ويجب أن نلاحظ أن نص القانون هنا مطلق ، ويشمل كل البيوع أيًا كانت طبيعتها ، سواء كان بيعًا بالمزاد العلني ، أو ببيعًا رضائيًا ، ويستوي أن يكون مبرمًا بين شركة وأحد أعضائها أو مع الغير ، أو بين طرفين من الأفراد^(٢) .

واعتبر القانون فساد الأغذية والأدوية في مرتبة غشها حيث إن التاجر في الحالتين يستهدف الحصول على ربح غير مشروع .

وجدير بالذكر أن فساد الأغذية والأدوية يعني تعفنها بمرور الزمن أو بسبب عارض يغير تركيبها وخصائصها العضوية على نحو يؤدي إلى عدم صلاحيتها^(٣) للاستعمال الطبيعي المعدة له .

ويختلف هذا الفساد عن الغش الذي يكون في جوهر الشيء أو تركيبه بفعل الإنسان ولا يشترط فيه انعدام صلاحيته للاستعمال العادي المعد له ، فقد يظل الشيء صالحًا لذلك بالرغم من الغش .

ومن الوسائل الفعالة التي تعتمد عليها شركات الأدوية لتجنب بيع الأدوية الفاسدة أو عرضها للبيع ، كتابة مدة صلاحية الدواء للاستعمال أو تاريخ انتهاء

(١) «الموسوعة الجنائية» (٥ / ٧٠٤) - دار إحياء التراث العربي - بيروت ؛ بواسطة «جرائم الغش الصناعي والتجاري» .

(٢) المرجع السابق (ص ١٤٩) .

(٣) وهذا الفساد وعدم الصلاحية فيه ما فيه من ضرر بالغ على صحة الإنسان الذي يتعاطاه ، وكم قتل أولئك الغشاشون أناسًا بسبب بيعهم وإعطائهم أدوية فاسدة بسبب سوء التخزين أو انتهاء الصلاحية .

الصلاحية، وذلك بشكل ظاهر وواضح على الغلاف الخارجي، بحيث يكون واضحاً للبائع والمشتري على السواء تاريخ انتهاء صلاحية الدواء واحتمال فساده بعده، كما تعتمد إلى الوسيلة ذاتها بعض شركات الصناعات الغذائية بالنسبة لمنتجاتها من المعلبات وغيرها.

حكمة تجريم هذه الأفعال:

كان العرض والطرح للبيع يفلتان من العقاب قبل وضع القانون رقم ٤٨ لسنة ١٩٤١ حتى بوصفهما شروعاً في خداع المتعاقد، لعدم وجود نص على عقاب الشروع حينذاك^(١).

ولذا تدخل الشارع بالعقاب مساوياً بين أفعال البيع وبين العرض أو الطرح للبيع، ومساوياً أيضاً بين وقوع هذه الأفعال على أغذية أو عقاقير مغشوشة، وبين وقوعها على المواد التي تستعمل في الغش.

وقد ورد في المذكرة الإيضاحية لهذا القانون أنه «لا يعاقب على بيع المواد التي تستعمل في الغش إلا في حدود قواعد الاشتراك، أي في الأحوال التي تقع فيها الجريمة فعلاً، ورؤي في المشروع مصادرة سبب الجريمة قبل وقوعها، باعتبار حيازة هذه المواد لسبب غير مشروع جريمة بذاته».

أما حيازتها لسبب مشروع فلا يخضع بداهة للتجريم، وذلك ما إذا كان لنفس هذه المواد استعمالات صناعية أخرى.

المساواة بين الغش التام والشروع فيه:

ساوت المادة الثانية من القانون رقم ٤٨ لسنة ١٩٤١ بين الغش التام وبين الشروع فيه من ناحيتي مبدأ التجريم ومقدار العقوبة، أسوة بما فعلته المادة الأولى من نفس القانون بالنسبة لخداع المتعاقد الآخر والشروع فيه.

(١) المرجع السابق (٤١١/٥-٤١٢).

وتتم جريمة الغش بخلط السلعة أو بالعبث فيها على أية صورة مؤثرة في سعرها أو في صفتها بقصد التعامل فيها بعد غشها .

وفعل الغش التام يصح أن يعد على هذا النحو تحضيراً لفعل خداع المتعاقد الآخر، ولذا فهو يخضع للعقاب بوصفه غشاً للسلعة فحسب، وبصرف النظر عما إذا أدى إلى خداع المتعاقد الآخر أم لم يؤدي إليه، وعما إذا كانت قد لحقته محاولة من هذا القبيل أم لم تلحقه .

فغش السلعة فعل مستقل عن خداع المتعاقد الآخر في شأن أية صفة من صفاتها، وعن الشروع فيه .

أما الشروع في غش السلعة فيتحقق بكل فعل يصح أن يعد بدءاً في تنفيذه بأن كان يؤدي إليه حالاً ومباشرة، إذا أوقف هذا الفعل أو خاب أثره لأسباب لا دخل لإرادة الفاعل فيها، وطبقاً للقاعدة العامة .

وهو قد يكون في صورة جريمة موقوفة، إذا ضبط الجاني قبل أن يبدأ مباشرة في تنفيذه بالإضافة أو بالانتزاع، وبعد أن أعد معداته اللازمة .

أما إذا ضبط الجاني بعد تمام فعل الخلط، فإن جريمة الغش تكون قد وقعت تامة، وبصرف النظر عما إذا كان قد حصل بيع بالفعل لهذه السلعة أو حتى مجرد عرض للبيع، أم لم يحصل بيع ولا عرض له^(١) .

جريمة حيازة المنتجات التي نص عليها قانون قمع التدليس والغش :

نص المادة ٣ / ١ من قانون قمع التدليس والغش :

«يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن ستة أشهر وبغرامة لا تقل عن ثلاثة آلاف جنيه ولا تجاوز عشرة آلاف جنيه أو ما يعادل قيمة السلعة موضوع الجريمة أيهما أكبر أو بإحدى هاتين العقوبتين كل من حاز بقصد التداول لغرض غير مشروع شيئاً من

(١) المرجع السابق (ص ٧١٣) .

الأغذية أو الحاصلات أو المنتجات أو المواد المشار إليها في المادة السابقة .
وتكون العقوبة الحبس مدة لا تقل عن سنة وبغرامة لا تقل عن خمسة آلاف جنيه ولا تجاوز عشرين ألف جنيه أو ما يعادل قيمة السلعة موضوع الجريمة أيهما أكبر إذا كانت هذه الحيازة لعقاقير أو نباتات طبية أو أدوية مما يستخدم في علاج الإنسان .

وتكون العقوبة الحبس مدة لا تقل عن سنة ولا تجاوز خمس سنوات وبغرامة لا تقل عن عشرة آلاف جنيه ولا تجاوز ثلاثين ألف جنيه أو ما يعادل قيمة السلعة موضوع الجريمة أيهما أكبر إذا كانت الأغذية أو الحاصلات أو المنتجات أو العقاقير أو النباتات الطبية أو الأدوية أو المواد المشار إليها في المادة السابقة ضارة بصحة الإنسان أو الحيوان» .

هدف المشرع من تجريم حيازة الأشياء والبضائع المغشوشة والفاصلة بدون سبب مشروع يعد تدبيراً وقائياً يقصد به منع^(١) وقوع جرائم أخرى .

الركن المادي :

يتكون الركن المادي لهذه الجريمة من فعل حيازة تلك المواد على أن تكون حيازتها بسبب غير مشروع .

١- الحيازة عملاً على تحقيق الأهداف المرجوة من التشريع في محاربة الغش .
نجد القانون يعاقب على حيازة المواد المغشوشة أو التي تستعمل في الغش .
ويشترط للعقاب أمران : الحيازة والعلم .

ويشترط في حيازة الأشياء المشار إليها في المادة ١ / ٣ أن تكون لغير سبب

(١) التدبير الوقائي الرادع في الرجوع إلى حكم الله وحكم رسوله ، لا إلى القوانين الوضعية التي غالباً ما تحايي المجرمين فتعطف عليهم تارة أو تقبل فيهم شفاعة الشفعاء ، أو تقبل الرشاوى لتخفيف عقوباتهم أو التستر عليهم وحمايتهم ، وأرى أن الغش الذي يلحق ضرراً بحياة الإنسان وماله وعرضه ، أراه من الإفساد في الأرض ، وعقوبة المفسدين في الأرض أن يقام عليهم حدّ الجراية في كتاب الله ﷻ .

مشروع، فإذا كان الأمر على العكس انتفت الجريمة، كمن يحتفظ ببعض تلك المواد ابتغاء إجراء تجارب علمية عليها.

وينبغي أن تنصب الحيازة على شيء من أغذية الإنسان أو الحيوان أو من العقاقير الطبية أو من الحاصلات الزراعية أو الطبيعية أو منتجات صناعية أو على مواد مما تستعمل في غش ما سلف بيانه، فقد أطلق المشرع في المادة الثالثة الإشارة إلى المواد التي جاءت في المادة الثانية^(١).

٢- يلزم في الحيازة أن تكون لسبب غير مشروع:

أفصح الشارع عن هذا المعنى عندما استلزم في الحيازة هنا أن تكون لغير سبب مشروع.

والأسباب المشروعة متعددة لحيازة غذاء مغشوش أو فاسد، كرغبة الاستهلاك الشخصي، أو إطعامه لحيوان، أو إرساله للتحليل لمعرفة مدى فساده، أو إعادته لمصدره، أو إعدامه فيما بعد، أما السبب الوحيد غير المشروع فهو باعث التعامل فيه وخداع المستهلكين^(٢).

جريمة استيراد أغذية مغشوشة أو فاسدة أو غير صالحة للاستخدام:

في سبيل تحقيق ما يهدف إليه قانون قمع التديس والغش من استئصال أسباب تداول المواد الفاسدة أو المغشوشة نجده يحظر استيرادها، فتنص المادة الثالثة مكرر على أنه:

«يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن سنة ولا تجاوز خمس سنوات وبغرامة لا تقل عن خمسة وعشرين ألف جنيه ولا تجاوز مائة ألف جنيه أو ما يعادل قيمة السلعة موضوع الجريمة أيهما أكبر كل من استورد أو جلب إلى البلاد شيئاً من أغذية

(١) الموسوعة الجنائية (ص ٧٠٥-٧٠٦).

(٢) المرجع السابق (ص ٤١٥).

الإنسان أو الحيوان أو العقاقير أو النباتات الطبية أو الأدوية أو من الحاصلات الزراعية أو المنتجات الصناعية يكون مغشوشًا أو فاسدًا أو انتهى تاريخ صلاحيته مع علمه بذلك .

وتتولى السلطة المختصة إعدام تلك المواد على نفقة المرسل إليه ، فإذا لم يتوافر العلم تحدد له السلطة المختصة ميعادًا لإعادة تصدير المواد المغشوشة أو الفاسدة أو التي انتهى تاريخ صلاحيتها إلى الخارج ، فإذا لم يتم بذلك في الميعاد المحدد تعدم تلك المواد على نفقته» .

علة التجريم :

استحدث القانون رقم ٢٨١ لسنة ١٩٩٤ تجريم^(١) الاستيراد أو الجلب أو الإدخال لمادة من المواد المغشوشة أو الفاسدة أو التي انتهى تاريخ صلاحيتها باعتبار أن هذه الأفعال تمثل المنع لباقي الجرائم .

فلم يعد الحضر منصرفًا فقط إلى الاستيراد للمواد المشار إليها في المادة (٣) مكرر كما كان في القانون رقم ٤٨ لسنة ١٩٤١ ، بل إنه أصبح ممتدًا إلى الاستيراد أو الجلب أو إدخال أي شيء من المواد المغشوشة أو الفاسدة إلى البلاد ، وذلك لمواجهة الحالات التي لا تكون المواد المغشوشة أو الفاسدة قد وردت إلى البلاد بطريق الاستيراد حيث يمتد التأثيم إلى حالات التهريب وإدخال السلع بصحبة الركاب .

ولتحقيق مزيد من الحماية للمستهلك أضاف المشرع في القانون الجديد في مجال التأثيم ما انتهى تاريخ صلاحيته من المواد المنصوص عليها ، مساويًا في ذلك بين هذه الصورة وصورة الغش وفساد السلعة .

(١) جيد أن تكون القوانين رادعة لهؤلاء الغشاشين ، ولكن الأجود والأهم منع وردع الموظفين في موقع المسؤولية المتواطئين معهم بإدخال سلع و مواد غذائية كالأسماك واللحوم وغيرها فاسدة أو عفنة ، وبيعها للمستهلكين مقابل رشوة يتفق عليها هؤلاء المجرمون جميعًا .

وترجع العلة من حظر الاستيراد أو الجلب أو الإدخال للأغذية المغشوشة هي الحيلولة دون دخول هذه الأغذية إلى البلاد لسبب غير مشروع، حتى لا يتمكن صاحب الشأن من استلام البضاعة ثم بيعها في غفلة من الرقابة. ولذلك حول المشرع الحكومة الحق في إعداد هذه البضاعة قبل خروجها من الدائرة الجمركية ما لم تقتنع بمشروعية غرض المستورد وتصرح له باستعمالها.

وقد تطلب القانون لقيام هذه الجريمة وجود موضوع مادي ينصرف إليه السلوك الإجرامي، وأن يتوافر لها الركنان المادي والمعنوي والأخير متمثلاً في القصد الجنائي.

موضوع الجريمة :

ومحل الجريمة كما حدده المادة (٣) مكرر من القانون رقم ٢٨١ لسنة ١٩٩٤ هو أي شيء من أغذية الإنسان أو الحيوان أو من العقاقير أو النباتات الطبية أو الأدوية أو من الحاصلات الزراعية أو المنتجات الطبيعية أو المنتجات الصناعية يكون مغشوشاً وفساداً.

١- قد يكون الحظر مواد غذائية للإنسان أو الحيوان، وهكذا يسوي^(١) القانون في الحظر بين غذاء الإنسان وغذاء الحيوان أيًا كانت الصورة التي عليها هذا الغذاء سواء كان في شكل حبوب أو لحوم أو خضراوات أو فاكهة طازجة أو محفوظة أو أيًا كان البلد المستورد منها هذه الأغذية^(٢).

٢- يشمل الحظر العقاقير أو النباتات الطبية أو الأدوية وكان القانون رقم ٤٨ لسنة ١٩٤١ يقتصر الحظر في هذه الحالة على العقاقير الطبية، أما القانون رقم

(١) المرجع السابق (ص ٢٨١).

(٢) للقانون الحق في حظر كل ما يضر بالإنسان والحيوان، لكن لا يستويان مثلاً عقوبة من أضر بالحيوان كعقوبة من أضر بالإنسان، والله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

٢٨١ لسنة ١٩٩٤ قد وسع نطاق الحظر ليشمل أيضًا النباتات الطبية والأدوية .
ويستوي أن تكون هذه العقاقير أو النباتات الطبية أو الأدوية خاصة بالوقاية أو
العلاج أو التشخيص الطبي وسواء كانت تستعمل من الظاهر أو الباطن .
٣- يتطرق الحظر أيضًا إلى الحاصلات الزراعية أو المنتجات الطبيعية أو
المنتجات الصناعية، والأخيرة أضافها القانون الجديد، « فلم تكن قائمة في
القانون القديم، ويشترط لتطبيق هذا النص أن تكون هذه المواد مغشوشة أو
فاسدة» .

الركن المادي :

يتمثل النشاط الإجرامي في هذه الجريمة في الاستيراد أو الجلب لشيء من
الأشياء المنصوص عليها في المادة (٣) مكرر .
ويقصد بالاستيراد: إدخال الشيء إلى الأراضي المصرية إما عينًا بدخولها مع
صاحبها ، وإما عن طريق شحنها وتحويلها من الخارج إلى البلاد .
ويعني بالجلب كل واقعة يتحقق فيها إدخال المواد المغشوشة أو الفاسدة إلى
أراضي الدولة بأية وسيلة، وكذلك كل واقعة يتحقق بها نقل الشيء على خلاف
الأحكام المنظمة لجلبها والمنصوص عليها .
وتعتبر الجريمة تامة بمجرد إدخال البضاعة المغشوشة أو الفاسدة أو التي
انتهى تاريخ صلاحيتها إلى المياه الإقليمية للدولة أو فضائها الجوي .
ولا تقع الجريمة إلا إذا اجتازت الأشياء المحظورة للحدود السياسية للبلاد
اجتيازًا ماديًا أو حقيقيًا .

ويرجع في تحديد الحدود السياسية للبلاد إلى مبادئ القانون الدولي العام .
ولا يدخل في نطاق النشاط الإجرامي^(١) المكون لهذه الجريمة التعاقد على

(١) بل يدخل وينبغي أن يدخل ؛ لأن الذي يضر ويغش شعبًا ودولة ولو غير دولته سيضر ولو بعد حين بلده وشعبه ؛ لأن =

هذه الأشياء وهي ما زالت في الخارج وفي طريقها إلى الشحن، وتتم الجريمة قانوناً بإدخال المواد المنصوص عليها في المادة (٣) مكرر إلى الأراضي المصرية^(١)، فإن ضببت هذه الأشياء في الدائرة الجمركية وهي على حالة الغش والفساد قبل دخولها البلاد وقفت الجريمة عند مرحلة الشروع فيها^(٢).

العقوبة:

عاقب المشرع في الفقرة الأولى من المادة (٣) مكرر من يستورد أو يجلب إلى البلاد شيئاً من المواد المشار إليها مع علمه بأنها مغشوشة أو فاسدة أو انتهى تاريخ صلاحيتها، بالحبس الذي لا تقل مدته عن سنة ولا تجاوز خمس سنوات، والغرامة التي لا تقل عن خمسة وعشرين ألف جنيه ولا تجاوز مائة ألف جنيه أو ما يعادل قيمة السلعة أيهما أكبر.

وألغى القانون في هذه الجريمة تخيير القاضي بين الحبس والغرامة، وألزم الحكم بهما وجوباً. ويعد هذا من مظاهر التشدد في العقوبة في هذه الجريمة. وأوجب القانون على السلطة المختصة القيام بإعدام المواد المغشوشة أو الفاسدة أو التي انتهى تاريخ صلاحيتها على نفقة صاحب الشأن إذا كان يعلم بحالتها. أما

= المجرم الغشاش متى لم يتق الله ولم يخافه بالغيب، غش وأضر أقرب الناس إليه، والحرام حرام حيثما كان. واليهود -عليهم لعائن الله- يرون غش غيرهم جائزاً وغش اليهودي هو الحرام فقط، فمن فرّق فيه شبه باليهود إخوان القردة والخنازير.

(١) هذه المادة مضافة بالقانون رقم (١٠٦/١٩٨٠)، ثم عدلت بالقانون رقم (٢٨١/١٩٩٤) وهذه المادة تقابل المادة (٤) من قانون قمع الغش قبل تعديلها بالقانون (٢٨١) لسنة (١٩٩٤).

(٢) كذلك يقضي القانون رقم ١٠ لسنة ١٩٦٦ والمعدل في مادته ١٣ على أنه يجب أن تكون الأغذية المتداولة محلياً أو المستوردة أو المعدة للتصدير خالية تماماً من الميكروبات المرضية ويجوز لوزير الصحة بقرار منه أن يحدد معايير بكتريولوجية لهذه المواد الغذائية. ثم تقضي أيضاً بأنه يجب أن تكون الأغذية المستوردة من الخارج مطابقة لأحكام هذا القانون ويجوز لوزير الصحة بقرار منه أن يحدد الأصناف التي يجب مصاحبته بشهادة صحية من البلد المنتج وشروط هذه الشهادة كما يجوز قرار مماثل حظر استيراد ما يثبت حظره على الصحة العامة من أصناف الأغذية أو الأوعية أو العناصر التي تدخل في تحضيرها أو المضافة إليها. (المرجع السابق- (ص ٤٧-٤٨).

إذا انتفى العلم بحالتها، تحدد السلطة المختصة ميعادًا لإعادة تصدير هذه المواد. فإذا لم يتم إعادة التصدير للمواد المغشوشة أو الفاسدة في الميعاد المحدد، تعين إعدامها على نفقته.

بقي أن نبين الجرائم التي حددها المشرع والتي تقع بطريق الإهمال^(١):

أولاً: التسبب بالإهمال في إفساد شيء من أغذية الإنسان أو الحيوان أو من العقاقير أو النباتات الطبية أو الأدوية أو من الحاصلات الزراعية أو المنتجات الطبيعية أو المنتجات الصناعية معداً للبيع أو التسبب بالإهمال بسبب الإخلال بواجب الرقابة في طرح أو عرض للبيع أو باع شيئاً من هذه الأغذية أو العقاقير أو النباتات الطبية أو الأدوية أو الحاصلات أو منتجات مغشوشة كانت أو فاسدة أو انتهى تاريخ صلاحيتها.

ثانياً: التسبب بالإهمال، وبسبب عدم الاحتراز في صنع أو طرح أو عرض أو بيع مواد أو عبوات أو أغلفة، مما يستعمل في غش أغذية الإنسان أو الحيوان أو العقاقير أو النباتات الطبية أو الحاصلات الزراعية أو المنتجات الطبيعية أو المنتجات الصناعية.

ثالثاً: الحيازة على سبيل الخطأ لشيء من الأغذية أو الحاصلات أو المنتجات أو المواد المشار إليها في المادة السابقة.

رابعاً: الحيازة على سبيل الخطأ لنباتات طبية أو أدوية مما يستخدم في علاج الإنسان أو الحيوان أو نباتات ضارة بصحة الإنسان.

خامساً: الخطأ في استيراد أو جلب شيء من أغذية الإنسان أو الحيوان أو العقاقير أو النباتات الطبية أو الأدوية أو الحاصلات الزراعية أو المنتجات الطبيعية أو المنتجات الصناعية يكون مغشوشاً أو فاسداً أو انتهى تاريخ صلاحيته^(٢).

(١) المرجع السابق (ص ١٤٨) بواسطة «جرائم الغش الصناعي والتجاري».

(٢) جرائم الغش التجاري والصناعي (ص ٢٧١-٢٩٤).

جريمة الغش في النظام اللاتيني وتمثله فرنسا :

- اهتمام المشرع^(١) الفرنسي بجريمة الغش :

استحوذت حماية المستهلك الفرنسي على اهتمام الباحثين في كثير من فروع القانون، بل كانت موضع اهتمام المشرع الفرنسي وما زالت في التشريعات المتعددة التي أصدرها في هذا الشأن^(٢).

سايرت محكمة النقض الفرنسية المشرع الفرنسي في توسعه في نطاق التجريم وتشددت في بعض أحكامها في هذا الشأن وكان من الطبيعي أن يقتفي أثرها باقي المحاكم الفرنسية.

بين المشرع الفرنسي أركان جريمة الغش في الآتي :

أولاً : الركن المادي :

يتمثل هذا الركن في كل فعل يقع بالمخالفة لما نص عليه القانون حول طبيعة المنتج ونوعه ومنشئه^(٣) وتكوينه^(٤) وكميته^(٥) وصفاته الجوهرية وهناك عناصر أخرى أضافها قانون ١٠ يناير ١٩٧٨ خاصة بالرقابة على المنتج والاحتياطات الواجبة في الاستخدام.

ثانياً : الركن المعنوي :

تطلب المشرع الفرنسي في قانون ١٩٠٥ المعدل ضرورة توافر القصد الجنائي

(١) وقد سبق التحذير والتنبيه على ذلك.

(٢) «ومن الجدير بالذكر في هذا المقام القانون الفرنسي رقم ٢٣ لسنة ١٩٧٨ حول «حماية وإعلام المستهلك» الصادر سنة ١٩٠٥ إلى «أداء الخدمات» أيضاً وهو تجديد هام يشمل كل الالتزامات بأداء عمل معين». (المرجع السابق ص ١٢-١٣).

(٣) Crim.4. janvier 1962, G.P. 1962. 1. 220 Luc Bihl, op. Cit, p. 110

(٤) Paris, 24 juin 1974, G.P. 1975. 1, 6, Luc Bihl, ibid., p. 11

(٥) T.C. A.x- en- provence, 20 September, 1978 precite, Luc Bihl, ibid., p. 111

في جرائم الغش^(١) إلا أن القضاء تردد في هذا الشأن فكان أحياناً يقضي بأن الإهمال الجسيم يصل إلى سوء النية طالما وقع من شخص خبير في مهنته وصناعته وكان في أحيان أخرى يقضي بأن الإهمال البسيط^(٢) يؤدي إلى قيام المسؤولية الجنائية طالما كان وجوده ثابتاً بجلاء، فعلى المهني التأكد من نوعية المنتجات والخدمات التي يعرضها في السوق، «ويكفي عدم التزامه بذلك الذي يعد دليلاً على سوء نيته وتوافر القصد الجنائي لديه».

ثالثاً: العقوبة:

ساوى المشرع الفرنسي في العقوبة بين جريمة الخداع والشروع في تلك الجريمة^(٣) وهي السجن مدة تتراوح بين ثلاثة أشهر وعامين وغرامة تتراوح بين ألف فرنك و٢٥٠ ألف فرنك، وطبقاً لنص المادة الثانية من قانون أول أغسطس ١٩٠٥ تضاعف العقوبة إذا ارتكبت الجريمة في ظل ظروف مشددة تتمثل في الآتي:

١- إذا كان محل الجريمة بضاعة تحتوي على خطر ضار بالصحة.

٢- إذا تمت الجريمة باستخدام موازين أو مكييل أو بيانات مزيفة أو همت بصحة عملية الوزن أو القياس أو الكيل.

وأضاف قانون ١٠ يناير ١٩٧٨ إلى قانون أول أغسطس ١٩٠٥ في المادتين (١١،٦) عقوبات تكميلية جديدة مثل سحب البضائع المغشوشة من السوق وكذلك مصادرة بعض أو كل المنتجات محل الجريمة وهي عقوبات متناسبة لطبيعة هذا النوع من الجرائم.

جريمة الغش في القانون الإنجليزي والأمريكي:

إجماع التشريع الأنجلو أمريكي على تجريم الغش:

(١) Cass. Crim. 4 janvier 1977, 1977.336, Luc Bihl, ibid., p. 112

(٢) الصواب: اليسير.

(٣) Cass. Crim. 5 juin 1984, D. 1985, I. R. 90, Luc Bihl, ibid, p.113

١- انجلترا:

جرم القانون الإنجليزي الصادر في عام ١٩٦٨ شأن المواصفات والممارسات التجارية الغش العمدي وغير العمدي^(١).

٢- كولومبيا البريطانية:

صدر قانون الممارسات التجارية في كولومبيا البريطانية في عام ١٩٧٩ بتنظيم الغش والممارسات غير المشروعة في سوق الاستهلاك ويتضمن:

أ- تجريم خداع وغش المستهلكين وذلك بحجب المعلومات عنهم والتي تنطوي على حقوقهم والتزاماتهم في قوانين الاستهلاك.

ب- تجريم الضغط على المستهلكين للدخول في صفقات تجارية هم في غير حاجة لها.

ج- تجريم الضغط على المستهلكين للدخول في صفقات استهلاكية جديدة قد تصبح في غير صالحهم مستقبلاً^(٢).

٣- الولايات المتحدة الأمريكية. وعلى سبيل المثال ولاية نيويورك:

لما كان القانون المدني غير كافٍ لحماية المستهلك من التعرض للغش، لذلك أصدر المشرع قانون ١٩٧٧ الذي جرم الغش ووضع عقوبات للمخالفين

(١) «هناك قضية كبرى حدثت وقائعها في عام ١٩٧٠، كانت التهمة التي وجهت إلى المتهمين أنهم باعوا ساعة مكتوباً عليها «ساعة للغطاسين» و«ضد الماء» وكان هذا الوصف كذباً وغير حقيقي بل كان مخالفاً للمادة الأولى فقرة ١، ٢ من قانون المواصفات الصادر في عام ١٩٦٨، وبعد غمر الساعة في الماء لمدة ساعة زمنية توقفت الساعة عن العمل تماماً وامتأت ماءً، ولم يكن المتهمون قد أجرؤا عليها التجارب المؤيدة لدعواهم قبل عرضها للبيع، بل اعتمدوا على سمعة تجار الجملة وخبرتهم من أن الساعات التي سبق لهم بيعها لم تثر أية مشكلة، وكان يجب عليهم اتخاذ الحيطة وتوخي الحذر واليقظة Dilligent طبقاً لنص المادة ٣٤ فقرة أ، ب من القانون».

C.j.Miller & Brian W.Harvey, General Statutory defences in consumer protection Legislation, op., Chapter 14, pp.560- 561

Iain Ramsay, op. cit., pp. 162- 163 (٢)

مستهدفاً بذلك هدفين أولهما تعويض المجني عليهم عما أصابهم من خسائر. وثانيهما ردع المخالفين لتصوصه بعقوبة جنائية مناسبة وخاصة أن هذا القانون جرم أعمال عصابات الباقية البيضاء الذين يرتكبون هذا النوع من الجرائم لاسيما بعد أن بلغ هؤلاء المجرمون من البراعة في فن التدليس درجة عالية في اجتذاب كبار رجال الأعمال إلى الاشتراك معهم في جرائمهم التي أصبحت تتصف بصعوبة التحقيق فيها والكشف عنها.

لذلك تتطلب هذه الجرائم رجال قانون ذوي تدريب خاص على هذا النوع من الجرائم ولكن المسؤولين لا يلجئون إلى خبراء القانون والاستشارة بأرائهم في معالجة هذا النوع من القضايا فانتهز المجرمون هذا الموقف من المسؤولين واستفادوا هم بخبرة رجال القانون في توسيع نشاطهم.

وقد أوصى مركز حماية المستهلك في واشنطن بضرورة تخصيص إدارة للتحقيق ومقاضاة القضايا التي من هذا النوع نظراً لخطورتها وخطورة مرتكبيها^(١)»^(٢).

من ضروب الغش في التجارة

١ - التدليس :

«التدليس هو: أن يخدع أحد العاقدين الآخر بأن يزين له شيئاً في المعقود عليه - على أنه ليس موجوداً حقيقة - بوسيلة موهمة: قولية أو فعلية، تحمله على الرضا في العقد بما لم يكن ليرضى به لولاها، أو بأن يعمد إلى إخفاء العيب فيكتمه

Clarey RL, Prosecution of Consumer Fraud, Article, Criminal Law Bulletin, Vol. (١) 14, No 3, U.S.A, 1978

(٢) جرائم الغش التجاري والصناعي (ص ٢٩٦-٢٩٨).

ولا يبينه .

أو هو بتعبير آخر: حمل الغير على التصرف الضار بماله أو بنفسه بإرادته واختياره، بتزيين هذا التصرف له وإقناعه به»^(١).

قال اليحوردي: التليس «صدور فعل عنه أوجب الضرر عليه بواسطة انخداعه عن الآخر»^(٢).

أنواع التليس:

١- التليس باستعمال طرق احتيالية: «وهذا ما يسمى بالتليس الفعلي، ذلك أنه يقع بفعل من العاقد يقصد به إلى تضليل العاقد الآخر في حقيقة المعقود عليه ويدفعه بذلك إلى التعاقد بغبن ولو كان يسيراً، وذلك كأن يصبغ الثوب القديم ليظهره جديداً، أو كأن يلطخ ثوب العبد بالسواد ليوهم أنه كاتب، أو كأن تحبس مياه الرحي والقني تحيلاً لكثرتها، أو كأن يسود شعر الجارية لإخفاء بياضه أو يجعله لإخفاء سبطه، أو يحمر وجهها لتغطية صفرتها فتبدو الجارية أجمل مما هي ليزيد في ثمنها، أو كأن يصري الإبل والبقر والغنم ليتفخضرعها فيتوهم المبتاع أنها كثيرة اللبن»^(٣).

٢- التليس عن طريق مجرد الكذب (التليس القولى):

أ- بيعات الأمانة: «حدد الفقه الإسلامى منطقة حراماً يفرض فيها على الناس الأمانة في التعامل إلى أبعد مدى، ولا يسمح فيها بأي غش، حتى إنه ليجعل مجرد الكذب فيه خيانة وتليساً، وهذه ما تسمى ببيعات الأمانة فيفسح فيها الفقه الإسلامى السبيل لمن قلّت خبرته في التعامل أو في ضرب يقدم عليه من ضروبه - أن يتوقى غش الناس إياه بأن يتبايع معهم على حدود مرسومة فتعتبر مجاوزة هذه

(١) الضرر في الفقه الإسلامى (١/٢٠٠-٢٠١).

(٢) القواعد الفقهية لليحوردي (١/٢٢٥) بواسطة المرجع السابق (١/٢٠١).

(٣) الضرر في الفقه الإسلامى (١/٢٠٥) - دار ابن عفان.

الحدود خديعة وتغريباً- وهكذا يتقدم الفقه الإسلامي لمعونة من هو في حاجة إلى الحماية يدفع عنه الأذى ويرفع عنه الغبن»^(١).

وجملة القول في بیاعات الأمانة هذه: «أن المبتاع وهو يحتكم إلى ضمير البائع ويطمئن إلى أمانته يبتاع منه السلعة على أساس الثمن الذي اشترى به البائع نفسه هذه السلعة فإما أن يزيده فيها قدرًا معلومًا من الربح يضاف إلى الثمن الأصلي ويسمى البيع مرابحة، وإما أن ينقصه قدرًا معلومًا يطرح منه الثمن الأصلي ويسمى وضیعة، وإما ألا يزيد ولا ينقص بل يشتري السلعة بمثل ثمنها الأصلي ويسمى البيع تولیة إذا أخذ المشتري كل السلعة، أو إشراكًا إذا أخذ جزءًا منها بما يقابله من الثمن.

وعلى هذا فلو باع إنسان شيئًا بربح معين على رأس ماله المبین وكذب في بيان رأس المال فقال إنه عشرة- مثلاً- وهو في الواقع أقل، فهذا من البائع خيانة قد خلب بها المشتري ليستخلص منه ربحًا أكثر مما اتفقا عليه»^(٢).

ب- بيع الاسترسال^(٣): «وإلى جانب بیاعات الأمانة- وفي نفس المنطقة التي تسود فيها نزاهة التعامل- يعرف الفقهاء: المالكي، والحنبلي بيعةً آخر هو بيع المسترسل أو المستأمن، وفيه يكشف العاقد عن خبيثة نفسه ويبيّن أنه لا دراية له فيما هو بسبيله من التعامل، وأنه يستأمن من التعامل معه ويستنصحه ويسترسل- يستسلم- إلى نصحه ويطلب إليه أن يبيع منه أو يشتري بما تباع الناس أو تشتري به، فالأساس هنا ليس هو الثمن الأصلي كما في بیاعات الأمانة بل هو سعر السوق، فإذا لم يصدقه المتعامل معه ولم يكشف له عن حقيقة سعر السوق بل كذب عليه في ذلك وغبنه فإن هذا الكذب وحده يعتبر غشًا وتدليسًا»^(٤).

(١) مصادر الحق في الفقه الإسلامي (٢/١٥٤)

(٢) الضرر في الفقه الإسلامي (١/٢٠٨).

(٣) سيأتي شرحه.

(٤) مصادر الحق في الفقه الإسلامي (٢/١٦٢).

ج- التدليس القولي في التعامل بالماكسة والمساومة ونحو ذلك :

«يضع الفقهاء إلى جانب التدليس الفعلي التدليس القولي ، فالتدليس الفعلي يكون بالفعل كما تقدم ، والتدليس القولي يكون بالقول أي بمجرد الكذب ، ويكون بالإضافة إلى ما سبق في التعامل بالماكسة والمساومة ونحو ذلك ، فمتى كان الكذب من شأن التدليس على المتعاقد وإلحاق الغبن الفاحش به فإنه ينظر إلى هذا في الفقه الإسلامي على أنه ضرر معتبر يجب رفعه إما بإثبات الخيار للمغرور (المغبون) ، وإما بضمان ما تولد عن ذلك»^(١).

٣- التدليس عن طريق محض الكتمان :

«يكون محض الكتمان - وهو عمل سلبي محض - تدليسًا في الفقه الإسلامي ، وأظهر ما يكون ذلك إذا عمد البائع إلى إخفاء العيب في المبيع بأن كتمه عن المشتري ولم يبينه»^(٢).

«إن المذاهب الأربعة تنظر إلى التدليس بكتمان العيب على أنه ضرر معتبر وتقضي برفعه عن طريق إثبات الخيار للمشتري»^(٣).

٤- التدليس الصادر من الغير :

«يعتد الفقه الإسلامي بالتدليس الصادر عن الغير وينظر إلى ذلك على أنه ضرر معتبر مادام هذا الغير متواطئًا مع العاقد الذي يفيد من التدليس .

فمن ذلك : الناجش فهو رجل يتواطأ مع صاحب السلعة يبيعها في المزايدة حتى يبلغها أكثر من قيمتها ، وعلى هذا فإنه يكون المشتري الذي اشترى السلعة بأكثر من قيمتها قد دلس عليه ، والمدلس ليس هو البائع بل هو أجنبي متواطئ مع

(١) الضرر في الفقه الإسلامي (٢١١/١) بتصرف .

(٢) المرجع السابق (٢١٤/١) .

(٣) المرجع السابق (٢١٨/١) بتصرف .

البائع وهو الناجش»^(١).

٢- التطفيف وغش الكيل والميزان:

«التطفيف لغة: مصدر قولهم: طفف الكيل يطففه وهو مأخوذ من مادة (ط ف ف) التي تدور حول معنى القلة.

يقول ابن فارس: الطاء والفاء (المضعفة) يدل على قلة الشيء ومن ذلك قولهم، هذا شيء طفيف (قليل). والتطفيف: نقص الكيل والميزان»^(٢).

قال القرطبي: «التطفيف: تقليل الحق بنقصانه في كيل أو وزن وقيل: نقص المكيال وهو ألا تملأه إلى أحباره (أي جوانبه)»^(٣).

وقال الطبري: «هو نقصان الناس وبخسهم حقوقهم في مكاييلهم إذا كالوهم أو في موازينهم إذا وزنوا لهم عن الواجب لهم من الوفاء»^(٤).

التطفيف اصطلاحًا:

- قال الراغب: «طفف الكيل: قلل نصيب المكيل له في إيفائه واستيفائه، ومن ثم يكون التطفيف: تقليل نصيب المكيل له في الإيفاء والاستيفاء»^(٥).

- وقال المناوي: «التطفيف: التقليل ومنه تطفيف الميزان والمكيال ولا يستعمل إلا في الإيجاب، فلا يقال: ما طفف»^(٦).

«ويستنبط مما جاء به القرآن الكريم أن التطفيف: هو الاستيفاء من الناس عند الكيل أو الوزن والإنقاص والإخسار عند الكيل أو الوزن لهم، ويلحق بالوزن

(١) الضرر في الفقه الإسلامي (١/٢١٨).

(٢) نضرة النعيم (٩/٤١٨٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٠/٣٨٣).

(٤) تفسير الطبري (١٩/١٦٥).

(٥) المفردات، للراغب الأصفهاني (٣١٤).

(٦) التوقيف (٩٩-١٠٠).

والكيل ما أشبهها من المقاييس والمعايير التي يتعامل بها الناس»^(١).

حكم التطفيف:

«عد ابن حجر التطفيف من الكبائر وجعله شاملاً للبخس؛ نحو الكيل أو الوزن أو الذرع، وذلك لأنه من أكل أموال الناس بالباطل؛ ولهذا اشتد الوعيد عليه كما علمته من الآية والأحاديث، وأيضاً فإنما سمي مطففاً لأنه لا يكاد يأخذ إلا الشيء الطفيف، وذلك ضرب من السرقة والخيانة مع ما فيه من الإنباء عن عدم الأنفة والمروءة بالكلية ومن ثم عوقب بالويل الذي هو شدة العذاب، وأيضاً فقد شدد الله تعالى عقوبة قوم شعيب - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - على بخسهم المكيال والميزان»^(٢).

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه؛ قال: «لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فكانوا من أخبث الناس كيلاً؛ فأنزل الله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾؛ فحسنوا الكيل بعد ذلك»^(٣).

قال الإمام الذهبي رحمته الله في الكبائر:

«قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ (١) الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦)»، وذلك ضرب من السرقة والخيانة، وأكل المال بالباطل»^(٧).

وقال القرطبي رحمته الله:

«﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾^(٦): «فيدخل في هذا القمار والخداع والغصب وجحد الحقوق وما لا تطيب به نفس مالكة... إلخ»^(٧).

(١) موسوعة نضرة النعيم (٩/٤١٨٤).

(٢) المرجع السابق (٩/٤١٨٤).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٢٢٣)، وابن حبان (١٧٧٠-موارد)، والحاكم (٢/٣٣) بإسناد حسن.

(٤) سورة المطففين، الآية ١-٦.

(٥) الكبائر - الكبيرة السابعة والستون - المطفف في وزنه وكيله.

(٦) البقرة آية ١٨٨.

(٧) تفسير القرطبي (٢/٣٣٨).

وقال الإمام الطبري رحمه الله :

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّينَ﴾ : «يقول تعالى ذكره: الوادي الذي يسيل من صديد أهل جهنم في أسفلها للذين يطففون، يعني للذين ينقصون الناس ويبخسونهم حقوقهم في مكييلهم إذا كالوهم أو موازينهم إذا وزنوا لهم عن الواجب لهم من الوفاء، وأصل ذلك من الشيء الطفيف وهو القليل النزر، والمطفف المقلل حق صاحب الحق عما له من الوفاء والتمام في كيل أو وزن»^(١).

قال الفقيه ابن حجر الهيثمي :

«قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّينَ﴾ أي: الذين يزيدون لأنفسهم من أموال الناس ببخس الكيل أو الوزن، ولذا فسرههم بأنهم ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ أي: منهم لأنفسهم ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾ حقوقهم منهم ولم يذكر الوزن هنا اكتفاءً عنه بالكيل؛ إذ كل منهم يستعمل في مكان الآخر غالباً. ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ﴾ أي: إذا اكتالوهم أو وزنوا لهم من أموال أنفسهم ﴿يُخْسِرُونَ﴾ أي: ينقصون. ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ﴾، الذين يفعلون ذلك ﴿أَنَّهُمْ مَّبْعُوثُونَ﴾ ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: هوله وعذابه. ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّهِمُ الْآلَمِينَ﴾ أي: من قبورهم حفاة عراة غرلاً ثم يحشرون. فمنهم الراكب بجانب أسرع من البرق، ومنهم الماشي على رجليه، ومنهم المنكبّ والساقط على وجهه تارة، وتارة يمشي، وتارة يزحف، وتارة يتخبط كالبعير الهائم، ومنهم الذي يمشي على وجهه، وكل ذلك بحسب الأعمال إلى أن يقفوا بين يدي ربهم ليحاسبهم على ما سلف من أعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. قال السدي: سبب نزول هذه الآية أنه ﷺ لما قدم المدينة كان بها رجل يقال له أبو جهينة له مكيالان يكيل بأحدهما ويكتال الآخر، فأنزل الله تعالى الآية»^(٢).

(١) تفسير الطبري (٧/٤٧٨).

(٢) «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (١/٢٤٤-٢٤٥).

قال الإمام أبو حيان الأندلسي رحمه الله :

«التطيف: النقصان، وأصله من الطفيف وهو النزر الحقيق. والمطفف: الآخذ في وزن أو كيل طفيفاً، أي شيئاً حقيراً خفياً، وإن غطي وغشي كالصدأ يغشي السيف».

وقال رحمه الله : «لما ذكر الله تعالى السعداء والأشقياء ويوم الجزاء وعظم شأن يومه، ذكر ما أعد لبعض العصاة وذكرهم بأخس ما يقع من المعصية وهي التطفيف الذي لا يكاد يجدي في تثمير المال وتنميته»^(١).

قال الإمام البغوي رحمه الله :

«باب تحريم الغش في البيع: قال الله تعالى : ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾^(٢)، وقال - جل ذكره - : ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّينَ﴾^(٣)، وقال الله تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾^(٤)، قيل: أراد لسان الميزان»^(٤).

«من مضار التطفيف:

- ١- سبب لسخط الجبار وولوج النار.
- ٢- يعاقب الله عليه في الدنيا بالقحط والجذب وجور السلطان.
- ٣- دليل على شح النفس وتعلق القلب بالكسب الخبيث.
- ٤- الأمة التي يفسو فيها هذا الداء آيلة إلى الذل والهوان.
- ٥- الكيل والوزن أمانة، فمن طفف فقد خان.
- ٦- يعد صاحبها - بين الناس - غير أمين، ويكون محترقاً في المجتمع.

(١) البحر المحيط (١٠/٤٢٥-٤٢٦).

(٢) سورة الأعراف: (آية ٨٥).

(٣) سورة الرحمن: (آية ٩).

(٤) شرح السنة (٨/١٦٥).

٧- يتسبب في إفساد العلاقات بين أفراد المجتمع .

٨- يكون المطفف قدوة سيئة لمن يتبعه في هذا الأمر، ولذلك فهو يتحمل وزرهم معهم»^(١) .

٣- الغبن :

- معنى الغبن :

«الغبن في اللغة: الغلب والخدع والنقص»^(٢) .

قال الكفوي: «الغبن بالموحدة الساكنة يستعمل في الأموال، وبالمتحركة في الآراء»^(٣) .

وقال ابن السكيت: «وأكثر ما يستعمل في الشراء والبيع بالفتح، وفي الرأي بالإسكان»^(٤) .

وفي الاصطلاح: قال الحطاب «الغبن عبارة عن بيع السلعة بأكثر مما جرت العادة أن الناس لا يتغابنون بمثله إذا اشتراها كذلك»^(٥) «^(٦) .

- أنواع الغبن :

«ذهب الفقهاء إلى أن الغبن نوعان: غبن يسير وغبن فاحش .

وللفقهاء في تحديد كل من الغبن الفاحش واليسير أقوال :

فذهب الحنفية إلى أن اليسير: ما يدخل تحت تقويم المقومين، لأن القيمة

(١) موسوعة نضرة النعيم (٩/٤١٨٩) .

(٢) تحرير ألفاظ التنبيه، للنووي (ص١٨٦) - ط دار القلم، وانظر: المصباح المنير .

(٣) الكلبيات، لأبي البقاء الكفوي (٣/٣١٠) .

(٤) تحرير ألفاظ التنبيه (ص١٨٦) .

(٥) مواهب الجليل (٤/٤٦٨-٤٦٩)، والبهجة شرح التحفة (٢/١٠٦) .

(٦) الموسوعة الفقهية الكويتية (٣١/١٣٨) .

تعرف بالحزر والظن بعد الاجتهاد، فيعذر فيما يشتهه، لأنه يسير لا يمكن الاحتراز عنه، ولا يعذر فيما لا يشتهه لفحشه، ولإمكان الاحتراز عنه، لأنه لا يقع في مثله عادة إلا عمدًا.

وقيل: حد الفاحش في العروض نصف عشر القيمة، وفي الحيوان عشر القيمة، وفي العقار خمس القيمة، وفي الدرهم ربع عشر القيمة؛ لأن الغبن يحصل بقله الممارسة في التصرف، والصحيح الأول.

هذا كله إذا كان سعره غير معروف بين الناس، ويحتاج فيه إلى تقويم المقومين، وأما إذا كان معروفًا كالخبز واللحم والموز لا يعفى فيه الغبن وإن قل وإن كان فلسًا^(١).

وذهب المالكية إلى أن الغبن عبارة عن بيع السلعة بأكثر مما جرت العادة أن الناس لا يتغابنون بمثله، وهي الزيادة على الثلث، وقيل: الثلث. وأما ما جرت به العادة فلا يوجب الرد باتفاق^(٢).

وقال الشافعية: الغبن اليسير هو ما يحتمل غالبًا فيغتفر فيه، والغبن الفاحش هو ما لا يحتمل غالبًا، والمرجع في ذلك عرف بلد البيع والعادة^(٣).

وقال الحنابلة: يرجع في الغبن إلى العرف والعادة، وهو الصحيح من المذهب، نص عليه، وهو قول جماهير الأصحاب.

وقيل: يقدر الغبن بالثلث^(٤). وهو اختيار أبي بكر، وجزم به في الإرشاد.

ونقل المرداوي عن المستوعب المنصوص أن الغبن المثبت للفسخ ما لا

(١) تبين الحقائق (٤/٢٧٢)، والبحر (٧/١٦٩).

(٢) مواهب الجليل (٤/٤٧٢)، والدسوقي (٣/١٤٠).

(٣) مغني المحتاج (٢/٢٢٤)، والجمل (٣/٤٠٨، ٤٠٩).

(٤) تقدير (الثلث) لا دليل عليه، وإنما الأثر متعلق بكيفية الغبن، استجهالًا وتغيريًا، و... و...

يتغابن الناس بمثله، وحده أصحابنا بقدر ثلث قيمة المبيع^(١)»^(٢).

- مسألة خيار الغبن^(٣) في البيع والشراء :

«المسترسل : هو المنقاد مع غيره المطمئن إلى قوله، هذا في اللغة.

وفي الاصطلاح : من جهل القيمة ولم يحسن المماكسة، والمماكسة هي : المحاصصة في الثمن، وهي التي تعرف عندنا بالمكاسرة، فإذا أتى إلى صاحب الدكان وقال : بكم هذه الحاجة؟ قال : بعشرة ريالات، وهو رجلٌ يجهل القيمة ولا يُحسن أن يماكس فأخذها بعشرة، فلما عرضها على الناس قالوا : هذه بخمسة ريالات. قال : ما علمت، فنسمي هذا مسترسلاً، له الخيار؛ لأنه إذا كانت قيمة الشيء بخمسة واشتراها بعشرة، فهذا غبن يخرج عن العادة، فله الخيار. فإن كان يعلم القيمة ويدري أن قيمتها خمسة، ولكنه أخذها بعشرة تطيباً لقلب البائع كما يعملها بعض الناس مثلاً إذا وجد رجلاً فقيراً عنده بسطة صغيرة قال : بكم هذه يا فلان، قال : بعشرة؟! وهو يعلم أنها بخمسة، فأخذها بعشرة، فلا يكون مسترسلاً؛ لأنه يعلم القيمة»^(٤).

«الغبن قد يكون بالنسبة للبائع، كأن يبيع ما يساوي خمسة بثلاثة. وقد يكون بالنسبة للمشتري، كأن يشتري ما قيمته ثلاثة بخمسة. فإذا باع الإنسان أو اشترى وغبن كان له الخيار في الرجوع في البيع وفسخ العقد، بشرط أن يكون جاهلاً ثمن السلعة ولا يحسن المماكسة، لأنه يكون حينئذٍ مشتتلاً على الخداع الذي يجب أن يتنزه عنه المسلم. فإذا حدث هذا كان له الخيار بين إمضاء العقد أو إلغائه.

ولكن هل يثبت الخيار بمجرد الغبن؟ قيده بعض العلماء بالغبن الفاحش،

(١) الإنصاف (٤/٣٩٤).

(٢) الموسوعة الفقهية (٣١/١٣٩-١٤٠).

(٣) ويسمى بالمسترسل.

(٤) الشرح الممتع على زاد المستنقع، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (٣/٦٤٠).

وقيده بعضهم بأن يبلغ ثلث القيمة، وقيده البعض بمجرد الغبن . وإنما ذهبوا إلى هذا التقييد لأن البيع لا يكاد يسلم من مطلق الغبن، ولأن القليل يمكن أن يتسامح به في العادة .

وأولى هذه الآراء أن الغبن يقيد بالعرف والعادة . فما اعتبره العرف والعادة غبنًا ثبت فيه الخيار، وما لم يعتبره لا يثبت فيه . وهذا مذهب أحمد ومالك، وقد استدلاً عليه بما رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: ذكر رجل - اسمه حبان بن منقذ - للنبي ﷺ أنه يُخدع في البيوع، فقال: «إذا بايعت فقل: لا خلابة»^(١).

زاد ابن إسحاق في رواية يونس بن بكير وعبد الأعلى عنه: «ثم أنت بالخيار في كل سلعة ابتعتها ثلاث ليال، فإن رضيت فأمسك، وإن سخطت فاردد». فبقي ذلك الرجل حتى أدرك عثمان وهو ابن مائة وثلاثين سنة، فكثر الناس في زمن عثمان، فكان إذا اشترى شيئًا، فقليل له: إنك غبنت فيه، رجع، فيشهد له رجل من الصحابة بأن النبي ﷺ قد جعله بالخيار ثلاثًا، فتردد له دراهمه .

وذهب الجمهور من العلماء إلى أنه لا يثبت الخيار بالغبن لعموم أدلة البيع ونفوذه من غير تفرقة بين ما فيه غبن وغيره . وأجابوا عن الحديث المذكور: بأن الرجل كان ضعيف العقل . وإن كان ضعفه لم يخرج به عن هذا التمييز، فيكون تصرفه مثل تصرف الصغير المميز المأذون له بالتجارة، فيثبت له الخيار مع الغبن، لأن الرسول ﷺ لقنه أن يقول: لا خلابة أي عدم الخداع، فكان يبعه وشراؤه مشروطين بعدم الخداع، فيكون من باب خيار الشرط .

ومن صور الغبن تلقي الجلب، وهو أن يقدم ركب التجارة بتجارة فيلقاه رجل قبل دخولهم البلد .

فمن أبي هريرة أن النبي ﷺ نهى عن تلقي الجلب، وقال: «لا تلقوا الجلب

(١) تقدم تخريجه .

فمن تلقاه فاشترى منه ، فإذا أتى السوق فهو بالخيار»^(١) . وهذا المعنى للتحريم عند أكثر العلماء^(٢) .

٤- النجش :

قال الإمام الشافعي رحمته الله : «النجش : أن تحضر الرجل السلعة تباع فيعطي بها الشيء وهو لا يريد شراءها ليقندي به السوأم فيعطون بها أكثر مما كانوا يعطون لو لم يسمعوا سومه»^(٣) .

وقال الإمام الترمذي : «النجش : هو أن يأتي الرجل الذي يفصل السلعة إلى صاحب السلعة فيستام بأكثر مما تسوى ، وذلك عندما يحضره المشتري ، يريد أن يغتر المشتري به (أي بما قاله ثمنًا للسلعة) ، وليس من رأيه الشراء ، وإنما يريد أن يخدع المشتري بما يستام»^(٤) .

وقال الإمام ابن حزم : «ولا يحل النجش وهو أن يريد البيع فينتدب إنسانًا للزيادة في البيع وهو لا يريد الشراء ، ولكن ليغتر غيره فيزيد بزيادته ، فهذا بيع إذا وقع بزيادة على القيمة فللمشتري الخيار ، وإنما العاصي والمنهي هو الناجش ، وكذلك رضا البائع إن رضي بذلك والبيع غير النجش وغير الرضا بالنجش ، وإذا هو غيره ولم يأت نهى قط عن البيع الذي ينجش ، بل قال الله تعالى : ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾^(٥) ، وروينا من طريق مالك عن نافع عن ابن عمر قال : «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النجش» ومن طريق عبد الرزاق بن عياش عن عبيد بن مهاجر قال : بعث عمر بن عبد العزيز عبيد بن مسلم السبي ، فلما فرغ أتى عمر فقال له : إن البيع كان كاسدًا لولا أنني كنت أزيد عليهم وأنفقته ، فقال له عمر : كنت تزيد عليهم ولا تريد

(١) أخرجه مسلم (١٥١٩) وغيره . وانظر : «إرواء الغليل» لشيخنا رحمته الله برقم (١٣١٧) .

(٢) انظر : فقه السنة لسيد سابق رحمته الله (٢/ ١٧٠-١٧١) .

(٣) فتح الباري (٤/ ٤١٧) .

(٤) سنن الترمذي (٣/ ٥٨٨) .

(٥) سورة البقرة : (آية ٢٧٥) .

أن تشتري؟ قال: نعم. فقال عمر: هذا نجش، والنجش لا يحل، ابعث منادياً ينادي أن البيع مردود وأن النجش لا يحل»^(١).

وقال الإمام النووي رحمته الله: «يحرم النجش وهو أن يزيد في ثمن السلعة المعروضة للبيع وهو غير راغب فيها ليغير غيره، فإن اغتر به إنسان فاشتراها صح البيع، ثم لا خيار له إن لم يكن الذي فعله الناجش بمواطأة من البائع، وإن كان فلا خيار أيضاً على الأصح. ولو قال البائع أعطيت بهذه السلعة كذا فصدقه واشتراه فبان خلافه قال ابن الصباغ في ثبوت الخيار الوجهان. واعلم أن الشافعي رحمته الله أطلق القول بتعصية الناجش وشرط في تعصية البائع على بيع أخيه أن يكون عالماً بالنهي. قال الأصحاب: السبب فيه أن النجش خديعة وتحريم الخديعة واضح لكل واحد معلوم من الألفاظ العامة، وإن لم يعلم هذا الحديث والبيع على بيع أخيه إنما عرف تحريمه من الخبر الوارد فيه فلا يعرفه من لا يعرف هذا الخبر، قال الرافعي: ولك أن تقول البيع على بيع أخيه إضراراً أيضاً وتحريم الإضرار معلوم من الألفاظ العامة، والوجه تخصيص التعصية بمن عرف التحريم بعموم أو خصوص»^(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «إذا اتفق أهل السوق على ألا يزايدوا في سلع هم محتاجون لها ليبيعها صاحبها بدون قيمتها ويتقاسمونها بينهم، فإن هذا قد يضر صاحبها أكثر مما يضر تلقي السلع إذا باعها مساومة، فإن ذلك فيه من بخس الناس ما لا يخفى»^(٣).

وقال الإمام ابن حجر: «النجش: هو الزيادة في ثمن السلعة ممن لا يريد شراءها ليقع غيرها فيها، وقد سمي تاجشاً لأن الناجش يثير الرغبة في السلعة ويقع ذلك بمواطأة البائع، فيشتركان في الإثم»^(٤).

(١) المحلى لابن حزم (٨/٤٤٨-٤٤٩).

(٢) روضة الطالبين (٣/٤١٤-٤١٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٩/٣٠٤).

(٤) فتح الباري (٤/٤١٦).

وقال ابن الأخوة: «النجش: هو أن يزيد في ثمن السلعة ولا يريد الشراء ليغير غيره، وهذا حرام»^(١).

وقال أبو الطيب شمس الحق العظيم آبادي:

«بفتح النون وسكون الجيم بعدها شين معجمة.

«لا تناجشوا» بحذف إحدى التاءين. قال الخطابي: النجش أن يرى الرجل السلع تباع فيزيد في ثمنها وهو لا يريد شراءها، وإنما يريد بذلك ترغيب السوام فيها ليزيدوا في الثمن، وفيه غرر للراغب فيها وترك لنصيحته التي هو مأمور بها»^(٢).

«فالضابط هو: أن يزيد وهو لا يريد الشراء، وإنما يريد غرضاً آخر، فإذا غبن المشتري بسبب هذه الزيادة غبناً تخرج عن العادة فإن له الخيار.

والنجش محرّم؛ لأن النبي ﷺ نهى عنه فقال: «لا تناجشوا»، ولأنه يورث العداوة والبغضاء بين المسلمين؛ لأنه إذا علم أن هذا ينجش من أجل الإضرار بالمشتريين كرهوه وبغضوه، ثم عند الفسخ في الغبن ربما لا يرضى البائع بالفسخ، فيحصل بينه وبين المشتري عداوة أيضاً»^(٣).

«ومن المناجشة- وهي نوع من الاسترسال- أن يقول البائع للمشتري: أعطيت في السلعة كذا وهو يكذب، والمشتري سوف يقول: إذا كانت سميت بمائتين فسأشتريه بمائتين وعشرة، وفعلاً اشتراه بمائتين وعشرة، وتبين أن قيمتها مائة وخمسون، فإن له الخيار؛ لأنه غبن على وجه يشبه النجش.

ومن ذلك أيضاً إذا قال: اشتريتها بمائة وهو كاذب، اشتراها بخمسين، فأخذها المشتري بمائة وخمسة ليربح ذاك خمسة ريالاً، وتبين أنه اشتراها

(١) معالم القرية (ص ١٣١-١٣٢).

(٢) انظر عون المعبود (٩/٣٠٤).

(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٣/٦٤٠)- المكتبة الإسلامية- القاهرة.

بخمسين ، فإنه له الخيار ؛ لأن هذا من النجش ؛ لأنه استثار المشتري حتى اشتراها بأكثر من ثمنها»^(١) .

صور التناجش :

«للتناجش (النجش) صور عديدة ، أهمها :

الأول : أن يشترك الناجش والبائع للسلعة في خداع المشتري بأن يتواطأ كلاهما على ذلك .

الثانية : أن يقع الإغراء بدون علم البائع بأن يتطوع الناجش من تلقاء نفسه برفع ثمن السلعة .

الثالثة : انفراد البائع بعملية الإغراء بأن يزعم أنه اشترى بأكثر مما اشتراها به ، وربما حلف على ذلك ليغر المشتري ، وقد يقع ذلك منه بأن يخبر بأنه أعطي في السلعة ما لم يُعط .

الرابعة : أن يأتي شخص إلى ولي أمر فتاة وقد حضر من يخطبها ، فيذكر مهرًا أعلى ليغر الخاطب بذلك أو يذمها .

الخامسة : أن يمدح شخص سلعة ما كي تباع أو يذمها كي لا تنفق على صاحبها ، وذلك كما في الإعلانات المغرضة والتي لا تتفق مع الواقع»^(٢) .

مضار التناجش :

«١- التناجش (النجش) نوع من الخديعة والمكر، يورث صاحبه جهنم وساءت مصيرًا .

٢- التناجش يغضب الله ﷻ ، ويبوء الناجش بسخط الجبار وسخط الناس

(١) المرجع السابق (٣/٦٤١) .

(٢) نضرة النعيم (٩/٤٢٥٨) .

وبغضهم له .

٣- التناجش يفقد الثقة بين البائع والمشتري ، ويجلب ذلك بوار تجارة من يعرف عنه ذلك .

٤- التناجش أكل لأموال الناس بالباطل .

٥- المتناجشون لا يكلمهم الله ﷻ ولا ينظر إليهم يوم القيامة .

٦- الناجش مكروه من الناس وينفرون منه ويبغضونه بقلوبهم .

٧- شيوع هذه الصفة الذميمة في مجتمع من المجتمعات يؤدي إلى تقويض قوته الاقتصادية لعدم الثقة وانعدام الأمانة»^(١) .

٥- الغرر :

والأصل في ذلك أن رسول الله ﷺ «نهى عن بيع الغرر»^(٢) .

«والغرر هو ما طوي علمه وخفي باطنه وسره، وهو مأخوذ من قولهم : طويت الثوب على غرّه، أي على كسره الأول، وكل بيع كان المقصود منه مجهولاً غير معلوم ومعجزاً عنه غير مقدور عليه فهو غرر، وإنما نهى النبي ﷺ عن هذه البيوع تحصيئاً للأموال أن تضيع ، وقطعاً للخصومة والنزاع أن يقع بين الناس»^(٣) .

قال السرخسي : «الغرر : ما يكون مستور العاقبة»^(٤) .

وقال القرافي : «أصل الغرر : هو الذي لا يدري هل تحصل أم لا ؛ كالطير في الهواء والسماك في الماء»^(٥) .

(١) نضرة النعيم (٩/٤٢٦٤) .

(٢) في حديث تقدم تخريجه .

(٣) معالم السنن للخطابي (٥/٤٧) - مكتبة السنة المحمدية - القاهرة .

(٤) المبسوط للسرخسي (١٢/١٩٤) دار المعرفة .

(٥) الفروق للقرافي (٣/٢٦٥) عالم الكتب .

وقال الجرجاني: «الغرر ما يكون مجهول العاقبة، لا يدرى أيكون أم لا؟»^(١).

وقال الشيرازي: الغرر ما انطوي عنه أمره وخفي عليه عاقبته»^(٢).

وقال الإسنوي: «الغرر ما تردد بين شيئين أغلبهما أخوفهما»^(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الغرر هو المجهول العاقبة»^(٤).

وقال شيخ الإسلام الثاني ابن قيم الجوزية: «هو ما لا يقدر على تسليمه، سواء أكان موجوداً أم معدوماً؛ كبيع الآبق، والبيعير الشارد إن كان موجوداً»^(٥).

«والحاصل من كل هذه التعريفات: أن بيع الغرر بيع يتضمن خطراً يلحق أحد المتعاقدين فيؤدي إلى ضياع ماله ذلك أنه يبيع ما لا يعلم وجوده وعدمه أو لا تعلم قلته وكثرته، أو لا يقدر على تسليمه، وهكذا، فإن هذه التعريفات تتكامل فيما بينها لتؤدي معنى الغرر على نحو جامع لكل صورة وليست تتعارض، بل بعضها قريب من بعض ومتمم له»^(٦).

والغرر يوجد في المبيعات «من جهة الجهل بتعيين المعقود عليه، أو تعيين العقد، أو من جهة الجهل بوصف الثمن أو المثلون (المبيع)، أو بقدره أو بأجله إن كان هناك أجل، وإما من جهة الجهل بوجوده أو لعذر القدرة عليه، وإما من جهة الجهل بسلامته أعني بقاءه»^(٧).

قال الله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً

(١) التعريفات، للجرجاني.

(٢) المهذب مع المجموع للنووي (٢٥٧/٩) - دار الفكر.

(٣) نهاية السؤل شرح منهاج الوصول - للإسنوي (٨٩/٢) - دار الكتب العلمية.

(٤) الفتاوى لابن تيمية (٢٧٥/٣).

(٥) إعلام الموقعين لابن القيم (٢٨/٢) - مكتبة شقرون.

(٦) الضرر في الفقه الإسلامي (١٩٢/١).

(٧) بداية المجتهد لابن رشد (١٦٩/٢) - مكتبة الكليات الأزهرية.

عَنْ تَرَاوِضٍ مِنْكُمْ^(١). «فمعناه: تجارة لا غرر فيها ولا مخاطرة؛ لأن الغرر يفضي إلى النزاع ووقوع الضرر، وعلى هذا فإنه لا يصح البيع إلا أن يكون سالمًا من الغرر، لكنه لما كان نفي جميع أنواع الغرر (الجهالة) بصورة كاملة أمرًا مستحيلًا على المتبايعين، ضبط العلماء الغرر الممنوع منه بالكثير الفاحش لا القليل الحقير»^(٢).

قال ابن رشد: «فلا يصح البيع إلا أن يكون سالمًا من الغرر الكثير؛ لأن الغرر اليسير الذي لا تنفك البيوع منه مستخف مستجاز فيها»^(٣).

«إن العلماء اتجهوا - مستأنسين بقواعد الشريعة - إلى التفرقة بين الغرر المفسد للعقود (وهو المقصود في أحاديث النهي) والغرر المتسامح فيه تطبيقًا لقواعد الشريعة في رفع الحرج وإلغاء الضرر، وذلك في إطار من هذه الضوابط الثلاثة بحيث إذا وجدت في المعاملة المتضمنة شيئًا من الغرر لم يكن الغرر فيها من النوع المفسد للعقود، وهذه الضوابط الثلاثة هي:

١- أن يكون الغرر حقيرًا صغيرًا.

٢- وأن تدعو حاجة الناس إلى المعاملة.

٣- وألا يمكن الاحتراز عن الغرر إلا بمشقة معتبرة»^(٤).

قال الإمام النووي: «الأصل أن بيع الغرر باطل...، والمراد: ما كان فيه غرر ظاهر يمكن الاحتراز عنه، فأما ما تدعو الحاجة إليه ولا يمكن الاحتراز عنه؛ كأساس الدار وشراء الحامل مع احتمال أن الحمل واحد أو أكثر وذكر أو أنثى وكامل الأعضاء أو ناقصها، وكشراء الشاة في ضرعها لبن، ونحو ذلك، فهذا

(١) سورة النساء: (آية ٢٩).

(٢) الضرر في الفقه الإسلامي (١/١٩٤).

(٣) مقدمات ابن رشد مع المدونة (١/١٩٢).

(٤) الضرر في الفقه الإسلامي (١/١٩٤-١٩٥).

يصح بيعه بالإجماع .

ونقل العلماء الإجماع- أيضًا- في أشياء غررها حقير؛ منها: أن الأمة أجمعت على صحة بيع الجبة المحشوة وإن لم ير حشوها، ولو باع حشوها منفردًا لم يصح .

وأجمعوا على جواز إجارة الدار شهرًا مع أنه قد يكون ثلاثين يومًا وقد يكون تسعة وعشرين .

وأجمعوا على جواز دخول الحمام بأجرة وعلى جواز الشرب من ماء السقاء بعوض، مع اختلاف أحوال الناس في استعمال الماء أو مكثهم في الحمام .

قال العلماء: مدار البطلان بسبب الغرر والصحة مع وجوده على ما ذكرناه وهو أنه: إذا دعت الحاجة إلى ارتكاب الغرر ولا يمكن الاحتراز عنه إلا بمشقة، أو كان الغرر حقيرًا جاز البيع، وإلا فلا^(١) .

«إن تحريم الفقه الإسلامي للغرر منظور فيه إلى قطع الضرر ودرء المفسدة، ذلك أن الغرر يفضي إلى ضياع الأموال وأكلها بالباطل، فيكون النزاع، وهذا يؤدي إلى وقوع المضار وحصول المفاسد على اختلاف أنواعها وتعدد ألوانها، على أننا نلاحظ في ذات الوقت أن هذا التحريم للغرر يكون وفق ضوابط محددة ومقاييس منضبطة تمنع من أن يقع ضرر أكبر بسبب ذلك»^(٢) .

قال النووي: «وأما النهي عن بيع الغرر فهو أصل عظيم من أصول كتاب البيوع... ويدخل فيه مسائل كثيرة غير منحصرة؛ كبيع الآبق، والمعدوم، والمجهول، وما لا يقدر على تسليمه، وما لا يتم ملك البائع عليه، وبيع السمك في الماء الكثير، واللبن في الضرع، وبيع الحمل في البطن، وبيع بعض الصبرة مبهمًا، وبيع ثوب من أثواب، وشاة من شياه...، ونظائر ذلك، وكل هذا بيعه

(١) المجموع للنووي (٢٥٨/٩) .

(٢) الضرر في الفقه الإسلامي (١/١٩٩) .

باطل؛ لأنه غرر»^(١).

قال الشيخ الفقيه عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمته الله:

«وقد نهى النبي ﷺ عن بيع الغرر، وهذا شامل للبيع بأنواعه والإجازات، فالشيء الذي يشك في حصوله أو تجهل حاله وصفاته المقصودة داخل في الغرر؛ لأن أحد المتعاقدين إما أن يغنم أو يغرم فهو مخاطر كالرهان.

ولأجل هذه القاعدة اشترط الفقهاء في البيع أن يكون الثمن معلوماً والمثمن معلوماً؛ لأن جهالة أحدهما تدخله في الغرر.

وقد ذكروا من أمثله الجهالة في أحدهما شيئاً كثيراً، لكن منها ما جهالته ظاهرة، لا يختلف أهل العلم في منعه وتحريمه؛ كبيع الحمل في البطن، وحبل الحبلية، وبيع الملامسة والمنابذة والحصاة، ونحوها.

ومنها: ما تكون جهالته يسيرة، قد يدخلها بعضهم في الغرر ويمنعها، ولا يدخلها آخرون، مثل: البيع بما باع به زيد، أو بما باع به الناس، وبما ينقطع به السعر...

ولأجل هذه القاعدة ذكروا من شروط البيع بأنواعه: القدرة على تسليمه؛ فمنعوا بيع الآبق والشارد ونحوهما مما يشك في حصوله.

وكذلك في الإجارة اشترطوا: العلم بالعين المؤجرة، والقدرة على تسليمها، والعلم بالأجرة؛ لأنه إذا لم يحصل العلم بذلك دخل في الغرر وأدخلوا فيه استثناء المجهول من المعلوم. قالوا: لأنه يصير مجهولاً، والنبي ﷺ نهى عن الثنيا إلا أن تعلم^(٢).

فدخل فيه: استثناء جزء من المبيع غير مشاع ولا معين، واشتراط حلول الثمن

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥٦/١٠).

(٢) رواه مسلم (١٥٣٦) (٨٥).

أو المثلثن لمدة غير معلومة لهما، كما ورد في الحديث الصحيح: «من أسلم في شيء، فليسلم في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم»^(١).
فجهالة ذلك يدخله في الغرر.

ومثله: بيع الشيء واستثناء بعض منافعه، فلا بد أن تكون معلومة إلى مدة معلومة؛ كأن يبيع البعير ويستثنى ظهره، أو الدار ويستثنى سكنها، أو الآنية ويستثنى الانتفاع بها، أو العبد ويستثنى خدمته...

ومن الغرر في باب المشاركات والمساقاة والمزارعة ونحوه: أن يشترط لأخذها ربح أحد السلعتين أو السفرتين أو دراهم معينة من الربح، أو زرع ناحية معينة، أو شجراً معيناً، ويقتسم الباقي على شرطهما، فإن فيه من الغرر المنافي لمقصود المشاركة ما هو ظاهر. ومبنى هذه المشاركات على استواء المتشاركين فيما يحصل لهما من غنم وما عليهما من غرم.

ومن أنواع الغرر: أن يكون له في ذمته أصواع مقدرة أو أوزان مقدرة، فيعطيه عن ذلك جزافاً؛ لأنه قد يكون قدر حقه، وقد يكون أكثر أو أقل، ففيه خطر، فإن أعطاه عن جميع حقه شيئاً مجهولاً وهو أقل منه يقيناً وهو من جنسه ونوعه فلا بأس؛ لأنه لا يحتمل أنه أكثر من حقه، بل قد علما أنه دون حقه، ولكن سمح له بالباقي المجهول، وكثيراً ما تدعو الحاجة إلى مثل هذه الحالة.

وأنواع الغرر كثيرة جداً، وقد حصل المقصود بهذه الأمثلة.

فأما الحكمة في تحريم بيع الغرر ومعاملات الغرر: فهي بعينها الحكمة التي ذكرها في الميسر؛ حيث شارك الخمر في مفسده، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٥٩) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ

(١) رواه البخاري (٢٢٣٩، ٢٢٤٠)، ومسلم (١٦٠٤) (١٢٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

مُنْهَوْنَ»^(١). فأخبر أنها رجس، أي خبيثة، وأنها من أعمال الشيطان، وكل أعماله شر لا خير فيه بوجه، وما كان شرًا وجب اجتنابه، ورتب الفلاح على اجتنابه، وأخبر أنه يوقع البغضاء والعداوة بين الناس، وذلك لأن المتخاطرين في المغالبات والمعاملات لا بد أن يغلب أحدهما الآخر ويغبنه ويكون الآخر مغلوبًا مغبورًا ويشاهد مظلّمته بعينها عند من قهره، فلا تسأل عما يحدث له من الهم والبغض له وإرادة الشر والعداوة، لأنه ظلم واضح، إلا أن الظلم في باب الربا قد تعيّن المظلوم فيه، وهو المأخوذ منه الزيادة، وهنا لم يتعين. قد يكون الغني وقد يكون المحتاج وقد يكون هذا تارة وهذا أخرى، فمن رحمة الشارع وحكمته النهي عن هذا النوع الذي قد تبين وظهر شرّه، وزال خيره، وصار سببًا لأضرار كثيرة، وأنه لا تصلح دنيا الخلق إلا بالتزام أحكام الشرع كما لا يصلح دينهم إلا بذلك»^(٢).

٦- التصرية:

قال الإمام ابن قدامة رحمته الله: «التصرية: جمع اللبن في الضرع، يقال، صرّى الشاة وصرّى اللبن في ضرع الشاة بالتشديد والتخفيف، ويقال صرّى الماء في الحوض، وصرّى الطعام في فيه، وصرّى الماء في ظهره إذا ترك الجماع، وأنشده أبو عبيدة:

رأت غلامًا قد صرّى في فقرته ماء الشباب عنفوان شرّته

وماء صرّى وصرّ إذا طال استنقاعه، قال البخاري: أصل التصرية حبس الماء، يقال: صرّيت الماء، ويقال للمصرّاة: المَحْفَلَة، وهو من الجمع أيضًا، ومنه سميت مجامع الناس محافل.

والتصرية حرام إذا أراد بذلك التدليس على المشتري، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تُصِرُّوا»، وقوله: «من غشنا فليس منا»^(٣).

(١) سورة المائدة: (آية ٩٠-٩١).

(٢) إرشاد أولي البصائر والألباب، للشيخ السعدي (ص ١٧٥-١٧٩) - أضواء السلف.

(٣) المغني (٦/٢١٥-٢١٦) باب المصرّاة.

ذهب المالكية والشافعية والحنابلة وأبو يوسف من الحنفية إلى أن تصرية الحيوان عيب يثبت به الخيار للمشتري، وذلك لحديث: «لا تُصروا الإبل والغنم، فمن ابتاعها بعد فإنه بخير النظرين بعد أن يحلبها: إن شاء أمسك وإن شاء ردّها وصاع تمر»^(١).

ولا يعتبر أبو حنيفة التصرية عيباً مثبتاً للخيار، بدليل أنه لو لم تكن مصراة فوجدها أقل لبناً من أمثالها لم يملك ردّها، ويرجع على البائع بأرشها^(٢).

وقال أيضاً: «وقد نهي عن النجش وهو أن يزيد في السلعة من لا يريد شراءها ليغر المشتري، ونهي عن التصرية»^(٣).

مسألة: قال: «إذا اشترى مصراة وهو لا يعلم، فهو بالخيار بين أن يقبلها أو يردها وصاعاً من التمر».

قال ابن قدامة رَحِمَهُ اللهُ: «والتدليس بما ليس بعيب لا يُثبت الخيار كما لو علفها فانتفخ بطنها، فظن المشتري أنها حامل. ولنا ما روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تُصروا الإبل والغنم، فمن ابتاعها بعد فإنه بخير النظرين بعد أن يحلبها، إن شاء أمسكها وإن شاء ردّها وصاعاً من التمر»، وروى ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «من ابتاع محفلة فهو بالخيار ثلاثة أيام، إن ردّها ردّها مثل أو مثلي لبنها قمحاً»^(٤) [رواه أبو داود].

ولأن هذا تدليس بما يختلف الثمن باختلافه، فوجب به الرد كما لو كانت شمطاء فسود شعرها»^(٥).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية (٣١/ ٢٢٠-٢٢١).

والأرش: هو الذي يأخذه المشتري إذا اطلع على عيب في المبيع.

(٣) «مختصر منهاج القاصدين» لابن قدامة (ص ١١١).

(٤) رواه أبو داود (٣٤٤٦) وهو ضعيف.

(٥) المغني (٦/ ٢١٦) مسألة رقم (٢٢٩).

٧- استعمال الحيل :

إن الاحتيال على شرع الله للالتفاف على ما حرم الله وجعله سائغاً مباحاً طريقه مخادعة ماكرة قديمة أول من سنّها اليهود- إخوان القردة والخنازير- عليهم لعنة الله- فهم أساتذة المحتالين في العالم، فقد ذكر لنا القرآن من حيلهم احتيالهم في السبت ﴿وَسَأَلْتَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾^(١) وكيف أنهم وضعوا شباكهم يوم الجمعة وتركوها يوم السبت وأخذوها يوم الأحد، فظنوا أنهم بذلك أحسنوا صنعاً وخرجوا من دائرة النهي فصححهم علماؤهم فلم يلتفتوا لنصائحهم، ولم يأخذوا بتحذيرهم فمضوا في غيهم سادرين فمسخهم الله قردة وخنازير وكذا حكى لنا السنة أن الله حرم عليهم الشحوم فجملوها -أي: أذابوها وغيروا شكلها- وباعوها زيتاً وأكلوا أثمانها، وإن الله إذا حرم شيئاً حرم ثمنه .

وقد أصاب أمة الإسلام ما أصاب اليهود من سلوك سبيلهم والمضي على سنتهم، فقد لعن رسول الله ﷺ المحلل والمحلل له، ومع ذلك لا زال في الأمة خاصة وعامة من يفعل ذلك، بل بعضهم يتقرب إلى الله بذلك ويحسب أنه يحسن صنعاً .

قال الشيخ محمد رشيد رضا رحمته الله: «... ولكن الذين لا يعرفون من الدين والإيمان إلا تقليد بعض الكتب التي ألفها الميتون، ونشرها الرؤساء الحاكمون، يمنعون الزكاة عمداً باسم الدين، بما تعلمهم هذه الكتب من الحيل التي تمنع بها الحقوق الثابتة، وأكدها الزكاة التي ذكر الكتاب مصارفها الثمانية، وقضى بأن تبقى ببقائها كلها أو بعضها، ويسمونها حياً شرعية، وما نسبتها إلى الشرع إلا كنسبة منجل الحاصد إلى الزارع، أو العاصفة في القلع»^(٢).

(١) سورة الأعراف: (آية ١٦٣).

(٢) «تفسير المنار» (١١٨/٢).

وقال الشيخ عبد الرحمن الدوسري: «وقد جرى في العصور المتأخرة احتيال على منع الزكاة من قوم لا خلاق لهم قد ضعف إيمانهم فلم يقدرُوا اللهُ حق قدره، معتمدين على كتب فيها من الحيل التي تسقط الحقوق الثابتة في ظاهر الأمر، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾^(١)، ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾^(٢)».

ثم قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ولا أدري هل المحتال على الله يعتقد نقصان علمه وأنه غافل عن حيلته أم لا؟ فإن كان يعتقد ذلك فهو ملحد في أسماء الله وعلى خطر عظيم، وإن كان لا يعتقد ذلك فكيف يتمادى بجرأته على الله»^(٣).

ولذلك حذر العلماء من الحيل وألّفوا فيها كتبًا وضمّنها بعض كتبهم، وكان من أشهر أولئك شيخ الإسلام الثاني الإمام الرباني ابن قيم الجوزية، ولما كان الاحتيال من الغش والخديعة ما تيسر في كتابنا هذا للتحذير منه ومن أهله بإيجاز، وباللّهُ المستعان.

اشتقاق الحيلة وبيان معناها:

«الحيلة: مشتقة من التحول، وهي النوع والحالة كالجلسة والقعدة والركبة، فإنها بالكسر للحالة وبالفتح للمرّة»^(٤).

«فالحيلة هي نوع مخصوص من التصرف والعمل الذي يتحول به فاعله من حال إلى حال، ثم غلب عليها بالعرف استعمالها في سلوك الطرق الخفية التي يتوصل بها الرجل إلى حصول غرضه بحيث لا يتفطن له إلا بنوع من الذكاء والفتنة، فهذا أخص من موضوعها في أصل اللغة، وسواء كان المقصود أمرًا جائزًا أو محرّمًا، وأخص من هذا استعمالها في التوصل إلى الغرض الممنوع منه

(١) سورة آل عمران: (آية ١٦٧).

(٢) سورة البروج: (آية ٢٠).

(٣) «صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٢٠-٢١).

(٤) إعلام الموقعين (٥/ ١٨٨).

شرعاً أو عقلاً أو عادة، فهذا هو الغالب عليها في عرف الناس، فإنهم يقولون: فلان من أرباب الحيل، ولا تعاملوه فإنه متحيل، وفلان يُعَلِّم الناس الحيل، وهذا من الاستعمال المطلق في بعض أنواعه؛ كالدابة والحيوان وغيرهما^(١).

الأدلة على بطلان الحيل:

الأولى: فإن الصحابة والتابعين - وهم أعلم الأمة بكلام الله ورسوله ومعانيه - سمو ذلك خداعاً.

وأما الثانية: فإن الله ذم أهل الخداع، وأخبر أن خداعهم إنما هو لأنفسهم، وأن في قلوبهم مرضاً، وأن الله تعالى خادعهم، فكل هذا عقوبة لهم، ومدار الخداع على أصليين:

أحدهما: إظهار فعل لغير مقصوده الذي جعل له.

الثاني: إظهار قول لغير مقصوده الذي وضع له، وهذا منطبق على الحيل المحرمة، وقد عاقب الله تعالى المتحيلين على إسقاط نصيب المساكين وقت الجداد بجد جنتهم عليهم وإهلاك ثمارهم، فكيف بالمتحيل على إسقاط فرائض الله وحقوق خلقه؟ ولعن أصحاب السبت ومسخرهم قرده وخنازير على احتيالهم على فعل ما حرمه عليهم.

قال الحسن البصري في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ آَعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾^(٢)، قالوا: رموا الحيتان في السبت ثم أرجئوها في الماء، فاستخرجوها بعد ذلك، فطبخوها فأكلوها والله أوْحَمَ أَكَلَةٍ، أَكَلَةً أَسْرَعُهُ فِي الدُّنْيَا عَقُوبَةٌ وَأَسْرَعُهُ عَذَابًا فِي الْآخِرَةِ، والله ما كانت لحوم الحيتان تلك أعظم عند الله من دماء قوم مسلمين، إلا أنه عجل لهؤلاء وأخر لهؤلاء.

(١) المرجع السابق.

(٢) سورة البقرة: (آية ٦٥).

وقوله: «رموها في السبت» يعني احتالوا على وقوعها في الماء يوم السبت كما بين غيره أنهم حفروا لها حياضًا ثم فتحوها عشية الجمعة، أو أنه أراد أنهم رموا الحبايل يوم السبت ثم أخرجوها في الماء إلى يوم الأحد، فاستخرجوها بالحيتان يوم الأحد، ولم يرد أنهم باشروا رميها يوم السبت^(١)؛ إذ لو اجترءوا على ذلك لاستخرجوها^(٢).

و«يقوي ذلك أن بني إسرائيل أكلوا الربا وأكلوا أموال الناس بالباطل، كما قصّه الله في كتابه، وهو أعظم من أكل الصيد المحرّم في يوم بعينه، ألا ترى أن ذلك حرام في شريعتنا - أيضًا - والصيد في السبت ليس حرامًا علينا؟ ثم إن أكلة الربا وأموال الناس بالباطل لم يعاقبوا بالمسوخ كما عوقب به من استحل الحرام بالحيلة، وإنما عوقبوا بشيء آخر من جنس عقوبات غيرهم، فيشبهه - والله أعلم - أن يكون هؤلاء لما كانوا أعظم جرمًا كانت عقوبتهم أعظم، فإنهم بمنزلة المنافقين يفعلون ما يفعلون وهم لا يعترفون بالذنب بل قد فسدت عقيدتهم وأعمالهم، كما قال أيوب السخيتاني: «لو أتوا الأمر على وجهه كان أهون عليّ»، كانت عقوبتهم أغلظ من عقوبة من أكل الربا وأموال الناس بالباطل والصيد المحرّم عالمًا بتحريمه فإنه يقترن بمعصيته اعترافه بالتحريم وخشيته لله واستغفاره وتوبته يومًا ما، واعترافه بأنه مذنب عاص، وانكسار قلبه من ذل المعصية، وازدراؤه على نفسه ورجاؤه لمغفرة ربه له، وعد نفسه من المذنبين الخاطئين، وهذا كله إيمان يفضي بصاحبه إلى خير، بخلاف الماكر المخادع المحتال على قلب دين الله، ولهذا حذر النبي ﷺ أمته من ارتكاب الحيل فقال: «لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود، فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل»^(٣). وقد أخبر الله تعالى^(٤) أنه جعل هذه القرية

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وهؤلاء لم يكفروا بالتوراة وبموسى، وإنما فعلوا ذلك تأويلًا واحتيالاً ظاهره طاهر الأتقياء، وحقيقته حقيقة الاعتداء». إعلام الموقعين (٣/١٦٢).

(٢) إعلام الموقعين (٥/٧١-٧٢).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) في سورة البقرة: (آية ٦٦).

أو هذه الفعلة التي فعلها بأهلها ﴿نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(١)»^(٢).

«وتأمل قوله: «لا تتركبوا ما ارتكبت اليهود، فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل» أي: أسهلها وأقربها، وإنما ذكر أدنى الحيل لأن المطلق ثلاثاً مثلاً من أسهل الحيل عليه أن يعطى بعض التيوس المستعارة عشرة دراهم ويستعيه لينزو على امرأته نزوة وقد طيبها له، بخلاف الطريق الشرعي التي هي نكاح الرغبة؛ فإنها يصعب معها عودها إلى الأول جدًّا، وكذلك من أراد أن يقرض ألفاً بألف وخمسمائة، ولو أراد ذلك بالطريق الشرعي لتعذر عليه، وكذلك حيلة اليهود بنصب الشباك يوم الجمعة وأخذ ما وقع فيها يوم السبت من أسهل الحيل، وكذلك إذا بتهم الشحم وبيعه وأكل ثمنه»^(٣).

«إن الأعمال تابعة لمقصدتها ونياتها، وأنه ليس للعبد من ظاهر قوله وعمله إلا ما نواه وأبطنه لا ما أعلنه وأظهره، وهذا نص في أن من نوى التحليل كان محللاً، ومن نوى الربا بعقد التبایع كان مرايباً، ومن نوى المكر والخداع كان ماكرًا مخادعًا، ويكفي قوله: ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»^(٤) وحده في إبطال الحيل»^(٥).

«ومما يدل على تحريم الحيل قوله: ﷺ: «صيد البر لكم حلال، ما لم تصيدوه أو يصد لكم»^(٦). رواه أهل السنن، ومما يدل على تحريمها ما رواه ابن ماجه في «سننه» عن يحيى بن أبي إسحاق قال: سألت أنس بن مالك: الرجل منا يقرض أخاه المال فيهدي إليه، فقال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أقرض أحدكم

(١) سورة البقرة: (آية ٦٦).

(٢) إعلام الموقعين (٥/ ٧٠-٧٣).

(٣) إعلام الموقعين (٥/ ٧٦-٧٧).

(٤) رواه البخاري برقم (١) ومسلم برقم (١٩٠٧).

(٥) إعلام الموقعين (٥/ ٧٤-٧٥) بتصريف يسير.

(٦) رواه الترمذي (٨٤٦) وأبو داود (١٨٥١)، وهو في: «ضعيف سنن الترمذي» (١٧٨).

قرضًا، فأهدى إليه أو حمّله على الدابة، فلا يركبها ولا يقبله، إلا أن يكون جرى بينه وبينه قبل ذلك»، رواه من حديث إسماعيل بن عباس عن عتبة بن حميد الضبي عن يحيى^(١).

«وفي «صحيح البخاري» عن أبي بردة بن أبي موسى قال: قدمت المدينة، فلقيت عبد الله بن سلام، فقال لي: إنك بأرض الربا فيها فاش، فإذا كان لك على رجل حق فأهدى إليك حَمْلٌ تَبْنٌ أو حَمْلٌ شعير أو حَمْلٌ قَتٌّ، فلا تأخذه، فإنه ربا^(٢). وفي «سنن سعيد» هذا المعنى عن أبي بن كعب، وجاء عن ابن مسعود أيضًا.

وأتى رجل عبد الله بن عمر فقال: «إني أقرضت رجلاً بغير معرفة، فأهدى إلي هدية جزلة، فقال: رد إليه هديته أو احسبها له»^(٣). وقال سالم بن أبي الجعد: جاء رجل إلى ابن عباس فقال: «إني أقرضت رجلاً ببيع السمك عشرين درهماً، فأهدى إلي سمكة قومتها بثلاثة عشر درهماً، فقال: خذ منه سبعة دراهم»^(٤)، ذكرهما سعيد، وذكر حرب عن ابن عباس: «إذا أسلفت رجلاً سلفاً فلا تأخذ منه هدية ولا عارية ركوب دابة»^(٥)، فنهى النبي ﷺ هو وأصحابه المقرض عن قبول هدية المقرض قبل الوفاء، لأن المقصود بالهدية أن يؤخر الاقتضاء - وإن كان لم يشترط ذلك - سداً لذريعة الربا، فكيف تجوز الحيلة على الربا؟ ومن لم يسد الذرائع ولم يراع المقاصد ولم يحرم الحيل يبيع ذلك كله، وسنة رسول الله ﷺ وهدى أصحابه أحق أن يتبع، وقد تقدم تحريم السلف والبيع لأنه يتخذ حيلة إلى الربا.

ويدل على تحريم الحيل الحديث الصحيح، وهو قوله: ﷺ: «لا يجمع بين

(١) إعلام الموقعين (٨٧/٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨١٤).

(٣) رواه عبد الرزاق (١٤٦٥٤).

(٤) روى البيهقي نحوه (٣٤٩/٥).

(٥) رواه عبد الرزاق (١٤٦٥٠)، وابن أبي شيبة (٧٨/٥).

متفرق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة»^(١). وهذا نص في تحريم الحيلة المفضية إلى إسقاط الزكاة أو تنقيصها بسبب الجمع والتفريق، فإذا باع بعض النصاب قبل تمام الحول تحيلاً على إسقاط الزكاة فقد فرق بين المجتمع، فلا تسقط الزكاة عنه بالفرار منها، ومما يدل على تحريمها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمَنَّوْا نَسْتَكْتُرُ﴾^(٢). قال المفسرون من السلف ومن بعدهم: لا تعط عطاء تطلب أكثر منه وهو أن تهدي ليهدي إليك أكثر من هديتك.

وهذا كله يدل على أن صور العقود غير كافية في حلها وحصول أحكامها إلا إذا لم يقصد بها قصدًا فاسدًا، وكل ما لو شرطه في العقد كان حرامًا فاسدًا فقصدته حرام فاسد، واشترطه إعلان وإظهار للفساد، وقصدته ونيتته غشّ وخداع ومكر، فقد يكون أشد فسادًا من الاشتراط ظاهرًا من هذه الجهة، والاشتراط الظاهر أشد فسادًا منه من جهة إعلان المحرم وإظهاره.

ومما يدل على التحريم أن أصحاب رسول الله ﷺ أجمعوا على تحريم هذه الحيل وإبطالها، وإجماعهم حجة قاطعة، بل هي من أقوى الحجج وأكدها، ومن جعلهم بينه وبين الله فقد استوثق لدينه.

بيان المقدمة الأولى أن عمر بن الخطاب خَطَبَ الناس على منبر رسول الله ﷺ وقال: «لا أوتى بمحللٍ ولا محللٍ له إلا رجمتهما»، وأقره سائر الصحابة على ذلك، وأفتى عثمان وعلي وابن عباس وابن عمر أن المرأة لا تحل بنكاح التحليل، وقد تقدم عن غير واحد من أعيانهم كأبي وابن مسعود وعبد الله بن سلام وابن عمر وابن عباس أنهم نهوا المُقْرِضَ عن قبول هدية المقترض وجعلوا قبولها ربا، وقد تقدم عن عائشة وابن عباس وأنس تحريم مسألة العينة، والتغليظ فيها، وأفتى عمر وعثمان وعلي وأبي بن كعب وغيرهم من الصحابة أن المبتوتة في مرض الموت

(١) مضمي تخريجه.

(٢) سورة المدثر: (آية ٦).

تَرْتُ، ووافقهم سائر المهاجرين والأنصار من أهل بدر وبيعة الرضوان ومن عداهم .

وهذه وقائع متعددة لأشخاص متعددة في أزمان متعددة، والعادة توجب اشتهاؤها وظهورها بينهم، لاسيما وهؤلاء أعيان المفتين من الصحابة الذين كانت تضبط أقوالهم، وتنتهى إليهم فتاويهم، والناس عنق واحد إليهم متلقون لفتاويهم، ومع هذا فلم يُحفظ عن أحد منهم إلا الإنكار، ولا إباحة الحيل مع تباعد الأوقات وزوال أسباب السكوت، وإذا كان هذا قولهم في التحليل والعينة وهدية المقترض إلى المقرض، فماذا يقولون في التحيل لإسقاط حقوق المسلمين، بل لإسقاط حقوق رب العالمين، وإخراج الأبخاع والأموال عن ملك أربابها، وتصحيح العقود الفاسدة والتلاعب بالدين؟ وقد صانهم الله تعالى أن يروا في وقتهم من يفعل ذلك أو يُفتي به، كما صانهم عن رؤية الجهمية والمعتزلة والحلولية والاتحادية^(١) وأضرابهم، وإذا ثبت هذا عنهم فما ذكرنا من الحيل فهو دليل على قولهم فيما هو أعظم منها .

وأما المقدمة الثانية فكل من له معرفة بالآثار وأصول الفقه ومسائله ثم أنصف لم يشك أن تقرير هذا الإجماع منهم على تحريم الحيل وإبطالها ومنافاتها للدين أقوى من تقرير إجماعهم على العمل بالقياس وغير ذلك مما يدعى فيه إجماعهم كدعوى إجماعهم على عدم وجوب غسل الجمعة، وعلى المنع من بيع أمهات الأولاد، وعلى الإلزام بالطلاق الثلاث بكلمة واحدة، وأمثال ذلك .

فإذا وازنت بين هذا الإجماع وتلك الإجماعات ظهر لك التفاوت، وانضم إلى هذا أن التابعين موافقون لهم على ذلك، فإن الفقهاء السبعة وغيرهم من فقهاء المدينة الذين أخذوا عن زيد بن ثابت وغيره متفقون على إبطال الحيل، وكذلك

(١) «الحلولية: هم الذين يزعمون أن الله يحل في كل مكان، أو أن الله روح الكائنات. والاتحادية: الذين يزعمون أن العبد سيتحد بربه بضرور من العبادات والمجاهدات. وكلاهما ملعون بلعنة الله، فالله بائن من خلقه، ومن لم يعتقد بهذا فهو نافي لوجود الله، جاحد به» .

أصحاب عبد الله بن مسعود من أهل الكوفة، وكذلك أصحاب فقهاء البصرة كأيوب وأبي الشعثاء والحسن وابن سيرين، وكذلك أصحاب ابن عباس.

وهذا في غاية القوة من الاستدلال، فإنه انضم إلى كثرة فتاويهم بالتحريم في أفراد هذا الأصل وانتشارها أن عصرهم انصرم، ورقعة الإسلام متسعة، وقد دخل الناس في دين الله أفواجًا، وقد اتسعت الدنيا على المسلمين أعظم اتساع، وكثر من كان يتعدى الحدود، وكان المقتضى لوجود هذه الحيل موجودًا فلم يحفظ عن رجل واحد منهم أنه أفتى بحيلة واحدة منها أو أمر بها أو دل عليها، بل المحفوظ عنهم النهي والزجر عنها، فلو كانت هذه الحيل مما يسوغ فيها الاجتهاد لأفتى بجوازها رجل منهم، ولكانت مسألة نزاع كغيرها، بل أقوالهم وأعمالهم وأحوالهم متفقة على تحريمها والمنع منها، ومضى على أثرهم أئمة الحديث والسنة في الإنكار.

قال الإمام أحمد في رواية موسى بن سعيد الدُّدَانِيّ: لا يجوز شيء من الحيل، وقال في رواية الميموني وقد سأله عمّن حلف على يمين ثم احتال لإبطالها، فقال: نحن لا نرى الحيلة وقال في رواية بكر بن محمد: إذا حلف على شيء ثم احتال بحيلة فصار إليها فقد صار إلى ذلك الذي حلف عليه بعينه وقال: بلغني عن مالك، أو قال: قال مالك: من احتال بحيلة فهو حانث. وقال في رواية صالح وأبي الحارث وقد ذكر له قول أصحاب الحيل فأنكره، وقال في رواية إسماعيل بن سعيد وقد سئل عن احتال في إبطال الشفعة، فقال: لا يجوز شيء من الحيل في إبطال حق امرئ مسلم، وقال في رواية أبي طالب وغيره في الرجل يحلف وينوي غير ذلك، فاليمين على نية ما يُحَلِّفُه عليه صاحبه إذا لم يكن مظلومًا، فإذا كان مظلومًا حلف على نيته، ولم يكن عليه من نية الذي حلفه شيء، وقال في رواية عبد الخالق بن منصور: من كان عنده كتاب الحيل في بيته يفتي به فهو كافر بما أنزل الله على محمد ﷺ^(١).

(١) إعلام الموقعين (٥/٨٧-٩٥).

«ومما يدل على بطلان الحيل وتحريمها أن الله سبحانه إنما أوجب الواجبات وحرّم المحرمات لما تتضمن من مصالح عباده في معاشهم ومعادهم، فالشريعة لقلوبهم بمنزلة الغذاء الذي لا بد لهم منه والدواء الذي لا يندفع الداء إلا به، فإذا احتال العبد على تحليل ما حرم الله وإسقاط لها فرض الله وتعطيل ما شرع الله كان ساعياً في دين الله بالفساد من وجوه:

أحدها: إبطاله ما في الأمر المحتال عليه من حكمة الشارع ونقض حكمته فيه ومناقضته له.

والثاني: أن الأمر المحتال به ليس عنده حقيقة، ولا هو مقصوده، وهو ظاهر المشروع، فالمشروع ليس مقصوداً له، والمقصود له هو المحرم نفسه، وهذا ظاهر كلّ الظهور فيما يقصد الشارع، فإن المرابي مثلاً مقصوده الربا المحرم، وصورة البيع الجائز غير مقصودة له، وكذلك المتحيل على إسقاط الفرائض بتملك ماله لمن لا يهبه درهماً واحداً حقيقة، بل حقيقة مقصوده إسقاط الفرض، وظاهرة الهبة المشروعة غير مقصودة له.

الثالث: نسبتته ذلك إلى الشارع الحكيم وإلى شريعته التي هي غذاء القلوب ودواؤها وشفائها، ولو أن رجلاً تحيل حتى قلب الغذاء والدواء إلى ضده، فجعل الغذاء دواءً والدواء غذاءً، إما بتغيير اسمه أو صورته مع بقاء حقيقته، لأهلك الناس، فمن عمد إلى الأدوية المسهلة فغير صورتها أو أسماءها وجعلها غذاء للناس.

أو عمد إلى السموم القاتلة فغير أسماءها وصورتها وجعلها أدوية، أو إلى الأغذية الصالحة فغير أسماءها وصورها، كان ساعياً بالفساد في الطبيعة، كما أن هذا ساع بالفساد في الشريعة، فإن الشريعة للقلوب بمنزلة الغذاء والدواء للأبدان، وإنما ذلك بحقائقها لا بأسمائها وصورها.

وبيان ذلك على وجه الإشارة أن الله ﷻ إنما حرم الربا والزنا وتوابعهما

ووسائلهما، لما في ذلك من الفساد وأباح البيع والنكاح وتوابعهما، لأن ذلك مصلحة محضة، ولا بد أن يكون بين الحلال والحرام فرق في الحقيقة، وإلا لكان البيع مثل الربا والنكاح مثل الزنا، ومعلوم أن الفرق في الصورة دون الحقيقة ملغى عند الله ورسوله وفي فطر عباده، فإن الاعتبار بالمقاصد والمعاني في الأقوال والأفعال، فإن الألفاظ إذا اختلفت ومعناها واحد كان حكمها واحداً، فإذا اتفقت الألفاظ واختلفت المعاني كان حكمها مختلفاً، وكذلك الأعمال إذا اختلفت صورها واتفقت مقاصدها، وعلى هذه القاعدة يبني الأمر والنهي والثواب والعقاب، ومن تأمل الشريعة علم بالاضطرار صحة هذا؛ فالأمر المحتال به على المحرم صورته صورة الحلال، وحقيقته ومقصوده حقيقة الحرام؛ فلا يكون حلالاً فلا يترتب عليه أحكام الحلال فيقع باطلاً، والأمر المحتال عليه حقيقته حقيقة الأمر الحرام، وإن لم تكن صورته صورته، فيجب أن يكون حراماً لمشاركته للحرام في الحقيقة»^(١).

«والواجب الذي لا يجوز غيره أن يحصل مقصود الله ورسوله ويبطل مقاصد المتحيلين المخادعين، وكذلك يعلم قطعاً أنه إنما حرم الربا لما فيه من الضرر بالمحاويج، وأن مقصوده إزالة هذه المفسدة؛ فإذا أبيع التحيل على ذلك كان سعيًا في إبطال مقصود الشارع وتحصيلًا لمقصد المرابي، وهذه سبيل جميع الحيل المتوسل بها إلى تحريم الحلال وإسقاط الواجب»^(٢).

«والمقصود أن ما في ضمن المحرمات من المفاصد والمأمورات من المصالح يمنع أن يشرع إلى التحيل بما يبيحها ويسقطها، وأن ذلك مناقضة ظاهرة، ألا ترى أنه بالغ في لعن المحلل للمفاصد الظاهرة والباطنة التي في التحليل التي يعجز البشر عن الإحاطة بتفاصيلها، فالتحليل على صحة هذا النكاح بتقديم اشتراط التحيل عليه وإخلاء صلبه عنه إن لم يزد مفسدته فإنه لا يزيلها ولا يخففها، وليس تحريمه

(١) إعلام الموقعين (٥/١٠١-١٠٣).

(٢) إعلام الموقعين (٥/١٠٣-١٠٤).

والمبالغة في لعن فاعله تعبدًا لا يعقل معناه، بل هو معقول المعنى من محاسن الشريعة، بل لا يمكن شريعة الإسلام ولا غيرها من شرائع الأنبياء أن تأتي بحيلة، فالتحليل على وقوعه وصحته إبطال لغرض الشارع وتصحيح لغرض المتحليل المخادع»^(١).

«فقد ظهر أن الحيل المحرمة في الدين تقتضي رفع التحريم مع قيام موجب ومقتضيه وإسقاط الوجوب مع قيام سببه، وذلك حرام من وجوه:

أحدها: استلزامها فعل المحرم وترك الواجب.

والثاني: ما تتضمنه من المكر والخداع والتليس.

والثالث: الإغراء بها والدلالة عليها وتعليمها مَنْ لا يحسنها.

والرابع: إضافتها إلى الشارع وأن أصول شرعه ودينه تقتضيها.

والخامس: أن صاحبها لا يتوب منها ولا يعدّها ذنبًا.

والسادس: أنه يخادع الله كما يخادع المخلوق.

والسابع: أنه يسلب أعداء الدين على القدح فيه وسوء الظن به وبمن شرعه.

والثامن: أنه يُعْمَلُ فكره واجتهاده في نقض ما أبرمه الرسول وإبطال ما أوجبه وتحليل ما حرمه.

والتاسع: أنه إعانة ظاهرة على الإثم والعدوان، وإنما اختلفت الطريق، فهذا يعين عليه بطريقة للمفضية إليه بنفسها، فكيف كان هذا معينًا على الإثم والعدوان والمتحليل المخادع يعين على البر والتقوى؟!.

العاشر: أن هذا ظلم في حق الله وحق رسوله وحق دينه وحق نفسه وحق العبد المعين وحق عموم المؤمنين، فإنه يُغْرِي به ويعلمه ويدل عليه والمتوصل إليه بطريق

المعصية لا يظلم إلا نفسه، ومن تعلق به ظلمه من المعيّنين، فإنه لا يزعم أن ذلك دين وشرع ولا يقتدي به الناس، فأين فساد أحدهما من الآخر وضرره من ضرره؟ وبالله التوفيق»^(١).

الحيل المباحة

وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمته الله أقسامًا عدة من الحيل المباحة .
فمن تلك الأقسام :

«أن تكون الطريق مشروعة وما يفضي إليه مشروع، وهذه هي الأسباب التي نصبها الشارع مفضية إلى مسبباتها كالبيع والإجارة والمساقاة والمزارعة والوكالة...، ويدخل في هذا القسم التحيل على جلب المنافع وعلى دفع المضار، وقد ألهم الله تعالى ذلك لكل حيوان، فلأنواع الحيوانات من أنواع الحيل والمكر ما لا يهتدي إليه بنو آدم»^(٢).

ومنها : «أن يحتال على التوصل إلى الحق أو على دفع الظلم بطريقة مباحة لهم توضع موصلة إلى ذلك، بل وضعت له لكن تكون خفية ولا يفتن لها والفرق بين هذا القسم والذي قبله أن الطريق في الذي قبله ذهب مفضية إلى مقصودها ظاهراً؛ فسالكها سالك للطريق المعهود، والطريق في هذا القسم نصبت مفضية إلى غيره فيتوصل بها إلى ما لم توضع له، فهي في الفعال كالتعريض الجائر في المقال، أو تكون مفضية إليه لكن بخفاء، ونذكر لذلك أمثلة ينتفع بها في هذا الباب»^(٣).

(١) إعلام الموقعين (٥/ ١١٢-١١٣).

(٢) إعلام الموقعين (٥/ ٣٠٣-٣٠٤).

(٣) إعلام الموقعين (٥/ ٣٠٥).

ومن الأمثلة التي ذكرها على هذا القسم:

١- «إذا خاف ربُّ الدَّار أو الدابة أن يُعَوِّقها عليه المستأجر بعد المدة فالحيلة في أمنه من ذلك أن يقول: متى حبستها بعد انقضاء المدة فأجرتها كل يوم كذا وكذا. فإنه يخاف من حبسها أن يلزمه بذلك»^(١).

٢- «لا تصح إجارة الأرض المشغولة بالزرع، فإن أراد ذلك فله حينئذ جائزتان:

أحدهما: أن يبيعه الزرع ثم يؤجره الأرض فتكون الأرض مشغولة بملك المستأجر فلا يصح في صحة الاجارة، فإن لم يتمكن من هذه الحيلة لكون الزرع لم يشتد أو كان زرعاً للغير، انتقل إلى... الحيلة الثانية: وهي أن يؤجره إياها لمدة تكون بعد أخذ الزرع، ويصح هذا بناء على صحة الإجارة المضافة»^(٢).

٣- «إذا خاف الرجل لضيق الوقت أن يحرم بالحج فيفوته فيلزمه القضاء ودم الفوات؛ فالحيلة أن يحرم إحراماً مطلقاً ولا يعيِّنه، فإن اتسع له الوقت جعله حَجًّا أو قِرَانًا أو تمتعاً، وإن ضاق عليه الوقت جعله عُمْرَةً ولا يلزمه غيرها»^(٣).

٤- «إذا سُرِق له متاع، فقال لامرأته: إن لم تخبريني من أخذه فأنت طالق ثلاثاً، والمرأة لا تعلم من أخذه. فالحيلة في التخلص من هذا اليمين أن تذكر الأشخاص التي لا يخرج المأخوذ عنهم، وهذا لا يتأتى إلا فيما إذا علم أن السارق أحدهم واشتبه وجهلت عينه، ثم تفرد كل واحد واحد وتقول: هو أخذه. فإنها تكون مخبرة عن الآخذ وعن غيره، فيبرِّ في يمينه ولا تطلق»^(٤).

(١) إعلام الموقعين (٥/٣١٠).

(٢) إعلام الموقعين (٥/٣١٥).

(٣) إعلام الموقعين (٥/٣٢٠).

(٤) إعلام الموقعين (٥/٣٢١).

من أنواع الغش وصوره

غش الولاية لرعيتههم:

«الإمارة كبيرة كانت أو صغيرة من ضرورات الناس ومن الواجبات الشرعية، لما ترتب عليها من المصالح الكثيرة، ودفع المفاسد المتنوعة، فيجب على من تولى على الناس أن يتخذ الولاية ديناً وقربة يتقرب بها إلى الله، ووسيلة يتوسل بها إلى إقامة الشرع والعدل، وأن يجتهد في تحقيق هذه النية ويخلص لله فيها، ويستعين بالله على إقامة ما يتعلق بولايته من الواجبات العامة والخاصة، فبذلك يعينه الله وتهون عليه المشاق المعترضة في إقامة العدل، وبذلك تعلو درجته عند الله ويعلو مقامه عند الخلق، وبذلك يمكنه الله ويدفع عنه الأعداء من الحاسدين وغيرهم، ولا تشبه الموفق بأغلب الناس الذين لا غرض لهم في مثل الولاية-إمارة أو غيرها- إلا التروؤس والتوسل إلى المآكل والأطعام الضارة، ومع ذلك فمن كانت هذه حاله، الغالب أن تكون عاقبته أسوأ العواقب، وطريقه شر الطريق، فأولى بالعبء أن ينظر إلى واجبه الحاضر وإلى ما يقربه إلى مولاه، وإلى العواقب المتأخرة المترتبة على سلوك طريق العدل أو على ضده، فنسأل الله تعالى ألا يكلنا وإياكم إلى أنفسنا طرفة عين وأن يمدنا وإياكم بعونه وتوفيقه»^(١).

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾^(٢): «... وأن يكون عموم المؤمنين قصدهم إقامة دين الله والجهاد عنه، بحسب الإمكان، لا يكون لهم قصد في رئيس دون رئيس، فهذه الحال يستتب لهم أمرهم، وتستقيم أمورهم»^(٣).

(١) «الفتاوى السعدية» (ص ٥٧٣).

(٢) سورة آل عمران: (آية ١٤٤).

(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (ص ١١٨).

قال ابن الصلاح: «والنصيحة لعامة المسلمين وإرشادهم إلى مصالحهم وتعليمهم أمور دينهم وديناهم، وستر عوراتهم، وسد خلّاتهم، ونصرتهم على أعدائهم، والذب عنهم، ومجانبة الغش والحسد لهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، وما شابه ذلك»^(١).

وقال تاج الدين السبكي: «فمن وظائف السلطان تجنيد الجنود، وإقامة فرض الجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى؛ فإن الله تعالى لم يولّه على المسلمين ليكون رئيساً أكلاً شارباً مستريحاً، بل لينصر الدين ويُعلي الكلمة. فمن حقه ألا يدع الكفار يكفرون أنعم الله ولا يؤمنون بالله ولا برسوله. فإذا رأينا ملكاً تقاعد عن هذا الأمر، وأخذ يظلم المسلمين، ويأكل أموالهم بغير حق، ثم سلبه الله نعمته وجاء يعتب الزمان، ويشكو الدهر، أفليس هو الظالم، وقد كان يمكنه بدل أخذ أموال المسلمين وظلمهم أن يقيم جماعة في البحر يتلصصون أهل الحرب، فإذا كان هذا الملك شجاعاً ناهضاً فليرنا همته في أعداء الله الكفار، ويجاهدهم ويتلصصهم، ويُعمل الحيلة في أخذ أموالهم جلاً وبلاً، ويدع عنه أذية المسلمين.

ومن وظائفه: أن ينظر في الإقطاعات، ويضعها مواضعها، ويستخدم من ينفع المسلمين، ويحمي حوزة الدين، ويكف أيدي المعتدين، فإن فرق الإقطاعات على ممالك اصطفاها وزيّنها بأنواع الملابس الزراكش المحرّمة، وافتخر بركوبها بين يديه، وترك الذين ينفعون الإسلام جياً في بيوتهم، ثم سلبه الله النعمة، وأخذ يبكي ويقول: ما بال نعمتي زالت، وأيامي قصرت! فيقال له: يا أحمق، أما علمت السبب! أولست الجاني على نفسك!

ومن وظائفه: الفكرة في العلماء والفقراء وسائر المستحقين، وتنزيلهم منازلهم، وكفايتهم من بيت المال الذي هو في يده أمانة عنده، ليس هو فيه إلا كواحد منهم، ولدلوه نسبة دلاء المسلمين، فإن ترك العلماء والفقراء جياً في

(١) نقله عنه ابن رجب في: «جامع العلوم والحكم» (ص ٧٦).

بيوتهم يبيتون ، ومنهم من يطوي الليلة والليلتين هو وعياله ، وأخذ يمنّ بعظيم مُلكه ومحاسن سماطه وزينته ولباسه ولباس حاشيته ، فذلك أحق جهول . وإن ضمّ إلى هذا أن استكثر على الفقهاء ما بأيديهم ، وتعرّض لأوقاف وقفها أهل الخير ممن تقدمه عليهم ، فهو بلاء على بلاء ، فإن من حقه أن ينظر في مصالحهم وأوقافهم ، وألاً يكلهم إليها ، بل يرزقهم من بيت المال ما تتم به الكفاية ، فإذا تعرّض لها فقد خرق حجاب الهيبة ، فإن ضمّ إلى ذلك أنه يبيعها بالبرطيل ، ويضعها في غير مستحقّها فما يكون جزاؤه !

ومن وظائفه : بيت مال المسلمين ، وقد قدر الشارع المصارف فيه ، وجعل لكل مال أقواماً وقدرًا ، فإن تعدّى هذا كله ، وصرفه في شهواته ولذاته ، وحسب أن المُلْك عبارة عن ذلك ، فلا يلوم إلا نفسه ، وإذا جاء سهم رباني لا يستوحش ، فإن أخذ يصرف الأموال على خواصّه ومن يريد استمالة قلوبهم إليه لبقاء ملكه ، لا لإعزاز الدين ، وأعجبه مدائح الشعراء لكرمه ، فذلك خُرْقٌ ، وقد امتلأت التواريخ ممن كان يهب الألوف للشعراء ، والألوف للمماليك ، والألوف للمغاني ، وكل ذلك وبال على صاحبه^(١) .

وقال : «إذا ولّك الله تعالى أمرًا على الخلق فعليك البحث عن الرعية ، والعدل بينهم في القضية ، والحكم فيهم بالسوية ، ومجانبة الهوى والميل ، وعدم سماع بعضهم في بعض ، إلا أن يأتي بحجة بينة ، وعدم الركون إلى الأسبق ، فإن وجدت نفسك تصغي إلى الأسبق وتميل إلى صدقه ، فاعلم أنك ظالم للخلق ، وأن قلبك إلى الآن متقلب مع الأغراض يميله الهوى كيف شاء ، وإن وجدت الأسبق والآخر سواء إلا من جاء بحق فأنت أنت . . .

وإن تعرف أنك أنت والرعية سواء لم تتميز عنهم بنفسك ، بل بفعل الله تعالى الذي لو شاء لأعطاهم ومنعك ، فإذا كان قد أعطاك الولاية عليهم ومنعهم ، فما

(١) «معيد النعم ومبيد النقم» للسبكي (ص ٢١-٢٢) .

ينبغي أن تتمرد وتستعين بنعمته على معصيته وأذاهم، بل لا أقل من أن تتجنب أذاهم وتكف عنهم شرك، وتجنب الهوى والميل والغرض بنعمة الولاية لا تطلب منك غير ذلك، ولو أنك تركت الناس هملاً يأكل بعضهم بعضاً وجلست في دارك تصلي وتبكي على ذنوبك لكنت مسيئاً على ربك»^(١).

ويجب عليك أيها المتولي أمور المسلمين «أن تقف عند أوامر الله تعالى، فإن الظلم من الولاية عظيم؛ لأنهم يُجرون الباطل مجرى الحق، ويُخرجون الجور مخرج العدل، ويقولون: إننا على الحق وهم أماتوه، قال بعض المشايخ: رأيت بالإسكندرية بالخليج سمكاً كثيراً مطلقاً للعامة، فاحتجر عليه الوالي ومنع الناس منه، فذهب من الخليج السمك، الواحدة بعد الواحدة. وخطر الولاية عظيم وخطبها جسيم، ولا يسلم الوالي إلا بمخالطة العلماء والصلحاء وفضلاء الدين، ليعلموه طريق العدل، ويسهلوا عليه خطر هذا الأمر، ومن أعظم خصال الوالي وأحمدتها توقُّعاً في نفوس الخاصة والعامة إنصافه من خاصته وحاشيته وأعوانه، وتفقدتهم في كل ساعة، ويمنعهم أن يأخذوا من الغرماء فوق ما يستحقونه، وفي هذا الذي ذكرناه كفاية. وليكن في وعظه وقوله في ردعهم عن الظلم لطيفاً ظريفاً لئِن القول بشوشاً غير جبَّار ولا عبوس، قال الله سبحانه: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٢)»^(٣).

قال الإمام الذهبي في «الكبائر»^(٤):

«الكبيرة الثالثة عشرة: الإمام العاش لرعيته، الظالم، الجبار.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوتِيكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٥).

(١) المرجع السابق (ص ١٨-١٩).

(٢) سورة آل عمران: (آية ١٥٩).

(٣) «معالم القرية» (ص ٢١٨).

(٤) (ص ٦١-٦٢). وكذا الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه «الكبائر»: باب ما جاء في غش الرعية ص (٥٦).

(٥) الشورى- (آية ٤٢).

وقال تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(١).

وقال النبي ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . . .»^(٢).

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «من غشنا فليس منا»^(٣).

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «الظلم ظلمات يوم القيامة»^(٤).

وقال: «أیما راع غش رعيته فهو في النار»^(٥).

وقال: «من استرعاه الله رعية (ثم) لم يحطها بنصح إلا حرم الله عليه الجنة»^(٦).

وفي لفظ: «يموت حين يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة».

وفي لفظ: «لم يجد رائحة الجنة».

وقال: «ما من أمير عشرة إلا يؤتى به مغلولة يداه إلى عنقه، أطلقه عدله أو

أوبقه جوره»^(٧).

وقال ﷺ: «اللهم من ولي من أمر هذه الأمة شيئاً فرفق بها فأرفق به، ومن شق

عليها فاشقق عليه»^(٨).

وقال القاضي عياض: «باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار»:

(١) المائدة- (آية ٧٩).

(٢) رواه البخاري (٨٥٣)، ومسلم (١٨٢٩).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) رواه مسلم (٢٥٧٧).

(٥) مضى تخريجه.

(٦) مضى تخريجه.

(٧) أخرجه الدارمي (٢/٢٤٠)، وانظر «السلسلة الصحيحة» (٢٦٢١).

(٨) رواه مسلم برقم (٤٦٩٩).

قال الإمام مسلم: عن شيوخه: عاد عبید الله بن زياد معقل بن يسار المزني في مرضه الذي مات فيه، قال معقل: إني محدثك حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ، لو علمت أن لي حياة ما حدثتك، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة».

قال القاضي عياض رحمته الله: «هذا الحديث وما في معناه قد تقدم معنى تحريم الجنة، والتأويل في مثله ومعناه يبين في التحذير من غش المسلمين لمن قلده الله شيئاً من أمرهم واسترعاه عليهم ونصبه خليفة لمصلحتهم وجعله واسطة بينه وبينهم في تدبير أمورهم في دينهم ودنياهم، فإذا خان فيما أوّمن عليه ولم ينصح فيما قلده واستخلف عليه إما بتضييع لتعريفهم ما يلزمهم لإدخال داخلته فيها أو تحريف لمعانيها أو إهمال حدودهم أو تضييع حقوقهم أو ترك حماية حوزتهم ومجاهدة عدوهم أو ترك سيرة العدل فيهم فقد غشهم».

وقد نبه رحمته الله أن ذلك من كبائر الذنوب الموبقة المبعدة عن الجنة، إذا دخلها السابقون والمقربون، إن أنفذ الله عليه وعيده الموجب بعذابه بالنار، أو إيقافه بالبرزخ والأعراف المدة التي يشاء الله تعالى أو يحرم الجنة رأساً إن فعل ذلك مستحلاً^(١).

قال الحافظ ابن حجر:

«وقوله: (وهو غاش) قيد للفعل المقصود بالذكر، يريد أن الله إنما ولاه على عباده ليديم لهم النصيحة لا يغشهم حتى يموت على ذلك، فلما قلب القضية استحق أن يعاقب»^(٢).

وقال الصنعاني في «سبل السلام»:

«والغش بالكسر ضد النصح ويتحقق غشه بظلمه لهم وأخذ أموالهم وسفك

(١) انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» - للقاضي عياض (١/٤٤٦-٤٤٧).

(٢) «الفتح» (١٣/١٢٦-١٢٨) باب من استرعى رعية ولم ينصح.

دمائهم وانتهاك أعراضهم واحتجابه عن خلتهم وحاجتهم وحبسه عنهم ما جعله الله لهم من مال الله سبحانه المعين للمصارف وترك تعريفهم بما يجب عليهم من أمر دينهم ودنياهم وإهمال الحدود وردع أهل الفساد وإضاعة الجهاد وغير ذلك مما فيه مصالح العباد، ومن ذلك توليته لمن لا يحوطهم ولا يراقب أمر الله فيهم وتوليته من غيره أرضى الله منه مع وجوده.

والأحاديث دالة على تحريم الغش وأنه من الكبائر لورود الوعيد عليه بعينه، فإن تحريم الجنة هو وعيد الكافرين في القرآن؛ كما قال تعالى: ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾^(١)، وهو على رأي من يقول بخلود أهل الكبائر في النار على الزجر والتغليظ، قال ابن بطال: هذا وعيد شديد على أئمة الجور فمن ضيع من استرعاه الله عليهم أو خانهم أو ظلمهم فقد توجه إليه الطلب بمظالم العباد يوم القيامة فكيف يقدر على التحلل من ظلم أمة عظيمة.

ومعنى حرم الله عليه الجنة أي: أنفذ عليه الوعيد ولم يرض عنه المظلومين^(٢).

«فالمسئولية كبيرة والأمر خطير، فليس المقصود بالولاية بسط السلطة ونيل المرتبة، إنما المقصود بها تحمل مسئولية عظيمة تتركز على إقامة الحق بين الخلق بنصر دين الله وإصلاح عباد الله دينياً ودينياً، فيجب على الولاية صغاراً أو كباراً إخلاص النية لله ﷻ بحسب استطاعتهم على الشريف والوضيع، والقريب والبعيد، لا يحابوا شريفاً لشرفه، ولا قريباً لقربه، متمشين في ذلك على ما رسم لهم نبيهم ﷺ، حيث قال معلناً مقسماً وهو البار الصادق بدون قسم: «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»، فمن قام بذلك من ولاة الأمور الصغيرة أو الكبيرة كان مطيعاً لله ورسوله، مؤدياً لأمانته، نائلاً ثواب الله ورضاء الخلق عليه،

(١) سورة المائدة: (آية ٧٢).

(٢) انظر «سبل السلام» للصنعاني رَحِمَهُ اللهُ (٤/٣٦٣-٣٦٤).

فإن الله يحب المقسطين، قال النبي ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمينه، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا». [رواه مسلم].

وقال: «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى، وعفيف متعفف ذو عيال» [رواه مسلم] (١).

غش الرعية باقتناء الستلايت!!:

يقول فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

«من مات وخلف في بيته الدش (الستلايت) فقد غش رعيته فحرم الله عليه الجنة».

قال النبي ﷺ: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة»، وهذه الرعاية الكبرى الواسعة والرعاية الصغرى وتشمل رعاية الرجل في أهله؛ لقول النبي ﷺ: «الرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته»، وعلى هذا فمن مات وقد خلف في بيته شيئاً من صحون الاستقبال (الستلايت) فإنه قد مات وهو غاش لرعيته فسوف يحرم من الجنة كما جاء في الحديث.

ولهذا نقول: إن أي معصية تترتب على هذا (الستلايت) الذي ركبها الإنسان قبل موته فإن عليه وزرها بعد موته وإن طال الزمن وكثرت المعاصي.

فاحذر أخي المسلم، أن تخلف بعدك ما يكون إثماً عليك في قبرك وما كان عندك من هذه الأجهزة، فالواجب عليك أن تكسره (تحطمه) لأنه لا يمكن الانتفاع به إلا على وجه محرّم غالباً، فلا يمكن بيعه لأنك إذا بعته سلطت المشتري على استعماله في معصية الله، وحينئذ تكون ممن أعان على الإثم والعدوان، وكذلك

(١) «الضياء اللامع» (ص ٦٦٠-٦٦١).

إن وهبته فأنت معين على الإثم والعدوان، ولا طريق للتوبة من ذلك قبل الموت إلا بتكسير هذه الآلة- الدش- التي حصل فيها من الشر والبلاء ما هو معلوم اليوم للعام والخاص، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّعَدُّنِ﴾. احذر يا أخي أن يفاجئك الموت وفي بيتك هذه الآلة الخبيثة، احذر... احذر، فإن إثمها ستبوء به وسوف يجري عليك بعد موتك.

نسأل الله السلامة والعافية، وأن يهدينا وإخواننا المسلمين صراطه المستقيم، وأن يتولانا بعنايته، ويحفظنا برعايته، إنه جواد كريم^(١).

غش الرعية لولاية الأمور:

«يجب القيام بحق الأئمة، وخصوصًا الأئمة العادلين من أمراء المسلمين وملوكهم وولاية أمرهم؛ فإن الله أمر بطاعتهم في قوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢)، وهم العلماء والملوك، وقال ﷺ: «ومن يطع الأمير فقد أطاعني»^(٣). ومن إجلال الله إجلال السلطان المقسط، وهو أحد السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، والملوك هم الذين إذا صلحوا صلحت الرعية، وإذا فسدوا فسدت الرعية، وبهم قيام الدين والإلزام بجميع شرائع الدين، وإقامة الحدود وردع المفسدين، وبهم أمّنت السبل.

لولا الخلافة لم تأمن لنا سبل وكان أضعفنا نهبًا لأقوانا

وبهم قام الجهاد بالعلم والحجة والبرهان، وبالسلاح والسيف والسنان، فكم لهم من الآثار الحميدة، فحقهم عظيم على جميع الرعية، عليه النصح لهم في كل ما يقدر على نصحتهم، وإعانتهم على مهماتهم، واعتقاد ولايتهم، وحث الناس على لزوم طاعتهم، وإرشادهم إلى كل خير وصلاح، وتحذيرهم عن كل شر وضرر

(١) قاله ﷺ في خطبة الجمعة في (٢٥/٣/١٤١١هـ)، وقد قرأه وسمح بنشره.

(٢) سورة النساء: (آية ٥٩).

(٣) رواه البخاري (رقم ٢٩٥٧)، ومسلم (رقم ١٨٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

في الدين والدنيا على وجه الرفق واللين ، والدعاء لله بصلاحهم ، فإن الدعاء لهم دعاء للرعية كلها ، كما أن إرشادهم إلى مصلحة ومشروع خيري نفع شامل .

وعلى الناس أن يعضوا من مساويهم ، ولا يشتغلوا بسببهم ، بل يسألون الله لهم التوفيق ، فإن سب الملوك والأمراء فيه شر كبير ، وضرر عام وخاص ، وربما تجد الساب لهم لم تحدثه نفسه بنصيحتهم يوماً من الأيام ، وهذا عنوان الغش للراعي والرعية .

وحقوق الملوك الصالحين لا تعد ولا تحصى ، فهم وإن كانت لهم سيئات كثيرة ، فإن لهم حسنات أكثر من غيرهم من الرعية»^(١) .

و«الدعاء لهم وعدم ذكر معائبهم في المجالس ، من النصيحة لهم ومن كان يريد أن ينصح الإمام فإنه يوصل النصيحة إليه في نفسه ، إما مشافهة وإما كتابة ، وإما بأن يوصي له من يتصل به ويبلغه عن هذا الشيء وإذا لم يتمكن فهو معذور .

أما من يجلس في المجالس أو على المنابر أو أمام أشربة ويسب ولالة الأمور ويعيبهم ، فهذا ليس من النصيحة وإنما هو من الخيانة لولاية الأمور ، والنصيحة لهم تشمل الدعاء لهم بالصلاح ، وتشمل ستر عيوبهم وعدم إفشائها على الناس وكذلك من النصيحة لهم : القيام بالأعمال التي يكلونها إلى الموظفين ، ويعهدون بها إلى الولاية في القيام بها ، هذا من النصيحة لولاية الأمور»^(٢) .

قال رسول الله ﷺ : «إن الله يرضى لكم ثلاثاً : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتمموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تنصحوا من ولأه الله أمركم»^(٣) .

قال العلامة ابن العثيمين رَحِمَهُ اللهُ : «حقوق الولاية على رعيته : النصح والإرشاد بالحكمة والموعظة الحسنة بسلوك أقرب الطرق إلى توجيههم

(١) «نور البصائر والألباب» (ص ٦١-٦٥) للسعدي .

(٢) «شرح مسائل الجاهلية» للفرزاني (ص ٥١-٥٢) .

(٣) أخرجه مسلم (رقم ١٧١٥) .

وإرشادهم ، وألا يتخذ من خطئهم - إذا أخطئوا - وهم معرضون للخطأ كغيرهم من بني آدم ، لكن لا يتخذ من هذا الخطأ سلماً للقدح فيهم ونشر عيوبهم بين الناس ، فإن قدحاً يوجب التنفير عنهم وكراهيتهم وكراهية ما يقومون به من أعمال وإن كانت حقاً ، ويوجب بالتالي التمرد عليهم وعدم السمع والطاعة ، وفي ذلك تفكيك المجتمع وحدوث الفوضى والفساد .

ومن حقوق الولاية على رعيتهم السمع والطاعة بامثال ما أمروا به وترك ما نهوا عنه ، ما لم يكن في ذلك مخالفة لشريعة الله ، فإن كان في ذلك مخالفة لشريعة الله فلا سمع لهم ولا طاعة ، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . . .

إن من طاعة ولاة الأمور التي أمر الله بها أن يتمشى المؤمن على أنظمة حكومته المرسومة إذا لم تخالف الشريعة ، فمن تمشى على ذلك كان مطيعاً لله ورسوله ، ومثاباً على عمله ، ومن خالف ذلك كان عاصياً لله ورسوله آثماً بذلك»^(١) .

«والمقصود أن الواجب على جميع المسلمين التعاون مع ولاة الأمور في الخير والهدى والصلاح حتى يحصل الخير ويستتب الأمن ، وحتى يقضي على الظلم ، وحتى ينصر المظلوم ، وحتى تؤدى الحقوق ، هذا هو الواجب على المسلمين ؛ التعاون مع الولاية ، ومع القضاة ، ومع الدعاة إلى الله ، ومع كل مصلح في إيجاد الحق ، والدعوة إليه وفي نصر المظلوم ، وردع الظالم وإقامة أمر الله ، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعوة إلى الخير ، والتخلص من الباطل ، ويجب التعاون والتناصح لمن حاد عن الخير ؛ فينصح ويوجه إلى الخير وأسباب النجاة ؛ حتى يحصل الخير العظيم والمصالح العامة ، وحتى يُقضى على الفساد والشر والاختلاف بالطرق الشرعية ، والناس في خير ما تناصحوا وتعاونوا على البر والتقوى ، فإذا تعاونوا على الباطل وعلى الشر والفساد ؛ ساد البلاء ،

(١) «الضياء اللامع في الخطب الجوامع» (ص ٦٥٩-٦٦٠) - طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية.

ونزع الأمن وانتصر الباطل، ودُفن الحق، وهذا هو الذي يحبه الشيطان والذي يدعو إليه شياطين الإنس والجن، فالواجب الحذر مما يدعو إليه شياطين الإنس والجن، والتواصي بكل أسباب الأمن، وبكل أسباب الخير والهدى، والتواصي بالتعاون مع ولاة الأمور في كل خير، ومع كل من يدعو إلى الخير، وإقامة أمر الله، وفي نصر الحق وفي إقامة المعروف، والتعاون مع كل مصلح فيما يدحض الباطل وفي التحذير من الباطل، والتحذير من الفرقة والاختلاف^(١).

غش العلماء:

إن العلماء ورثة الأنبياء يهدونهم إلى الحق ويرشدونهم إليه، فهم منارات الهدى ومصابيح الدجى؛ فلولا العلماء لكان الناس كالأنعام لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، ففضل العلماء على الأمة عظيم ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾^(٢). والإمامة في الدين إنما تنال بالصبر واليقين، ولكن هل كل من لبس العمامة والحجبة عالم؟! وهل كل من أشير إليه بالبنان عالم!!!

لا . . . فالعالم الذي يخشى الله ويتقيه حق تقاته، ويعمل بطاعته ويحذر معصيته بطلب العلم لله؛ لا ليماري به العلماء، أو ليجاري به السفهاء، أو ليصرف به وجوه الناس إليه، أو ليوسع له في المجالس وتغدق عليه الجوائز والصلوات، ويلقى عليه هالة من التقديس فيمدح بما ليس فيه، ويتشبع بما لم يعط، فيغدو كلابس ثوبي زور!!

وعالم السوء من أحسن زخرفة الألفاظ، وأجاد سبك العبارات، وبرع في ترتيب الكلام، وهو في الداخل خواء من كل فضيلة، قد ملأ النفاق قلبه وأفاض على جوارحه، يحسبه الظمان ماءً وما هو إلا السراب بقيعة، يقول ما لا يفعل،

(١) مجموع فتاوى ومقالات سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ (٩٦/٩).

(٢) سورة السجدة: (آية ٢٤).

ويفعل ما لا يؤمر، ويقفو ما ليس له به علم، ويعرض عما ندب إليه، ويتكلف ما لا يعنيه، يشتغل بعيوب الآخرين وينسى عيوب نفسه، قصده من العلم التنعم بالدنيا والتوصل إلى المنزلة عند أهلها، أولئك لا ينالون الإمامة في الدين حتى يعود اللبن في الضرع، وحتى يلج الجمل في سم الخياط، إلا أن يشاء الله.

قال تاج الدين السبكي رحمته الله: «حق عليهم - أي العلماء - إرشاد المتعلمين، وإفتاء المستفتين، ونصح الطالبين، وإظهار العلم للسائلين، فمن كتم علماً أجمه الله بلجام من نار، وألا يقصدوا بالعلم الرئاء والمباهاة والسمعة، ولا جعله سبيلاً إلى الدنيا، فإن الدنيا أقل من ذلك. قال الفضيل رحمته الله: إني لأرحم ثلاثة: عزيز قوم ذل، وغنياً افتقر، وعالماً تلعب به الدنيا، وأنشد بعضهم:

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشتري دنياه بالدين أعجب

فأقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخستها، وكدورتها وانصرامها، وعظم الآخرة وصفاءها ودوامها، وأن يعلم أنهما متضادتان، وأنهما ضرّتان، متى أرضيت واحدة أسخّطت الأخرى، وكفّتا ميزان؛ متى رجحت إحداهما خفّت الأخرى، وكالمشرق والمغرب؛ متى قربت من أحدهما بعدت عن الآخر، وكقدحين أحدهما مملوء؛ فبقدر ما تصب منه في الآخر تفرغ من هذا، فمن لا يعلم حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذاتها بالهموم فاسد العقل؛ فإن المشاهدة والتجربة ترشد العقلاء إلى ذلك، فكيف يكون في العلماء من لا عقل له! ومن لا يعلم عظم أمر الآخرة ودوامها فهو كافر لا إيمان له، فكيف يكون من العلماء من لا إيمان له! ومن لا يعلم أنهما ضرّتان والجمع بينهما بعيد فهو جاهل. ومن علم هذا كله، ثم آثر الحياة الدنيا على الآخرة فهو أسير الشيطان؛ قد أهلكته شهوته، وغلبت عليه شقوته، فكيف يعدّ من العلماء من هذه درجته. ووحق الحق إنني لأعجب من عالم يجعل علمه سبيلاً إلى حطام الدنيا، وهو يرى كثيراً من الجهال وصلوا من الدنيا إلى ما لا ينتهي هو إليه! فإذا كانت الدنيا تنال مع الجهل فما بالنا نشترينا بأنفس الأشياء وهو العلم! فينبغي أن يقصد بالعلم وجه الله تعالى،

والترقي إلى جوار الملاء الأعلى .

والكلام في العلماء وما ينبغي لهم يطول ، ولكننا نبه على مهمات ؛ فمن هؤلاء من يطلب العلو في الدنيا والتردد إلى أبواب السلاطين والأمراء كما ذكرناه ، وحب المناصب والجاه ، فيؤدي ذلك إلى أن قلبه يُظلم بهذه الأكدار ، ويزول صفاؤه بهذه الأمور التي تُظلم القلوب ، وتُبعد عن علام الغيوب ، وإلى أنه يشتغل بهم وبها عن الازدياد في العلم ؛ فكم رأينا فقيهاً تردد إلى أبواب الملوك فذهب فقهه ، ونسي ما كان يعلمه ، وإلى فساد عقيدة الأمراء في العلماء فإنهم يستحقرون المتردد إليهم ، ولا يزالون يعظمون الفقيه حتى يسألهم في حوائجه ، ويثول ذلك إلى أنهم يظنون في أهل العلم السوء ولا يطيعونهم فيما يفتون به ، وينقصون العلم وأهله ، وذلك فساد عظيم ، وفيه هلاك العالم»^(١) .

ف«إن من الضلال البعيد والغش للمسلمين والتدليس على شبيبتهم جلب أقوال الفرق الضالة ، وكسائها بلحاء الشريعة ، ونسبتها إلى مذهب أهل السنة والجماعة ، نتيجة لردود الأفعال وجدل المخاصمات ، فلا يجوز بحال الميلُ لشيء من أهواء النواصب لمواجهة الروافض ، ولا لشيء من أهواء القدرية لمواجهة الجبرية ، ولا لشيء من أهواء المرجئة لمواجهة الخوارج أو العكس ، في ذلك كله وهكذا من رد الباطل بمثله ، والضلالة بأخرى ، وهذه جادة الأخسرين أعمالاً ، وقد فضح الله المنافقين بها ، وهتك أستارهم فيها في مواضع من كتابه ، منها في صدر سورة البقرة ، إذ قالوا لتأييد إفسادهم : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصَلِحُونَ ﴾^(٢) ، فكذبهم الله بقوله : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾^(٣) .

ولما صدوا عما أنزل الله تعالى حكى الله عنهم اعتذارهم ﴿ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴾^(٤) .

(١) «معيد النعم ومبيد النقم» للسبكي (ص ٥٧-٥٨) مؤسسة الثقافة - بيروت .

(٢) سورة البقرة : (آية ١١) .

(٣) سورة البقرة : (آية ١٢) .

(٤) سورة النساء : (آية ٦٢) .

فالواجب رد الباطل والأهواء المضلة بالكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة من الصحابة رضي الله عنهم فمن تبعهم بإحسان. ولا نرى مثل هذا التوجه إلى نصره مذهب المرجئة وإدخاله في مذهب أهل السنة والجماعة إلا من «السقوط في الفتنة» ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾^(١).

ومن أراد الله سعادته جعله يعتبر بما أصاب غيره، فيسلك مسلك من أيده الله بنصره، ويجتنب مسلك من خذله الله وأهانته^(٢).

غش الجماعات الإسلامية والأحزاب المعاصرة:

أولاً: الحزبية والدعوة الى التوحيد:

١- سئل الشيخ الإمام عبد العزيز بن باز رحمته الله:

سماحة الشيخ: حركة الإخوان المسلمين دخلت المملكة منذ فترة وأصبح لها نشاط بين طلبة العلم، ما رأيكم في هذه الحركة؟ وما مدى توافقها مع منهج السنة والجماعة؟

الجواب: حركة الإخوان المسلمين ينتقدها خواص أهل العلم؛ لأنه ليس عندهم نشاط في الدعوة إلى توحيد الله وإنكار الشرك وإنكار البدع، لهم أساليب خاصة ينقصها عدم النشاط في الدعوة إلى الله، وعدم التوجه إلى العقيدة الصحيحة التي عليها أهل السنة والجماعة. فينبغي للإخوان المسلمين أن تكون عندهم عناية بالدعوة السلفية، الدعوة إلى توحيد الله، وإنكار عبادة القبور، والتعلق بالأموات والاستغاثة بأهل القبور كالحسين أو الحسن أو البدوي، أو ما أشبه ذلك، يجب أن يكون عندهم عناية بهذا الأصل الأصيل، بمعنى لا إله إلا الله، التي هي أصل الدين، وأول ما دعا إليه النبي صلى الله عليه وسلم في مكة دعا إلى توحيد الله، إلى معنى لا إله إلا

(١) سورة التوبة: (آية ٤٩).

(٢) درء الفتنة للشيخ بكر أبو زيد (ص ١٠-١٢).

اللَّهِ، فكثير من أهل العلم ينتقدون على الإخوان المسلمين هذا الأمر، أي: عدم النشاط في الدعوة إلى توحيد الله، والإخلاص له، وإنكار ما أحدثه الجهال من التعلق بالأموات والاستغاثة بهم، والنذر لهم والذبح لهم، الذي هو الشرك الأكبر، وكذلك ينتقدون عليهم عدم العناية بالسنة: تتبع السنة، والعناية بالحديث الشريف، وما كان عليه سلف الأمة في أحكامهم الشرعية، وهناك أشياء كثيرة أسمع الكثير من الإخوان ينتقدونهم فيها، نسأل الله أن يوفقهم ويعينهم ويصلح أحوالهم»^(١)

٢- فتوى سماحة الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ:

من محمد بن إبراهيم إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد بن سعود رئيس الديوان الملكي الموقر، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد تلقيت خطاب سموكم (رقم ٣٦/٤/٥-د في ٢١/١/١٣٨٢هـ) وما برفقه، وهو الالتماس المرفوع إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم من محمد عبد الحامد القادري وشاه أحمد نوراني وعبد السلام القادري وسعود أحمد الدهلوي حول طلبهم المساعدة في مشروع جمعيتهم التي سموها «كلية الدعوة والتبليغ الإسلامية»، وكذلك الكتيبات المرفوعة ضمن رسالتهم. وأعرض لسموكم أن هذه الجمعية لا خير فيها؛ فإنها جمعية بدعة وضلالة، وبقراءة الكتيبات المرفقة بخطابهم: وجدناها تشتمل على الضلال والبدعة والدعوة إلى عبادة القبور والشرك، الأمر الذي لا يسع السكوت عنه، ولذا فنسقوم إن شاء الله بالرد عليها بما يكشف ضلالها ويدفع باطلها، ونسأل الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته. والسلام عليكم ورحمة الله». (ص-م ٤٠٥ في ٢٩/١/١٣٨٢هـ)^(٢).

(١) مجلة «المجلة» (عدد ٨٠٦).

(٢) «القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ» للشيخ حمود التويجري (ص ٢٨٩).

٣- قال فضيلة الشيخ أحمد النجمي بعد أن أسهب وفضّل في الردّ على جماعتي الإخوان المسلمين والتبليغ في كتابه الماتع: «المورد العذب الزلال»:

«وقد تبين مما سبق أن هذه المناهج التي كتبت عنها وهما منهج الإخوان المسلمين - وما تفرع عنه من قطبية أو سرورية - ومنهج التبليغ قد ترك أصحابها أعظم أصل في الإسلام وأعظم أساس فيه ألا وهو التوحيد الذي دعت إليه جميع الرسل من أولهم نوح إلى آخرهم محمد ﷺ بشهادة القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، حيث يقول الله - جل وعلا - : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^(١). وقد أخبر ﷺ عن كل رسول أنه يقول لقومه : ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾^(٢). وقد ترك هؤلاء هذا الأصل الأصيل الذي بدأت به الرسل واستهانوا بضده وهو الشرك الأكبر، ففعلوه أو فعل إمامهم فأقروه وشجعوا على فعله بالسكوت عن فعله والتغاضي عنه، حتى ظن الجهال أن عبادة القبور ودعوة أصحابها عند الشدائد هو الدين، فدُعِيَ الأموات وطلب منهم قضاء الحوائج وكشف الشدائد وتفريج الكرب من غير نكير، بل قد وقع الشرك الأكبر من قادتهم كما تقدم.

ثانيًا: أن القادة والمؤسسين في هذه المناهج شرعوا لأتباعهم قوانين في الدعوة لم يشرعها الله ولا رسوله، فأوجبوا ما ليس بواجب بمحض الشرع وتركوا بعض الفرائض المهمة والواجبات المؤكدة، فاعتنى أتباعهم بما حضوهم عليه من السنن، وكان له عندهم الأولوية، وتركوا ما لم يحضوهم عليه من الأصول والأسس الدينية.

ثالثًا: وترتب على ذلك أن قدم أتباعهم المؤخر، وأخروا المقدم، فإن سمعوا

(١) سورة النحل: (آية ٣٦).

(٢) سورة هود: (آية ٦١).

داعياً يحض على التوحيد ويبين منزلته من الدين وأنه هو الأساس الأعظم فيه ويبين خطر الشرك وفضاعته وفحشه سخروا منه وحقروه وزعموا أنه صاحب عقل بدائي لأنه يوجه نقده إلى الشرك البدائي الساذج ويترك الشرك السياسي والخمر والعهر والإباحية السائدة.

قلنا: أما النهي عن الخمر والعهر والإباحية وتحريمها وبيان مضارهما فما أحسنه إن بني على التوحيد وكان بعد بيان مضار الشرك بالله المخلد في النار.

أما الشرك السياسي فنقول:

أ- إن الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له شاملة للدعوة إلى ترك الشرك السياسي وشرك العباداة.

ب- وأن الله قد أرسل رسلاً إلى قومهم ولم يأمر أحداً منهم أن ينهى عن الشرك السياسي ويترك شرك العباداة، بل أمرهم أن يدعوا أممهم إلى عبادة الله وحده وترك ما كانوا يعبدون من الآلهة.

ج- أنه ما من قوم بعث فيهم رسول إلا ولهم كهان يتحاكمون إليهم ولهم رؤساء يحكمون بغير ما أنزل الله، فلم يأمرهم أن يخصصوا دعوتهم لهؤلاء دون أولئك.

د- أما تسمية شرك القبور شركاً بدائياً أو بسيطاً ساذجاً، فهي مكيدة شيطانية يريد الشيطان أن يلهي بها من يتسمون بالدعاة عن الشرك الأكبر الذي اكتسح العالم الإسلامي أجمع وعم جميع البلدان إلا ما شاء الله.

رابعاً: بل تجاوزوا ذلك إلى بغض من دعا إلى التوحيد وحذر من الشرك وبين خطره والاشمئزاز منه وإسكاته، أو التنفير عنه زاعمين أن ذلك ليس من الحكمة، وكأن شيوخهم الذين سنوا لهم ذلك أعرف بالحكمة من الله ورسوله ﷺ.

خامساً: تجاوزوا ذلك إلى نفي الإسلام عن الموحدين والحكم بالإسلام للمشركين الوثنيين.

سادسًا: ضعف الولاء والبراء في المنهجين، وقد سبق الاستدلال على ذلك.

سابعًا: أن المؤسسين في المنهجين قد تربوا في أحضان الصوفية، وإن كان مؤسس التبليغ أعظم إيغالا في الصوفية وتأثرا بها.

ثامنا: اتخاذهم لهؤلاء المؤسسين مشرّعين يتحاكمون إلى أقوالهم ويترسمونها ويؤمنونها ويتخذونها نبراسا يعودون إليها عند التشاجر فيقولون: قال الإمام كذا في كتاب كذا.

تاسعًا: سنّوا لهم بدعًا فأخذوها ورسموا لهم خطة فاتبعوها وزعموا أنها هي الضمان للمصلحة دون غيرها.

عاشرًا: سنّوا لهم البيعة، فأخذوا بها وإن كان في ذلك مخالفة لهدي النبي ﷺ وأصحابه وعلماء السلف من ذلك الزمن إلى زمننا هذا، لا نعلم داعية قد قام بدعوة إلى الله فأخذ البيعة من الناس عليها، إلا إذا كان يريد بدعوته ملكًا.

الحادية عشرة: أنهم سنّوا لهم الإمارة في الحضرة فأخذوا بها وإن كانت مخالفة لهدي المصطفى ﷺ وأصحابه ومن سار على هديه من سلف الأمة وإلى يومنا هذا، وعزروا بهذا على الأحداث وأعطوهم مناصب وهمية، فظنوا أنهم قد حذوا من العلم ما يكفي، فكانوا مثل عتاب بن أسيد ومحمد بن القاسم -رحمهم الله-.

الثانية عشرة: سنّوا لهم الخروج للدعوة فيما زعموا، وإن اختلفت صفته من منهج إلى منهج، وما عرفنا عن السلف أنهم كانوا يخرجون إلا للغزو، وما كانوا يجلسون لإلقاء الدروس أو تعليم القرآن والسنة وتعلمها إلا في المساجد.

الثالثة عشرة: سنّوا لهم التقيّة زاعمين في ذلك أنهم يتأسون بالنبي ﷺ في دعوته السرية، والجواب أن الدعوة السرية قد نسخت بقوله تعالى: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١).

(١) سورة الحجر: (آية ٩٤).

الرابعة عشرة: أن كلاً من المنهجين قد حصر الإسلام في الأصول التي أُلزم بها أتباعه، فالمنهج الإخواني مثلاً حصر الإسلام في الأصول العشرين، أو جعل لها مزية على غيرها، والمنهج التبليغي قد أُلزم أتباعه بالأصول الستة، أو جعل لها العناية دون غيرها، وهذا ما أنزل الله به من سلطان.

الخامسة عشرة: أن كلاً من المنهجين يُعنون بالفضائل ويزهدون في العقائد وتعلمها وتعلم السنة، ويفضلون العبادة والدعوة وإن كانت على جهل وبدع على الفقه في الدين، سواء كان في الفقه العقائدي المبني على الكتاب والسنة أو الفقه الفروعى المأخوذ منهما، فكم غرّوا من جهال وأطفال عن أنفسهم وعن طلب العلم الذي ينفع بما أعطوهم من إمارة ورتب وهمية لكي يقودوا جهالاً مثلهم إلى الدينونة بذلك المنهج الخاطى ويغروهم كما غرّوا غيرهم، ويظن الجميع بأنفسهم أنهم علماء، ويكونون كلهم ضحية لتلك المناهج الخاطئة، وفيما ذكر كفاية يستدل به على ما وراءه^(١).

ثانياً: الحزبية والولاء والبراء:

١- سئل شيخنا فضيلة الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمته الله:

ما رأيكم في جماعة التبليغ: هل يجوز لطالب العلم أو غيره أن يخرج معهم بدعوى الدعوة إلى الله؟

فأجاب: جماعة التبليغ لا تقوم على منهج الكتاب وسنة رسوله ﷺ، وما كان عليه سلفنا الصالح. وإذا كان الأمر كذلك، فلا يجوز الخروج معهم؛ لأنه يناهى منهجنا في تبليغنا لمنهج السلف الصالح.

ففي سبيل الدعوة إلى الله يخرج العالم، أما الذين يخرجون معهم فهؤلاء

(١) «المورد العذب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال» للشيخ النجمي (ص ٣٢٩-٣٣٥).

واجبهم أن يلزموا بلادهم وأن يتدارسوا العلم في مساجدهم، حتى يتخرج منهم علماء يقومون بدورهم في الدعوة إلى الله، وما دام الأمر كذلك فعلى طالب العلم إذن أن يدعو هؤلاء في عقر دارهم، إلى تعلم الكتاب والسنة ودعوة الناس إليها.

وهم - أي جماعة التبليغ - لا يُعنون بالدعوة إلى الكتاب والسنة كمبدأ عام، بل إنهم يعتبرون هذه الدعوة مفرقة، ولذلك فهم أشبه ما يكونون بجماعة الإخوان المسلمين.

فهم يقولون: إن دعوتهم قائمة على الكتاب والسنة، ولكن هذا مجرد كلام، فهم لا عقيدة تجمعهم، فهذا ماتريدي، وهذا أشعري، وهذا صوفي، وهذا لا مذهب له.

ذلك لأن دعوتهم قائمة على مبدأ: كتل جمّع ثم ثقّف، والحقيقة أنه لا ثقافة عندهم، فقد مرّ عليهم أكثر من نصف قرن من الزمان ما نبغ فيهم عالم.

وأما نحن فنقول: ثقّف ثم جمّع، حتى يكون التجميع على أساس مبدأ لا خلاف فيه.

فدعوة جماعة التبليغ صوفية عصرية، تدعو إلى الأخلاق، أما إصلاح عقائد المجتمع؛ فهم لا يحركون ساكنًا؛ لأن هذا - بزعمهم - يفرّق. وقد جرت بين الأخ سعد الحصين وبين رئيس جماعة التبليغ في الهند أو في باكستان مراسلات، تبين منها أنهم يقرون التوسل والاستغاثة وأشياء كثيرة من هذا القبيل، ويطلبون من أفرادهم أن يبايعوا على أربع طرق، منها الطريقة النقشبندية، فكل تبليغي ينبغي أن يبايع على هذا الأساس. وقد يسأل سائل: إن هذه الجماعة عاد بسبب جهود أفرادها الكثير من الناس إلى الله، بل وربما أسلم على أيديهم أناس من غير المسلمين، أفليس هذا كافيًا في جواز الخروج معهم والمشاركة فيما يدعون إليه؟ فنقول: إن هذه الكلمات نعرفها ونسمعها كثيرًا ونعرفها من الصوفية!!

فمثلاً يكون هناك شيخ عقيدته فاسدة ولا يعرف شيئًا من السنة، بل ويأكل

أموال الناس بالباطل . . . ومع ذلك فكثير من الفساق يتوبون على يديه . . . !
فكل جماعة تدعو إلى خير لا بد أن يكون لهم تبع، ولكن نحن ننظر إلى
الصميم، إلى ماذا يدعون؟ هل يدعون إلى اتباع كتاب الله وحديث الرسول ﷺ
وعقيدة السلف الصالح، وعدم التعصب للمذاهب، واتباع السنة حيثما كانت ومع
من كانت؟! فجماعة التبليغ ليس لهم منهج علمي، وإنما منهجهم حسب المكان
الذي يوجدون فيه، فهم يتلونون بكل لون^(١).

لذلك نعتقد جازمين أن كل جماعة لا تقوم قائمتها على دراسة هذا الأساس من
الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح دراسة واسعة جداً محيطية بكل أحكام الإسلام
كبيرها وصغيرها أصولها وفروعها، فليست هذه الجماعة من الفرقة الناجية التي تسير
على الصراط المستقيم الذي أشار إليه الرسول ﷺ في ذلك الحديث الصحيح.

وإذا فرضنا أن هناك جماعات متفرقة في البلاد الإسلامية على هذا المنهج،
فهذه ليست أحزاباً وإنما هي جماعة واحدة، ومنهجها منهج واحد وطريقها واحد،
فتفرقهم في البلاد وليس تفرقاً فكرياً عقدياً منهجياً، وإنما هو تفرق بتفرقهم في
البلاد^(٢)، بخلاف الجماعات والأحزاب التي تكون في بلد واحد ومع ذلك فكل
حزب بما لديهم فرحون. هذه الأحزاب لا نعتقد أنها على الصراط المستقيم، بل
نجزم بأنها على تلك الطرق التي على رأس كل طريق منها شيطان يدعو الناس إليه.
ولعل في هذا جواباً لما سبق^(٣).

٢- سئل فضيلة الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي رحمته الله عن خروج جماعة

التبليغ لتذكير الناس بعظمة الله؟

فقال الشيخ: «الواقع أنهم مبتدعة محرّفون وأصحاب طرق قادية وغيرهم،
وخروجهم ليس في سبيل الله، ولكنه في سبيل إلياس، هم لا يدعون إلى الكتاب

(١) الفتاوى الإماراتية لشيخنا الألباني رحمته الله (س ٧٣- ص ٣٨).

(٢) كما قال الشافعي في «الرسالة»: «الجماعة جماعتان: جماعة أفهام، وجماعة أبدان».

(٣) «فتاوى الشيخ الألباني» لعكاشة الطيبي (!!) (ص ١٠٦-١١٤) مكتبة التراث الإسلامية.

والسنة، ولكن يدعون إلى إلياس شيخهم في بنجلاديش^(١)، أما الخروج بقصد الدعوة إلى الله فهو خروج في سبيل الله وليس هذا هو خروج جماعة التبليغ، وأنا أعرف التبليغ من زمان قديم، وهم المبتدعة في أي مكان كانوا هم في مصر وإسرائيل وأمريكا والسعودية، وكلهم مرتبطون بشيخهم إلياس^(٢).

٣- سئل فضيلة الشيخ العلامة عبد المحسن العباد -حفظه الله- عن جماعتي الإخوان المسلمين والتبليغ؟

فقال: «هذه الفرق المختلفة الجديدة؛ أولاً: هي محدثة ميلادها في القرن الرابع عشر، قبل القرن الرابع عشر ما كانت موجودة، هي في عالم الأموات، وولدت في القرن الرابع عشر.

أما المنهج القويم والصراط المستقيم فميلاده أو أصله من بعثة الرسول الكريم ﷺ، ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه من حيث بعثته -عليه الصلاة والسلام-، فمن اقتدى بهذا الحق والهدى فهذا هو الذي سلم ونجا، ومن حاد عنه فإنه منحرف.

تلك الفرق أو تلك الجماعات من المعلوم أن عندها صواباً وعندها خطأ، لكن أخطاؤها كبيرة وعظيمة، فيحذر منها ويحرص على اتباع الجماعة الذين هم أهل السنة والجماعة الذين هم على منهج سلف هذه الأمة، والذين التعويل عندهم إنما هو على ما جاء عن الله وعن رسوله -عليه الصلاة والسلام-، وليس التعويل على أمور جاءت عن فلان وفلان، وعلى طرق ومناهج أحدثت في القرن الرابع عشر الهجري، فإن تلك الجماعات أو الجماعتين اللتين أشير إليهما إنما وُجدتا وولدتا في القرن الرابع عشر، على هذا المنهج وعلى هذه الطريقة المعروفة التي هي الالتزام بما كانوا عليه مما أحدثه من أحدث تلك المناهج وأوجد تلك

(١) محمد إلياس كان في مركز جماعة التبليغ في الهند، وليس في بنجلاديش.

(٢) فتاوى ورسائل الشيخ عبد الرزاق عفيفي رَحِمَهُ اللهُ (١/١٧٤).

المناهج، فالاعتماد ليس على أدلة الكتاب والسنة، وإنما هو على آراء وأفكار ومناهج جديدة مُحدثة يبنون عليها سيرهم ومنهجهم، ومن أوضح ما في ذلك أن الولاء والبراء عندهم إنما يكون لمن دخل معهم ومن كان معهم.

فمثلاً جماعة الإخوان من دخل معهم فهو صاحبهم، يوالونه، ومن لم يكن معهم فإنهم يكونون على خلاف معه، أما لو كان معهم ولو كان من أخبث خلق الله ولو كان من الرافضة، فإنه يكون أخاهم ويكون صاحبهم، ولهذا من مناهجهم أنهم يجمعون من هبّ ودبّ حتى الرافضي الذي هو يُبغض الصحابة، ولا يأخذ بالحق الذي جاء عن الصحابة إذا دخل معهم في جماعتهم، فهو صاحبهم ويُعتبر واحداً منهم، له ما لهم وعليه ما عليهم^(١).

ثالثاً: الحزبية وتفريق الأمة:

قال الشيخ عبد الله بن غديان -حفظه الله-:

«هذه البلاد ما كانت تعرف اسم أي جماعات، لكن وفد علينا ناس من الخارج، وكل ناس يؤسسون ما كان موجوداً في بلدهم.

فعدنا مثلاً ما يسمونهم بجماعة الإخوان المسلمين، وعدنا مثلاً جماعة التبليغ، وهناك جماعات كثيرة، كل واحد يرأس له جماعة يريد أن يتبعه الناس في هذه الجماعة، ويحرّم ويمنع اتباع غير جماعته ويعتقد أن جماعته هي التي على الحق، وأن الجماعات الأخرى على ضلالة. فكم حق في الدنيا؟!!!

الحق واحد كما ذكرت لكم؛ أن الرسول ﷺ بين افتراق الأمم وأن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة. قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

كل جماعة تضع لها نظاماً، ويكون لها رئيس، وكل جماعة من هذه

(١) «فتاوى العلماء في الجماعات وأثرها على بلاد الحرمين» (تسجيلات منهاج السنة السمعية).

الجماعات يعملون بيعة، ويريدون الولاء لهم وهكذا .

يفترقون الناس - في البلد الواحدة - تجد أن أهلها يفترقون فرقًا، وكل فرقة تنشأ بينها وبين الفرقة الأخرى عداوة، فهل هذا من الدين؟ لا . ليس هذا من الدين؛ لأن الدين واحد، والحق واحد، والأمة واحدة، الله - جل وعلا - يقول: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾، ما قال: كنتم أقسامًا، لا؛ قال: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾^(١).

وفي الحقيقة إن الجماعات هذه جاءتنا وعملت حركات في البلد: حركات سيئة؛ لأنها تستقطب الناس وبخاصة الشباب، لأنهم لا يريدون الناس الكبار؛ هؤلاء قضوا منهم ما لهم فيهم شغل لكن يأتون أبناء المدارس في المتوسط وأبناء المدارس في الثانوي وأبناء المدارس في الجامعات، وهكذا بالنظر للبنات أيضًا . يوجد دعوة الآن لجماعة الإخوان المسلمين، ودعوة لجماعة التبليغ حتى في مدارس البنات .

فلماذا لا يكون الإنسان مع الرسول ﷺ»^(٢).

رابعًا: الحزبية والسلطة:

قال فضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ - حفظه الله -:

«وأما جماعة الإخوان المسلمين، فإن من أبرز مظاهر الدعوة عندهم التكتم والخفاء والتلون، والتقرب إلى من يظنون أنه سينفعهم، وعدم إظهار حقيقة أمرهم، يُظهر كلامًا ويبطن غيره، لا يقول كل ما عنده .

ومن مظاهر الجماعة وأصولها: أنهم يغلقون عقول أتباعهم عن سماع القول الذي يخالف منهجهم، ولهم في هذا الإغلاق طرقٌ شتى متنوعة، منها إشغال وقت

(١) سورة آل عمران: (آية ١١٠).

(٢) المرجع السابق .

الشباب جميعه من صبحه إلى ليله حتى لا يسمع قولاً آخر، ومنها أنهم يحذرون ممن ينقدهم، فإذا رأوا واحداً من الناس يعرف منهجهم وطريقتهم وبدأ في نقدهم وفي تحذير الشباب من الانخراط في الحزبية البغيضة أخذوا يحذرون منه بطرق شتى؛ تارة باتهامه، وتارة بالكذب عليه، وتارة بقذفه في أمور هو منها براء، ويعلمون أن ذلك كذب، وتارة يقفون منه على غلط فيشنعون به عليه، ويضخمون ذلك حتى يصدوا الناس عن اتباع الحق والهدى، وهم في ذلك شبيهون بالمشركين يعني في خصلة من خصالهم، حيث كانوا ينادون على رسول الله ﷺ في المجمع بأن هذا صابئ، وأن هذا فيه كذا وفيه كذا، حتى يصدوا الناس عن اتباعه.

أيضاً مما يميز الإخوان عن غيرهم أنهم لا يحترمون السنة ولا يحبون أهلها، وإن كانوا في الجملة لا يظهرون ذلك، لكنهم في حقيقة الأمر ما يحبون السنة ولا يدعون لأهلها، وقد جربنا ذلك في بعض من كان منتمياً لهم أو خالط بعضهم، فتجد أنه لما بدأ يقرأ كتب السنة مثل صحيح البخاري أو الحضور عند بعض المشايخ لقراءة بعض الكتب، حذروه وقالوا: هذا لا ينفعك، ماذا ينفعك صحيح البخاري؟ ماذا تنفعك هذه الأحاديث؟ انظر إلى العلماء هؤلاء ما حالهم؟ هل نفعوا المسلمين؟ المسلمون في كذا وكذا يعني أنهم لا يقرؤون فيما بينهم تدريس السنة ولا صحبة أهلها، فضلاً عن أصل الأصول ألا وهو الاعتقاد بعامة.

ومن مظاهرهم أيضاً: أنهم يرومون الوصول إلى السلطة، وذلك بأنهم يتخذون من رءوسهم أدوات يجعلونها تصل، وتارة تكون تلك الرءوس ثقافية، وتارة تكون تنظيمية، يعني أنهم يبذلون أنفسهم ويُعينون بعضهم حتى يصل بطريقة أو بأخرى إلى السلطة، وقد يكون مغفولاً عن ذلك، يعني إلى سلطة جزئية، حتى ينفذوا من خلالها إلى التأثير، وهذا يتبع أن يكون هناك تحزب، يعني يقربون منهم من في الجماعة، ويُبعدون من لم يكن في الجماعة، فيقال فلان ينبغي إبعاده. لا يمكن من هذا، لا يمكن من التدريس، لا يمكن من أن يكون في هذا، لماذا؟

والله هذا عليه ملاحظات! ما هي هذه الملاحظات؟

قال: ليس من الشباب! ليس من الإخوان، ونحو ذلك.

يعني: صار عندهم حب وبغض في الحزب أو في الجماعة، وهذا كما جاء في حديث الحارث الأشعري أن النبي ﷺ قال: «من دعا بدعوى الجاهلية، فإنه من جثاء^(١) جهنم» قال: وإن صلى وصام؟ قال: «وإن صلى وصام، فادعوا بدعوة الله التي سماكم بها ربكم المسلمين والمؤمنين عباد الله». وهو حديث صحيح^(٢). كذلك ما جاء في الحديث المعروف أنه -عليه الصلاة والسلام- قال لمن انتخى بالمهاجرين ولآخر الذي انتخى بالأنصار قال: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟!» مع أنهما اسمان شرعيان، المهاجر والأنصاري، لكن لما كان هناك موالاتة ومعاداة عليهما ونصرة في هذين الاسمين، وخرجت النصرة عن اسم الإسلام بعامية صارت دعوة الجاهلية، ففيهم من خلال الجاهلية شيء كثير، ولهذا ينبغي للشباب أن يُنبهوا على هذا الأمر بالطريقة الحسنى المثلى حتى يكون هناك اهتداء إلى طريق أهل السنة والجماعة وإلى منهج السلف الصالح، كما أمر الله -جل وعلا- بقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٣).

أيضًا: من مظاهرهم -بل مما يميزهم عن غيرهم- أن الغاية عندهم من الدعوة هو الوصول إلى الدولة، هذا أمر ظاهر بين في منهج الإخوان بل في دعوتهم. الغاية من دعوتهم هو الوصول إلى الدولة، أما أن يُنجي الناس من عذاب الله -جل وعلا- وأن تُبعث لهم الرحمة بهدايتهم إلى ما يُنجيهم من عذاب القبر وعذاب النار وما يدلهم إلى الجنة، فليس في ذلك عندهم كثير أمر ولا كبير شأن، ولا يهتمون بذلك؛ لأن الغاية عندهم هي إقامة الدولة، ولهذا يقولون الكلام في الحكام يجمع الناس، والكلام في أخطاء الناس ومعاصيهم يفرق الناس، فابذلوا ما به تجتمع

(١) الجثاء: جمع جثوة؛ وهو الشيء المجموع.

(٢) أخرجه ابن حبان «صحيح موارد الظمان» (١/١٠٢٦) وانظر: «هداية الرواة» (٣٦٢٢).

(٣) سورة النحل: (آية ١٢٥).

عليكم القلوب، وهذا لا شك أنه خطأ تأصيلي ونية فاسدة، فإن النبي ﷺ بين أن مسائل القبر ثلاث: يُسأل العبد عن ربه، وعن دينه، وعن نبيه ﷺ، فمن صحب أولئك زماناً طويلاً وهو لم يعلم ما يُنجيه إذا أدخل في القبر، فهل نُصح له؟ وهل حُبب له الخير؟ إنما جعل أولئك ليستفاد منهم للغاية، ولو أحبوا المسلمين حق المحبة لبذلوا النصيحة فيما يُنجيهم من عذاب الله، علّموهم التوحيد وهو أول مسئول عنه . . .»^(١).

خامساً: الحزبية وإنكار المنكر:

«لا شك أن الرجل إذا كان متحزباً، ومندرجاً تحت لواء التنظيم والحزب، فإنه يعمل ضمن ضوابط وأطر الحزب وأخطائه إذا ظهر له بطلانها، وأقل أحواله السكوت مراعاة لتوهم مصلحة الحزب، والتي ربما توهم أنها متلازمة مع مصلحة الإسلام.

وحصل تطرف وغلو شديد لدى كثير من قيادات الأحزاب والتنظيمات في تعاملهم مع المنكر لباطلهم، بحيث يرون فعله خروجاً عن الجماعة، وذلك لانحرافهم في مفهوم الجماعة، حيث يرى هؤلاء الحزبيون أن حزبهم هو جماعة المسلمين.

وبسبب هذه السلبية في التعامل مع باطل الحزب، ترى الحزب ماضياً في بعده عن السنة، وما يزيده الوقت إلا إصراراً على ما هو عليه، وأما السني المتحرر من رق الأحزاب والتنظيمات، الذي يعلم ويفقه معنى الجماعة بمفهوم السلف ومن تجب طاعته شرعاً، فما أسهل الأمر عنده، وما أيسر قبول الحق لديه، يعلم الحق فينقاد له، لا يخضع لمؤثرات الأحزاب بل يرقب الله ﷻ، يستمع القول فيتبع أحسنه.

(١) «فتاوى العلماء في الجماعات وأثرها على بلاد الحرمين».

والحزبيون أجهزوا على قاعدة إنكار المنكر والنصح لله ولرسوله حتى لا يتفرق جمع الحزب، ولا يتشتت شمله، وبسبب هذه الشبهة اجتمع في الحزب الواحد خليط من العقائد والمناهج مع مضادة بعضها لبعض»^(١).

«ولما ظهر أمر الحزبية والحزبيين، والذي طالما سعوا في كتمانهم عن لا يقبله حتى لا يفسد تنظيمهم، نراهم بعد ذلك يرقعون لحزبيتهم بدعوى أن من يحارب وينكر الحزبية هو في حقيقة الأمر متحزب ذو جماعة.

ولا شك أن هذا التفاف مفضوح وتحايل مكشوف، فأين من اجتمع على الحق من غير تواطؤ؛ وإنما اتباعاً للكتاب والسنة كما هي طريقة أهل السنة قاطبة في مشارق الأرض ومغاربها، من أولئك الذين أنشئوا أحزاباً ونصبوا لأنفسهم أميراً، وطلبوا له البيعة (أو العهد)، والولاء والسمع والطاعة، والتزموا أصول الحزب ولو كانت مخالفة للكتاب والسنة، وصاروا يوالون ويعادون على الحزب»^(٢).

سادساً: الحزبية والتحذير من الشرك ومواطنه:

نقل عباس السيسي في كتابه «قافلة الإخوان المسلمون» فقال:

«كلمة الأستاذ المرشد العالم في حفل الهجرة بالسيدة زينب جاء في كلمات الأستاذ المرشد العام (حسن البنا) في هذا الحفل ما يلي:

«لهذه المناسبة أيها الإخوة أنصح لكم نصيحة مخلصنة أشدد عليكم في رعايتها وهي أن تطهروا قلوبكم وتصفوا سرائركم عن نال منكم أو أساء إليكم، فوالله إني لضنين بهذه القلوب التي لا تعرف إلا معاني الحب في الله ولم تسعد إلا بمشاعر الأخوة الحقة الصادقة، أضن بهذه القلوب الطاهرة أن تلوث بحقد أو تشوه ببغضاء، وتنال من صفائها خصومة، إن الدين حب وبغض، ذلك حق من الإيمان أن نحب في الله ونبغض في الله، ولكن ما أشد أن نقهر على كره من نحب، إن

(١) «الصوارف عن الحق» لأخينا الشيخ حمد العثمان (ص ٣٦).

(٢) المرجع السابق (ص ٣٩).

الإيمان حب وبغض، فأحبوا لأنكم بالحب تسعدون، وبهذه العاطفة تجتمعون وعلى المشاعر وبها ترتبطون، فلا تحرموا قلوبكم نعمة الحب في الله تعالى ولا تحرموها شعور الحب الطاهر البريء، وادخروا حجر البغض وثورة الغضب لساعة آتية قريبة نلقى فيها خصومنا، ولست أعني خصومنا في الداخل، فليس لنا في الداخل خصوم ولله الحمد، وإن كانوا فهم غناء كغناء السيل سيجرفهم الطوفان، فإما ساروا وإما غاروا، أما كلمة الجهاد فعاطفة ملتهبة ومعاني الجهاد مثل حية باقية تتجه إليها قلوب أبناء هذه الأمة التي ظلمت واعتدي على حرياتنا وحقوقها وأحيط بها من كل مكان»^(١).

قال فضيلة الشيخ أحمد بن يحيى النجمي معلقاً على هذه الخطبة:

«مناقشة الشيخ البنا في هذه الخطبة التي ألقاها في وكر من أعظم أوكار الشرك في مصر ألا وهو مشهد السيدة زينب ولم يذكر فيها حرفاً واحداً عن الشرك الأكبر الذي يجري في ذلك المشهد من الدعاء لغير الله والاستغاثة بغيره والنذر والذبح وغير ذلك وكأنه لم ير الطائفين حول القبر والمتمسحين به، ولم يسمع الذين يرفعون أصواتهم بالدعوات للسيدة زينب طالبين منها الحاجات التي لا تطلب إلا من الله ﷻ، وكأن الشيخ البنا لم يعتبر ذلك الشرك الأكبر الذي يسمعه ويشاهده حول ضريح السيدة زينب أمراً منكراً مخالفاً للشريعة الإسلامية، بل مناقضاً للإسلام وهادماً له ومقوضاً لأركانه، إنه ينصح نصيحة مخلصه ويشدد في رعايتها، ولكن ما هذه النصيحة يا ترى.

إنه ينصح بتصفية السرائر، وتطهير القلوب من الغل والضغينة مع أنها مفعمة بالشرك الأكبر فهل هذه خطبة من يعتبر الشرك الذي يراه ويسمعه حول ذلك الضريح مناقضاً للإسلام؟!!

أترك الجواب على هذا السؤال للقارئ.

(١) «قافلة الإخوان المسلمون» (١/١٩٢).

ومن جهة أخرى فإن الله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾^(١) ومعنى ﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ أي: لا يشهدون الباطل.

قال ابن كثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وهذه من صفات عباد الرحمن أنهم لا يشهدون الزور، قيل: هو الشرك وعبادة الأصنام وقيل الكذب والفسق والكفر واللغو والباطل».

وقال أبو العالية وطاوس وابن سيرين والضحاك والربيع بن أنس وغيرهم: «هو أعياد المشركين».

وقال عمرو بن قيس: «هي مجالس السوء والخنا».

وقال مالك والزهري: «شرب الخمر لا يحضرونه ولا يرغبون فيه».

قلت: القول بأن الزور الذي لا يشهدونه هو الباطل بجميع أنواعه هو الأولى والأجمع ويدخل فيه الشرك بالله وأعياد المشركين وعبادة الأصنام وغير ذلك.

وإن مشهد السيدة زينب من أعظم أوكار الشرك التي تحارب فيها عقيدة التوحيد الذي أرسلت به الرسل وآخرهم محمد ﷺ ولا يجوز لمسلم أن يدخله ليحاضر فيه بشيء غير إنكار الشرك فإنه يكون قد شجع الشرك الأكبر وأقره وآوى أهله وإنه بذلك قد أوهم الجهال بأن ما يعملونه حق لا غبار عليه وعبادة يتقرب بها إلى الله وهذا من أعظم الظلم والغش والخداع الذي حرمه الله ورسوله^(٢).

وفي هذا ثلاثة محاذير:

«١- إيهام العامة أن ما يجري عند تلك القبور من الدعاء لغير الله والاستغاثة

(١) سورة الفرقان: (آية ٧٢).

(٢) المورد العذب الزلال (ص ١٤١-١٤٣).

للأسف أن أكثر شيوخ الأزهر الذين يدرسون في مسجد الحسين - وقربهم المشهد وما فيه من شرك - لا ينكرون على ما يرون ويسمعون من شركيات تحدث عند مقام الحسين، ومن أولئك المشاهير الشيخ متولي الشعراوي - رحمه الله وغفر له -، وأمثاله كثيرون الذين لا يغارون على التوحيد ولا يذبون عنه.

بغيره من المخلوقين، والذبح والنذر لهم دونه أنه هو الإسلام وذلك محاربة للإسلام الصحيح لا دعوة إليه.

٢- فيه تشجيع للوثنية التي حاربها الإسلام من أول يوم نزل القرآن فيه على النبي ﷺ وبالأخص في السور المكية كقوله تعالى:

﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

٣- صدور هذا من داعية يظهر للناس أنه يمثل الإسلام الصحيح أعظم في التعبير بالسذج، وأكثر إيغالاً في الإيهام والخداع، وأنا لا أعتقد أن البنا قصد الإيهام، ومن سبر حاله من كتبه وسيرته يتبين له أن الذي أوقعه في ذلك هو الجهل بالإسلام الصحيح^(٢).

سابعاً: الحزبية واستغلال المواقف:

«بمرارة شديدة ووضوح أشد تحدث وزير الداخلية السعودية الأمير نايف بن عبد العزيز لصحيفة السياسة الكويتية حول حزب الإخوان المسلمين ودورهم في الحياة السياسية العربية، الأمير نايف يقول: إنني أقولها بدون تردد: إن مشكلاتنا وإفرازاتنا كلها - وسمها ما شئت - جاءت من الإخوان المسلمين».

ويضيف بوضوح أكثر: «بحكم مسئوليتي فإن الإخوان المسلمين كلما اشتدت عليهم الأمور وعلقت لهم المشانق في دولهم لجئوا إلى المملكة... فحفظت كرامتهم، ولكن مع الأسف لم ينسوا ارتباطاتهم السابقة، فأصبحوا ضد المملكة».

حديث الأمير نايف تضمن معلومات كثيرة وتحدث عن دور الغنوشي والترابي وعبد الرحمن خليفة والزندانى أثناء احتلال الكويت، وأكد بأن حزب الإخوان

(١) سورة يونس: (آية ١٠٦).

(٢) «المورد العذب الزلال» (ص ١٥٨).

المسلمين دمر العالم العربي .

حين يتحدث وزير داخلية المملكة العربية السعودية بهذا الوضوح والحزم وخاصة أنه يجلس بحكم موقعه على كنز من المعلومات ، وحين يتحدث في هذه الظروف الأمنية الحساسة بهذا الوضوح فإن هذا يعني أن الكيل قد طفح وأن استمرار جماعة الإخوان المسلمين في تفریح الجماعات الإرهابية لم يعد محتملاً .

الإخوان المسلمون يعيشون حالة من الانحسار والانكشاف في عدد من الدول العربية لأسباب لم تعد خافية على أحد، وعلينا أن ننتبه إلى أن هناك وريثاً لهذه الجماعات التي تعتمد على أفكار سيد قطب وحسن البناء، وهي تلك الجماعات التي رفعت شعار السلفية وخالطت إيّاه بفكر خارجي لا علاقة له بالإسلام ولا بالسلفية، فجوهر الحركة السلفية هو جوهر أخلاقي منهجي علمي يدعو الناس بالحسنى ويرفض سياسة التسلط، ولا علاقة له بتسييس الدين، ولكن السلفية الخارجية الجديدة التي هي حركة انقلابية أخذت جوهر فكرها من سيد قطب وجماعته، وخلطته بمزيج من الأفكار المغلقة والمتطرفة، ومن الناحية الاجتماعية والفكر السياسي المتطرف الذي يعتمد على العنف وإلغاء الآخرين من جهة أخرى .

حديث الأمير نايف كشف خطر تسييس^(١) الدين الذي مارسه الإخوان المسلمون، وعلينا الانتباه إلى خطورة وريثهم^(٢) الشرعي الذي يلبس كما لبسوا

(١) تسييس الدين على طريقة الحزبيين والحركيين والتكفيريين والتفجيريين مرفوض بكل صنوفه وأشكاله؛ لأنه في الغالب مأخوذ من مناهج اليهود والنصارى وطرائقهم في تعاملهم مع مخالفينهم، أما السياسة الشرعية التي مضى عليها الرسول ﷺ وأصحابه فهي من صلب دين الإسلام، وهي باقية ما بقي هذا الدين، وفصلها عن الإسلام مؤامرة علنية لصالح أعدائه، فليتنبه الغافلون لئلا تلتبس عليهم الأمور!!

(٢) إشارة إلى الجماعة القطبية السرورية والتي هي في حقيقتها وجوهرها منبثقة عن جماعة الإخوان الأم، لكن لبست لبوس السلفية لتدمير الدعوة السلفية من الداخل باسم أهل السنة والجماعة، ومن أشهر منابرهم «مجلة البيان» و«مجلة السنة». وقد قال شيخنا الألباني في الأخيرة: ليس فيها من السنة شيء إلا اسمها .

رداء الدين لتحقيق طموحات سياسية دفعنا جميعاً ثمناً باهظاً لها بسبب المجاملة والصمت»^(١).

غش المستشارين :

«ينبغي على المستشار أن يشير إلى ما فيه رشد المستشار وخيره، فإن أشار عليه بغير صواب فقد غشه في مشورته، وخانه بكتمان مصلحته، وذلك لما روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من استشاره أخوه المسلم فأشار عليه بغير رشد فقد خانته»^(٢).

وعن أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المستشار مؤتمن»^(٣)، أي الذي طلب منه المشورة والرأي فيما فيه المصلحة، أمين فيما يسأل من الأمور، فلا ينبغي أن يخون المستشار بكتمان مصلحته»^(٤).

تدليس المحدثين :

تعريفه :

لغة: «هو مشتق من التدليس وهو الظلام، قال ابن السيد: وكأنه أظلم أمره على الناظر لتغطية وجه الصواب فيه»^(٥).

أما اصطلاحاً: قال ابن عبد البر: «معناه عند جماعة أهل العلم بالحديث أن يكون الرجل قد لقي شيخاً من شيوخه فسمع منه أحاديث لم يسمع غيرها منه ثم أخبره بعض أصحابه ممن يثق به عن ذلك الشيخ بأحاديث غير تلك التي سمع منه

(١) صحيفة «الشرق الأوسط» - العدد (٨٧٦٣) - الإثنين - ٢٥ / ١١ / ٢٠٠٢ .

(٢) أخرجه أحمد (٣٢١ / ٢).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٨٢٢) وهو في: «صحيح سنن الترمذي» لشيخنا .

(٤) «الموسوعة الكويتية» (٣١ / ٢٢٧ - ٢٢٨)، وانظر: «فيض القدير» للمناوي (٦ / ٢٦٨)، و«عون المعبود» (١٤ /

٣٦)، و«فتح الباري» (١٣ / ٣٤٠١).

(٥) النكت على كتاب ابن الصلاح (٢ / ٢١٤).

فيحدث بها عن الشيخ دون أن يذكر صاحبه الذي حدثه بها فيقول فيها : عن فلان ،
ويعني ذلك الشيخ»^(١) .

أقسامه :

١- تدليس الإسناد :

وهو ما رواه الرجل عمن سمع منه ما لم يسمعه منه موهمًا أنه سمع منه^(٢) .

٢- تدليس البلاد :

كأن ينبه إلى بلد لا يكاد يعرف به كأن يقول :

حدثنا علي بما وراء النهر ، ويعني به النهر^(٣) .

فأوهم السامع بأنه أراد ما وراء نهر جيحون وما كان في شرقيه الذي يقال له بلاد

الهياطلة وما كان في غربيه فهو بلاد خراسان وإنما هو أراد نهرًا جاريًا - فقط - .

٣- تدليس القطع :

قال الحافظ ابن حجر : «وهو أن يحذف الصيغة ويقتصر على قوله مثلًا :

الزهري عن أنس»^(٤) .

أي : أن يقطع صيغة الأداء المشعرة بالسماع مثل حدثني وأخبرني ثم يسكت

ويقطع كلامه ولا يذكر الراوي الذي حدثه ثم يبتدئ ويستأنف الكلام فيقول فلان .

قال الحافظ ابن حجر : «روينا في الكامل لأبي أحمد بن عدي وغيره عن عمر

ابن عبيد الطنافسي أنه كان يقول : حدثنا ثم يسكت ينوي القطع ثم يقول : هشام بن

(١) التمهيد (١/٢٦) .

(٢) انظر : النكت (٢/٦١٤) وفتح المغيث (١/٢٠٨) .

(٣) انظر : الموقظة ، للذهبي .

(٤) تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس لابن حجر .

عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها ^(١).

٤- تدليس العطف :

وهو أن يروي عن شيخين من شيوخه ما سمعاه من شيخ اشتركا فيه ^(٢). ويكون قد سمع ذلك من أحدهما دون الآخر فيحدث عن الأول بالسمع ويعطف الثاني عليه فيوهم أنه حدث عنه بالسمع- أيضًا- وإنما حدث بالسمع عن الأول، ثم نوى القطع فقال: وفلان، أي: حدث عن فلان.

مثاله: ما رواه الحاكم في معرفته قال: حدثونا أن جماعة من أصحاب هشيم اجتمعوا يوماً على ألا يأخذوا منه التدليس ففطن لذلك وكان يقول في كل حديث يذكر حدثنا حصين ومغيرة عن إبراهيم، فلما فرغ قال لهم: هل دلست لكم اليوم؟ فقالوا: لا، فقال لم أسمع من مغيرة حرفاً مما ذكرته، إنما قلت حدثني حصين ومغيرة غير مسموع لي ^(٣).

٥- تدليس السكوت :

وهو أن يقول: سمعت وحدثنا ثم يسكت ثم يقول فلان.

مثاله: ما قاله ابن سعد في الطبقات عن عمر بن علي المقدمي: «وكان يدلس تدليساً شديداً وكان يقول: سمعت وحدثنا ثم يسكت ثم يقول: هشام بن عروة الأعمش» ^(٤).

٦- تدليس التسوية :

وهو أن يسمع من شيخه حديثاً قد سمعه من رجل ضعيف عن شيخ سمع منه

(١) النكت على كتاب ابن الصلاح (٢/٢١٤) لابن حجر رحمته الله.

(٢) ذهب السخاوي في فتح المغيب (١/٣٤٨) إلى عدم اشتراط اشتراكهما في الرواية عن شيخ واحد، وقال: إنما قيده به شيخنا [ابن حجر] لأجل المثال الذي وقع له، كما هو مبين هنا.

(٣) النكت على ابن الصلاح (٢/٦١٧).

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/٢٩١).

ذلك الشيخ هذا الحديث ، فيسقط الراوي الرجل الضعيف بينهما ويروي الحديث عن شيخه عن الأعلى لكونه سمع منه أو أدركه^(١) .

٧- تدليس الشيوخ :

وهو أن يروي عن شيخ حديثاً سمعه منه ؛ فيسميه أو يكتنيه أو ينسبه أو يصفه بما لا يعرف كي لا يعرف^(٢) .

ومن أمثله قول أبي بكر بن مجاهد المقرئ : ثنا عبد الله بن أبي عبد الله يعني الحافظ عبد الله بن أبي داود السجستاني .

ومعلوم أن رواية المدلس مردودة ما لم يصرح بالسماع ، وكل هذه الأنواع قال فيها الشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللهُ :

كله غش شديد وغرر وضد نصح عند نقاد الأثر^(٣)

غش بعض المتصدرين للفتيا :

وممن يندس تحت عباءة العلم والعلماء!! الذين يُمسكون بأعواد المنابر ويتزينون أمام شاشات التلفاز، ويُغرُّون الكرماء ويفسدون فِطْرَ الصُّلَحَاءِ، فكلما هبت ريح خيلوها للناس أنها فتن، وما هي إلا هواجس حزب إبليس ومكره، فتتخدع العامة وترفع لهذا الغش رأساً، لكن!! إذا حلت بالمسلمين أعاصير الفتن، لم يتبين السبيل لردّها ودفعها، إلا لأهل العلم الربانيين والأئمة السلفيين، فيتناعب^(٤) الجهال على المنابر ويتسابق الزنادقة إلى المحابر، وجرعوا الأمة سماً زعافاً، وموّهوا لها حقيقة الفتنة والواقع بدعايات زوقوها وزخرفوها .

بل رأيت من هؤلاء من يخدع الناس خداعاً ظاهراً، فيقف كل جمعة على

(١) جامع التحصيل للعلائي (ص ١٠٢)، بتحقيق أخينا الشيخ حمدي عبد المجيد السلفي - حفظه الله - .

(٢) مقدمة ابن الصلاح (ص ٣٥) .

(٣) اللؤلؤ المكنون (٢١٨-الشرح) .

(٤) من النعيب وهو صوت الغراب .

المنبر، بقصاصة جريدة صغيرة لا تكاد تُرى فيلقونها على مسامح المساكين، فتوافق قلوباً فارغة وحماسة ثائرة . . .

إلا أن الله ﷻ يمكر بمن يمكر بدينه وأوليائه، ويذبُّ عن هذا الدين، . . . فيأبى إلا أن يكشف عواره، ويفضحه ولو في عقر داره ولو بعد حين، ويبوء بذنبه، وذنب من هذا حاله عظيم.

وهكذا من نعلمهم من أهل التزوير، يسودون الكتب والرسائل بغير ما الأمة محتاجة إليه، فيقلبون الموازين، ويموهون على الأمة ويلبسون الحق بالباطل، لكن الله مظهر دينه ومعلي كلمته.

قال فضيلة الشيخ العلامة حمود التويجري رحمته الله في مواضع مختلفة من كتابه «تغليظ الملام»: :

«لقد فشا في زماننا التسرع إلى الفتيا بغير علم، وتغيير الأحكام الثابتة في الكتاب والسنة، وكثر ذلك في المنتسبين إلى العلم، وقلَّت المبالاة بما يترتب على ذلك من الوعيد الشديد، وقد كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين يهابون الفتيا ويتدافعونها بينهم، ويذمون من يسارع إليها، وقد جاء عنهم في ذلك آثار كثيرة؛ لم يأنف أن يقول: لا أعلم هذا، أو يقول: لا أدري، أو يقول: سل عن هذا غيري.

وهذا بخلاف ما عليه بعض المنتسبين إلى العلم في زماننا، فإن كثيراً منهم يتسرعون إلى الفتيا بغير علم، ويأنف أحدهم أن يقول فيما لا يعلمه: لا أعلم هذا، أو: لا أدري، أو يقول: سل عن هذا غيري! ويرون أن الإحجام عن إجابة السائل غضاضة عليهم، وما علموا أن الخطر العظيم في التسرع إلى الفتيا بغير علم . . . وقد كان السلف الصالح يعتمدون في القضاء والإفتاء على ما جاء في القرآن، وإذا لم يجدوا الحكم في القرآن، رجعوا إلى السنة، وإذا لم يجدوه في السنة اجتهدوا آراءهم، والفتوى بغير علم مزلة أقدام، وباب من أبواب الضلال والإضلال،

فليحذر المؤمن الناصح لنفسه من تتبع زلات العلماء، والأخذ برخصهم؛ فإن زلاتهم من هوادم الإسلام، ومن أخذ برخصهم اجتمع فيه الشركه، وإذا علم أن زلات العلماء من هوادم الإسلام، وأنه يجب اجتنابها والتحذير منها، فليعلم أيضًا أن من أعظم زلات العلماء وأشدّها خطرًا على المفتين والمستفتين ما يكون مبنياً على الآراء المخالفة للكتاب والسنة، وما أكثر الواقعيين في ذلك في زماننا.

وبعض هؤلاء إذا نُبِّهوا على أخطائهم المخالفة للأدلة الصريحة من الكتاب والسنة لم يرجعوا إلى الحق، ولم يباليوا بالإصرار على الخطأ؛ ولا شك أن هؤلاء قد تعرّضوا للوعيد على الإصرار على الأفعال السيئة.

... ليعلم المفتي أن الفتوى تتضمن القول على الله والتوقيع عنه، وقد وصف ابن القيم المفتين بصفة الموقعين عن الله تعالى في كتابه الذي سماه «إعلام الموقعين عن رب العالمين»، وذكر في أول الكتاب أن أول من قام بمنصب التوقيع عن الله تعالى رسول الله ﷺ، فكان يفتي بما أوحاه الله إليه، ثم قام بالفتوى بعده أصحابه رضي الله عنهم.

وقد ذكر ابن القيم عددًا كثيرًا منهم ما بين مكثر منهم من الفتوى ومقلد منها، ثم ذكر المفتين من التابعين ومن بعدهم من أكابر العلماء والأئمة، ثم ذكر أن السلف من الصحابة والتابعين كانوا يكرهون التسرع في الفتوى ويودّ كل واحد منهم أن يكفيه إياها غيره، فإذا رأى أنها قد تعينت عليه، بذل اجتهاده في معرفة حكمها من الكتاب والسنة أو قول الخلفاء الراشدين ثم أفتى.

وذكر أيضًا أقوال الصحابة والتابعين في التحذير من الفتيا بغير علم إلى أن قال: «وقد حرم الله سبحانه القول بغير علم في الفتيا والقضاء، وجعله من أعظم المحرمات، بل جعله في المرتبة العليا»^(١).

ثم ذكر الشيخ التويجري نماذج من زلات أهل زماننا وأخطائهم في الفتاوى،

(١) والذي تعرّضنا له في المبحث القادم «فتوى شيخ الأزهر»!!

وبدأ بخطأ بعض المفتين لتحليلهم الربا المحرم^(١)، ثم قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ومن أعظم الزلات وأشدّها خطراً أو نكايّة في المسلمين فتوى بعض المنتسبين إلى العلم في زماننا بجواز سفور النساء وخلعن جلاباب الحياء. وهذه الزلة من أعظم هوامد الإسلام كما لا يخفى على ذوي الإيمان والعقول السليمة، وقد افتتن بها كثير من ضعفاء العقول والدين من الرجال والنساء في زماننا، وجعلها كثير من النساء ذريعة إلى التبرج ومخالطة الرجال الأجانب ومجالستهم ومحادثتهم، والخلوة معهم في أماكن الريّة، والسفر معهم بدون محرم، ومن عرى الإسلام التي قام بنقضها كثير من ضعفاء العقول والدين في زماننا وقبله بزمان قريب حجاب المرأة عن الرجال الأجانب وقد تشبّثوا في هذه الفتيا الجائرة بالشبه وتأويل الآيات والأحاديث على غير تأويلها، فضلّوا وأضلّوا وفتحوا باب التبرج والسفور على مصراعيه، وجرّوا النساء على التهتك والأفعال الذميمة التي تقدّم ذكرها، ولم يبالوا بما يترتب على هذه الضلالة من حمل الأوزار والآثام التي تفعلها النساء اللاتي يعتمدن على فتاويهم الباطلة... وإن الفرق لشاسع جداً بين هؤلاء المتصفين بالغيرة على نساء المسلمين وبين بعض المنتسبين إلى العلم ممن استزلهم الشيطان وزين لهم القول بجواز السفور^(٢)».

ومن أعظم الزلات وأشدّها خطراً: فتوى كثير من المنتسبين إلى العلم في زماننا بجواز التصوير، وعدم مبالاتهم بما يترتب على هذه الفتوى من معصية الله تعالى ومعصية رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك بمخالفة الأحاديث الثابتة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في النهي عن التصوير على وجه العموم، والتشديد فيه على وجه العموم، والأمر بطمس الصور على وجه العموم، ولم يبالوا أيضاً بما يترتب على هذه الفتوى من الضلال

(١) «تغليظ الملام على المتسرعين إلى الفتيا وتغيير الأحكام» (ص ٥٠-٥٠).

(٢) عدّ الشيخ التويجري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مسألة كشف المرأة وجهها من السفور والتبرج الذي نهى عنه الشرع. والمعلوم أن مسألة غطاء الوجه مسألة خلافية بين أهل العلم، وقد قال بعدم وجوبه علماء معتبرون، ولم يجرّموا المرأة بكشف وجهها. وتسمية كشف الوجه سفوراً فيه مجازفة وغلو وتعريض بهؤلاء الأئمة الأفاضل، فلا يتابع العلامة التويجري - غفر الله لنا وله - على ذلك.

والإضلال للناس .

ومن أعظم الزلات الواقعة قديمًا وحديثًا: تحليل الغناء والمعازف وعدم المبالاة بما يترتب على ذلك من مخالفة الكتاب والسنة وإجماع من يعتد بإجماعهم من أهل العلم .

وما أكثر القائلين بحل الغناء والمعازف من الأجلاف المغموصين بالنفاق من أهل زماننا ، وقد رأيت ذلك في كتب لهم ومقالات كثيرة .

ومن أعظم الزلات: الإفتاء بجواز حلق اللحي وقصها ، وعدم المبالاة بما يترتب على ذلك من معصية الله تعالى ومعصية رسوله ﷺ ، وعدم المبالاة أيضًا بما يترتب على ذلك من التشبه بالمجوس وغيرهم من المشركين ، وبما يترتب على ذلك من التشبه بالنساء ، وذلك أنك لو ترى شيخًا كبيرًا يحلق لحيته إلا وترى وجهه يشبه وجوه العجائز من النساء ، ولا ترى شابًا يحلق لحيته إلا وترى وجهه يشبه وجوه العذارى ، ولو قيل للشيخ الذي يحلق لحيته : يا وجه العجوز! أو قيل للشاب الذي يحلق لحيته : يا وجه البنت! لما رضيا بذلك ، ولبادرا إلى الانتقام إن قدرا على ذلك ، مع أن كلاً منهما قد رضي لنفسه بمشابهة النساء في إزالة الشعر عن الوجه والبعد عن الاتصاف بصفة الرجولة^(١) . . .

ومن زلات المتشبهين بالعلماء ومن ذوي الجهل المركب: فتياهم بجواز شرب الدخان الخبيث ، وقد خفي على هؤلاء الأغبياء ما في شرب الدخان من المفسد والأضرار العظيمة ، فهو مضر بالدين ، ومضر بالعقل ، ومضر بالبدن ، ومضر بالمال ، وكل واحدة من هذه المضرات تقتضي منعه وتحريمه على انفراد ، فكيف وهذه المضرات فيه جميعًا؟! فهذا مما يزيد المنع منه تغليظًا وشدة .

ومن أعظم مضاره: أنه يكون سببًا لسوء الخاتمة ، وصرف الميت عن القبلة

(١) ينظر مقالتي: «الرجولة في الكتاب والسنة» للتعرف إلى صفات الرجولة الحقيقية في كتابي: «النصائح الوافية» .

عند الموت وفي القبر، وقد شوهد هذا من عدد كثير جداً من المصرين على شرب الدخان إلى حين الممات، وشوهد أيضاً ما وقع لبعضهم من عذاب القبر.

ومن أخبث أنواع الدخان: ما يسمى بالجراك والشيشة، وهو أشد نتناً من العذرة، ومع هذا يستلذه المفتونون به كما يستلذ الجُعل تقليب العذرة بفمه وأنفه، وكما تستلذ الجلالة أكل العذرة.

ومن الخبائث التي يستطيبها كثير من السفهاء الذين أغواهم الشيطان وحب إليهم الفسوق والعصيان: مضغ أوراق القات، وما يسمى بالسويكة، ويسمى في البلاد اليمينية البردقان، وهو من مسحوق التبغ، وبعضهم يستعمله نشوقاً ويسمونه الشمة.

وهذه الخبائث يحصل منها التخدير والتفتير لمن يستعملها، وربما حصل لهم السكر أو بداية السكر، وهو ما يسمونه بالتخزين، وهي داخلة في عموم الآية الدالة على تحريم الخبائث، وفي عموم الأحاديث الدالة على تحريم المسكرات والمفترات.

ومن أعظم الزلات وأشدّها خطراً: جراءة بعض أهل الزيغ والضلال على رد الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ، وتصريحهم برفضها وإطراحها، إذا كانت مخالفة لآرائهم ونظرياتهم التي هي في الغالب متلقاة من نظريات أعداء الله وأفكارهم. وكثير ما يقع هذا في كتب بعض الأجلاف الذين لا يقيمون للأحاديث الصحيحة وزناً، والذين هم من ألدّ الأعداء للسنة وأهلها، وهو كثير في مقالات بعض المنتسبين إلى العلم في زماننا، وفي كتبهم المنتشرة بين الناس، وقد كان السلف الصالح يعظمون الأحاديث الصحيحة غاية التعظيم ويبالغون في الإنكار على الذين يتهاونون بها، وعلى الذين يعارضونها بأقوال الناس وآرائهم، وربما هجروا بعضهم إلى الممات، وإذا علم أن السلف الصالح كانوا ينكرون أشدّ الإنكار على من تهاون بشيء من الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ وعلى من ردّ شيئاً منها أو عارضه برأيه أو رأي غيره، فكيف يقال في بعض الأجلاف من العصرين الذين لا يباليون

برد الأحاديث الكثيرة ورفضها من أجل أنها تخالف آراءهم ونظرياتهم؟! ولو أحصي ما رده بعضهم وصرح برفضه في كتبه ومقالاته، لبلغ أعدادًا كثيرة جدًا!

وأدهى من ذلك وأفظع ما جاء في قصة وقعت له مع بعض الطلاب في الجزائر حيث كان يناقش الطالب في بحث قدمه لنيل درجة الماجستير أو الدكتوراه، فذكر الطالب في بحثه حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن رجلاً قال: يا رسول الله! أين أبي؟ قال: «في النار»، فلما قفى دعاه، فقال: «إن أبي وأباك في النار». [رواه مسلم^(١) وابن حبان في «صحيحيهما»، والبيهقي في «دلائل النبوة»].

فقال الجلف الجافي للطالب: «ضع هذا الحديث تحت رجلك».

كذا قال الجلف هذه الكلمة العظيمة الوخيمة التي لا تصدر من رجل يؤمن بالله ورسوله، وهي من الكلمات التي تقتضي الردة عن الإسلام؛ لما فيها من المبالغة في الاستهانة بالحديث الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم، فلا شك أنه قد استهان بالنبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن الاستهانة بكلامه فرع عن الاستهانة به، ومن استهان بالنبي صلى الله عليه وسلم، فلا شك في رده وحلّ دمه وماله... وإذا كان رد الحديث الواحد يقتضي الكفر، فكيف بردّ الأحاديث الكثيرة الصحيحة، والتصريح برفضها، فهذا أشدّ وأشدّ.

وأشد من ذلك كله أمر الطالب بوضع الحديث الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم تحت رجليه^(٢)!

فهذه الكلمة الوخيمة تنافي الإسلام غاية المنافاة؛ لأنه لا بد في صحة الإسلام من تحقيق الشهادة بأن محمدًا رسول الله، ولا بد في تحقيقها من تصديق النبي صلى الله عليه وسلم

(١) برقم (٤٩٩).

(٢) وكم لهذا المتهوك الضال من انحرافات ومجازفات واستهانة واستهتار بالسنة الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكم ردّ من أحاديث صحيحة صريحة بحدسه وظنه، فكان - جازاه الله بما يستحق - مثالاً لعلماء السوء في هذا العصر مع بعض إخوانه من العقلانيين من رءوس البدعة والضلال؛ كالقراضاوي والترابي والغنوشي وغيرهم - هدام الله جميعاً -.

في كل ما أخبر به .

ومن أعظم الزلات خطراً على الإسلام وأشدّها أثراً في نقض عراه: محاولة بعض أهل الزيغ والفساد في زماننا أن يقاربوا بين المسلمين وبين أهل الأديان الباطلة من اليهود والنصارى وغيرهم من سائر أهل الملل المخالفة لدين الإسلام، ومحاولتهم أن يقاربوا بين أهل السنة والرافضة وغيرهم من أهل البدع المخالفة لما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان وقد نشروا دعوتهم إلى هذه المذاهب الهدّامة في كتب لهم ومقالات كثيرة، وإنه لينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ عُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾^(١). وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَخَذُوا مِنَ الشَّيْطَانِ آوِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾^(٢).

فليحذر المؤمن الناصح لنفسه من هؤلاء الزائغين أشد الحذر، فإنهم ألد الأعداء للسنة وأهلها، وهم أضر على السنة وأهلها من اليهود والنصارى وسائر الملل. والله المسئول أن يكفي المسلمين شرّهم، ويظهر الأرض منهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه^(٣).

قال السبكي في وصف بعض المفتين: «منهم من يسهّل أمر الشرع، ويتناهى إلى أن يُفتي ببعض ما لا يعتقد من المذاهب، ويرخص لبعض الأمراء ما لم يرخص فيه لعموم الخلق بعض العلماء»^(٤).

ثم قال: «ومنهم من يتسرّع إلى الفتيا معتمداً على ظواهر الألفاظ، غير متأمل

(١) سورة الأنعام: (آية ١١٢).

(٢) سورة الأعراف: (آية ٣٠).

(٣) تغليظ الملام (ص ٥٨-١١٦) باختصار شديد.

وقد ردّ الشيخ التويجري رحمه الله في كتابه ردّاً مفصلاً على هؤلاء المفتين الذين حلّوا ما حرّم الله، وذكر أدلة من الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح تبيّن خطأهم وزيفهم... نسأل الله العافية.

(٤) معيد النعم (ص ٨٠).

فيها؛ فيوقع الخلق في جهل عظيم، ويقع هو في ألم كبير، ربما أذاه ذلك إلى إراقة الدماء بغير حق^(١)»^(٢).

من الغش تحليل فوائد البنوك الربوية وفتوى شيخ الأزهر؟ ومخالفته لإجماع الأمة:

قال أحد كبار الساسة العرب يسخر من مشايخ بلده وهو يعني ما يقول: «إذا أردت فتوى من شيخ . . فاذبح له فرخة». ولبئس ما قال فإن هذه الجامعة التي سخر من علمائها وشيوخها معروفة مشهورة ومن أكبر جامعات العالم الإسلامي وقد خرجت كثيرًا من أفاضل العلماء، ولكن يبدو أن لكلام هذا الزعيم العربي أصلًا عند بعض هؤلاء، والعجيب أن هذه الفرخة تتناسب مع حجم الفتوى وقد تصل أحيانًا إلى فرخة ذهب (!)، ويبدو أن مفتينا الذي حاز فرخة من ذهب هو ذاك الذي خرج على الناس فيما بعد بفتوى أجاز فيها شهادات الاستثمار وأرباحها وما يشبهها كصناديق التوفير، وقد سبق هذه الفتوى معارك وردود ساخنة من مشايخ الأزهر وغيرهم في الداخل والخارج، ولكن مفتينا خرق الإجماع بفتواه، وأتى بما لم يأت به الأوائل ولا رصيده من العلم النافع لا من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا قياس ولا قول عالم من قبل ولا من بعد بل قد تضافرت فتاوى العلماء على تحريم الفوائد البنوكية الربوية؛ فقد أجمع العلماء والفقهاء على أن «كل قرض جر فائدة فهو ربًا»، بل إن فضيلة المفتي رمى بفتوى علماء المسلمين القائلين بأن الفائدة على أنواع القروض ربًا محرم عرض الحائط، ترى هل خرق الإجماع ومخالفة الكتاب والسنة والسلف والخلف دين يدان الله به؟! وهل يجب على الأمة اتباع مفت تائه زل قلمه وزاغ فكره وأفتى وفق أهواء آخرين رغبة أو رهبة؟! لو كان هذا المفتي في

(١) كما وقع لأبي قتادة الفلسطيني - المقيم في بلاد الكفر! - التكفيري الجلد، حيث أفتى بقتل الأطفال والشيوخ واغتصاب النساء المسلمات وسيهن في الجزائر، وقد سبب فتنة عظيمة في مشارق الأرض ومغاربها. وقد تكفل بالرد عليه أخونا الشيخ عبد المالك رمضان في كتاب مفرد، فجزاه الله خيرًا.

(٢) المرجع السابق (ص ٨٢).

جلالة مالك، وربيعه، وأبي حنيفة وخالف قوله شرع الله ما أخذ به كيف وهو موظف في بلد مثقل بالديون فأفتى فتوى اقتصادية سياسية درت على البلاد مليارات الدولارات المحرمة بضغوط لا يعلمها إلا الله وإلا؛ فما الحامل على مثل هذه الفتوى، ورحم الله الإمام مالكا حيث قال: «كل رجل يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر» (يعني النبي ﷺ) ورحم الله الشافعي حيث قال: «إذا قلت قولاً يخالف كتاب الله وسنة نبيه فاضربوا بقولي عرض الحائط».

ما أحوج مفتينا إلى تدبر قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ أَيَّامًا تَرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(١).

لقد أدرك أعداء الإسلام أن طعن الإسلام لا يكون قاتلاً إلا إذا حمل خنجره «شيخ» معمم ظاهره الرحمة وباطنه من قبله العذاب ولذلك قال أحد المحسوبين على الإسلام ظلماً وزوراً «لا يقضى على الإسلام إلا بالإسلام»- وهي كلمة حق أراد بها قائلها باطلاً-؛ أي: باسم الإسلام؛ إذ تكفل الله برد أعداء الإسلام الصريحين، ونحن لا يهمنا عمامة كالبرج وجبة كالخرج بمقدار ما يهمنا في العالم خشية الله وتقواه ونزاهته وعمله بالشرع ظاهراً وباطناً، والحمد لله الذي لم يجعل أحداً حجة على دين الله إلا الرسول المعصوم ﷺ؛ فلا صكوك غفران ولا صكوك كفران، وإذا كانت القضية قضية زي فحسب فهذا نابليون بونابرت دخل بلداً إسلامياً لبس فيه عمامة وجبة وافتتح دوراً للقرآن مع أن يديه ملوثة بدماء الأبرياء، والشيطان قد خرج على المشركين على صورة شيخ ليضلهم ويشاركهم الرأي في اغتيال النبي ﷺ.

وعليه فأبي قول لعالم أو شيخ مهما سما وعلا إذا خالف شرع الله نبذناه وطرحناه ولا كرامة؛ لأن الحق لا يعرف بالرجال ولا بكثرة الأصابع المرفوعة وإنما يعرف الحق بالدليل من الكتاب والسنة وعمل سلف هذه الأمة الذين شهد لهم

(١) سورة البقرة: (آية ٢٨١).

النبي ﷺ بالخيرية .

ورحم الله من قال : «لو تتبعت زلة كل عالم لاجتمع فيك الشر كله» ، وما كان لعالم ولا متعالم أن يشرع في دين الله ما لم يأذن به الله فيدخل في وعيد قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾^(٢) . فقال عدي بن حاتم : والله ما اتخذناهم أربابًا . قال -عليه الصلاة والسلام- : «ألم يحلوا لكم الحرام ، ويحرموا عليكم الحلال فأطعموهم» . قالوا : بلى يا رسول الله . قال : «فذلك اتخذكم إياهم أربابًا من دون الله»^(٣) .

وعليه فليس فتوى فضيلة مفتي الثقلين - هذا (!) - هي الأولى في تحليل ما حرم الله فقد أفتى شيخ أزهرى آخر مثله قبل سنين بجواز الصلح مع اليهود فشجعت هذه الفتوى السادات على الذهاب إلى قتلة الأنبياء والمرسلين ، إخوان القردة والخنازير ، مصافحًا معانقًا ، ولكن أسقط في يديه (أي السادات) عندما ذهب لصلاة الجمعة في المسجد الأقصى فقال له خطيب المسجد الأقصى يومذاك «لقد ظننتك فاتحًا يا صلاح الدين!!»

ألم يشبه ذلك الشيخ الهالك صلح السادات مع اليهود بصلح النبي ﷺ في الحديبية مع الفرق الشاسع بينهما ، والعجب أن الآلاف المؤلفة من الذين في قلوبهم مرض ينتظرون مثل هذه الزلة ومثل هذه الفتوى ليمثلوا بطونهم من الربا المحرم فيتهافتوا على البنوك الربوية تهافت الفراش على النار ، ولسان حالهم يقول : «وأنا ما لي مادام الشيخ طنطاوي أحلها^(٤)» على رأي المثل : «ضعها في

(١) سورة الشورى : (آية ٢١) .

(٢) سورة التوبة : (آية ٣١) .

(٣) أخرجه الترمذي (١٨٢/٢) ، وانظر : «غاية المرام» (٦) .

(٤) وآخر طاماته تجويزه للحكومة الفرنسية منع المسلمات من الحجاب ، بحجة أن هذا الأمر شأن فرنسي داخلي - قاتله الله ما أجرأه على حرمان الله- .

رأس عالم واطلع سالم!! ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾^(١).

أما علم هؤلاء أنهم مسئولون عن أنفسهم فيما اجترحوه وأن مفتيهم هذا (واسع الذمة) لن يغني عنهم من الله شيئاً .

لذا فإن «هذه الفتوى أثارَت تساؤلات عدة ورد عليها كثير من العلماء وتبرأ منها جماهير العلماء المشهود لهم بالخير في زماننا هذا .

وأستغرب أن أجد أحداً يستمع لهذا الأمر المعلوم بالدين ضرورة حرمة ، وقد بين رسول الله ﷺ في الحديث : « درهم رباً يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ست وثلاثين زنية»^(٢) . والدرهم هنا يساوي ٦٠ أو ٧٠ فلساً .

وعندما يكون هذا هو بيان الربح القليل ومع ذلك يمنعه رسول الله ﷺ ويبين أن هذا المقدار من هذا الربا لا يجوز، ويأتي رجل يُبيحه من عند نفسه، فهذا بلا شك من الأمور الباطلة، وقد بين الرسول ﷺ في حديث مشهور: «الربا بضع وسبعون باباً أدناها أن ينكح أحدهم أمه»^(٣) هذا الحديث يفيد أن المسلم فضلاً عن العالم إذا ذكر الربا عنده من المفروض أن يقشعر بدنه وأن يتعد عن مجرد التفكير في هذا الموضوع، فكيف بمن يجيزها ويشجع عليها»^(٤)؟!

قال الشيخ العلامة حمود التويجري رَحِمَهُ اللهُ: «ومن أعظم الأمور خطراً: الإفتاء بالآراء المخالفة للكتاب والسنة، وهذا مما وقع فيه كثير من المنتسبين إلى العلم قديماً وحديثاً وما أكثرهم في زماننا، كفانا الله وجميع المسلمين من شرهم ومن شرفتاويهم»^(٥) .

(١) سورة الكهف: (آية ٥).

(٢) أخرجه أحمد (٥/٢٢٥) وقال شيخنا رَحِمَهُ اللهُ: سنده صحيح على شرط الشيخين . انظر: الصحيحة (٢/٢٩).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک (٢/٣٧) وهو صحيح على شرط الشيخين .

(٤) مجلة الفرقان- العدد (٢٢٨) (ص١٨).

(٥) «تغليظ الملام على المتسرعين إلى الفتيا وتغيير الأحكام» للعلامة التويجري رَحِمَهُ اللهُ (ص٣٠) - دار الصميعي-

وقال: «فصل: في ذكر نماذج من زلات أهل زماننا وأخطائهم في الفتاوى: فمن ذلك الفتيا بحلّ الربا، وعدم المبالاة بما يترتب على ذلك من مخالفة الكتاب والسنة والإجماع وأقوال الصحابة رضي الله عنهم، وعدم المبالاة بما جاء من الوعيد الشديد للمرايين ولعنهم وإيذانهم بالحرب من الله ورسوله.

ولو كان للمفتين بحلّ الربا أدنى شيء من العقل السليم، لما أقدموا على تحليل الربا وتعرضوا للعظائم التي تترتب على تحليله... وأما الذين لا يباليون باستحلال الربا معارضة للحق وروده، فأولئك ينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضَّمُّ إِلَيْكُمُ الَّذِينَ لَا يُعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾^(١).

وينبغي أن يطبق عليهم قول ابن عباس في تفسير قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٢)؛ قال: «فمن كان مقيماً على الربا لا ينزع عنه، فحق على إمام المسلمين أن يستتبهه، فإن نزع، وإلا ضربت عنقه». [رواه ابن جرير].

وقال الحسن وابن سيرين: «والله؛ إن هؤلاء الصيارفة لأكلة الربا، وإنهم قد أذنوا بحرب من الله ورسوله، ولو كان على الناس إمام عادل لاستتابهم، فإن هذا جزاء المرايين في الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى، قال الله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٣). فليتأمل المفتونون بتحليل الربا، والمفتونون بأكله، ما جاء في تحريمه والوعيد عليه من الآيات والأحاديث الكثيرة، ولا يستهينوا بشيء منها، ولا يغرنهم الشيطان وأعوان الشيطان بما يأتون من الشبه والأباطيل والأضاليل والحيل لاستحلال الربا بتسميته فوائد وأرباحاً،

(١) سورة الأنفال: (آية ٢٢-٢٣).

(٢) سورة البقرة: (آية ٢٧٨).

(٣) سورة البقرة: (آية ٢٧٥).

فإن هذه الحيل لا تزيل عنه اسم الربا وحكمه . . . ، وقد عاقب الله اليهود الذين استحلوا المحارم بالحيل بأن مسخهم قردة وخنازير، فليحذر الذين يستحلون الربا وغيره من المحرمات بالحيل أن يصابوا بمثل ما أصيب به اليهود من المسخ، أو يعاقبوا بغير ذلك من العقوبات الشديدة.

وليعلموا أن العقوبة على استحلال الربا ليست مختصة بالمستحلين له، بل إنها قد تتعدى إلى غيرهم من أهل بلادهم^(١).

قرار مجمع رابطة العالم الإسلامي بشأن موضوع تفشي المصارف الربوية، وتعامل الناس معها، وحكم أخذ الفوائد الربوية:

إن مجلس المجمع الفقهي في دورته التاسعة المنعقدة بمبنى رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة في الفترة من يوم السبت ١٢ رجب ١٤٠٦ هـ إلى يوم السبت ١٩ رجب ١٤٠٦ هـ يقرر ما يلي:

- يدعو المجلس المسلمين في كل مكان إلى مساندة هذه المصارف الإسلامية وشد أزرها^(٢)، وعدم الاستماع إلى الإشاعات المغرضة التي تحاول أن تشوش عليها، وتشوه صورتها بغير حق.

- كل ما جاء عن طريق الفوائد الربوية هو مال حرام شرعاً، ولا يجوز أن ينتفع به المسلم، مودع المال لنفسه أو لأحد ممن يعوله في أي شأن من شئونه، ويجب أن يصرف في المصالح العامة للمسلمين من مدارس ومستشفيات وغيرها، وليس هذا من باب الصدقة، وإنما هو من باب التطهير من الحرام، ولا يجوز بحال ترك هذه الفوائد للبنوك الربوية، للتقوي بها، ويزداد الإثم في ذلك بالنسبة للبنوك في الخارج، فإنها في العادة تصرفها إلى مؤسسات أسلحة لحرب المسلمين وإضلال

(١) تغليظ الملام (ص ٥٣-٥٦).

(٢) نوافقها بالحق لا بالباطل، فينبغي لهذه المصارف أن تتعامل بما يوافق شرع الله، وألا تتبع الرخص، وأن تستشير علماء راسخين، لا أشباه العلماء المفتونين بأنفسهم من أهل الابتداع والضلال.

أبنائهم عن عقيدتهم، علمًا بأنه لا يجوز أن يستمر في التعامل مع هذه البنوك الربوية بفائدة أو بغير فائدة^(١).

وقد أكدت هذه الفتوى على معطيات عدة أهمها: تحول مجمع البحوث الإسلامية إلى مؤسسة سياسية تخضع للأهواء والمصالح السياسية والشخصية: فشيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي المهيمن على المجمع رأيه معروف في هذه القضية، وهو الذي أصدر من قبل - أثناء تبوئه مقعد الإفتاء في مصر - فتوى بشرعيتها. . حيث خالف المجمع الفقهية جميعها، ومنها المجمع الذي أصدر سابقًا كثيرًا من الفتاوى بتحريم الفائدة بوضعها الحالي شكلاً ومضموناً، وكانت هذه الفتوى وراء صعود د. طنطاوي وتبوئه لمقعد شيخ الأزهر لأنه انتصر لرأي الدولة ضد كثيرين، وكان أبرزهم شيخ الأزهر السابق د. جاد الحق علي جاد الحق، والشيخ محمد متولي الشعراوي، وغيرهما.

الأمر الثاني: أن شيخ الأزهر وإزاء الانتقادات الشديدة التي وجهت له مقابل هذه الفتوى أراد أن يلبسها ثوباً مؤسسياً وجماعياً ويبعد عنها الفردية المنسوبة إليه في فتواه السابقة التي أثارت جدلاً، فقد أراد أن يصدر فتوى بشكل جماعي ولو بصورة ظاهرية حتى يتهرب من المسؤولية عن فتواه السابقة، ويلقي الكرة في ملعب مجمع البحوث الإسلامية.

وبالفعل تجاهل شيخ الأزهر - كما تؤكد المصادر - اللجنة الفقهية المختصة ببحث هذه القضية والتي يرأسها الدكتور محمد رأفت عثمان (عميد كلية الشريعة بجامعة الأزهر سابقاً وأستاذ الفقه المقارن)، وفي عضويتها كل من الدكتور عبد الفتاح الشيخ (رئيس جامعة الأزهر السابق)، ود. حامد جامع (وكيل الأزهر سابقاً). . لذا فالكثيرون يعدون هذه الفتوى غير قانونية وتفتقد إلى أي تأييد شرعي، وتؤكد مدى التعنيف الذي يدير به شيخ الأزهر المجمع، واستغلاله لهذا

(١) المرجع السابق (ص ٢١)

المجمع لتحقيق أهداف سياسية وشخصية ، ويرى الكثيرون أن الفتوى اعتمدت في تبريرها لتحليل فوائد البنوك على أن العلاقة بين المودع والبنك علاقة موكل ووكيل ! فكأن الإيداع بني على عقد وكالة يوكل المودع البنك في أن يتصرف في ماله تصرفاً استثمارياً ، وبالتالي يجوز أن تؤخذ فوائد محددة على المبالغ المودعة وهذا قياس فاسد ومحاولة للالتفاف على أمور ثابتة شرعاً^(١).

غش بعض المتصدرين للوعظ :

قال ابن الأخوة- في شروط الواعظ- : «لواعظ شروط ؛ منها : أن يكون عالمًا بالكتاب والسنة ، وأن يكون مستقيم اللسان حسن البيان ، قال الله تعالى : ﴿وَأَيِّنُّهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْبَيِّنَاتِ﴾^(٢).

ومن شرطه : أن يكون صاحب إشارة ورموز^(٣) ، فقد قيل : رُبَّ إشارة أبلغ من عبارة ، ورُبَّ لحظ أبلغ من لفظ ، وقال مالك بن دينار : الواعظ الذي إذا دخلت بيته تعظك آلة بيته ، فترى إناء الوضوء وسجادة الصلاة .

ومن المكروهات : كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدع ؛ فالقاص إن كان يكذب في أخباره فهو فاسق ، والإنكار عليه واجب ، وكذا الواعظ المبتدع يجب منعه ، فلا يجوز حضور مجلسه إلا على قصد إظهار الرد عليه ، فإن لم يقدر فلا يجوز حضور سماع البدعة ، قال الله تعالى لنيبه : ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾^(٤).

ومهما كان الواعظ شاباً متزناً للنساء في ثيابه وهيئته كثير الأشعار والإشارات والحركات ، وقد حضر مجلسه النساء ، فهذا منكر يجب المنع منه ، فإن الفساد أكثر

(١) مجلة الفرقان ، (العدد ٢٢٩) (ص ٢٨).

(٢) سورة ص : (آية ٢٠).

(٣) لا تخالف الكتاب والسنة .

(٤) سورة الأنعام : (آية ٦٨).

من الصلاح، ويبيّن ذلك منه بقرائن أحواله، بل لا ينبغي أن يسلم الوعظ إلا لمن ظاهره الورع، وهيئته السكون والوقار، وزيه زيّ الصالحين، وإلا فلا يزداد الناس إلا تماديًا في الضلال.

ويجب أن يضرب بين النساء والرجال حائلًا يمنع النظر إليهن، فإن ذلك مظنة الفساد، والعادات تشهد لهذه المنكرات، ويجب منع النساء من حضور المساجد للصلاة ومجالس الوعظ إذا خفن الفتنة بهن، فقد منعهن عائشة رضي الله عنها، قيل لها: إن رسول الله ﷺ ما منعهن من الجماعات، فقالت: لو علم رسول الله ﷺ ما أحدث النساء بعده لمنعهن. وأما اجتياز المرأة بالمسجد مستترة فلا تمنع منه، إلا أن الأولى ألا تتخذ المسجد مجازًا أصلاً، وكذا قراءة القرآن بين يدي الواعظ بالألحان على وجه يغيّر نظم القرآن ويجاوز حد التنزيل، منكر ومكروه شديد الكراهة، أنكره جماعة من السلف^(١).

وقال: «وفي زماننا هذا لا يُطلب الواعظ إلا لتمام شهر ميت، أو لعقد نكاح، أو لاجتماع هذيان، ولا يجتمع الناس عنده لسماع موعظة ولا لفائدة، وإنما صار ذلك من نوع الفرح واللعب والاجتماع، ويجري في المجلس أمور لا تليق من اجتماع الرجال والنساء ورؤية بعضهم لبعض وأشياء لا يليق ذكرها، وهذا من البدع المضلّة، وكان الأولى حسم الباب في ذلك والمنع منه. وإن تعذر فلا يمكن من ذلك إلا رجلٌ مشهور بالدين والخير والفضيلة كما تقدّم.

ومن شرطه: أن يكون عاملاً لله، مجتهداً قوَّالاً فعَّالاً، قال الله ﷻ: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ نَفْعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢)، وقال: ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا﴾^(٣) «(٤)».

(١) معالم القرية (ص ١٨٠-١٨٢).

(٢) سورة الذاريات: (آية ٥٥).

(٣) سورة النور: (آية ١٧).

(٤) معالم القرية (١٨٠).

غش المرشحين أنفسهم للمجالس النيابية :

إن المتأمل البصير الواعي لآيات الله يجعل العبد المؤمن منضبطاً بالأحكام الشرعية ظاهراً وباطناً؛ بعيداً عن أي تأثير - خارجي أو داخلي - ولو بأي تسويغ يسوّغه لنفسه! من أبين ذلك قوله: ﷻ: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾^(١)؛ إذ فيه النهي عن مديح النفس، أو ذكر (مآثرها) و(حسناتها)!!

فالمعنى المجمل لقوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: لا «تخبروا الناس بطهارتها على وجه التمدح عندهم، ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾؛ فإن التقوى محلها القلب، والله هو المطلع عليه، المجازي على ما فيه من برّ وتقوى، وأما الناس فلا يُغنون عنكم من الله شيئاً»^(٢).

وربطاً للحكم بالواقع - ولو من باب التمثيل - أقول: من أهم خصائص النظام الديمقراطي - الذي (يُفرضُ) اليوم على شعوب العالم بأسره! - وجود الانتخابات البرلمانية النيابية فيه، وهذا يقتضي أن يرشح عدد من (الناس!) أنفسهم للانتخابات، وبالتالي (عليهم) أن يقوموا (بالدعاية) لأنفسهم من أجل ذلك!!!

وخلال انتخابات نيابية (وقعت) أثار دهشتي عدة مخالفات شرعية وقع فيها المرشحون لأنفسهم، وليتهم كانوا من غير المتدينين لهان الخطب، بل قد كانوا - وللأسف - من المشايخ الذين يشار إليهم بالبنان!!

ومن أظهر هذه المخالفات: تزكية أنفسهم... فلسان حالهم يقول: أنا أفضل من تنتخبون! وفي مجلس النواب تضعون!

واحدٌ يُذكَرُ بجهاده! ويريد أن يوظف ذلك لنجاحه في الانتخابات! وآخر يتشبع بما لم يُعط؛ فيذكَرُ بشهاداته الجامعية، وما يتقن من لغات! وثالث يقول في

(١) سورة النجم: (آية ٣٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٧/٢١٦) للشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ.

إعلاناته: ربع قرن في خدمة القرآن الكريم، وكأنه يريد أن يصل إلى دنياه عن طريق القرآن.

وتذكرت - ساعتئذٍ - هذه الآية: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾، وقول رسول الله ﷺ: «إياكم والتماذج، فإنه الذبح»^(١)، وهذا إذا كان من الآخرين، فكيف إذا كان الشخص مادحاً نفسه لينال عرضاً من الدنيا! وهل كان السلف - وهم خيار الأمة - يوظفون آيات القرآن لمصالحهم ومآربهم؟! وهل يجوز من مشايخ زماننا فعل ذلك ليصل الواحد منهم إلى قبة البرلمان ليحظى بالشرف والجاه، ويحوز على جواز سفر (دبلوماسي)، ويشار إليه بالبنان!!

ألم يقل الرسول ﷺ: «إِنَّا لَا نَعْطِي هَذَا الْأَمْرَ مِنْ طَلْبِهِ» أي: الإمارة والولاية؟! وما أدري هؤلاء أنهم أهل لتحمل الأمانة والمسئولية؟

ألم يفقهوا قول الرسول: «ليوشك رجل أن يتمنى أنه خر من الثريا ولم يل من أمر الناس شيئاً»^(٢).

فكيف بمن نصب نفسه مشرعاً، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾^(٣)!

حتى إن بعضهم استشهد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ آسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾^(٤). وهذه الآية مقولة في حق خير خلق الله في زمانه، كليم الله موسى، فمن مثل موسى أمانة وخلقاً وعصمةً وعلماً وعملاً؟!

وكتب بعضهم: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾^(٥)! والله أعلم بإرادته ونيته ومدى مصداقية هذه الإرادة بعد جلوسه تحت قبة البرلمان!

(١) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (رقم ٣٦١).

(٢) انظر: «غاية المرام» (١٧٣).

(٣) سورة الشورى: (آية ٢١).

(٤) سورة القصص: (آية ٢٦).

(٥) سورة هود: (آية ٨٨).

وكتب آخرون: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾^(١)! وهذا مدح من الله لطائفة من عباده حفظوا العهود وأدوا الأمانات، وليس لأحد أن يدعي أنه أهل للوفاء والأداء إلا أن يشاء الله ويوفقه لذلك.

فإذا كان المسلم الصادق لا يقطع لغيره بالتزكية فكيف يقطع بها لنفسه. بل قد قطع الحزبيون المبتدعة لبعض مرشحيهم بالجنة حينما رفعوا يافطة: رشحوا من تحبون أن تحشروا معه يوم القيامة، وكأن صاحبهم المرشح نفسه صديق زمانه، وفاروق أوانه، وعثمان دهره، وعليّ وقته، قد بشر بالجنة وصحب النبي ﷺ، فرضي الله عنه!!! تعالى الله عما يفعل الحزبيون المتلاعبون بالدين علواً كبيراً.

فتوظيف الآيات للانتخابات حرام في الدين: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيمَانِكُمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾^(٢)، وهذا تأكل بالقرآن بطريق غير مباشر! بل - والله - بطريق مباشر...

ناهيك عن مآل هذه (اليافطات) - أو الأوراق - التي تكتب عليها الأحاديث والآيات!! فإنه سلّات المهملات، أو مجمعات النفايات!! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن العجائب: أن بعض العلمانيين كانوا يستغلون القرآن - أيضاً - للدعاية لأنفسهم وهم من أول يوم عُرفوا فيه كانوا ضد القرآن وأهله.

أما الإسراف والتبذير وإنفاق الأموال والكرم الحاتمي وصنع الولائم - دعاية انتخابية - ورفع الصور العظيمة الضخمة فوق أعمدة الكهرباء فحدّث ولا حرج!!

وكل هذه أساليب لا يقرّها الإسلام، إذ إن ما أزهق من أموال على المرشحين أنفسهم يكفي فقراء البلد عشرات السنين، ويؤزج مئات الشباب المعسرّين، ويني عشرات المساجد، وأما الأقمشة المستعملة في الدعاية، فإنها تكفي لتكفين آلاف

(١) سورة المؤمنون: (آية ٨)، وسورة المعارج: (آية ٣٢).

(٢) سورة البقرة: (آية ٤١).

الموتى من المسلمين ، وكل ذلك إسرافٌ وتبذيرٌ ﴿ إِنَّكُمْ لَا تُحِبُّونَ الْمُسْرِفِينَ ﴾^(١) .
ثم بعد ذلك يكتمل الغش فيبلغ ذروته بأن يتخلوا ويتناسوا ما وعدوا به الشعب
من بناء وتطوير معدات وتوفير الحاجات وتعديل قرارات وتحرير المغتصبات ،
وما هي في الحقيقة إلا أمجاد ذات ، وحب الظهور ، والوصول ولو تأكلًا بالدين .
هذا كله طاف خاطري ، وجال في نفسي ، وأنا أتدبر شيئًا من معاني قوله
تعالى : ﴿ فَلَا تُرْكُوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ ! مقارنة بشيء من واقع الأمة .
فأين حقيقة التدبر القرآني . . ؟ ! وأين حقيقة التصور الإيماني . . ؟ !
هذا كله - في حقيقته وروحه - يناقض تمام المناقضة النهي الوارد في هذه
الآية ، ويقذف بالمخالفين لها بعيدًا عن حكم الشرع المبين . والله يهدينا جميعًا
سواء السبيل .

غش الكتاب والمصنفين والمحققين والناشرين

غش الناشرين والمطابع :

وصورة هذا الغش أن يقوم الناشر بطبع الكتاب أو الرسالة فيضخم حجمها
ويزين غلافها وظاهرها فقد يكون طبع الكتاب يقع في مجلد واحد فيعمد الناشر إلى
تكبير الكلمات وترك ما بين السطر والآخر كبير المسافات وتكبير الحواشي ، وقد
تنتهي الفقرة في الصفحة المقابلة فيها سطر أو سطران ، فيترك الورقة بيضاء ، وينتقل
إلى الصفحة التي تليها ، ثم يبدأ الفقرة الموالية فبدل أن يقع الكتاب في مجلد واحد
يصير مجلدين أو ثلاثة أو أربعة حسبما تسنح توسعات الغش ، كل هذا سعيًا وهلعًا
في جمع حطام الدنيا الزائل وسراب الملذذ الفاني ولا يقع ضحية هذا الإجرام إلا

(١) سورة الأنعام : (آية ١٤١).

طالب العلم النبوي وسالك المنهج المحمدي، فيلهف قلبه على هذا الكتاب أو ذاك، ولكن هيهات؛ يحال بينه وبين الكتب غلاء أسعارها الذي يستفيد منه فقط المؤلف والناشر. أما طالب العلم الفقير فله الله.

فهم بذلك يحجرون العلوم والمعارف ويحتكرونها، فيعطلون مسيرة الدعوة إلى الله ﷻ، بل يعطلون الأمة في سيرها قدماً إلى تحقيق سيادتها وسبيل بنائها ومجدها وعلياؤها.

والناشرون -إلا من رحم الله- لهم النصيب الأكبر من فساد نيات كثير من طلاب العلم بسبب بعض عروضهم المغرية، وربما صتّف بعض طلبة العلم مصنفات، ورسائل، وكتباً وفق أهواء الناشرين من غير قناعة أو حاجة لمثل تلك المصنفات -اللهم إلا التجارة الرباحة- غير ناظرين إلى حاجة الأمة إلى مثل هذا الكتاب أو ذاك، خصوصاً إذا كانت دور النشر هذه في مرحلة التكوين، فغالباً ما تقوم على أكتاف بعض المشهورين من طلبة العلم، ثم يقبلون لهم ظهر المجن بعد أكل كثير من حقوقهم، والحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به غيرنا.

وقد وصل الأمر بهؤلاء الناشرين أن يدفعوا حقوق بعض المؤلفات -التي لا رصيد لها من الواقع-؛ فوجدوا بعد حين أن الكتاب الذي دفعوا حقوقه إنما هو مجرد اسم وعنوان، فأسقط في أيديهم، وفسدت علاقتهم بالمؤلفين، كل ذلك سببه الهلع والجشع والتسابق على الدنيا الفانية، حتى أضحت الأمة كأن لا هم لها إلا التأليف والتصنيف، أما تربية الأمة على الإسلام الصحيح ودعوة الأجيال إلى الصراط المستقيم، فأصبح أمراً هامشياً أو ثانوياً.

وإذا دقت النظر في هذا الاندفاع الشديد نحو التأليف، لا تجد إلا الدنيا والاتجار بالعلم، إلا من رحمه الله وقليل ما هم.

لقد كان السلف لا يعرفون إلا الكتاب والسنة علماً وعملاً ودعوة وجهاداً وتربية وتزكية، فكانوا أهدي سبيلاً، ونحن اليوم عندنا آلاف الكتب والمجلدات،

وما زال الدين غريباً في ديارنا وفي واقعنا، والسبب أنهم - أي: أسلافنا - ضموا إلى العلم العمل؛ لأن بركة العلم العمل، ونحن جمعنا علوماً شتى وحُرّمنا بركة العلم.

ف«على الناشرين أن يتقوا الله في اختيار المواضيع التي تنفع الناس وتصحح عقائدهم وتقوّم عباداتهم، ولتكن قاعدتهم (نشر ما يحتاجه المطالعون لا ما يطلبونه) فقد تطلب العامة كثيراً من الكتب المضلّة ويكون لها رواج، وتعود على دور النشر بالربح المادي العاجل، فإن اجتمعت حاجة الناس في كتاب نافع مع طلبهم له وشغفهم به فحسن، ولكن لا بد من استحضار الثواب في اختيار هذا الكتاب، حتى يكون الناشر صاحب رسالة زيادة في استثمار المال والتجارة، فإن فعل ذلك فإنه مأجور عند الله ﷻ إن شاء الله تعالى»^(١).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في مبحث البيوع المحرّمة: «وكذلك الكتب المشتملة على الشرك وعبادة غير الله، فهذه كلها يجب إزالتها وإعدامها، وبيعها ذريعة إلى اقتنائها واتخاذها، فهو أولى بتحريم البيع من كل ما عداها، فإن مفسدة بيعها بحسب مفسدتها في نفسها»^(٢).

وسئل ابن رشد رحمه الله عن رجل اشترى مصحفاً أو كتاباً فوجده ملحوناً كثير الخطأ غير صحيح، ويريد أن يبيعه، هل عليه أن يُبيّن؟ وإن بيّن لم يشتر منه. فأجاب على ذلك بأن قال: «لا يجوز أن يبيع حتى يُبين ذلك وبالله التوفيق»^(٣).

«فإن كان لا يجوز بيع الكتاب الملحون كثير الخطأ في الرسم والمبنى، فالمنع أولى فيه إن كان في المضمون والمعنى، وعليه فعلى بائعي الكتب أن يتقوا الله

(١) كتب حذر منها العلماء (١/٢٥-٢٦) لأخيها الشيخ مشهور حسن - وفقه الله -.

(٢) زاد المعاد (٥/٧٦١).

(٣) فتاوى ابن رشد (٢/٩٢٢-٩٢٣).

سبحانه، فيبينوا الأخطاء العامة لبعض الكتب المشهورة، وبخاصة للمبتدئين في طلب العلم والعلوم، إذ يفترض في هؤلاء البائعين أن يكونوا ذوي معرفة جيدة بأحوال الكتب ولو من باب إتقان الصنعة، ولو كان ذلك - في أقل الأحوال - عن طريق من يثقون به من طلبة العلم الذين يترددون عليهم»^(١).

«فإن العلم الواجب يجب بثه ونشره، ويجب على الأمة حفظه، والعلم الذي في فضائل الأعمال مما يصح إسناده يتعين نقله، ويتأكد نشره، وينبغي للأمة نقله، والعلم المباح لا يجب بثه ولا ينبغي أن يدخل فيه إلا خواص العلماء»^(٢).

ومن ذلك الغش: تصدير بعض الجهلة والمتعالمين ممن ينسبون أنفسهم للعلم ويحشرون أنفسهم معهم وليسوا منهم فيتسلقون على ظهور المشاهير ويخجلونهم بالتقديم لهم والتقريظ لكتبهم الغثائية حتى إذا وصلوا ولمع نجمهم قلبوا ظهر المجن لمن قدمهم وعرفهم للناس»^(٣).

ملء الكتب بالغث والسمين:

يقول الشيخ محمد رشيد رضا رحمته الله: «كثرت في هذا القرن المطبوعات المشتملة على ما يخالف أصول الدين ويصد عن هدايته، مما يكتبه الزنادقة والملاحدة بسوء نية، ومما يكتبه الجاهلون المغرورون بمعارفهم الناقصة، كما كثر في ذلك ما يكتبه الفريقان في المجالات والجرائد اليومية، ومنه ما هو مخالف لأصول الدين وفروعه في قوالب مدح له ودفاع عنه»^(٤).

وإن «النتاج العلمي الهائل الذي تقذف به بطون المطابع ويعرض على رفوف

(١) كتب حذر منها العلماء (٢٨-٢٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/٦٠٤).

(٣) ومن أشهر هؤلاء (أثري) البحرين وقد كنا اغتررنا به حيناً من الدهر ثم بدا لنا أنه أحد المتسلقين الكبار والمتشبعين بما لم يعطوا وبحسب هو وأمثاله أنهم على شيء وسيكون لنا معه - إن شاء الله - وقفة أطول نكشف فيها زيفه وبهرجه الذي خدع به بعض البلهاء والدُهماء.

(٤) المختار من المنار، للشيخ عبد العزيز آل الشيخ (٥/٢٥٨).

دور النشر ليس كله سواء، فمنه المهم - وهو على درجات -، ومنه الذي ليس منه نفع ولا جدوى، والقسم الثالث هو الضار الساقط - وهو على دركات -^(١).

من الغش السرقات العلمية:

«العلم أمانة وتقع فيه عند أصحاب النفوس المريضة والهمم العليلة خيانة، وقرن ابن القيم - رحمه الله تعالى - «السراق بالأيدي» مع «السراق»^(٢) بالأقلام»، فقال في كتابه الفذ «إعلام الموقعين» في حيل أرباب الملاهي واللصوص: «... . وتحيل السراق واللصوص على أخذ أموال الناس بالباطل وهم أنواع لا تحصى، فمنهم السراق بأيديهم، ومنهم السراق بأقلامهم، ومنهم السراق بأمانتهم، ومنهم السراق بما يظهرونه من الدين والفقر والصلاح والزهد وهم في الباطن بخلافه، ومنهم السراق بمكرهم وخداعهم وغشهم...»^(٣).

«إن من ينظر في هذا الكلام يحسبه لكاتب حديث مقتدر يصور به حالة المجتمع الإسلامي الآن، حيث كثر فيه السراق بأقلامهم وألسنتهم وأمانتهم وتدينهم الكاذب وتظاهروهم بالصلاح والزهد المفتعلين، وبصفة أخص بالخداع والمكر والغش في كل معاملة تقريباً؛ إلا من عصم ربك وقليل ما هم»^(٤).

وقد «يعمد الرجل إلى كتاب فيصوغه بقالب آخر حتى قد يبلغ جهده وقدرته في تغيير الصورة، وقد لا، مع عدم فائدة توجب أفراد التصنيف من الفوائد المعروفة»^(٥).

«واستحدث كل منهم وسيلة من الوسائل، تجعل هذا «السطو» يبدو ضرباً من «التجديد» في دراسة الأدب وفي إنتاج الأدب. وبدأ السطو من بعض «الأساتذة

(١) كتب حذر منها العلماء (١/٢٥).

(٢) لظالما تساءلت في نفسي: ترى هل من يسرق العلم يجتري على سرقة المال؟ حتى تبين لي ذلك الأمر جلياً بنماذج واقعية مؤلمة مؤسفة، والله هو الستير لا إله غيره ولا رب سواه في الحاضر ويوم تبلى السرائر.

(٣) «إعلام الموقعين» (٥/٢٩٨-٢٩٩) بتصرف يسير.

(٤) «الحيل الفقهية في المعاملات المالية» (ص ١٧٠).

(٥) «العلم الشامخ في إثبات الحق على الآباء والمشايخ» للشيخ صالح المقبلي (ص ٣٥٨).

الكبار» تزداد أساليبه خبثًا ونكرًا، ودهاء ومكرًا، يومًا بعد يوم، تحت السيطرة «الإرهاب الثقافي» الذي تولى كبره «الأساتذة الكبار» وتسهل من أمره ما كان يستصعب، وبدأ الكبار يستغلون الصغار أيضًا ويدربونهم على السطو الصريح بأساليب تخفي شيئًا من معالمه، ودارت العجلة. . ورحم الله أبا العلاء إذ قال:

ولا تعلم صغير القوم معصية فذاك وزر إلى أمثاله عدلك
فالسلك، ما استطاع يومًا ثقب لؤلؤة! لكن أصاب طريقًا نافذًا فسلك

دارت العجلة، ولم تزل تدور، وجاء جيل بعد جيل، أصاب طريقًا نافذًا فسلك! واستقر الأمر على ذلك في حياتنا الأدبية إلى اليوم، لا أقول لك في البحث الأدبي، بل في الفن كله وفي الموسيقى أيضًا، وفي الإنتاج الأدبي والعلمي بلا استثناء، إلا من عصم الله، وهم قليل.

وليت الأمر وقف عند ذلك القدر من المكر والدهاء في «السطو»! ليته وقف، ولكن انحدر بعد إلى هوة «السطو الحر» وقرارته، (الحر! غريبة، كيف جاءت هذه الصفة هنا؟). انحدر إليها بلا قناع الزمن الذي يسدله على أعمال الناس بالتقادم! مثال ذلك: كتاب كان صاحبه يحميه حيًا، فلما هلك هلكت معه الحماية، وأسدل الزمن عليه قناعه. يأتي أستاذ فيعيد نشره بنصه كما كان، ولكن عليه اسمه هو، ويرتفع الأمر إلى المحكمة، فتحكم بأنه (سطو)، دون أن تلجأ إلى خبير من أهل هذا العلم، لأن الأستاذ قد أغنى المحكمة عن إرهاب الخبير! كان سطوًا حرًا، سطرًا سطرًا. ثم مات الأمر، وابتلعت حياتنا الأدبية ابتلاعًا حرًا؟ بلا استنكار، لا باليد ولا باللسان ولا بالقلب.

وإذا بلغ الأمر هذا المبلغ. فلا ريب في أن (السطو) الخفي المتقن، الذي يلبس طيلسان الجامعة، أو برد الأستاذية، أو يختال في ثياب موشاة من البحث العلمي؛ خليق أن يعد عندنا في حياتنا الأدبية، تسايح عبادة في محراب الفنون والآداب»^(١)

«وهكذا نجد أن اللصومية لم تعد مقصورة على مجال واحد، بل إنها تمتد. وتمتد وتصبح القاعدة في كل شيء. وما ذلك إلا لأن الاعتداء على حقوق الآخرين لا يجد من يمنعه. على أنني أقول: إن أخطر أنواع هذه اللصومية، هي السطو على فكر الآخرين وتقديمه في أفلام لأن المرفوض أن مؤلف القصة أو كاتب السيناريو والحوار، إنما يحاضر المشاهدين في موضوعات عامة وترتكز على المبادئ، والقيم الأخلاقية. وما أتعس شعبًا يكون المحاضر فيه من أقطاب لصوصية الفكر»^(١)

وصورة السرقة العلمية- التي ينبغي أن يكون متفققًا عليها- أن يعمد المؤلف إلى الأخذ من كتب أخرى أبحاثًا علمية مزيدة متميزة دون أن يذكر المصدر الذي أخذ عنه ولا المؤلف الذي أخذ منه فيقدم كتابه للقراء كأن الكلام- المنقول- كلامه وهو لا صلة له بمعاني تلك الحروف أو ترتيب تلك الكلمات لا من قريب ولا من بعيد، أو صورة أخرى- وهي أولى وأحرى- يعمد إلى نقل الكتاب كله ولا يغير منه إلا واجهة كتابه بتغيير عنوانه ووضع اسمه بدل اسم المؤلف الحقيقي، فإن شاء زاد عليه وإن كان من أدعياء العلم وتجاره، تركه ولم يبدل فيه أو منه شيئًا، فيغش بفعله هذا وأسلوبه القراء . . .

«هذه هي السرقة العلمية، أما أن يعمل باحث ما على تجميع مادة علمية من مصادر عديدة ويؤلف بينها ويجمع بين أوصالها، فهذا هو التأليف لغة واصطلاحًا، ولكن؛ ينبغي أن ينسب كل قول لقائله، وكل فائدة لمصدرها، والتوسع في ذلك من عيوب التأليف فحسب»^(٢).

«وهناك أمور كثيرة لا بد من مراعاتها قبل إطلاق حكم السرقة؛ منها:

أولاً: التفرقة بين النتاج الفكري والقيام بعملية التجميع والترتيب

(١) (جمهرة مقالات العلامة محمود شاكر) (٢/١١١٧).

(٢) «كتب حذر منها العلماء» (٢/٣٧٢)

والاختصار.

ثانيًا: التفرقة بين ما دُوِّن على أنه مصنّف وما دُوِّن على أنه تهذيب أو مختصر أو ما انتقي من كتاب على أنه كُنَّاش .

ثالثًا: التفرقة بين التأليف في موضوع ما وتوظيف عبارات العلماء واقتباسها ووضعها في هذا التأليف، وبين الإغارة على مصنف للغير وطمس بعض ما فيه بتغيير وتبديل أو تقديم وتأخير .

رابعًا: التفرقة بين السرقة وعيوب التصنيف والتأليف .

خامسًا: مراعاة حال المصنف، والنظر في كتبه الأخرى وما جرى عليه العرف في التصنيف في زمانه وأوانه، والتأني في إطلاق الحكم بالسرقة، ولا سيما في حق المشاهير المزمكين الأخيار . . .

سادسًا: التفرقة بين نقل ما أصبح قواعد مقررة أو روايات وعبارات سارت في الركب، فهي حينئذ ليست ملكًا لأحد، وبين ما هو مغمور غير مشهور؛ فنقله من غير عزوه لصاحبه يعد من العيوب والمثالب .

فتهمة السرقة عظيمة، ولا سيما في حق الصالحين والعلماء، فلا بد قبل إلقائها من دراسة ما يحيط بها من ملابسات ومنازعات، فإن «المعاصرة أصل المنافرة» .

ورحم الله القائل:

من ادعى العلم ولم يوصف به فذاك قد عرّض للنقص
فالعلم معروف لأربابه يظهر بالنطق وبالفحص^(١)»^(٢)

وقد كان العلماء المتقدمون يأخذون عن بعضهم دون عزو أحيانًا، بل كثيرًا، ولم يكن بينهم هذا التحاسد والجشع والهلع على حطام الدنيا؛ ذلك لأن العلم

(١) «الضوء اللامع» للسخاوي (١/١٠٦).

(٢) «كتب حذر منها العلماء» (٢/٣٨٣-٣٨٤).

عندهم كان مشاعاً للجميع ، ولم يطلبوه لدنيا يصيبونها أو جاه يبحثون عنه ، وإنما ألفوا وكتبوا لله خالصاً ، ثم لنشر العلم والدعوة إلى الله ، فلم تدخل الدنيا بينهم لتفسد أخوتهم ، كما هو حاصل الآن - عياداً بالله - ، فالآخرة تجمع والدنيا تفرق ، والشواهد على ذلك كثيرة .

وانظر مثلاً على ذلك كتاب شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي رحمه الله فإن أغلب نقولاته من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله ولا أحد أنكر عليه ولا لومه إلا على التفصيل السابق من تغير المقاصد والنيات ، والله المستعان .

غش مراكز الصف والتنضيد :

قال تاج الدين السبكي : «الناسخ»^(١) : ومن حقّه ألا يكتب شيئاً من الكتب المضلّة ؛ ككتب أهل البدع والأهواء ، وكذلك لا يكتب الكتب التي لا ينفع الله بها ، كسيرة عنتر وغيرها من الموضوعات المختلفة التي تضعيع الزمان ، وليس للدين بها حاجة ، وكذلك كتب أهل المجون . وما وضعوه في أصناف الجماع ، وصفات الخمور وغير ذلك مما يهيج المحرّمات . فنحن نحذر النساخ منها ، فإن الدنيا تغرهم . وغالباً مُسْتَكْتَبٌ هذه الأشياء يعطى من الأجرة أكثر مما يعطيه مستكتب كتب العلم . فينبغي للناسخ ألا يبيع دينه بدنياه . ومن النساخ من لا يتقي الله تعالى ويكتب عن عجلة ، ويحذف من أثناء الكتاب شيئاً ، رغبة في إنجازه إذا كان قد استؤجر على نسخه جملة ، وهذا خائن لله تعالى في تضعيع العلم ، وجعل الكلام بعضه غير مرتبط ببعض ، ولمصنّف الكتاب في بتره تصنيفه ، وللذي استأجره في سرقة منه هذا المقدار ، قال أصحابنا : ولو استأجره ليكتب شيئاً ، فكتبه خطأ ، أو بالعربية فكتبه بالعجمية أو بالعكس ، فعليه ضمان نقصان الورق ، ولا أجرة له ، قال النووي - ويقرب منه ما ذكره الغزالي في الفتاوى - : إنه لو

(١) ويقوم مقامه في زماننا دور النشر والطباعة والصف والتنضيد .

استأجره لنسخ كتاب، فغيّر ترتيب الأبواب، فإن أمكن بناء بعض المكتوب على بعض؛ بأن كان عشرة أبواب، فكتب الباب الأول آخرًا منفصلاً، بحيث يبني عليه، استحق بقسط من الأجرة»^(١).

قلت: وحدثت لي تجربة مع أحد مراكز الصف والتنضيد، حيث تم الاتفاق على صف اختصار لتفسير الحافظ ابن كثير المسمى: «الدر النثير في اختصار تفسير ابن كثير» الذي كان من المقرر أن يصدر وينشر قبل سنوات كثيرة، ولكن قدر الله وما شاء فعل، حيث إن مركز الصف الدعيّ هذا قام بأفعال شنيعة؛ منها:

- ١- عدم الالتزام الكامل بالمختصر.
- ٢- عدم إنزال الآيات القرآنية مما يعيق المقابلة والمراجعة.
- ٣- تمزيق الأصل.
- ٤- إتلاف بعض مجلدات الكتاب ووجود آثار حروق لإزالة آثار الرطوبة من سوء التخزين والحفظ، مما أزال مواضع الاختصار على الأصل.
- ٥- عدم الالتزام بالاتفاق من تسليم الأصول كاملة وفي وقتها.
- ٦- إضافة أشياء كثيرة غير موجودة في المختصر.
- ٧- تفاوت درجة الخط.
- ٨- عدم التنبيه على الأخطاء والأوهام الظاهرة.
- ٩- كثرة التصحيقات.

وبعد المخالصة والغبن الشديد وتعطيل العمل لشهور عدّة، اتفقنا مع أخ آخر أحسنًا به الظن، فكان تاجرًا جشعًا يحمل أخلاق البلطجية وأهل الأسواق، آخر العمل سنين، وأخل بالاتفاق، ونقض العهد، وأخلف الوعد، وأكل المال

(١) معيد النعم (ص ١٠١-١٠٢).

الحرام، وردّ العمل ناقصًا، فاللّهُ حسيبه وحسيب كل غشاش مجرم أثيم.

غش المصنفين والكتاب :

كرّم اللّهُ القلم؛ بأن جعله أول مخلوق؛ كما صح بذلك الخبر عن سيد البشر، وأقسم به لشرفه وشرف ما يتوصل به إليه، فقال: ﴿تَّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^(١)؛ فأقسم بهذا على أن دعوة نبينا محمد ﷺ مسندة إلى رجل معصوم يتمتع بكامل العقل والقوى، ولذلك أعقب بذلك بقوله: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾^(٢)؛ لأن الجنون آفة مانعة من التكليف والتبليغ والدعوة، وهو من أسباب الطغيان.

لذلك فمن كان به جنون لا يصلح لحمل القلم، ولا الخط به، فكيف إذا أسند هذا القلم إلى مجنون من مجانين الأرض، فإنه لن يكون إلا فتاكًا بالأمة؛ إذ هو كمجنون أعطي قبلة أو غيرها من أسلحة الدمار الشامل.

ولأهمية القلم في العلم وتدوينه، ورد ذكره في مواطن أخرى من الكتاب العزيز؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾^(٣).

ولأهمية القلم وعلو شأنه في الإسلام، أقسم اللّهُ به في سورة القلم التي سميت باسمه، وأول ما قرع سمع النبي ﷺ من آيات الذكر الحكيم تعظيم شأن القلم في أول سورة أنزلها اللّهُ على نبيه، قال تعالى: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٤). فلأهمية العلم ووسائل تحصيله بيّن اللّهُ لنا ذلك من خلال سورة العلق؛ لأن المجتمع الجاهلي كان أميًا لا يقرأ، ولا يكتب إلا ما ندر، وهي آفة من الآفات على مرّ العصور وكرّ الدهور، فبداية الإصلاح البشري تكون بالعلم

(١) سورة القلم: (آية ١).

(٢) سورة القلم: (آية ٢).

(٣) سورة لقمان: (آية ٢٧).

(٤) سورة العلق: (آية ٤-٥).

المقروء والمتلو .

ولما كان المقروء عرضة للنسيان . . . والضياع ؛ أوجب الإسلام تدوينه عن طريق الكتابة ، فالقلم هو القلم مهما تغيرت أشكاله ووسائله . وهو أمانة في عنق حامله لا ينبغي أن يستعمله إلا في الرسالة التي أرسل بها النبيون وورثتهم من العلماء ، فإساءة استغلال القلم كإساءة استغلال السلاح ؛ كلاهما يفضي إلى الدمار في العقول والنفوس ، ولذا قال فيه الشاعر :

إذا اهتز في طرسه معجبًا أذلّ شعوبًا وأعلى شعوبًا

فعلى أرباب الأقلام أن يتقوا الله في أقلامهم ؛ لأن القول أمانة منوطة في أعناقهم ، والله سائلهم عن هذه الأمانة التي عرضها على السموات والأرض والجبال فأبت أن تحملها ، وارتجفت من أهوالها أيّامًا كما جاء في بعض التفاسير .

فلا يصلح لصاحب قلم آمن بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولًا أن يطغى قلمه ، فيجمع عن الحق ويجنح إلى الباطل والطغيان من خلال قذف الآخرين والاستهزاء بهم والسخرية والتجهيل والتسييح بحمد نفسه أو حمد غيره دون حمد ربه .

فالأقلام خلقت لتقديس الله وتعظيمه والدعوة إليه ، وتعريف الخلق بربهم ومعبودهم الحق ، لا التزلف إلى أهل الدنيا ، ولا ترويج البدع ، ولا المدح الكاذب الذي أمرنا أن نحثو في وجوه أصحابه التراب ، ولا الدعوة إلى المناهج الفاسدة وغيرها ، ولا لإشهار النفس والتسييح بأمجاد الذات والفخر والعُجب والعلو والتعالي على الأقران .

فما أحوج الكثير من الأقلام إلى الكسر ، وأصحابها إلى الحَجْر ؛ لأنهم أساءوا استخدامها وامتطوا بها متن الباطل ؛ ليصلوا بها إلى حظوظ أنفسهم . . . الله المستعان .

وإن العالم الإسلامي يشهد صحوة علمية ودينية كبيرة، ولكنها تحتاج إلى ترشيد وتشديد لئلا تخرج عن الجادة، فيصبح ضررها أكثر من نفعها؛ لأن أي عمل أو توجه إذا لم يقم على أساس صحيح، كان إثمه أكبر من نفعه، وشره أكثر من خيره، وكان وبالاً على صاحبه، فيصبح حاله كمن قيل فيه: «وكم من مرید للخير لن يصيبه».

ولذلك «ينبغي للمؤلف أن يحسن اختيار عنوان كتابه؛ فإن للاسم تعلقاً بالمسمّى . . . ، فالكتاب بالنسبة لمؤلفه لا يقل أهمية عن ولده، فهو ابن لأفكاره، والولد ابن لنسله، وكلاهما يحفظ اسمه وشيئاً من رسمه، فكما يختار الأب اسماً حسناً لولده، على المؤلف أن يختار اسماً حسناً لكتابه، وعليه أن يراعي فيه ما يلي:

أولاً: البعد عن السجع المتكلف وعدم الوضوح، فإنه أدعى للإقبال عليه والاستفادة منه.

ثانياً: مطابقة اسمه لمادته وليوافق الخبر الخبر.

ثالثاً: عدم التطويل إلا إن دعت الحاجة لذلك، فإنه أدعى للاستقرار والحفظ.

رابعاً: عدم تسميته بما يشعر بموافقة منهج المبتدعة؛ من مثل الإيمان بالإلهام، والكشف، والفيوضات، والفتوحات، والعصمة لآل البيت، ونحوها من العناوين التي تمجد خرافات الصوفية وبواطيل الشيعة، وترهات أهل الزيغ والضلال.

خامساً: ألا يكون فيه مخالفات شرعية؛ من مثل دعوة إلى منهج المستشرقين والإسرائيليين الجدد، أو دعوة للرديلة والأخلاق السيئة، أو ما يناقض المقرر في العقيدة الإسلامية، أو ما فيه حط على العلماء والكبراء»^(١).

(١) كتب حذر منها العلماء (١/٥٣-٥٤).

و«أولئك الذين يمزقون كتب أئمة الهدى ويستلّون منها فصولاً ويضعون لها عناوين، وينشأ عليها معجبون فلا يرتقون ألبتة في الطلب والتحصيل، وحاصلهم حال من يعتمد في أكله على (السندويتشات)!! وحال أولئك من تنتفخ جيوبهم بـ (الدريهمات) ولا حول ولا قوة إلا بالله»^(١).

قال الشيخ بكر أبو زيد - سده الله وعافاه - : «وأما تغيير أسماء الكتب وتنظيف الكتب، بمعنى أخذ بحث في موضوع من كتاب وإفراده بالطبع، ويرسم على طرته تأليف فلان دون الإشارة على الغلاف بأنه مستلّ من كتاب كذا، فهذا التغير شيء لا تسأل عنه، فقد بلغ فيه العبث مبلغاً جاوز طوره وازدحمت عليه ممارسات المتأكلين، وتكسرت منهم النصال على النصال من كتبيين وورّاقين ومحققين . . . في فوضى لا نعلم لها على وجه الأرض من رادع، لكن لعل التنبيه ينفع من كان له من نفسه وازع»^(٢).

قال الإمام الشوكاني رحمته الله : «وإنما التصنيف الذي يستحق أن يقال له تصنيف، والتأليف الذي ينبغي لأهل العلم الذين أخذ الله عليهم بيانه وأقام لهم على وجوبه عليهم برهانه، هو أن ينصروا فيه الحق، ويخذلوا به الباطل، ويهدموا بحججه أركان البدع، ويقطعوا به حبال التعصب، ويوضحوا فيه للناس ما نزل إليهم من البيّنات والهدى، ويبالغوا في إرشاد العباد إلى الإنصاف، ويحببوا إلى قلوبهم العمل بالكتاب والسنة، وينفروهم من اتباع محض الرأي وزائف المقال وكاسد الاجتهاد»^(٣).

ومن جانب آخر: هناك من يتصرف في كتب العلماء بالاختصار والحذف والتبديل والتحريف، فيسيء إليها ويحسب أنه يحسن صنعاً، ويحسب «أن التصرف بتراث السلف - مطلق التصرف - اختصاراً كان أم غيره - مما يغير الوضع

(١) المرجع السابق (١/٦٠).

(٢) كتاب «التعاليم» (ص ٥٧-٥٨).

(٣) «أدب الطلب ومنتهى الإرب» (ص ٨١).

لكل كتاب كما تُورث- هو أمر مباح- طالما أمكن تحقيق منفعة منه- وهذا من التصورات الخاطئة، بالغة الخطورة...؛ إذ حقيقة الأمر أن المسألة تعتبر واحدة من كبريات القضايا ذات المساس برسالة الإسلام، وللتراث حرمة عند المسلمين، لازمت انتقاله إلينا منذ السلف الأول ولم تفارقه، ويستشعر بها من عنده مسحة من علم وأثارة من تقوى^(١).

ومن غش المؤلفين: حجر المؤلفات والمشاريع العلمية بادعاء أنهم ألفوا في كل فن لا يدعيه ابن تيمية زمانه ولا سيوطي أوانه. والحقيقة أنها مجرد عناوين كتب فحسب، فالتكاثر مذموم في كل شيء، ومن ادعى ما ليس فيه فضحته شواهد الامتحان، والمتشعب بما ليس فيه كلابس ثوبي زور، ولعل دافع ذلك منع الغير من السباق بفعل الحسد الذي يأكل القلوب، خصوصًا في الميدان الواحد ليبقى متقدمًا على أقرانه، والله المستعان.

غش المحققين:

ومن غش التحقيق أن يعتمد أحد المحققين إلى كتاب محقق فيسرق تحقيقاته وينسبها لنفسه دون الإشارة إلى هذه النسخة المحققة، ودون ذكر محققها ظانًا أن أحدًا من أهل العلم وطلابه وقراءه لم يقف عليها؛ لأنها جديدة عهد بالصدور، أو لأنها طبعت في بلد آخر زاره المحقق السارق ولم يقف عليها أحد غيره في بلده.

أو أن يسطو بعضهم على بعض الكتب المحققة التي لم تطبع بعد، وإنما هي لا زالت محفوظة في رفوف وخزانات الجامعات العلمية الشرعية إذ غالبًا ما تتأخر طباعة الرسائل الجامعية التي نوقشت فيها، فيسطو عليها هذا المحقق الألمعي ويخرجها بثوب آخر، وهي ما زالت في رفوفها.

وقد سمعنا شيخنا الألباني رَحِمَهُ اللهُ كَثِيرًا ما يقول: «غَيَّرُوا الشَّكْلَ مِنْ أَجْلِ الْأَكْلِ».

(١) «أخطار على المراجع العلمية لأئمة السلف»، عثمان الصافي (ص ٢٧)، دار الفاروق.

«ومما لا بد من التنبيه عليه هنا سوء صنيع كثير من المحققين والناشرين بأسماء مصنفات الأقدمين؛ فتراهم يتفنون في تبديل أسمائها أو الزيادة عليها لقلّة تحصيلهم العلمي تارة، وطمعاً في تغيير القراء تارة أخرى، فيوهمونهم أن الكتاب لم يطبع بوضع اسم جديد له - من عندهم - طمعاً في الربح المادي، فساء ما يصنعون، فينبغي الأخذ على أيديهم، ونقول لهم: اتقوا الله رب الأرض والسماء، ودعوا عنكم هذه الأدوية»^(١).

«ومن المستبشعات والمستشععات في هذا الباب أيضاً التصحيف الذي يطرأ في اسم الكتاب أو الخطأ في نسبه أو ضبطه»^(٢).

«وقد وقر في أذهان الناس خطأ، أن المراد بتحقيق النص إعداده للنشر حسب القواعد المتبعة فحسب. وليس الأمر كذلك تماماً، فإن أي باحث في العلوم الإنسانية مطالب بتحقيق النص الذي يستنبط منه نتائج معينة قبل أن يقدم على استنباط هذه النتائج، وليس من اللازم أن يكون ذلك النص مخطوطاً، فكثير من الكتب المطبوعة التي بين أيدينا لا تفرق كثيراً عن المخطوطات؛ إذ إن الذين تولّوا طبعها ونشرها طائفة من الورّاقين، وبعض الأدعياء الذين لا يدرون عن فن تحقيق النصوص شيئاً، ولذا جاءت هذه المطبوعات في كثير من الأحيان مليئة بالتصحيف والتحريف، نصوصها مضطربة مشوشة، تبعد كثيراً عن الأصل الذي كتبه مؤلفوها»^(٣).

قال شيخنا الألباني - أسكنه الله الجنة - في صحيحته الذهبية: «وهذا أمر لا يستطيعه ولا يحسنه جماهير المشتغلين اليوم بتخريج الأحاديث، وإذا رأيت لأحدهم تحقيقاً ونفساً طويلاً في ذلك فهو على الغالب مسروق متحل! والمنصفون منهم يعزّون التحقيق لصاحبه، وقليل ما هم».

(١) كتب حذر منها العلماء (١/٥٦).

(٢) المرجع السابق (١/٥٨).

(٣) مناهج تحقيق التراث، للدكتور رمضان عبد التواب (ص ٥) - مكتبة الخانجي بالقاهرة.

الغش المركَّب

الطعن في العلماء :

ومن الغش للأمة الإسلامية: الطعن في علمائها وأئمتها الثقات العدول، العلماء الربانيين، الذين ينصحون لها، ويذوبون عن الدين كل دخیل، ويقمعون الباطل بقوة الحق، كتابًا وسنة، على منهج سلف الأمة؛ فتوهين هؤلاء الأئمة وتسويق الروبضات من رءوس الضلال من حزبيين وصوفيين ومخرفين وعقلانيين وتكفيريين وغيرهم، غش قبيح لأمة الإسلام، ومؤامرة ذنيئة قدرة على المسلمين.

ف«من الواجب علينا احترام علمائنا في حدود المشروع... ولا سيما العلماء المجددون لدين الله، والدعاة المخلصون إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

فكان حقهم علينا الاقتداء بهم واحترامهم والترحم عليهم والدعاء لهم، لقاء ما قاموا به من الواجب، وما بيّنه من الحق وردّوا من الباطل.

إلا أننا نجد بدلًا من ذلك من بعض حملة الأقلام والمتطلعين إلى العلم والتأليف من يكيّل التهم في حقهم ويرجمهم بما هم بريئون منه، ويحاول صرف الناس عن دعوتهم بدافع الحقد أو سوء الاعتقاد، أو الاعتماد على ما يقوله أعداؤهم وخصومهم»^(١).

وإن «من علامة أهل البدع الوقعة في أهل الحديث والأثر، والتاريخ يعيد نفسه، فهامهم أهل البدع يرمون أهل السنة (السلفية) بوابل من التهم، ويرشقونهم بسبيل من الظلم»^(٢).

(١) البيان لأخطاء بعض الكتاب، للشيخ صالح الفوزان (ص ١٦١-١٦٢).

(٢) كتب حذر منها العلماء (١/٢٠٣).

وإن «للعلماء علينا من الحقوق ما بتركه يتم العقوق، ومن رعايتها: ضبط أحوالهم الشريفة، وتدوين مناقبهم المنيفة، وتخليد محاسنهم في بطون الأوراق، والمحافظة على نتاج أفكارهم التي هي من أنفس الأعلام، ومن ذلك: تعظيمهم باللسان، والجنان، والأركان، وعدم التعرض لما يؤذيهم بالدخول في أعراضهم الجميلة، والاستهانة بمناقبهم الجزيلة الجليلة، والتقعد لهم بمراصد الاستخفاف، والتنصب لهم بمنصبه الخلاف.

وقد ورد في الآيات الفرقانية، والأحاديث النبوية، والآثار المصطفوية، ما يقتضي النهي عن ذلك، وتتخطى بمن عمل به أيمن المسالك»^(١).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «ولا بد من أمرين:

أحدهما أعظم من الآخر، وهو: النصيحة لله ولرسوله وكتابه ودينه وتنزيهه عن الأقوال الباطلة المناقضة لما بعث الله به رسوله من الهدى والبيئات، التي هي خلاف الحكمة والمصلحة والرحمة والعدل، وبيان نفيها عن الدين وإخراجها منه، وإن أدخلها فيه من أدخلها بنوع تأويل.

والثاني: معرفة فضل أئمة الإسلام ومقاديرهم وحقوقهم ومراتبهم، وأن فضلهم وعلمهم ونصحهم لله ورسوله لا يوجب قبول كل ما قالوه، وما وقع في فتاويهم من المسائل التي خفي عليهم فيها ما جاء به الرسول، فقالوا بمبلغ علمهم والحق في خلافها لا يوجب اطراح أقوالهم جملة، وتنقصهم والوقعة فيهم.

فهذان طرفان جائران عن القصد، وقصد السبيل بينهما، فلا نؤثم ولا نعصم، ولا نسلك بهم مسلك الرافضة في علي ولا مسلكهم في الشيخين، بل نسلك بهم مسلكهم أنفسهم فيمن قبلهم من الصحابة، فإنهم لا يؤثمونهم ولا يعصمونهم ولا يقبلون كل أقوالهم ولا يهدرونها، فكيف ينكرون علينا في الأئمة الأربعة مسلکًا

(١) مقدمة «حدائق الزهر» للشيخ الحسن بن أحمد عاكش.

يسلكونه هم في الخلفاء الأربعة وسائر الصحابة؟ ولا منافاة بين هذين الأمرين لمن شرح الله صدره للإسلام، وإنما يتنافيان عند أحد رجلين:

- جاهل بمقدار الأئمة وفضلهم.

- أو جاهل بحقيقة الشريعة التي بعث الله بها رسوله.

ومن له علم بالشرع والواقع، يعلم أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وآثار حسنة وهو من الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور بل ومأجور لا جتهاده؛ فلا يجوز أن يتبع فيها، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين^(١).

قال أبو أنس -عفا الله عنه-: وإنما نرى كثيرًا من طلبة العلم اليوم يسفّهون أحلام مخالفيهم ويجهلونهم بحق أو بباطل، وإذا ذكروا عندهم غمزوهم ولمزوهم، لا لشيء إلا لكبرهم وإعجابهم بأنفسهم، فلا تراهم يذكرون ما عند الرجل السني من خير، بل أول ما يسألون عنه لا يذكرون إلا مثالبه وما يرون فيه من شر وفساد، والعالم عند هؤلاء ليس من يخشى الله، بل من صنف وألف وطار ذكره في الآفاق - دون النظر إلى خشيته وتسنته-، وعلى ذلك يوالون ويعادون، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

وإننا نرى والعياذ بالله «أناسًا انسلخوا من أخلاق السلف كما تنسلخ الحية من جلدها، لا يراعون لشيخ حُرمة، ولا يوجبون لطالب ذمّة، يتوجع أحد الدعاة من أمثال هؤلاء فيصفهم بأنهم»^(٢):

«أناس فضوليّون، يكثر لغظهم، ويقبل علمهم، وتنصيح مجالسهم بصبغة الغيبة وخشونة الألفاظ، حتى تكون تهورات اللسان أمرًا مستساغًا، وتغتال فضائل المجالس الإيمانية اغتيالًا، ويصبح الداعية المشارك فيها قليل الاحترام لعناصر

(١) إعلام الموقعين (٥/ ٢٣٤-٢٣٥).

(٢) الإعلام بحرمة أهل العلم والإسلام، للشيخ محمد أحمد المقدم (ص ٣٠٤).

الرعيّل الأول؁ كثير الجرأة عليها . . .

وليس ذلك عرف المؤمنين أبدأ؁ ولا سمتهم الذي ورثناه؁ إنما ورثنا الحياء وعفاف اللسان؁ واحترام الكبير؁ وتبجيل السابق؁ والتأول الحسن؁ وترجيح العذر؁ وجمال اللفظ؁ والاستغفار للذين سبقونا بالإيمان؁ وتكرار الدعاء للمربي والهادي»^(١).

«وهاك صورًا من عدوانهم وتطاولهم :

- فهذا أحدهم يعير العلماء بأنهم «فقهاء الحيض والنفاس» .

- وآخر يخاطبهم قائلاً : «متى تخرجون من فقه المراحيض ودورات المياه؟» .

- وثالث يصف لجنة الفتوى بالسعودية بأنها «فايكان المسلمين» ويتكلم على أساس أن «تكفير» العلامة ابن باز من البديهيّات التي لا تحتاج إلى نقاش .

- ورابع ينكر في أحد المؤتمرات على من يصفهم بأنهم «العلماء من عينة المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع» .

- وخامس وضع نفسه في صف الحافظ ابن حجر العسقلاني ويقول متهكمًا : «هو ابن حجر وأنا ابن زلط» .

- وسادس يمارس التكفير غير المقنع ؛ باتهام هذا العالم بأنه «ماسوني»؁ وذلك الداعية بأنه «عميل» لكذا؁ أو جاسوس لكذا مما يرجفون»^(٢).

قال الحافظ ابن عساكر رحمته الله : «واعلم يا أخي - وفقنا الله وإياك لمرضاته؁ وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته- إن لحوم العلماء- رحمة الله عليهم- مسمومة وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة ؛ لأن الوقية فيهم بما هم منه براء أمر

(١) المرجع السابق (ص ٣٠٣).

(٢) «فضائح الفتن» بتصرف (ص ١٧) بواسطة المرجع السابق (ص ٣٠٣-٣٠٤).

عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء وقع وخيم، والاختلاف على من اختاره الله منهم لنعش العلم خلق ذميم»^(١).

واعلم أن «الخائض في أعراض العلماء ظلماً وعدواً إن حُمل عنه ذلك، واقتدي به فيه، فقد سنّ سنة سيئة فعلية وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، والداد على الشر كفاعله، والسعيد من إذا مات ماتت معه سيئاته، قال تعالى: ﴿وَنَكُتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾^(٢).

وما من كاتب إلا سيلقى غداة الحشر ما كتبت يده
فلا تكتب بكفك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه»^(٣)

«ومن أخطار الطعن في العلماء:

١- التسبب إلى تعطيل الانتفاع بعلمهم.

٢- أن القدح بالحامل يفضي إلى القدح بما يحمله من الشرع والدين، ولهذا أطبق العلماء على أن من أسباب الإلحاد القدح في العلماء.

٣- التسبب في انزواء بعض هؤلاء الأخيار وابتعادهم من ساحة التربية والتعليم والدعوة، صيانة لأعراضهم، وحفظاً لحياة قلوبهم، لأن القلوب الحرة يؤذيها التعكير»^(٤).

«أسباب ظاهرة التناول على العلماء:

جماعها: الانحراف عن هدي السلف الصالح في التربية والتأديب والتعليم والتهذيب، أما بيانها فدونكه:

(١) تبين كذب المفترى (ص ٢٨).

(٢) سورة يس: (آية ١٢).

(٣) الإعلام بحرمة أهل العلم (ص ٣٢٢-٣٢٣).

(٤) المرجع السابق، باختصار (٣٢٤-٣٢٥).

السبب الأول: تشيخ الصحف وافتقاد القدوة.

فقد كان السلف يمنعون من كانت وسيلته إلى الفقه الكتب، من الفتوى ومن التدريس، كما يمنعون من تلقي القرآن من المصحف دون القراء.

السبب الثاني: استعجال التصدر قبل تحصيل الحد الأدنى من العلم الشرعي بحجة الدعوة.

السبب الثالث: التعامل وتصدر الأحداث.

فترى «أبتثياً»^(١) صريع الجهل، متشبعاً بما لم يعط، ينصب نفسه مرجعاً للفتيا، ويتملكه العجب فيلمز أكابر العلماء، ويفري أعراضهم، ويسفّه أقوالهم، فيصد الناس عن سبيل ربهم، بصدّهم عن الأدلاء عليه.

السبب الرابع: الاغترار بكلام العلماء بعضهم في بعض.

فيحاول بعضهم اعتبار ذلك موضع قوة وأسوة، غافلاً عن القاعدة الجليلة التي أصّلها العلماء في ذلك وهي أن «كلام الأقران في بعضهم البعض يطوى ولا يحكى». إما لأنه ناشئ عن اجتهاد وتأويل، وإما لأنه ناشئ عن تنافس ومعاصرة ومنافرة مذهبية، مما لا يكاد يسلم منه بشر، وما ينقل من ذلك إما لا يصح عنهم، وإما يصح، فيجب أن نغض الطرف عنه، ونحمله ما أمكن على أحسن الوجوه، وإلا فيجب طيه وكتمانه، والاشتغال بالاستغفار لهم كما رغّبنا القرآن الكريم في ذلك.

السبب الخامس: الاغترار بمسلك الإمام ابن حزم رحمته الله في شدته على الأئمة.

فيحسب طالب العلم أن هذه الشدة من الغيرة المحموده على الحق ومن نصرة الدين، وينسى أنه لا أسوة في الشر.

(١) الذي لا يكاد يعرف إلا حروف الهجاء: أ ب ت ث... إلخ.

السبب السادس : جهل المنتقدين بأقدار من ينتقدونهم من العلماء .

وبالتالي لا ينزلونهم منازلهم ، ويبخسونهم مكانتهم التي يستحقونها ، ولعل أنجع علاج لذلك التعامل المباشر مع العالم ولحظ سلوكه وسمته وهديه ، أو مطالعة ترجمته ومصنفاته إن فاتت لقياه ومعاشره تلامذته .

السبب السابع : التأثر بفوضوية الغربيين ونعراتهم .

ويتضح هذا في سلوك بعض الشباب الذين يتلون بالإقامة في ديار الغرب ، فيتشربون منهم بعض القيم ، وبخاصة سلوكهم إزاء أكابرهم وعظمائهم بحجة حرية الرأي والتعبير ، واعتزازاً بما يدينون به من الفوضوية التي يسمونها ديمقراطية ، دون أن يتفطن هؤلاء الشباب إلى الفروق بين القيم الإسلامية وبين القيم الغربية .

السبب الثامن : التعصب الحزبي^(١) والبغي ، وعقد الولاء على غير الكتاب

والسنة .

فبعض الناس يربون أتباعهم على الولاء لأشخاصهم والانتماء لذواتهم أو جماعاتهم ، ويوالون في ذلك ويعادون ، دون الاعتبار لمبدأ الحب في الله والبغض في الله .

وفي هؤلاء يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : « وليس لأحد أن ينتسب إلى الشيخ يوالي على متابعتة ويعادي على ذلك ، بل عليه أن يوالي كل من كان من أهل الإيمان ، ومن عرف منه التقوى من جميع الشيوخ وغيرهم ، ولا يخص أحداً بمزيد موالاته إلا إذا ظهر له مزيد إيمانه وتقواه ، فيقدم من قدم الله ورسوله عليه ويفضل من فضله الله ورسوله »^(٢) .

وقال أيضاً - رحمه الله تعالى - : « ومن نصب شخصاً كائناً من كان ؛ فوالى

(١) انظر ما سبق في كلام العلماء على الأحزاب والجماعات .

(٢) مجموع الفتاوى (١١/٥١٢) .

وعادى على موافقته في القول والفعل، فهو ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِيَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾^(١)، وإذا تفقه الرجل وتأدب بطريقة قوم من المؤمنين مثل أتباع الأئمة والأشياخ، فليس له أن يجعل قدوته وأصحابه هم المعيار، فيوالي من وافقهم ويعادي من خالفهم^(٢).

السبب التاسع: التحاسد والتنافس على العلو والرياسة.

السبب العاشر: عدم الثبوت في النقل.

السبب الحادي عشر: الفراغ.

فإن الاشتغال بلغو القول وتجريح الآخرين وسائر آفات اللسان إنما هو ثمرة الفراغ الذي لم يبادر صاحبه إلى ملئه بالعمل الصالح.

السبب الثاني عشر: الجمود وعدم الإنصاف.

ومن مظاهره: تنكر الطالب لشيخه الذي طالما أفاده، وعلمه، وأحسن إليه، لأجل زلة زلها أو غصبة غضبها، فيجحد كل ما مضى من إحسانه إليه، ويقول كما تقول النساء كافرات العشير: «ما رأيت منك خيراً قط»، ويطلق لسانه في ذم شيخه والتشنيع عليه، ويقول الشاعر في مثل هذا:

أعلمه الرماية كل يوم	فيا عجباً لمن ربيتُ طفلاً
أعلمه الفتوة كل حين	أعلمه بأطراف البنان
أعلمه الرواية كل وقت	فلما اشتد ساعده رماني
	فلما طرّ شاربه جفاني
	فلما صار شاعرها هجاني

ومن مظاهر الجمود: الرجوع عن التعديل والتزكية إلى التجريح والذم لمحض

الهوى وشهوات الأنفس.

(١) سورة الروم: (آية ٣٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٠/٨-٩).

ومن مظاهر الجمود: الانكباب على مصنفات العالم والنهل من فيض علمه سرًا مع إظهار الاستغناء عنه وذم كتبه في الملاء^(١).

ومن مظاهره: تنكر منتسبي الدعوة للجيل السابق الذي عاصر مراحل البدايات وعانى ما اكتنفها من جهد وآلام، وليتهم إذ جحدوا كفوا ألسنتهم عن الأذى، إذن لُحِّمُوا أبلغ الحمد في زمن يصدق عليه قول القائل:

إنا لفي زمن ترك القبيح به من أكثر الناس إحسان وإجمال
وقول الآخر:

عُدنا في زماننا عن حديث المكارم
من كفى الناس شره فهو في جود حاتم

السبب الثالث عشر: استثمار المغرضين لزلات العلماء^(٢).

فترجع ونقول لهؤلاء الطاعنين: «إن للعلماء الربانيين ولاية على غيرهم ممن هم دونهم، وذلك مما أودعه الله في قلوبهم من العلم، ولما ظهر على سماتهم من الخشية والتزكية.

قال ابن القيم: «والتحقيق أن الأمراء إنما يطاعون بمقتضى العلم، فطاعتهم تبع لطاعة العلماء، فإن الطاعة إنما تكون في المعروف وما أوجبه العلم، فكما أن طاعة العلماء تبع لطاعة الرسول، فطاعة الأمراء تبع لطاعة العلماء.

ولما كان قيام الإسلام بطائفتين: العلماء والأمراء، وكان الناس لهم تبعًا،

(١) وأكثر ما يقع هذا في زماننا مع العلامة الألباني الذي هو حقيق بقول القائل:

عنا في عرضي قوم سلاط	لهم من نثر جوهره النقاط
همو حسدوه لما لم ينالوا	مناقبه فقد فسقوا وشاطوا
وكانوا عن طرائقه كسالى	ولكن في أذاه لهم نشاط

«الإعلام»، للمقدم (ص ٣٦٣)

(٢) «الإعلام بحرمة أهل العلم والإسلام» (ص ٣٣٥-٣٦٣) باختصار شديد.

كان صلاح العالم بصلاح هاتين الطائفتين، وفساده بفسادهما»^(١).

ولا بد من مراعاة مراتب العلماء؛ فإذا جاء العلم من قبل كبار علماء الأمة فهم بخير، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إنكم لن تزالوا بخير ما دام العلم في كباركم، فإن كان العلم في صغاركم سقّه الصغيرُ الكبير»^(٢)، بل على هذا مدار الصلاح والفساد، فقد ثبت عن عمر رضي الله عنه قوله: «فسادُ الدين إذا جاء العلم من قبل الصغير، استعصى عليه الكبير، وصلاح الناس إذا جاء العلم من قبيل الكبير؛ تابعه عليه الصغير»^(٣).

فهؤلاء العلماء الكبار يجب حبُّهم - ظاهراً وباطناً -، واستفتاؤهم في النوازل والمسائل العامة، ويجب النزول في القلاقل والمشاكل عند رأيهم، والانصياع إلى أمرهم.

فترتيب الأولويات، والانشغال بواجب الوقت، ومعرفة المصالح والمفاسد، وتقديرها، ولاسيما في زمن الفتنة من شأنهم - حسبُ -.

ولما حاول أهل الحزبيات أن يسدّوا الفراغ الناشئ عن غياب العلماء الربانيين، وقعت الأمة في شر مستطير، وفساد خطير، وذلك لأنهم راعوا مصالحهم الشخصية، وأهواءهم، ونصرة أسمائهم وشاراتهم دون أوامر الله تعالى.

والناس في جميع طبقاتهم - علماؤهم وطلبة العلم المتقدمون، وطلبة العلم المبتدئون، والعامة - ينبغي أن تكون العلاقة فيما بينهم علاقة تكامل لا تآكل، ويقومون بالولاية الإيمانية فيما بينهم، من خلال التواصي بالحق والصبر، والائتمار بالمعروف، والتناهي عن المنكر، وأن يعقدوا سلطان الحب والبغض،

(١) «إعلام الموقعين» (١/١٠٠ - ط عبد الرؤوف سعد).

(٢) أخرجه عبد الرزاق (١١/٢٤٦)، وأبو نعيم (٨/٤٩)، واللالكائي في «السنة» (رقم ١٠١)، وابن عبد البر في «الجامع» (رقم ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠)، وسنده صحيح، وألفاظه متعددة.

(٣) أخرجه ابن عبد البر في «الجامع» (رقم ١٠٥٥، ١٠٥٦)، وإسناده حسن.

والولاء والبراء على الدين، دون الأسماء والعناوين .

وسعادة الأمة وعودة عزها المفقود لا يتحقق في آخر هذه الأمة إلا كما تحقق في أولها، وذلك من خلال الالتفاف حول العلماء، دون العامة الدهماء، من الرءوس الضالة، التي تتكلم في الدين بغير علم، فيُضِلُّون ويُضَلُّون . . .

ولذا؛ فإن العلماء الربانيين هم رأس الجماعة التي أمرنا بلزومها، وحُذِرنا من مفارقتها، وكانوا هم- ولا يزالون- الطائفة المنصورة التي لا تضرّها من خذلها حتى يأتي الله بأمره .

قال الإمام البخاري: «هذه الطائفة هم أهل العلم» .

وقال الإمام أحمد: «إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم»!

قال القاضي عياض- معلقاً على كلامه-: «إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث»^(١) .

ولذا لما سُئِل ابن المبارك: مَنْ الجماعة الذين ينبغي أن يُقتدى بهم؟

قال: أبو بكر وعمر . . . فلم يزل يحسب حتى انتهى إلى محمد بن ثابت والحسين بن واقد .

قيل: هؤلاء ماتوا، فَمِنْ الأحياء؟

قال: أبو حمزة السكري^(٢) .

والعلماء هم الربانيون الذين يُعرفون برسوخ أقدامهم في مواطن الشُّبّه وعند الفتن، حيث تزيغ الأفهام، فلا يسلمُ إلا من رحمه الله .

قال ابن القيم: «إن الراسخ في العلم لو وردت عليه من الشبه بعدد أمواج البحر

(١) انظر: «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٣/٦٧)، و«شرف أصحاب الحديث» (٢٦)، و«شرح السنة» (١/٢١٦).

(٢) رواه الترمذي عقب رقم (٢١٦٧).

ما أزال يقينه، ولا قدحت فيه شكًا؛ لأنه قد رسخ في العلم، فلا تستفزه الشبهات، بل إذا وردت عليه ردّها حرسُ العلم وجيشه، مغلولةً مغلوبةً»^(١). انتهى هؤلاء العلماء هم الذين يُعرفون بجهادهم ودعوتهم إلى الله ﷻ، وببذلهم الأوقات والجهود في سبيل الله، ويُعرفون بنسكهم وخشيتهم لله، فحينئذ يكون هؤلاء هم مرجع الأمة وسادتها، وبالا اجتماع حولهم وطاعتهم - ديانةً وتقربًا - تسعد الأمة بهم وتصدق.

ومما ينبغي تسطيره والتيقظ له: التفريق بين العلماء، وبين من قد يشبه بهم من:

الخطباء والوعاظ: فلا يلزم من كون الشخص خطيبًا أو واعظًا أن يكون عالمًا، وإن ازدحمت ألوفُ العامة بين يديه، فهؤلاء قصاصون ومتكلمون، وينفعون بمقدار سلامة عقيدتهم ومنهجهم، وإلا فكما قال مجاهد: «ذهب العلماء، فلم يبق إلا المتكلمون»^(٢).

ومجرد وجود القدرة الخطابية لا يلزم منها وجود العقلية العلمية، والتأصيل الفقهي، فقد ذكر ابن الجوزي أن صنعة الوعظ في زمانه «تعرض لها الجهال، فأعرض عن الحضور المميّزون من الناس، وتعلّق بهم العوام والنساء»^(٣)، هذا حالهم آنذاك، فماذا نقول اليوم؟! اللهم لطفك وهدايتك!

وقد ثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه قوله: «إنكم في زمان كثير علماء، قليل خطباء، وإن بعدكم زمانًا، كثير خطباء، والعلماء فيه قليل»^(٤).

وهذا له حكم الرفع - بل ورد مرفوعًا - وواقعنا ينطق به.

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/١٤٠).

(٢) أخرجه أبو خيثمة في «العلم» (ص ٦٩).

(٣) «تلبس إبليس» (ص ١٢٧).

(٤) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (رقم ٧٨٩)، وأبو خيثمة في «العلم» (ص ١٠٩)، والطبراني في «الكبير»

(١٨٥٦٦)، وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٢٥١٠) لشيخنا رحمته الله.

ومن هذا الصنف: المفكرون والمثقفون: ممن لهم اطلاع على مجمل القضايا التي لها تعلق بالتصور الكلي عن الشريعة، كالنظرة للكون والإنسان والحياة، ومعرفة الأديان والمذاهب المعاصرة، مع اطلاع على القضايا التي تُعدُّ مفرق طرق بين الإسلام وسائر الأفكار الأرضية، مما يُسمّونه اليوم: (فقه الواقع)!! فهم يملكون (غيره)، ولكنهم غير مؤهلين للتصدّر في إعطاء (النوازل) (المستجدات) أحكامها الشرعية، سواء كانت في قضايا (سياسية) أو (اقتصادية)، أو غيرها، ولا سيما إن كان هؤلاء متخصصين في العلوم التجريبية، أو الإنسانية، فإن تصوراتهم غير مضبوطة، وبالذخن والخلل مخلوطة... إلا من رحم ربي منهم.

ومنهم - أيضًا -: العقلانيون والعصرانيون والصحفيون والمذيعون وأهل السفسطة والكلام، ولا سيما ذلك الصنف الذي يكثر هذرُهُ، ويظهر شره في الصحف والمجلات، أو على الفضائيات - كالقرضاوي والكبيسي، وأشباههما -.

ورحم الله ابن عبد البر؛ فإنه قال: «أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيف، ولا يُعدُّون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء، وإنما العلماء أهل الأثر والفقه، ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم»^(١).

ولله درُّ ابن رجب لما قال: «وقد فُتن كثير من المتأخرين بهذا، وظنُّوا أن من كثر كلامه وجداله وخصامه في مسائل الدين، فهو أعلم ممن ليس كذلك، وهذا جهل محض، وانظر إلى أكابر الصحابة وعلمائهم كأبي بكر، وعمر، وعلي، ومعاذ، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، كيف كانوا؟! كلامهم أقل من كلام ابن عباس، وهم أعلم منه، وكذلك كلام التابعين أكثر من كلام الصحابة، والصحابة أعلم منهم، وكذلك تابعو التابعين؛ كلامهم أكثر من التابعين، والتابعون أعلم

(١) «جامع بيان العلم» (٢/٩٦ - ط القديمة).

منهم» .

قال: «فليس العلم بكثرة الرواية، ولا بكثرة المقال، ولكنه نورٌ يُقذف في القلب، يفهم به العبدُ الحقَّ، ويميّز به بينه وبين الباطل، ويعبر عن ذلك بعبارات وجيزة، محصّلة للمقاصد»^(١).

ولذا كان من أبرز سمات من ينفع الله به: العلم - وهو: دين الله؛ كما قدمنا -، فهو مقصدهم الأعلى، لذا فهم يعطونه كلهم، من اهتمام، ووقت، فهو شغلهم الشاغل، فيعملون على حذق أصوله ونصوصه، وقواعده، ويجاهدون أنفسهم بالامتثال إلى ما فيه من حق وعدل، حتى ينطبع في نفوسهم من خلال ذلك فقهُ الشرع، وضبطُ أحكامه، وإحكامه، وبذلك يلحقون ما لم يُنصَّ عليه بالمنصوص، فالشرع قواعد عامة، والمسائل في جميع أحكام الدين (من الطهارة إلى السياسة) لها نظائر وأشباه، فمن حذق المسائل المنصوص عليها أحسن وأجاد في وضع غير المنصوص عليه في أماكنها.

وأما سائر الأصناف من الأنصاف فما دون، فهم يحسبون أنهم يحسنون، ولكن (من ثمارهم تعرفهم)، والواقع مشاهد ملموس، والشر ظاهر محسوس، ولا وقوة إلا بالله.

وأخيراً: يتبين لنا - من خلال ما مضى - أن الطعن في العلماء من سمات أهل البدع، ولا سيما قولهم المشهور: «العلماء فقهاء حيض ونفاس»!! فهذه عبارة قالها قديماً - على معناها ومبناها وأساسها - بعض الأرجاس.

ولقد نقل الإمام الشاطبي في كتابه الفذ «الاعتصام» كلام عمرو بن عبيد (رأس الاعتزال): ألا تسمعون! ما كلام الحسن وابن سيرين إلا خرقة حيضة ملقاة!! ثم علّق الشاطبي بقوله:

«وروي أن زعيماً من زعماء أهل البدع كان يريد تفضيل الكلام على الفقه،

(١) «بيان فضل علم السلف على علم الخلف» (ص ٥٧ - ٥٨).

فكان يقول: إن علم الشافعي وأبي حنيفة جملته لا يخرج من سراويل امرأة»،
وعلق عليه بقوله: «هذا كلام هؤلاء الزائغين، قاتلهم الله»^(١).

فأللهم إنا نبرأ إليك من المبتدعة، ومسالكم وطعونهم»^(٢).

ومن عادة وديدن الخلف، الطعن في السلف ومن سار على نهجهم من العلماء، ومن أكثر العلماء الذين أصابهم طعونات معاصريهم من الخلف، شيخنا الألباني جعلها الله رفعة في درجاته وتكفيراً لسيئاته.

العقلانيون الذين غشوا أنفسهم وغيرهم:

... نُسبوا إلى العقل؛ لأنهم جعلوا العقل هو الحَكَم في كل شيء؛ حتى في الأمور الغيبية التي لا تخضع للعقل في العادة، فهم لا يجعلون الشرع هو الحَكَم، فإن العقل عندهم قاضٍ على كل شيء من الشرع والدين؛ فما وافق العقل قبلوه، وما خالفه رفضوه؛ ولو جاء به كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لذلك أعملوا عقولهم في ردّ كثير من النصوص؛ لأنها - بزعمهم - تتعارض مع العقل، وإنما تتعارض - في الحقيقة - مع عقولهم القاصرة لا مع العقول السليمة، فالعقل السليم لا يخالف النقل الصحيح، وقد صنّف شيخ الإسلام ابن تيمية كتاباً حافلاً اسمه: «درء تعارض العقل والنقل» أو «موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول».

وهذه المدرسة العقلية قد ردت كثيراً من النصوص الشرعية بحجة مخالفة العقل وبحجة مخالفة الواقع وبحجة مخالفة التجربة.

مثلاً بعض العقلانيين لا يقتنع بأن الذبابة في أحد جناحيها داء وفي الآخر دواء، وأن غمسها في الإناء هذا من باب التقرّز.

(١) الاعتصام (٣/٢٤٨).

(٢) نبذة علمية في منهج السلف في العلم والعلماء - من إعداد مركز الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ.

وإذا أثبت الطب يوماً من الأيام هذا الأمر - وقد أثبتته فعلاً؛ لكنهم قوم يجهلون! - صدّقوا له وصدّقوه، وإذا أتى عالم من العلماء كافر مشرك صليبي فأثبت فعلاً أنّ في أحد الجناحين داء وفي الآخر دواء عندها يضربون له التحية ويمجدونه ويسجدون له ويقولون: نعم الآن نؤمن بحديث أبي هريرة رضي الله عنه مع أن الحديث جاء في أصح الكتب بعد كتاب الله وهو «صحيح الإمام البخاري».

وهذا مثال أيضاً لا للحصر فعشرات الأحاديث ردّها العقلانيون الذين يقدسون العقل ويجعلونه حكماً على شرع الله.

وهذه المدرسة العقلية التي انتشرت اليوم أبينّ بعض ملامحها حتى يمكن للإنسان أن يعرف أولئك العقلانيين وما عندهم من سموم.

من أبرز سمات هذه المدرسة:

التوسع في رد السنة النبوية كلياً أو جزئياً، فعندهم الدين على أهوائهم وعلى خاطرهم، لا يفهمون الدين وفق ما جاء في كتاب الله ووفق ما جاء في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويفرقون بين السنة والقرآن مع أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته شبعان يأتيه الأمر من أمري مما أمرت أو نهيت فيقول: دونكم كتاب الله ما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه، ألا وإنني أوتيت القرآن ومثله معه»^(١)، فالسنة في الأحكام وفي التشريع كالقرآن؛ لأن الله أنزل السنة شارحة ومفصلة ومبينة للقرآن.

كيف نعرف صلاتنا؟ الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾^(٢). لو أردنا أن نصلّي من خلال هذا النص القرآني، هل نعرف صلاة العصر كم ركعة؟ صلاة الظهر كيف تصلّي؟ كيف نتطهّر؟ كيف نقيم الصلاة؟

(١) أخرجه الشافعي في «الرسالة» (٢٩٥)، وأحمد (٨/٦)، وأبو داود (٤٦٠٥)، والترمذي (٢٦٦٣)، وابن ماجه (١٣).

(٢) سورة البقرة: (آية ٤٣).

لا يمكن أن نعلم ذلك إلا من سنّة رسول الله ﷺ، سمعنا الله يقول: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(١)، لكن على من تجب؟ كيف نوّدي النّسك؟ كيف نقوم بهذا الحجّ؟ لا ندري!! إنما نعلم ذلك من السنّة.

سمعنا الله يأمرنا بإيتاء الزكاة، على من تجب؟ متى؟ كيف؟ ما هو النّصاب؟ مصارف الزكاة نعرفها من كتاب الله؟ من كتاب الله نعم!! مصارف الزكاة ثمانية أصناف أما تفاصيل أخرى، دقائق ذلك لا تُعرف إلا من السنّة.

فالدّين كله لا يمكن أن يُعرف من القرآن وحده، فلا يفصل بين القرآن والسنّة، فلا بد من الأخذ بالسنّة فمن أنكر سنّة رسول الله ﷺ، فقد أجمع العلماء على كفره وردّته والعياذ بالله، فالسنّة لا تطعن بالقرآن والقرآن لا يطعن بالسنّة ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَأَذَكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾^(٣) فسرها العلماء: أي السنّة.

فهم يتوسعون في تفسير القرآن الكريم حسب عقولهم وحسب أهوائهم، فمثلاً - الشيخ محمد عبده رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من أتباع هذه المدرسة العقلانية يفسر آيات الجنّ على أنها الجراثيم، الجراثيم والميكروبات، والله ﷻ يقول عن الجنّ والشياطين: ﴿إِنَّهُ يَرِنُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرْوُونَهُمْ﴾^(٤)، وقال: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾^(٥)!

ترى هل جاءت الجراثيم (!) وجلست أمام النبي - عليه الصلاة والسلام -

تستمع القرآن؟!!

(١) سورة آل عمران: (آية ٩٧).

(٢) سورة النحل: (آية ٤٤).

(٣) سورة الأحزاب: (آية ٣٤).

(٤) سورة الأعراف: (آية ٢٧).

(٥) سورة الأحقاف: (آية ٢٩).

فلما استمعت إلى القرآن تأثرت به قلوبها حين قرأ عليها - عليه الصلاة والسلام - سورة الرحمن فكان يسمعون يقولون كلما قرأ: ﴿فِي أَيِّ آءِ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكذِّبان﴾^(١)، قالوا: ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد.

وهل كان النبي ﷺ يرى الجرائم؟ وهل ظهرت في زمانه؟

إن الجرائم لم تُعرف إلا في هذا العصر، عندما ظهرت المكبرات والميكروسكوبات التي تكبر النقطة الصغيرة آلاف المرّات، حتى ظهرت هذه الجرائم التي عجزت العين المجردة عن رؤيتها إلا بعد تكبيرها مئات أو آلاف المرّات.

وكذلك هناك تفسير «جوهري طنطاوي» الذي يفسر القرآن - كله - تفسيراً علمياً بعقله وحده، وكل ذلك مخالف لكتاب الله وسنة رسول الله.

بل قد وُجد من هؤلاء العقلانيين الغلاة من يفسرون الصلاة والزكاة والصوم على غير ظاهرها فعطلوا شرع الله وعطلوا دينه سبحانه.

ومن ملامح هذه المدرسة أن أربابها جعلوا العقل أصل النقل، جعلوا العقل هو الأصل والنقل فرع منه، فإذا جاء النقل يوافق العقل قبلوه وإذا جاء النقل أي: الكتاب والسنة يخالف العقل رفضوه ورموه وطعنوا فيه.

كذلك لا يرون الاهتمام بالعقيدة ويرون ذلك خلافاً فكرياً فهم لا يدعون إلى ترسيخ العقيدة التي بدأ بها الأنبياء، فالأنبياء كلهم جاءوا يقولون: ﴿يَقْوَرِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾^(٢).

فما لهم عن نهج النبوة يخالفون!!

فهذا من هؤلاء حُكْم على أنفسهم بأنفسهم.

(١) سورة الرحمن: (آية ١٣)، وغيرها.

(٢) سورة الأعراف: (آية ٧٣).

ولقد تأثر أرباب هذه المدرسة الفاسدة بالحضارة الغربية الزائفة، فأكثرهم ممن تلقوا علومهم عن الغرب، وتعلموا على أيدي المستشرقين، ودرسوا الفلسفة وعلم الكلام والمنطق، وتشبّعوا بآراء أهل البدع كالمعتزلة وغيرهم، ولقد انبهروا بل فُتتوا بما وصلت إليه المجتمعات الغربية من تقدم علمي وتقني؛ فسعوا جاهدين للعمل على التقريب بين الإسلام وبين الثقافة الغربية مع ما بينهما من تنافر وتناقض وُبعد، كما بين المشرق والمغرب، فدعوا إلى التنازل عن مسلّمات وثوابت أصلية، وعملوا على لِيّ أعناق النصوص الشرعية، أو تعطيلها، أو تأويلها تأويلاً فاسداً يُخرجها عن نصّها وروحها، وشقوا لأنفسهم طريقاً وعرّاً ليجمعوا بين المتناقضات، فتحكموا وتهكموا على كثير من النصوص بأهوائهم وآرائهم الفاسدة الكاسدة العاطلة الباطلة؛ إرضاءً لأسادتهم المستشرقين والمستغربين، ولمن كان على شاكرتهم؛ كل ذلك جهلاً منهم وضلالاً وإضلالاً، فترى الواحد منهم لا يعرف من الدين إلا اسمه، ولا يعرف من القرآن إلا رسمه؛ فلا ظاهرهم أصلحوه، ولا باطنهم من الانحراف والشك والضلال خلّصوه؛ فتراهم لا يعملون بشرع الله، ولا يلتزمون تعاليم الله، ويرون الإيمان ما وقر في القلب دون ما ظهر على الجوارح، وهذا مذهب المرجئة القدامى والمعاصرين، وهو مذهب مرجئة العصر العقلانيين، الذين يفهمون الشرع بعيداً عن وحي الكتاب والسنة وسبيل العلماء العاملين من الأئمة المتبّعين والعلماء الربانيين في كل عصرٍ وأوان.

أبرز رموز المدرسة العقلانية المعاصرة:

- ١- محمد عمارة.
- ٢- محمد الغزالي السقا.
- ٣- يوسف القرضاوي
- ٤- فهمي هويدي (الكاتب).
- ٥- حسن الترابي السوداني

٦- المفكر رجاء جارودي الفرنسي .

٧- جابر العلواني .

ولا حول ولا قوة إلا بالله^(١) .

بعض فتاوى العلماء المتعلقة بالغش

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ «مرّ على صبرة طعام، فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً، فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟» قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: «أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟ من غش فليس منا»^(٢) .

قال الإمام النووي -يرحمه الله-: «وقوله: (صبرة من طعام) وهي بضم الصاد وإسكان الباء، قال الزهري: الصبرة الكومة المجموعة من الطعام، سميت صبرة لإفراغ بعضها على بعض، ومنه قيل للسحاب فوق السحاب صبير .

وقوله: (أصابته السماء) أي المطر، وقوله: ﷺ: «من غش فليس مني» كذا في الأصول (مني) وهو صحيح، والله أعلم»^(٣) .

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: عن قوم يعملون عبياً يدخلون فيه صوفاً لا ينتفع به يسمونه (السلاقة) فيخلطونه بمشاق الكتان تدليساً منهم، ويبيعونه على أنه صوف جيد، وربما عرفه التاجر، لكن التاجر يكتم ذلك على المشتري، فما يجب على صانعه؟ وهل يتجر فيه ويكتمه على مشتريه؟ وما حكمه في نفس عمله؟ وما يجب على من عمل ذلك من المسلمين؟ وما يجب على ولاية الأمور في ذلك إذا كانوا

(١) ينظر ما أورده في رسالتي «العقل ومنزلته في الإسلام»، وكتاب: «العقلانيون: أفراخ المعتزلة العصريون» .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) انظر شرح النووي على مسلم (١٠٩/٢) بتصرف يسير .

يخلطون المشاق في الصوف الأبيض، وقد نهوا عن ذلك غير مرة، ويعودوا إليه؟
 فأجاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الحمد لله، ليس للصانع أن يصنع ذلك، ولا للبائع أن يبيعه، ولو علم المشتري أن فيه عيباً، فإن مقدار الغش غير معلوم. وقد روي عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنه نهى أن يشاب اللبن بالماء للبيع»، بخلاف الشرب، فإذا خلط اللبن بالماء للشرب جاز، وأما للبيع فلا، ولو علم المشتري أنه مخلوط بالماء، لأن المشتري لا يعلم مقدار الخلط، فيبقى البيع مجهولاً، وهو غرر، وهكذا كلما كان من المغشوش الذي لا يعلم قدر غشه، فإنه ينهى عن بيعه، وعن عمله لمن يبيعه، وكذلك خلط المشاق بالصوف الأبيض، وكل ما كان من الغش في المطاعم والملابس وغير ذلك إذا لم يعلم مقدار الغش، فإنه ينهى عن ذلك.

وقد أفتى طائفة من العلماء من أصحاب مالك، وأحمد، وغيرهما: أن من صنع مثل هذا فإنه يجوز أن يعاقب بتمزيق الثوب الذي غشه، والتصدق بالطعام الذي غشه، كما شق النبي ظروف الخمر وكسر دنانها، وكما أمر عمر وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بتحريق المكان الذي يباع فيه الخمر، وقد نص عليه أحمد وغيره، وكما أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبد الله بن عمر أن يحرق الثوبين المعصفرين. [رواه مسلم في صحيحه]، وكما حرق موسى عَلَيْهِ السَّلَام العجل، ولم يعده إلى أهله، وكما تكسر آلات الملاهي، ونظائر هذه متعددة، وهي مبنية على أن العقوبات في الأموال تتبع حيث جاءت بها الشريعة، كالعقوبات بالأبدان»^(١).

مسألة: «وسئل عن حُمْر تعمل من القز ثم يبل لها الخبز فيرش عليها لتشتد وتصفق. قال: لا خير في هذا، هذا غش ولا يعجبني.

قال محمد بن رشد: هذا بين على ما قاله، إن ذلك من الغش، لأن المشتري يظن أن شدتها إنما هو من ذاتها وصفافة نسجها، فإن علم المشتري أنها مرشوشة بماء الخبز، وأن ذلك يشدها ويصفقها لم يكن له كلام، وإن لم يعلم أنها مرشوشة

بذلك كان بالخيار بين أن يمسك أو يرد، فإن فاتت ردت إلى القيمة إن كانت القيمة أقل من الثمن، وكذلك إن علم أنها مرشوشة بذلك ولم يعلم أن ذلك يشدها ويصفقها. وسيأتي في رسم البيوع الأول من سماع أشهب نحو هذا، وهذا على ما قاله ابن حبيب من أن ما يصنعه حاكة الدياج من تصميغها غش، لأنه وإن كان التصميغ لا يخفى على المشتري فقد يخفى عليه قدر ما أحدث فيه من الشدة والتصفيق، وقد قال في الفراء يترب وجوه الفراء ليحسنها ويغيب ما فيها من العيوب: أن المشتري إن علم بتريبها فليس له ردها إلا أن يجد بها عيباً. وقاله ابن القاسم في رسم الجواب من سماع عيسى من كتاب العيوب، لأنه رأى تأثير التريب غير خافٍ على من علم التريب، بخلاف التصميغ، والله أعلم.

ومما يشبه هذا ما قاله ابن حبيب أن من الغش ما يفعل في النعال من تغليظهم حواشيتها قبل أن تحذى ليؤاروا بذلك رقتها ويزيدوا في تحسينها. قال: وعلى الإمام العادل تأديب من فعله، وللمشتري أن يرد ما اشترى منها قبل حذوها وبعد حذوها، والله الموفق^(١).

مسألة: «وسئل مالك عن الرجل يشتري الزعفران فيجده مغشوشاً، أترى أن يرده؟ قال: نعم، أرى أن يرده، وليس عن هذا سألني صاحب السوق، إنما سألني أنه أراد أن يحرق المغشوش بالنار لما فيه من الغش فنهيته عن ذلك.

وسئل مالك عما يغش من اللبن، أترى أن يراق؟ قال: لا، ولكن أرى أن يتصدق به على المساكين من غير ثمن إذا كان هو الذي غشه.

قيل له: فالزعفران أو المسك أتراه مثله؟ قال: ما أشبهه بذلك إذا كان هو الذي غشه، فأراه مثل اللبن.

وسئل ابن القاسم عن هذا، فقال: أما الشيء الخفيف من ذلك فلا أرى به بأساً، وأما إذا كثر ثمنه فلا أرى ذلك، وأرى على صاحبه العقوبة؛ لأنه يذهب في

(١) «البيان والتحصيل» (٩/٣١٥-٣١٦)، لأبي الوليد بن رشد- دار الغرب الإسلامي.

ذلك أموال عظام .

قال محمد بن رشد: لم ير مالك أن يحرق الزعفران المغشوش، ولا أن يُراق اللبن المغشوش بالماء على الذي غشه، قال في رسم الأفضية الثاني من سماع أشهب: وأرى أن يضرب من أنهب أو انتهب، وأرى أن يتصدق بذلك على المساكين أدبًا له، وسواء على مذهبه كان ذلك يسيرًا أو كثيرًا، لأنه ساوى في ذلك بين الزعفران واللبن والمسك، والمسك قليله كثير، وخالفه ابن القاسم، فلم ير أن يتصدق من ذلك إلا بما كان يسيرًا، وذلك إذا كان هو الذي غشه، وأما من وُجد عنده من ذلك شيء مغشوش لم يغشه هو وإنما اشتراه أو وهب له أو ورثه فلا اختلاف في أنه لا يتصدق بشيء من ذلك، والواجب أن يباع ممن يؤمن أن يبيعه من غيره مدلسًا بذلك، وكذلك ما وجب أن يتصدق به من المسك والزعفران على الذي غشه، بل يباع ممن يؤمن أن يغش به ويتصدق بالثمن أدبًا للغاش الذي غشه. وقول ابن القاسم في أنه لا يتصدق من ذلك على الغاش إلا بالشيء اليسير أحسن من قول مالك؛ لأن الصدقة بذلك من العقوبات في الأموال، والعقوبات في الأموال أمر كان في أول الإسلام، من ذلك ما روي عن النبي ﷺ في مانع الزكاة: «إنا آخذوها منه وشطر ماله، عزمة من عزمات ربنا»^(١)، وما روي عنه في «حريسة الجبل أن فيها غرامة مثلها وجلدات نكال»^(٢)، وما روي عنه من «أن من أخذ بصيد في حرم المدينة شيئًا فلمن أخذه سلبه»^(٣)، ومن مثل هذا كثير، ثم نسخ ذلك كله بالإجماع على أن ذلك لا يجب، وعادت العقوبات في الأبدان، فكان قول ابن القاسم أولى بالصواب استحسانًا، والقيام ألا يتصدق من ذلك بقليل ولا كثير، وباللَّه التوفيق»^(٤).

(١) حسن؛ رواه أبو داود والنسائي، وانظر: «إرواء الغليل» (٢٦٣/٣) لشيخنا الألباني رحمته الله.

(٢) أخرجه النسائي ومالك، وانظر: «إرواء الغليل» (٦٩/٨) لشيخنا رحمته الله.

(٣) رواه أبو داود (٢٣٧)، وهو في «صحيح سنن أبي داود» (١٧٦١).

(٤) البيان والتحصيل (٣١٨/٩-٣٢٠).

مسألة: «وسئل عن أصحاب القلانس يجعلون مع القطن صوفًا يخلطونه به أو يجعلونه من تحته، قال: لا خير في هذا، وأراه من الغش، فقيل له: فإن أهل الحار يقدمون علينا بالقمح مغلوًا، يريد الكثير التبن، فيؤمرون بغربلته قبل أن يبيعوه، قال: هو من الحق، قال: وأرى أن يؤخذ الناس به.

قال محمد بن رشد: أما خلط الصوف مع القطن، أو القطن الخلق مع الجديدة، أو جعله من تحته في القلانس أو غيرها، فلا إشكال في أن ذلك من الغش الذي لا يحل ولا يجوز، ولو اشترى رجل قطنسوة فوجد حشوها صوفًا لكان له أن يردها، وكذلك لو وجد حشوها قطنًا باليًا، إلا أن تكون من القلانس التي العرف فيها ألا تحشى إلا بالقطن البالي، فلا يكون له أن يردها على قياس ما قال في أول رسم من سماع أشهب من كتاب العيوب في الذي يشتري القطنسوة السوداء، فيجدها من ثوب ملبوس، وقد مضى القول على ذلك هناك، وأما غربلة القمح من التبن والغلت عند البيع، فذلك واجب إن كان التبن والغلت فيه كثير، يقع في أكثر من الثلث، لأن يبيعه على ما هو عليه من الغرر، ويستحب إن كان التبن والغلت فيه يسيرًا، وبالله التوفيق»^(١).

مسألة: «وسئل عن الرجل يبيع البز والطعام والغنم وغير ذلك من السلع، فإذا كان ذلك على مسيرة اليوم واليومين جاءه خبر ذلك وصفته، فيخبر الناس بذلك، فيقول له رجل بعنيه، أفترى ذلك جائزًا؟

قال: لا أراه جائزًا، وأراه من التلقي، قيل: له: فالبز من هذا. قال: نعم، البز مثل الطعام، ولا ينبغي أن يعمل في أمر واحد بأمرين مختلفين، وأكره ذلك، وأراه من تلقي السلع، ولا أرى أن يباع حتى يقدم به.

قال محمد بن رشد: المعنى في هذه المسألة كالمعنى في أول مسألة من رسم شك في طوافه، وقد مضى القول عليها هناك، فلا معنى لإعادته، وبالله

(١) المرجع السابق (٩/٣٢٠-٣٢١).

التوفيق»^(١).

«وسئل مالك عن نفخ اللحم كما يصنع الجزارون، فقال: إني لأكرهه، وأرى أن يمنعوا، وهو يغير طعمه، وقال أشهب في كتاب العتق: سمعت مالكا يقول: أرى أن يؤدب الجزارون الذين ينفخون اللحم، وأرى أن يمنعوا من ذلك.

قال محمد بن رشد: يعني بهذا النفخ، النفخ بعد السلخ الذي إنما يفعلونه ليظهر اللحم سمينا فيكره لوجهين: أحدهما ما ذكره من أنه يغير طعم اللحم، والثاني أنه من الغش المنهي عنه في البيوع، قال رسول الله ﷺ: «من غشنا فليس منا»^(٢). أي ليس على هدينا وطريقتنا، ولو اشترى المشتري اللحم المنفوخ ولم يعلم أنه منفوخ لكان له أن يردّه من ناحية الغش، ومن ناحية تغيير رائحته أيضا، وردّه من جهة الغش أبين. وأما نفخ الذبيحة قبل السلخ فلا كراهة فيه لأنه يحتاج إليه، وفيه صلاح ومنفعة، وبالله التوفيق»^(٣).

«وسئل مالك وكلم صاحب السوق في رطب يبيعونه مغمقا أن يتقدم إليهم ألا يبيعوه، وأن يضرب الذي استعمله عليهم إن غيب لهم في ذلك، وقد قال أيضا في كتاب أوله حلف ليرفعن أمرا إلى السلطان: وأنا أكره أن ينقش البُسْر بالمديّة حتى يصير رطبًا، وإنما كرهه لموضع الفساد للثمرة، ورأى ذلك فسادًا للثمرة. وقوله: (ينقش) يعجلها عن إبلاغ طيبها من غير رش، وقوله: (مغمقا) يرشونه بالخل ويغمونه ليسرع طيبه.

قال محمد بن رشد: وقع هذا التفسير في بعض الكتب وهو صحيح؛ لأن النقش هو أن يؤثر في البسرة أثرًا كالجرح، فيسرع إليها الترطيب، والتغمم هو أن يرش البُسْر بالخل، ثم يغم فيسرع إليه الترطيب، وذلك كله فساد وغش للثمرة في الموضع الذي يرطب فيه البُسْر إذا ترك، وأما في مثل الأندلس الذي لا يرطب فيه

(١) البيان والتحصيل (٩/٣٢٦-٣٢٧).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) المرجع السابق (٩/٣٢٧-٣٢٨).

البسر ويفسد إن تُرك، فجائز أن يُجدد بُسرًا ويُغم بعد الرش بالخل، وأن يُنقش؛ لأن ذلك صلاح له وليس بغش فيه، لاستواء معرفة الناس في ذلك، وهذا نحو ما قال فيه سماع أشهب من (كتاب جامع البيوع) من أن الموز الذي لا يطيب حتى يقطع جائز أن يباع قبل أن يطيب، وقد مضى القول على ذلك هنالك، فلا معنى لإعادة ذكر ذلك، وبالله التوفيق»^(١).

مسألة: «وقال مالك أكره للرجل المسلم أن يحضر ابنه في كتاب العجم فيتعلم الوقف كتاب الأعجمية، وأكره للمعلم المسلم أن يعلم أحدًا من النصراني الخط أو غيره»^(٢).

مسألة: «قال مالك: وحدثني العلاء بن عبد الرحمن أن عمر بن الخطاب قال: لا يتجر هؤلاء العجم ولا يبيعون في سوقنا ينقصون المكيال والميزان. قال محمد بن رشد: قد مضى القول في هذا المعنى في رسم حلف لبييعن رجلاً سلعة سماها، ورسم باع غلامًا من سماع ابن القاسم، فلا معنى لإعادته، والله الموفق»^(٣).

«قال: وسألته على الذي يسقيه الطبيب فيموت، وقد سقى أمة بالمدينة فماتت من ساعتها. أعليه غرم؟ فقال: ما أرى عليه غرمًا، ولكن لو تقدم إليهم الآن في ذلك ضمنوا لكان نعم الشيء، يقال لهم: أيما طبيب سقى إنسانًا أو بظه فمات فعليه الضمان، وأرى أن يفعل ذلك بهم ويتقدم إليهم ألا يداوي أحد لا يعلم. يعمد أحدهم إلى الصحيح الذي ليس به بأس فيسقيه شيئًا فيقتله.

قال مالك: قال لي ربيعة غير مرة ولا مرتين: ولا تشرب من دواء هؤلاء الأطباء إلا شيئًا تعرفه.

(١) البيان والتحصيل (٩/٣٣٦-٣٣٧).

(٢) المرجع السابق (٩/٣٣٧).

(٣) البيان والتحصيل (٩/٣٦٣).

قال مالك : وإني بذلك لمستوصي .

قال مالك : وإني لأرى للإمام أن لو نهى هؤلاء الأطباء عن الدواء إلا طبيبًا معروفًا ، وأرى أن يقول لهم من داوى إنسانًا فمات عليه ديته ، وأرى ذلك عليهم إذا أُنذر مثل أن يسقي إنسانًا صحيحًا فيموت مكانه فهذا سم ، فأرى إذا تقدم إليهم أن يغرّموا ، ومثل الذي يقطع عرقًا فلا يزال يسيل دمه حتى يموت ، فأما الذي يداوي المريض فمنهم من يموت ومنهم من يعيش ، فليس ذلك هذا ، وهذا سقى جارية بها بهق فماتت من ساعتها ، فهل هذا إلا سم»^(١) .

«قال أشهب وابن نافع : سئل مالك عن الذي يشتري المتاع فيه الخلل والسقط ، فيستأجر عليه كمادين فيكمدونه حتى يصفق فينسد كل خلل أو سقط ، ثم يبيعونها ، أترى بذلك بأسًا؟

قال : لا خير في الغش ، وأنا أكره مثل هذا .

قيل له : أفرأيت الرجل يأتي بطعامه التمر وما أشبهه فيصبره صبرًا فيكون حشفة داخله وظاهره ، فيجمع ما على وجه الصبرة فيلقيه ناحية لا يدخله في جوف الصبرة؟ قال : لا يفعل مثل هذا . هذا التزوين ولا يعجبني ذلك .

قلت : أ رأيت الذي يصب صبرته فيها الحشف فيكون في داخلها وعلى وجهها؟ قال : لا بأس بذلك إذا لم يزين أعلاها فيكون داخلها مخالفًا لخارجها .

قال محمد بن رشد : هذا بين على ما قال ، إن كمد المتاع ليصفق وينسد ما فيه من سقط وخلل من الغش الذي لا ينبغي ، فيكون للمشتري أن يرد إن لم يعلم أن الكمد يصفقه ويسد خلله وسقطه ما كان المتاع قائمًا ، فإن فات ردّ إلى القيمة إن كانت أقل من الثمن على ما مضى في رسم سلعة سماها في مسألة حُمر القز ترش بماء الخبز لتشتد وتصفق ، وذلك تنقية ظاهر الصبرة من الحشف ، لأن المشتري يظن أن باطنها في النقاء من الحشف مثل ظاهرها ، وأما إذا لم ينق أعلى الصبرة من

(١) البيان والتحصيل (٩/٣٦٨-٣٦٩).

الحشف فلا كلام للمشتري، لأنه يستدل بظاها على باطنها، وباللَّه التوفيق»^(١).
«قال محمد بن رشد: هذا كما قال، إن ما كان لا منفعة فيه إلا الغش به فلا يجوز بيعه على حال، وذلك بخلاف الدرهم المغشوش بالنحاس؛ لأنه يمكن أن يسيله فيجعل فضته على حدة، ونحاسه على حدة، فيجوز أن يبيعه ممن يكسره وممن يعلم أنه لا يغش به إلا على اختلاف ضعيف، ويكره أن يبيعه ممن لا يأمن أن يغش به، ويختلف هل يجوز أن يبيعه ممن لا يدري ما يصنع به، فأجاز ذلك ابن وهب وجماعة من السلف، ولم يجزه ابن القاسم، وقد مضى القول على ذلك كله في رسم النسمة من سماع عيسى من كتاب الصرف، وأما ما كان فيه منفعة ويمكن أن يغش به فجائز أن يباع ممن لا يدري ما يصنع به، ويكره أن يباع ممن يخشى أن يغش به، ولا يجوز أن يباع ممن يعلم أنه يغش به، وباللَّه التوفيق»^(٢).

«وسألته عن الغش، غش النساء فيضعنه على رءوسهن ثم ينزعهن كهيئة القلنسوة ولكنه شعر، قال ابن القاسم: لا خير في ذلك، كان من شعر أو وبر، فإن النساء يضعنه من وبر الإبل كما زعموا، فلا خير فيه، كان من شعر أو وبر، قيل لأصبع: فشيء يعمله النساء في رءوسهن يسمينه النونة أترى به بأسًا؟ قال: ما أرى به بأسًا ما لم يعظمه جدًا كأسنمة البخت العجاف، فهي إذا عظمت شبيهة بذلك، فأما ما كان مقتصدًا فلا بأس بذلك كان شكل الناس عندنا قديمًا ثم تركنه، وأراه من شكل نساء العرب قديمًا.

قال محمد بن رشد: أما الغش الذي ذكر أن النساء يضعنه فالكراهة فيه بيّنة، لأنه القصة المنهي عنها في حديث معاوية، إذ خطب الناس بالمدينة فتناول قصة من شعر كانت بيد حَرَسِي، فقال: يا أهل المدينة أين علماءكم؟ سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن مثل هذه، وقال: «إنما هلك بنو إسرائيل حين اتخذ هذه نساؤهم»^(٣).

(١) المرجع السابق (٣٦٩/٩-٣٧٠).

(٢) المرجع السابق (٣٨٢-٣٨٣).

(٣) رواه البخاري (٥٥٨٨)، ومسلم (٢١٢٧).

وهي شبه الجمة من الشعر أو الوبر، تضعها المرأة التي لا شعر لها، أو التي لها شعر لطيف على رأسها ترائي به أنه شعرها. وقد لعن رسول الله ﷺ الواصلة والمستوصلة^(١)، هذا من ذلك المعنى، وإنما النونة التي لم يربها أصبغ بأسًا للمرأة ما لم تعظمه جدًا حتى يكون كسنام البعير الأعجم، فهو شيء كان النساء يصنعنه فيضعنه على رءوسهن تحت أخمרתهن هيئة من هيئاتهن لا تشبه به أنه شعرها، فلا وجه للكراهة فيه، وإنما كره ما عظم منه لخروجه عن شكل نساء العرب، وكونها تشبه شكل نساء العجم، والتزيي بزي العجم مكروه للنساء كما هو للرجل، فهذا وجه قوله عندي، والله أعلم.

مسألة: وسئل عن الجزار يكون عنده اللحم السمين واللحم المهزول فيخلطهما جميعًا فيبيعهما بوزن واحد مخلوطًا، والمشتري يرى ما فيه من المهزول والسمين، غير أنه لا يعرف وزن هذا من هذا، قال ابن القاسم: إذا كانت الأرتال اليسيرة الخمسة والسته، ومثل ما يشتري الناس على المجاز بالدرهم والدرهمين ونحو ذلك، فلا أرى بأسًا، وإن كثرت الأرتال مثل العشرين والثلاثين وما أشبه ذلك فلا خير فيه، وأرى أن يمنع الجزارون من مثل هذا أن يخلطوا السمين والمهزول، وأراه من الغش، ولا أرى ذلك يجوز لهم.

قال محمد بن رشد: هذا كما قال؛ لأن البيوع لا تنفك عن الغرر اليسير فهو مستخف فيها مستجاز، ومن الدليل على ذلك أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع الغرر^(٢)، والبيع لا يوصف بأنه بيع غرر حتى يكون الغرر ظاهرًا فيه وغالبًا عليه، وإنما يجوز شراء الأرتال اليسيرة من اللحم المخلوط السمين بالمهزول إذا اشتراه كله، فرأى ما فيه من السمين والمهزول، وإن لم يعرف حقيقة ما يقع من هذا؛ لأن الغرر في هذا خفيف يسير، فأما إن كان إنما يشتري منه وزنًا معلومًا على أن يعطيه إياه من السمين والمهزول وهو لا يدري قدر ما يعطيه من كل واحد منهما، ولا يراه

(١) في حديث تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

حتى يزنه فلا يجوز قليلاً كان أو كثيراً، إلا أن يقع شراؤه على أنه في الخيار فيه حتى يفرزه ويزنه، وعلى هذا المعنى يجوز عندنا شراء التين الأخذ على العد، لأنه لو اشترى منه من جملة تينه مائة تينة في التمثيل على أن يعدها له البائع، أو على أن يعدها المبتاع لنفسه ليختارها لم يجز؛ لأن البيع إن وقع بينهما على أن يعدها له البائع كان غرراً، إذ لا يدري المبتاع ما يعطيه البائع؛ لأنه يتفاوت تفاوتاً بعيداً في الصغر والكبر والنضج والطيب، وإن وقع بينهما على أن يعدها المبتاع لنفسه ويختار دخله التفاضل فيما لا يجوز التفاضل فيه، وبيع الطعام قبل استيفائه، لأنه مخير بين أن يأخذ الصغير أو الكبير، فكأن قد باع أحدهما بالآخر، فلا يجوز البيع في ذلك إلا على أن يكون المبتاع بالخيار حتى يعد له ما يعد فإن رضي أخذ وإلا ترك، وهذه المسألة تُحمل على جواز صبرتين صغيرتين مختلفتين في الجودة، أو في النوع على كل واحد، فإن كانتا كبيرتين لم تجز لأنه خطر، إذ لا يدري قدر ما في كل واحدة، فإن كثرت الجودة غبن البائع، وإن قلت غبن المشتري، فإن صغرنا حتى يعلم قدر كل واحد جاز على ما قال في اللحم، فهو قياسه، وباللَّه التوفيق.

مسألة: وسألته عن الرجل يخلط الزيت الرديء بالجيد، والقمح الرديء بالجيد، هل يحل شيء من هذا؟

قال ابن القاسم: لا خير في هذا ولا يحل، وهذا من الغش فلا يحل، وإن كان يريد أن يبين إذا باع فلا خير في ذلك، ولا يحل له خلطه، ولا أدري كيف سألت عن هذا؟

وقال لي مالك مرة في شيء سألته عنه: أنت حتى الساعة هاهنا تسأل عن مثل هذا.

قال محمد بن رشد: هذا كما قال، إن خلط الجيد بالرديء للبيع من الغش الذي لا يجوز لأحد أن يفعله، وإن بين عند البيع أنه مخلوط، وينبغي للإمام أن يمنع منه ويضرب عليه، فإن فعل كان للمشتري أن يرد، وإن بين أنه مخلوط جيد برديء، إلا أن يبين مقدار الرديء الذي خلطه بالجيد، وصفتهما جميعاً قبل الخلط

حتى يستوي علمهما فيه ، فلا يكون للمشتري حينئذ أن يرد ، ويكو هو قد باء بالإثم في خلطه ، إذ قد يغش به غيره ، لأنه مما يمكن الغش به ، وإنما يجوز له أن يبيعه على هذا البيان التام ممن يعلم أنه لا يغش به ، أو ممن لا يدري ما يصنع به ، ويكره له أن يبيعه ممن يخشى أن يغش به ، ولا يجوز له أن يبيعه ممن يعلم أنه يغش به على ما مضى القول فيه في رسم الرهون . وهذا في الصنف الذي يختلط ولا يمتاز بعد الخلط جيده من رديئه كالزيت والسمن والعسل وشبه ذلك .

وأما الصنفان اللذان يمتازان بعد الخلط إلا أنه لا يعلم مقدار كل واحد منهما من صاحبه كالقمح والشعير ، أو السمن والعسل أو الغلت والطعام وما أشبه ذلك ، فإن كان أحد الصنفين منهما يسيراً جداً تبعاً لصاحبه جاز أن يبيع ولا يُبَيِّن ، لأن المشتري يراه ويعرفه ، وإن لم يكن أحدهما يسيراً ولا تبعاً لصاحبه ، فلا يخلو من أن يكون يمكن تمييزه أو لا يمكن تمييزه ، فإن كان مما يمكن تمييزه كالغلت مع الطعام ، واللحم السمين مع المهزول ، وما أشبه ذلك ، فلا يجوز أن يباع الكثير من ذلك على ما هو عليه حتى يميز أحدهما عن صاحبه ، ويجوز أن يباع القليل منه على ما هو عليه على ما قاله في المسألة التي قبل هذه في اللحم السمين والمهزول ، وإن كان مما لا يمكن تمييز أحدهما من صاحبه كالسمن من العسل ، والقمح من الشعير ، والماء من اللبن ، وما أشبه ذلك ممن يأكله ويؤمن أن يغش به . قاله ابن حبيب في «الواضحة» في اللبن والعسل المغشوش بالماء ، وقيل : إن ذلك لا يجوز ، وهو قول مالك في «الواضحة» . وكتاب ابن المواز أن من خلط قمحاً بشعير لقوته فيكره له أن يبيع ما فضل له منه ، يريد إلا أن يُبَيِّن مقدار الشعير فيه من القمح ، وقيل : إن كان خلطه للبيع لم يجز أن يبيعه ، وإن كان خلطه للأكل جاز له أن يبيعه ، وهو قول ابن القاسم في كتاب ابن المواز ، وقيل : إنه لا يجوز له أن يبيعه إلا أن يكون يسيراً خلطه للأكل ، وهو قول مطرف وابن الماجشون في «الواضحة» ، فهذا تحصيل القول في هذه المسألة ، وبالله التوفيق»^(١) .

(١) المرجع السابق (٩/ ٣٨٤-٣٨٨) .

مسألة: «وسئل ابن القاسم عن الذي يعمل الدوامات للصبيان يبيعهما منهم، فقال: أكرهها له .»

قال محمد بن رشد: إنما كره له من أجل يبيعه إياها من الصبيان، ولا يدري هل أذن لهم في ذلك آباؤهم أم لا؟ إلا أنه لما كان الأظهر أنهم مطلقون على ذلك ليسارة ثمنه كرهه ولم يحرمه، ولو علم رضا آبائهم بذلك لم يكن لكرهيته وجه، وإن اللعب مباح لهم لا يمنعون منه، قال ذلك ابن شعبان وهو صحيح، لقول الله تعالى - حاكياً عن إخوة يوسف لأبيهم في يوسف أخيهم: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾^(١). وبالله التوفيق^(٢).

فقال: «أما مسألة بيع الظرف مع ما فيه؛ فاتفق الشافعية على أنه متى جهل وزن الظرف على انفراده، فبيع مع مظروفه كل رطل من الجملة بكذا، كان البيع باطلاً؛ لأنه حينئذ من حيز الغرر، وقد نهى رسول الله ﷺ عن بيع الغرر، وكذا لو جهل وزن المظروف وحده أو لم يكن للظرف قيمة لاشتراط العقد على بذل مال في مقابله ما ليس بمال. إذا تقرر ذلك علم منه أنهم متفقون فيما ذكر أول السؤال على بطلان البيع فيه؛ لأن صورة المسألة كما ذكره السائل أن فسقة التجار يأخذون الفلفل مثلاً ويجعلونه في خيش مرقع من داخله برقع كثيرة تثقل جرمه، ثم يبيعون ذلك الفلفل أو نحوه مع ظرفه كل من عشرة مثلاً، ثم يزنون الظرف مع مظروفه، فإذا جاءت الجملة مائة من كانت بألف. ووجه البطلان في هذه أنهم جعلوا الظرف من جملة المبيع ووزنه مجهول، بل فيه غش وتدليس منهم؛ لأنه يجعلونه من داخله الماس له الفلفل مثلاً رقعاً ونحوها مما يقتضي وزنه في الثقل ويتركون ظاهره على حاله الموهم للمشتري أنه خفيف الوزن، بحيث إن رؤيته تقطع عند نظره لظاهره بأنه لا يجاوز أربعة أمان مثلاً، فإذا خبروه بعد تعريفه والنظر لباطنه رأوه نحو عشرين مثلاً، فلاجل ذلك بطل البيع في الكل لهذا الغرر العظيم، وهذا الغش البليغ المشتمل على خيانة الله تعالى وخيانة رسوله ﷺ فيما أمر به ونهى عنه.

(١) سورة يوسف: (آية ١٢).

(٢) المرجع السابق (٣٨٩/٤).

وكيف ساغ لمن يعلم أنه يقدم على الله ﷻ، ويترك ما جمعه من الحطام الفاني لورثته من غير علم منه أنهم ينتفعون به؟! بل الغالب في أولاد التجار أنهم يضيعونه في المعاصي والقبايح التي لا تخفى على أحد، فمن هو بهذا الوصف كيف يبلغ خداعه مع أخيه إلى أن يأخذ منه أخماس ماله بهذه الحيلة الباطلة الكاذبة، وهذا يؤيد ما في السؤال؛ لأن المتبايعين في هذه الأزمنة كل منهما تصير أحواله مع الآخر كمتقابلين بيدهما سيفان، فمن قدر منهما على قتل صاحبه قتله، وهذا ليس بشأن المسلمين ولا بقانون المؤمنين؛ لأن النبي ﷺ يقول: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»، وقوله: «المؤمن أخو المؤمن لا يظلمه ولا يشتمه ولا يبغى عليه».

ونحن لا نحرم التجارة ولا البيع ولا الشراء، فقد كان أصحاب النبي ﷺ يتبايعون ويتجرون في البز وغيره من المتاجر، وكذلك العلماء والصلحاء بعدهم ما زالوا يتجرون ولكن على القانون الشرعي والحال المرضي الذي أشار الله تعالى إليه بقوله - عز قائلًا -: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾^(١). فبيّن الله أن التجارة لا تُحمد ولا تحل إلا إن صدرت عن التراضي من الجانبين، والتراضي إنما يحصل حيث لم يكن هناك غش ولا تدليس. وأما حيث كان هناك غش وتدليس بحيث أخذ أكثر مال الشخص وهو لا يشعر بفعل تلك الحيلة الباطلة معه المبنية على الغش ومخادعة الله ورسوله، فذلك حرام شديد التحريم موجب لمقت الله ومقت رسوله، وفاعله داخل تحت الأحاديث السابقة والآية.

فعلى من أراد رضا الله ورسوله وسلامة دينه ودنياه ومروءته وعرضه وأخراه أن يتحرى لدينه، وألا يبيع شيئاً من تلك البيوع المبنية على الغش والخديعة، وأن يُبين وزن ذلك الظرف للمشتري على التحرير والصدق، ثم إذا بين له وزنه جاز له أن يبيعه الظرف والمظروف بثمن واحد، حتى قال الفقهاء: لو بين له ظرف المسك

وزنته بأن قال: هذا الظرف عشرة أمان، وهذا المسك عشرون منًا، وبعثك هذه الثلاثين منًا بألف، فاشترى بعد الرؤية والتقليب جاز هذا البيع، وكان بيعًا مبرورًا لسلامته من سائر وجوه الغش والخيانة والتدليس؛ لأنه بعد أن يبين وزن الظرف ووزن المسك فلا حرج عليه أن يبيع المن من الجميع بألف أو مائة درهم، وإنما النار الموقودة والقبیحة المهلكة في الدنيا والآخرة ما ذكره السائل عمّن يدلس في الظرف فيجعله بصورة خفيف في الظاهر وهو ثقيل جدًا في نفسه، ثم يبيع الكل بثمان وسعر واحد مع جهل المشتري بظنه، وكون البائع تحيّل عليه حتى ظن أن وزنه يسير، والحال أنه كثير.

هذا حاصل ما يتعلق بالمسألة الأولى، أعني بيع الظرف والمظروف بثمان واحد، وأما ما ذكره السائل في صورة الغش الكثيرة من تلك الأمور العجيبة التي لا يُحكى نظيرها عن الكفار فضلًا عن المؤمنين، بل المحكي عن الكفار -لعنهم الله- أنهم يتجرون في بياعاتهم ولا يفعلون فيها ذلك الغش الكثير الظاهر المحكي في السؤال، فذلك أعني ما حكى من صور ذلك الغش التي يفعلها التجار والعطارون والبرزازون والصواغون والسيارفة والحيّاكون، وسائر أرباب البضائع والمتاجر والحرف والصنائع، كله حرام شديد التحريم موجب لصاحبه أنه فاسق غشاش خائن يأكل أموال الناس بالباطل، ويخادع الله ورسوله وما يخادع إلا نفسه، لأن عقاب ذلك ليس إلا عليه، وكثرة ذلك تدلّ على فساد الزمان وقرب الساعة، وفساد الأموال والمعاملات، ونزع البركات من المتاجر والبياعات والزراعات، بل ومن الأراضي المزروعات»^(١).

مسألة: «إذا باع (الصائغ) حُلِيًّا زنته ألف بألف، ثم حدث فيه عيب في يد المشتري ثم اطلع على عيب قديم، فلو قلنا ليس للمشتري الرد ولا الأرش، كان ذلك إضرارًا به، ولو قلنا يضمن الأرش إليه فيؤدي إلى أن يسترد ألفًا ويردّ ألفًا وزيادة، وهو عين الربا، وإن قلنا البائع يغرم أرش العيب القديم كان معناه يردّ جزءًا

(١) الزواجر (ص ٢٣٩-٢٤٠).

من الثمن فيبقى في مقابلة الألف أقل من ألف، وهو عين الربا أيضًا، ولأجل هذا الإشكال اختلف العلماء، والذي قال أبو العباس بن سريج: هذا عقد تعذر إمضائه فينسخ العقد ويرد الثمن ولا سبيل إلى استرداد الحلي، لأنه يفضي إلى الربا، فيقدر بألف ويوجب قيمته بالذهب إن كان من فضة، وبالفضة إن كان من ذهب، وذكر العراقيون وجهًا آخر أنه يرد ويغرم أرش العيب الحادث لأنه ليس يملك بالرد إلا الألف، وأما الأرش فيقدر إيجابه بعيب في يده على حكم الضمان، فيقدر غرم العقد ويوجب الضمان، وهذا ملك أرش العيب الحادث، ولولاه لكان ذلك إثبات ملك من غير مستند، إذ الفسخ لا يقتضي الملك إلا في المعقود عليه، وذكر صاحب التقريب وجهًا ثالثًا: وهو أنه يطلب بالأرش القديم ويقدر كأنه المعيب لملكه، أما المقابلة فقد جرت بالابتداء على شرط الشرع، فلا يقدر الآن ربا في الدوام وهذا أصح.

وها هنا لا بد من التنبيه لأمرين:

أحدهما: أنه لم يصير صائرًا إلى التخيير بين أرش العيب القديم أو أن ضمن أرش العيب الحادث كما في سائر العيوب وإن كان محتملاً يحمل التوجيه الذي ذكرناه للوجهين، ولكن اعتقد كل فريق أن ما ذكره أبعد من اقتحام الربا، فلم تثبت الخيرة.

الثاني: البحث عن حقيقة أرش العيب القديم، يحتمل أن يقال: إن معناه استرداد جزء من الثمن، وهو ظاهر ما يدل عليه كلام الأصحاب، إذ عليه رتبوا إشكال مسألة الحلي، فعلى هذا لو أراد أن يغرم لا من عين الثمن لم يجد إليه سبيلًا، ويحتمل أن يقال: أنه غرامة مبتدأة تقديره بعيب بجنايته، فوجب الضمان في مقابلة العيب الحادث على تقدير: إن لا عقد، وإن باع شيئًا من الحلي المغشوشة لزمه أن يُعرّف المشتري مقدار ما فيها من الغش، ليدخل على بصيرة، فإذا أراد صناعة شيء من الحلي، فلا يسبكه في الكور إلا بحضرة صاحبه بعد تحقق وزنه، فإذا فرغ من سبكه أعاد الوزن ودفع له عينه حتى لا يخيل على صاحبه متاعه،

وإن احتاج إلى لحام فإنه يزنه قبل إدخاله فيه، ولا يُرْكَب شيئاً من الفصوص والجواهر على الخواتم والحليّ إلا بعد وزنها بحضرة صاحبها»^(١).

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه ونور ضريحه -:

عن دار بين شخصين باعها أحدهما عن نفسه، وعن شريكه بالوكالة لشخص آخر، ثم إن المشتري بنى فوق ما اشتراه بناء كبيراً، ومن حقوقه قناة ملاصقة جدار تربة، فندت الجدار، وسرت الندادة إلى القبو، فرفع ملاك التربة المشتري للحسبة، فشهدت البينة أرباب الخبرة بتندية الجدار ووصول ذلك إلى القبو، وإن القناة محدثة على الجدار، وأنه ضرر يجب إزالتها من مكانها، فألزم المشتري بنقلها، فهل ما أحدثه المشتري من البناء والهدم يمنع الرد؟ أم لا؟ وإذا منع، فهل يثبت الأرش؟ وإذا ثبت: فهل هو على الفور يسقط بتأخيره؟ أم على التراخي فلا يسقط بالتأخير؟ وما ألزم بهدمه وهدمه هل يسقط أرشه، أم لا؟ وإن قيل: إنه على الفور، فأشهد على نفسه بطلب الأرش، ثم تصرف بعد ذلك بالإشهاد، فهل يسقط أم لا؟ وإذا كان له ذلك فتكون المطالبة للوكيل بما باعه من ملكه وملك موكله، أم ملكه فقط؟

فأجاب: أما القناة إذا كانت محدثة حيث لا يجوز إحداثها فإنه يلزم محدثها بإزالة ما لا يجوز إحداثه، والمشتري إن لم يعلم بذلك بل اعتقد أن هذا حق للملك، لا يجوز إزالته، فتبين الأمر بخلاف ذلك كان هذا عيباً.

فإذا بنى في العقار قبل علمه بالعيب، ثم علم أنه عيب، فليس إلا الأرش دون الرد في أحد قولي العلماء، كأبي حنيفة وأحمد في أصح الروايتين عنه، وفي الأخرى - وهو قول مالك - له الرد أيضاً. ويكون شريكاً للبائع بما أحدثه من الزيادة فيه، ولا يلزم بالهدم مجاناً لأنه بنى بحق.

وخيار الرد بالعيب على التراخي عند جمهور العلماء، كمالك وأبي حنيفة

(١) معالم القرية في أحكام الحسبة (ص ١٤٤-١٤٦).

وأحمد في ظاهر مذهبهما، ولهما قول كمذهب الشافعي، أنه على الفور، فإذا ظهر ما يدل على الرضا من قول أو فعل سقط خياره بالاتفاق، فإذا بنى بعد علمه بالعيب سقط خياره.

وأما إذا أشهد بطلب الأرض استحقه، كان له أن يطالب به بعد ذلك، ولا يسقط الأرش بتصرفه. والبائع يطالب بالدرك من أرش أو رد فيما باعه من ملكه، وأما إذا باعه من ملك موكله فإن كان لم يسمه في البيع طولب أيضًا بدرك المبيع، وإن كان سماه، فهل يجوز مطالبتة؟ ويكون ضامنًا لعهدته المبيع؟ على قولين للعلماء، هما روايتان عن أحمد.

وأما إذا كان المشتري ألزم بالأرش لأجل القناة المحدثه التي لا يجوز إحداثها، فله أن يطالب البائع الغار له بأرش ما لزمه بغره.

وسئل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن أناس يتعاونون خروج المياه، مثل ماء الورد وغيره، ثم إنهم يأخذون حرقان الورد، وينقعونه، ويستخرجونه عن العادة، وذلك اللينوفر ينقعونه يابسًا، فهل يجوز لهم أن يفعلوا ذلك ويبيعوه؟

فأجاب: لا يجوز خلط الماء الأول بالماء الثاني لمن يريد بيعه، ولو علم بذلك المشترون، كما روي عن النبي ﷺ «أنه نهى أن يشاب اللبن بالماء للبيع، ولا بأس به للشرب» فإن هذه المائعات إذا شبيت لم يعرف مقدار ما يدخلها من الغش، وعلى ولي الأمر عقوبة من يفعل ذلك، وسلوك طريق يمتنعون بها عن الغش^(١).

وقال: «وأما الدراهم المنقوشة والدنانير المغشوشة فإنه إن تباع اثنان دراهم مغشوشة قد ظهر الغش فيها بدراهم مغشوشة قد ظهر الغش فيها فهو جائز إذا تعاقدوا البيع على أن الصفر الذي في هذه بالفضة التي في تلك والفضة التي في هذه بالصفر الذي في تلك فهذا جائز حلال سواء تباعا ذلك متفاضلاً أو متماثلاً أو جزافاً بمعلوم أو جزافاً بجزاف لأن الصفر بالفضة حلال»^(٢).

(١) مجموع الفتاوى (٢٩/٣٦٦-٣٦٧).

(٢) المرجع السابق (٨/٥٠١).

وقال: «مسألة هذا حكم كل معيب حاشا المصرة فقط. فإن حكمها أن من اشترى مصراة وهي ما كان يحلب من إناث الحيوان وهو يظنها لبوناً فوجدها قد ربط ضرعها حتى اجتمع اللبن فلما حلبها افتضح له الأمر فله الخيار ثلاثة أيام فإن شاء أمسك ولا شيء له وإن شاء ردها ورد معها صاعاً من تمر ولا بد وسواء كانت المصرة واحدة أو اثنتين أو ألفاً أو أكثر لا يرد في كل ذلك إلا صاعاً واحداً من تمر وسواء كان اشتراها بكثير أو بقليل ولو بعشر صاع تمر، فإن كان اللبن الذي في ضرعها يوم اشتراها حاضرًا رده كما هو حليياً أو حامضاً، فإن كان قد استهلكه رد معها لبناً مثله، وإن كان قد مخضه أو عقده رده، فإن نقص عن قيمته لبناً رد ما بين النقص والتمام، لأنه لبن البائع، وليس عليه رد ما حدث من اللبن في كونها عنده لأنه حدث في ماله فهو له. فإن ردها بعيب آخر غير التصرية لم يلزمه رد التمر ولا شيء غير اللبن الذي كان في ضرعها إذا اشتراها، فإن انقضت الثلاثة أيام ولم يردّها بعد لزمته وبطل خياره إلا من عيب آخر غير التصرية. وإنما سميت مصراة لأن التصرية هي الجمع وهذه جمع لبنها وهي أيضاً المحفلة لأنه قد حفل لبنها في ضرعها.

برهان ذلك ما روينا من طريق أحمد بن شعيب أن محمد بن منصور أن سفيان بن عيينة عن أيوب السخيتاني عن محمد بن سيرين قال: سمعت أبا هريرة يقول قال أبو القاسم عليه السلام: «من باع محفلة أو مصراة فهو بالخيار ثلاثة أيام إن شاء أن يمسكها أمسكها وإن شاء أن يردّها ردها وصاعاً من تمر لا سمراء»^(١). السمراء: البر. فهذا خبر صحيح يقتضي كل ما قلناه وهو الزائد على سائر الأخبار وقد روينا من طريق البخاري أن محمد بن عمرو بن جبلة أن مكّي بن إبراهيم أخبرني زياد قال إن ثابِتاً مولى عبد الرحمن بن زيد أخبره أنه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من اشترى غنماً مصراة فاحتلبها فإن رضيها أمسكها وإن سخطها ففي حلبتها صاع من تمر»^(٢) ^(٣).

(١) أخرجه أبو داود (٣٤٤٧) وهو صحيح.

(٢) رواه مسلم (١٥٢٤).

(٣) مجموع الفتاوى (٦٦/٩).

غش من باع سيارة وبها خلل وهو يعلم:

س: اشتريت سيارة ووجدت بها خللاً بسيطاً فبعتها ولم أعلم المشتري بالخلل، فهل يعتبر هذا غشاً أو لا؟

ج: «نعم يعتبر هذا غشاً ومعلوم أن الغش حرام لما ثبت من قول الرسول ﷺ «من غشنا فليس منا»، وعليك أن تستغفر الله وتوب إليه وتبادر إلى إبلاغ المشتري وإعلامه بما كان في السيارة من خلل إبراءً لذمتك، فإن تنازل عن حقه فالحمد لله، وإلا فادفع مقابل الخلل»^(١).

أخذ مبلغ مقابل أضرار الغش:

عرض على اللجنة الدائمة الاستفتاء المقدم من السيدين / خالد وعمر، نصه:

اشترك رجلان في تجارة بيض مع شركة (س) وهذه الشركة غشتهم في إرسال بيض فاسد وقد تنبّهت الجمعيات الاستهلاكية في الكويت إلى نهاية مدة صلاحيته، وعلى ذلك أتلف بعض البيض وبيع البعض الآخر، ومن جراء ذلك أصاب الشريكين ضرر فعلي - مادي ومعنوي -، بالإضافة إلى زعزعة اسم المؤسسة في السوق التجاري، وبناء على ما تقدم نتقدم بالأسئلة التالية علماً بأن لشركة (س) في ذمة الشريكين مبلغ وقدره ١٦٠٠٠ دينار.

هل يجوز شرعاً تأخير دفع المبلغ إلى شركة (س) لأجل استثمارها لأجل تعويض الضرر؟

إذا لم يجز تأخير المال لاستثماره لملافاة الضرر، هل يجوز تأخير المال لاستثماره تأديباً له على سوء معاملته وغشه؟

حدث أن انفصل الشريكان قبل استثمار هذا المبلغ التابع لشركة (س) وأحدهما صاحب المؤسسة والثاني شريكه.

هل يستحق الطرف الثاني أن يستثمر نصف المال منفردًا بعد انفصالهما مع تقديم ضمانات للطرف الأول؟

وأجابت اللجنة بما يلي :

للمشتري أن يأخذ من المبلغ المذكور ما يوازي أرش العيب (مقابل نقص قيمة البضاعة عن حالة الجودة) وأما أخذ مبلغ آخر مقابل الأضرار التي أصيب بها المشتري، فالظاهر عدم جواز ذلك حيث إن فقهاء الشريعة سكتوا عن إثبات مثل هذا الحق (التعويض عن الضرر المعنوي)، ومن ثم يجب المبادرة إلى دفع قيمة البضاعة المذكورة بعد حجز أرش العيب. والله أعلم.

التزوير بأوراق التبرعات :

عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من السيد/ مدير الشؤون الإسلامية ونصه :

نرجو التكرم بعرض الموضوع والأسئلة التالية على لجنة الفتوى الموقرة وإفادتنا بالإجابة.

لقد منحت الوزارة إحدى الجمعيات الخيرية الإسلامية تصريحًا لجمع التبرعات من المحسنين وذلك بناء على تزكيات لهذه الجهة وللقائم عليها من هيئات إسلامية معتمدة لدى الوزارة.

وقد بدر من القائم على أمر هذه الجمعية؛ وهو الذي منح التصريح لجمع التبرعات ما يخل بأمانته ونزاهته، بأن قام بتزوير بعض البيانات قاصدًا من وراء ذلك جمع أكبر قدر من تبرعات المحسنين وقد تم اكتشاف تزويره بمقارنة الوثائق.

وبناء عليه تم استعادة جميع التبرعات التي جمعها من المحسنين، وكذلك الأوراق الثبوتية لبعض أسماء المحسنين لهذه الجهة، غير مذكورة في كشف التبرعات لتوقيعهم (فاعل خير).

والسؤال: ما رأيكم في التبرعات التي جمعت لهذه الجهة والتي بدر من القائم عليها مثل هذا التصرف؟ هل توجه التبرعات لمشاريع من نفس النوع المجموع له التبرعات؟ أم هل تعاد إلى المحسنين المتبرعين؟ بالنسبة للتزوير لا يعرف المبلغ المتبرع به كل محسن؟

وأجابت اللجنة:

التبرعات التي جمعت باسم مشروع ما (عن طريق تزوير البيانات ممن قام بهذا الجمع) تصرف في مشاريع خيرية مشابهة للمشروع الذي جمعت له، ولا تعاد إلى الذين تبرعوا بها لأنهم دفعوها بنية الصدقة ولا رجوع في الصدقة. والله أعلم.

الغش والتدليس في البيع:

عرض على اللجنة الاستفتاء المقدم من السيد / علي ونصه:

حصل أن اشترت سيارة بمبلغ قدره ٦٠٠ دينار، وكتبت عليها سعرًا قدره ٩٥٠ دينار على أقساط شهرية ٤٠ دينار لمدة سنتين، ثم قمت ببيع السيارة لشخص ما وأخبرته بأن السيارة مطلوبة لشركة التسهيلات بالرغم من أنها ملكي وليست مطلوبة للشركة، وبعد أن تم البيع والشراء سجلنا السيارة باسم المشتري في شركة التسهيلات وأخذت أنا من الشركة ٨٠٠ دينارًا نقدًا، مع العلم بأن الشركة تأخذ نسبة ١٨,٧٥٠٪. فما حكم هذا التصرف أو هذه البيعة؟ لأنني بهذه الطريقة ضمنت ربح ٢٠٠ دينار من شركة التسهيلات.

وطلبت اللجنة حضور المستفتي لتوضيح بعض الأمور، وقد حضر وأفاد:

أن العمل الذي يقوم به البائع، هو أنه يكتب على السيارة أنها مطلوبة لشركة التسهيلات بمبلغ قدره ٩٥٠ دينار مثلاً، ثم يبيعها في السوق بالطلب وبما يزيد المشتري الذي تستقر عليه المزايدة، هذا مع العلم أن السيارة لا تكون مطلوبة للشركة أصلاً، ثم يذهب البائع والمشتري إلى شركة التسهيلات ويقدم البائع دفتر

السيارة وإثبات الشخصية إلى مسئول الشركة ويوقع فقط على استلام شيك بـ ٨٠٠ دينار، ويكون الباقي من الـ ٩٥٠ دينار وقدره ١٥٠ دينار هو ربح الشركة، ويوقع المشتري لدى الشركة كمبيعات شهرية بما مجموعه ٩٥٠ دينار، وينتهي دور البائع بعد التوقيع لدى إدارة المرور وتحويل السيارة باسم المشتري ولا يوقع البائع لدى شركة التسهيلات أي نماذج أو توثيقات ما عدا الإيصال بالشيك الفوري.

- وبعد اطلاع اللجنة على الاستفتاء والإفادة أجابت بما يلي :

إن هذه العملية محرمة لأمرين :

الأول : أنها تشتمل على الكذب والتدليس لإعطاء السلعة أكثر من قيمتها ليغتر المشتري بأنها تستحق ذلك الثمن .

والثاني : أن هذه العملية بإدخال شركة التسهيلات فيها على الصورة المبينة تتول إلى الربا لأن البائع يترتب له في ذمة المشتري مبلغ معين مؤجل الدفع فيحوّله إلى شركة التسهيلات ويأخذ من شركة التسهيلات أقل منه حالاً ، وهذا من صور الربا ، وهو يشبه خصم الكمبيالات المؤجلة لدى البنوك الربوية التي تدفع أقل من قيمتها وتأخذ الفرق ممن عليه الدين في نهاية الأجل ، فإذا أدخلت في العملية شركة التسهيلات على الوجه المبين في السؤال حصل الربا المحرّم ، أمّا إذا كان الغرض أن يتم البيع بالأجل^(١) ولم يدخل فيها طرف ثالث كشركة التسهيلات فإن العملية تكون صحيحة شرعاً ، مع حرمة ما اقترن بها من كذب وتدليس عند كتابته مقدار الطلب على السيارة بخلاف الواقع . والله أعلم .

ومن الغش : ما تقوم به بعض شركات تسويق المنتجات لبرامج الكمبيوتر ، وقد أفتت لجنة الفتوى بمركز الإمام الألباني بخصوص التعامل مع شركة بزناس

(١) البيع بالأجل منهى عنه بنص الحديث الصحيح : «نهى عن بيعتين في بيعة» . أخرجه النسائي والترمذي وابن حبان ، وصححه شيخنا الألباني . انظر «السلسلة الصحيحة» (٢٣٢٦) . وقوله ﷺ : «من باع بيعتين في بيعة فله أوكسها أو ربياً» أخرجه ابن حبان ، وحسنه شيخنا في «الصحيحة» (٢٣٢٦) .

وهذه النصوص الصحيحة الصريحة مما يرجح الخلاف في هذه المسألة لصالح المنع والتحريم ، والله أعلم .

وأمثالها من شركات تسويق المنتجات الإلكترونية والترويج لها، وإليكم نص السؤال والفتوى موقعة من اللجنة:

«وردت إلينا أسئلة متعددة- من جهات شتى- حول حكم الاشتراك في شركة (بزناس)- وما يُشبهها من شركات الأموال الهرمية المعاصرة-؛ القائمة- بالجملة- على بيع منتجات معينة لقاء اشتراك سنوي (مستمر) بمبلغ محدد، ثم تعطي الشركة- مقابل ترويج هذه المعاملة- المرتبطة بشراء المنتج، وجلب شركاء جدد- مبلغًا ماليًا متناميًا؟!»

الجواب: الاشتراك في هذه الشركة من أجل الترويج- مرتبطًا باستمرار دفع مال؛ وانتظارًا لجلب شركاء جدد- دخولًا في التسويق الهرمي: حرام؛ لأن المشترك يدفع مالًا- محققًا- مقابل أن يُحصل مبلغًا أكبر- موهومًا أو متوقعًا-، ولا يكون ذلك إلا بالحظ؛ مما هو ليس تحت إمكانية هذا المشارك ولا استطاعته. وهذا هو محض (القمار) على مقتضى قواعد أهل العلم- الكبار- والله الموفق.

عمان البلقاء

٢٦/ شعبان / ١٤٢٤هـ

لجنة الفتوى

محمد بن موسى آل نصر
سليم بن عيد الهلالي
علي بن حسن الحلبي^(١)
مشهور بن حسن آل سلمان

(١) ولأخينا الشيخ علي بن حسن الحلبي بحث مستقل في إبطال هذه المعاملة ونحوها، وأسماءه: «تعريف عقلاء الناس بحكم معاملة (بزناس)».

غش الزواج

١- الزواج بنية الطلاق :

وهو أن يتزوج امرأة دون أن يشترط التوقيت وفي نيته أن يطلقها بعد زمن أو بعد انقضاء حاجته في البلد الذي هو مقيم به .

قال الشيخ محمد رشيد رضا تعليقاً على كلام الأوزاعي الذي اعتبره متعة في «تفسير المنار»: «هذا وإن تشديد علماء السلف والخلف في منع المتعة يقتضي منع النكاح بنية الطلاق، وإن كان الفقهاء يقولون: إن عقد النكاح يكون صحيحاً إذا نوى الزوج التوقيت، ولم يشترطه في صيغة العقد.

ولكن كتمانها إياه يعد خداعاً وغشاً، وهو أجدر بالبطلان من العقد الذي يشترط فيه التوقيت الذي يكون بالتراضي بين الزوج والمرأة ووليها، ولا يكون من المفسدة إلا العبث بهذه الرابطة العظيمة التي هي أعظم الروابط البشرية، وإيثار التنقل في مراتع الشهوات بين الذواقين والذواقات، وما يترتب على ذلك من المنكرات.

وما لا يشترط فيه ذلك يكون عدم اشتماله على ذلك غشاً وخداعاً تترتب عليه مفسدات أخرى من العداوة والبغضاء وذهاب الثقة حتى بالصادقين الذين يريدون بالزواج حقيقته وهو إحصان كل من الزوجين للآخر، وإخلاصه له، وتعاونهما على تأسيس بيت صالح من بيوت الأمة»^(١).

ويؤيد هذا أثر نافع أنه قال: جاء رجل إلى ابن عمر رضي الله عنهما فسأله عن رجل طلق امرأته ثلاثاً فتزوجها أخ له من غير مؤامرة منه ليحلها لأخيه، هل تحل للأول؟ قال:

(١) فقه السنة للشيخ سيد سابق رحمته الله (٢/ ٤١-٤٢) بتصرف.

لا ، إلا نكاح رغبة ، وكنا نعد هذا سفاحا في عهد رسول الله ﷺ^(١) .

٢- التغيرير في الزواج :

ومثال ذلك : أن يتزوج الرجل المرأة وهو عقيم ولا يولد له ولم تكن تعلم بعقمه فلها في هذه الحالة حق نقض العقد وفسخه متى علمت إلا إذا اختارته زوجا لها ورضيت معاشرته .

قال عمر رضي الله عنه لمن تزوج امرأة وهو لا يولد له : أخبرها أنك عقيم وخيرها (أي خيرها بين البقاء على العقد وبين فسخه) .

ومن صور التغيرير : أن يتزوجها على أنه مستقيم ثم يتبين أنه فاسق ، فلها كذلك حق فسخ العقد .

ومن ذلك : ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : إذا تزوج امرأة على أنها بكر فبانث ثيبا فله الفسخ ، وله أن يطالب بأرث الصداق - وهو تفاوت ما بين مهر البكر والثيب - وإذا فسخ قبل الدخول سقط المهر .

وكذلك لا يكون العقد لازما إذا وجد الرجل بالمرأة عيبا ينفر من كمال الاستمتاع كأن تكون مستحاضة دائما ، فإن الاستحاضة عيب يثبت به فسخ النكاح^(٢) .

وكذلك إذا وجد بها ما يمنع الوطء كانسداد الفرج .

ومنها الأمراض المنفرة : مثل البرص والجنون والجذام وكما يثبت حق الفسخ للرجل فكذلك يثبت للمرأة إذا كان الرجل أبرص ، أو كان مجنونا أو مجذوما أو مجبوبا (أي المقطوع الذكر) أو عينا (أي الذي لا يصل إلى النساء من الارتخاء) أو صغيرا^(٣) .

(١) انظر : «الإرواء» لشيخنا رحمته الله (٦/٣١١) .

(٢) الاختيارات العلمية ، ومختصر الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله .

(٣) فقه السنة لسيد سابق رحمته الله (٢/٥٦-٥٧) بتصرف يسير .

وقد اختلف الفقهاء في فسخ العقد بالعيب «فمنهم من رأى أن الزواج لا يفسخ بالعيوب مهما كانت هذه العيوب، ومن هؤلاء الفقهاء داود وابن حزم . . . ، ومنهم من رأى: أن الزواج يفسخ ببعض العيوب دون بعض؛ وهم جمهور أهل العلم. واستدلوا لمذهبهم بما يأتي:

أولاً: ما رواه كعب بن زيد أو زيد بن كعب: «أن رسول الله ﷺ تزوج امرأة من بني غفار، فلما دخل عليها ووضع ثوبه، وقعد على الفراش أبصر بكشحها^(١) بياضاً فانحاز عن الفراش، ثم قال: خذي عليك ثيابك، ولم يأخذ مما آتاها شيئاً»^(٢).

ثانياً: عن عمر رضي الله عنه أنه قال: أيما امرأة غرَّ بها رجل، بها جنون أو جذام أو برص، فلها مهرها بما أصاب منها، وصداق الرجل على من غر . . .»^(٣).

وللإمام ابن القيم رحمته الله تحقيق جدير بالنظر والاعتبار؛ قال:

«فالعَمى والخرس والطرش، وكونها مقطوعة اليدين أو الرجلين أو إحداهما، أو كون الرجل كذلك، من أعظم المنفرات والسكوت عنه من أقبح التدليس والغش وهو مناف للدين.

وقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمن تزوج امرأة وهو لا يولد له: «أخبرها أنك عقيم وخيرها».

فماذا يقول في العيوب التي هي عندها كمال بلا نقص؟

قال: «والقياس أن كل عيب ينقّر الزوج الآخر منه ولا يحصل به مقصود النكاح من الرحمة والمودة، يوجب الخيار وهو أولى من البيع، كما أن الشروط المشروطة في النكاح أولى بالوفاء من شروط البيع.

(١) الكشح: ما بين الخاصرتين إلى الضلع.

(٢) رواه أحمد (٤٩٣/٣). والحديث ضعيف جداً كما بينه شيخنا رحمته الله في «الإرواء» (٦/١٩١٢/٣٢٦).

(٣) أخرجه مالك (٩/٥٢٦/٢)، والدارقطني (٤٠٢). والحديث ضعيف كما في «الإرواء» لشيخنا رحمته الله (٦/١٩١٣/٣٢٨).

وما أُلزم الله ورسوله مغرورًا قط ولا مغبونًا بما غرَّ وغبن به . . .
 وإذا كان النبي ﷺ حرّم على البائع كتمان عيب سلعته ، وحرّم على من علّمه أن
 يكتبه على المشتري ، فكيف بالعيوب في النكاح؟
 وقد قال النبي ﷺ لفاطمة بنت قيس ، حين استشارته في نكاح معاوية وأبي
 جهم : «أما معاوية فصعلوك لا مال له ، وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه»^(١) .
 فعلم أن بيان العيب في النكاح أولى وأوجب»^(٢) .
 والخلاصة أنه : «إذا غش أحد الزوجين الآخر بكتمان عيب فيه ينافي
 الاستمتاع أو كمال الاستمتاع ، يثبت للمتضرر منهما خيار الفسخ عند جمهور
 الفقهاء في الجملة»^(٣) .

وهذه شهادة أحد الإخوة الثقات على حادثة غش في الزواج :

قال الأخ - حفظه الله - : ذهب رجل إلى أحد البلاد المجاورة كي يتزوج
 بزوجة ثانية من هناك فذهب إلى من هم مختصين بهذه العملية فرأى المرأة ووافق
 عليها ، وفي اليوم الثاني تم العقد على المرأة التي تم النظر إليها وعند الدخول إذ
 بالمرأة التي دخل عليها غير التي نظر إليها ، وبات تلك الليلة ولم يأت هذه المرأة ،
 يقول : نعم خلعت ثيابي ونمت بجوارها ولم آتها حتى الصباح .

فذهبت إلى الوسطاء الذين قاموا بهذه الخدعة وقلت لهم : ليست هذه المرأة
 التي رأيتهما ، قالوا : بل هي ، وهذه شهادة الميلاد و . . . المهم قال : طلقتها
 وتركت لها كل شيء وبكل حيلة حتى تركوا مؤخر الصداق ، والله المستعان
 ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم (١٤٨٠) .

(٢) فقه السنة لسيد سابق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٢/٦٠-٦٥) - دار الكتاب العربي .

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية (٣١/٢٢٥-٢٢٦) .

٣- غش الخطاب بإظهار المرأة نفسها بخلاف واقعها :

قال ابن خزيمة في «التوحيد» (ص ٢٠٨): حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني قال: ثنا المعتمر عن أبيه قال: ثنا أبو نضرة عن أبي سعيد أو جابر أن نبي الله ﷺ خطب خطبة فأطالها، وذكر فيها أمر الدنيا والآخرة، فذكر: «إن أول ما هلك بنو إسرائيل أن امرأة الفقير كانت تُكَلِّفُه الثياب أو الصيغ أو قال: من الصيغة ما تكلف امرأة الغني، فذكر امرأة من بني إسرائيل كانت قصيرة، واتخذت رجلين من خشب، وخاتماً له غلق وطبق، وحشته مسكاً، وخرجت بين امرأتين طويلتين أو جسيمتين، فبعثوا إنساناً يتبعهم، فعرف الطويلتين، ولم يعرف صاحبة الرجلين من خشب»^(١).

غش التعلم والتعليم

فتاوى أهل العلم في حكم الغش في الامتحانات :

- فتوى سماحة الشيخ الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللهُ :

سئل رَحِمَهُ اللهُ : ما هو حكم الغش في الاختبارات الدراسية إذا كان المدرس على علم بذلك؟

فأجاب رَحِمَهُ اللهُ : «الغش محرم في الاختبارات، كما أنه محرم في المعاملات، فليس لأحد أن يغش في الاختبارات في أي مادة، وإذا رضي الأستاذ بذلك فهو شريكه في الإثم والخيانة والله المستعان»^(٢).

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥٩١).

(٢) المجلة العربية- (باب: فاسألوا أهل الذكر).

- وقال سماحة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمته الله :

«يمنع أي طالب من الغش أو محاولة الغش لأن تمكين الطالب من الغش غش وخيانة وتمكين الطالب من الغش تمكين من أمر محرم وقد قال النبي ﷺ : «من غش فليس منا» .

وإن تمكين الطالب من الغش ظلم لزملائه الحريصين على العلم المجدين في طلبه الذين يرون من العيب أن ينالوا درجة النجاح بالطرق الملتوية . . . وهو في الحقيقة مغشوش حيث انخدع بدرجة نجاح وهمية لم يحصل بها على ثقافة ولا علم وليس له من الثقافة والعلم سوى هذه البطاقة التي يحمل بها شهادة زيف لا حقيقة . . .

إن تمكين الطالب من الغش خيانة لإدارة المدرسة، وخيانة للوزارة أو الرئاسة التي من ورائها، وخيانة للدولة وخيانة للمجتمع كله .

وإن تمكين الطالب من الغش أو تلقينه الجواب بتصريح أو تلميح ظلم للمجتمع وهضم لحقه حيث تكون ثقافة المجتمع ثقافة مهلهلة، يظهر فشلها عند دخول ميادين السباق ويبقى مجتمعنا في تأخر وفي حاجة إلى الغير، ذلك أن كل من نجح عن طريق الغش لا يمكن إذا رجع الأمر إلى اختياره أن يدخل مجال التعليم والتثقيف لعلمه أنه فاشل فيه .

إن تمكين الطالب من الغش كما يكون خيانة وظلمًا من الناحية العلمية والتقديرية كذلك يكون خيانة وظلمًا من الناحية التربوية؛ لأن الطالب بممارسته الغش يكون مستسيغًا له، هيئًا في نفسه فيتربى عليه ويربي عليه أجيال المستقبل، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة^(١) .

(١) رسالة الشيخ الإمام محمد بن صالح العثيمين رحمته الله «نصائح في الاختبارات» (ص ٨-١١) .

وقال الشيخ عبد الله حمود- الواعظ في وزارة الشؤون الإسلامية الإماراتية :

«إن الغش بكل صورته ووسائله حرام شرعاً؛ لكونه يساعد على أن يأخذ الإنسان ما لا يستحق له أن يأخذه طبقاً لقوله ﷺ: «من غشنا فليس منا»^(١)، وقال: «الغش بكل صورته خروج على النظام، وبه ينسب الإنسان لنفسه ما لا يستحقه، وبالنسبة للغش في الامتحانات فالطالب الغشاش ينسب لنفسه علماً لا يدره»، وأضاف: «الطالب الذي يلجأ إلى الغش هو طالب ضعيف الإيمان، لا يراعي الله في عمله، ولو علم وزر ذلك لما لجأ إليه من أجل دنيا زائلة».

وأكد الشيخ حمود أن الأساتذة الذين يسهلون الغش للطلاب خلال الامتحانات مذنبون، كما أنهم مسئولون عن تكرار هذه الجريمة؛ حيث إن التساهل مع هؤلاء الغشاشين يشجعهم على تكرار جريمتهم حتى تتأصل في كل عملهم حتى بعد إنهاء مرحلة الدراسة»^(٢).

أهداف الاختبارات التعليمية وأهميتها في تحقيق سلامة المسيرة التعليمية :

«تهدف عمليات الاختبارات الشفهية والتحريرية الفصلية منها والنهائية التي تجريها المدارس والجامعات في مختلف المراحل التعليمية إلى أغراض تربوية هامة، وهي تشجيع الطلاب على مواصلة سيرهم التعليمي بكل جد ونشاط، ودفعهم إلى استمرار التحضير والمذاكرة والتسابق فيما بينهم لبلوغ أعلى مراتب التفوق ودرجات النجاح، وللتأكد من سلامة سير الطلاب التعليمي ومعرفة مستوى تحصيلهم الدراسي خلال كل فترة زمنية محددة، كما تهدف إلى التمييز بين الطالب

(١) مضي تخريجه.

(٢) الغش في امتحانات الإمارات الصادر بتاريخ ١/٦/٢٠٠٢- موقع «إسلام أون لاين».

المجد الذي يقضي وقته ويصرف جهده في متابعة تحصيله لينال الحوافز المشجعة والشهادة التقديرية ، وبين الطالب المتعاسر والخمول أو الفاشل في دراسته الذي كان يشغل جل وقته بالعبث واللّهو والكسل ليراجع نفسه ويكون محل تأنيب أستاذه وعتاب ذويه لعله يعود إلى رشده وإصلاح أمره .

لهذا كانت الاختبارات التعليمية المعيار العادل والمقياس الدقيق والأسلوب العملي في تحقيق العدالة والمساواة في المسيرة التعليمية ، وعلى ضوءها يتم إظهار النتائج الدراسية وتوزيع الوثائق التأهيلية ، ومنها يتأكد للإدارة المدرسية من يصلح من الطلاب لمتابعة تعليمه وانتقاله إلى درجات علمية أعلى بكل جدارة ومقدرة ، كما تعرف بها من يجب أن يتوقف قليلاً أو طويلاً ليعود بنفسه وبدراسته إلى الوراء ثانية ليعيد دراسة المواد التي قصر بها أو يتدارك أسباب فشله الدراسي العام لسنة جديدة يستعيد بها عافيته وقدراته واستقامته»^(١) .

ظهور الغش التعليمي في غياب الوازع الديني :

«تبرز عمليات الغش والاحتيال في الاختبارات التعليمية وفي تقديم الرسائل الجامعية كأداة إخلال بالمعايير العادلة وتعطيل للموازن الدقيقة التي تحققها تلك الاختبارات بعد أن غابت عن أجواء التعليم روح التربية الإسلامية وأهدافها النبيلة وآدابها الفاضلة وبعد أن أصبحت أغراض طالب العلم لا تتجه نحو ابتغاء مرضاة الله وبلوغ التفوق العلمي الذي يكفله الجهد المتواصل والتفرغ الكامل بل اتجهت أطماعه نحو المكاسب المادية والمراتب المنشودة والحصول على وثيقة النجاح أو شهادة التخرج بأية وسيلة كانت ولو بالتزوير والغش والاحتيال نتيجة ضعف الوازع الديني وسيطرة المناهج العلمانية التي فرضها الاستعمار الحاقداً على كثير من دول العالم الإسلامي»^(٢) .

(١) «الغش في الاختبار خيانة وانهيار» لأحمد حسن كرزون (ص ٢٤ - ٢٥) .

(٢) المرجع السابق (ص ٢٦) .

و«لقد كان من آثار هذا الغزو الاستعماري الغاشم اختفاء التربية الإسلامية بمعناها الأصيل عن مناهج المدارس اختفاء هياً مجاًلاً فسيحاً لخروج كثير من أبناء المسلمين إلى مجال التوجيه العلمي الخالي عن الأصالة الإسلامية؛ مما أتاح الفرصة للغزو الفكري الذي عاشته أجيال من أبناء المسلمين والذي تمخض عنه ما تعيشه بعض دول العالم الإسلامي ونشهد به بأعيننا وتدمى له قلوبنا، وقد تدارك الله أمتنا الإسلامية بتوفر الغيورين على الإسلام والمجتمعات الإسلامية فعادت التربية الإسلامية لتأخذ طريقها إلى المدارس في بعض المراحل ولتؤدي دوراً ذا بال، إلا أنه لم يكن على المستوى المأمول الذي يتطلع إليه الصادقون المخلصون لربهم ولدين الله الخاتم الذي أنزل على خاتم المرسلين هدى للناس ورحمة، وإن كنا نقول محتسبين وجه الله: إن المملكة العربية السعودية هي الرائدة في مجال التربية الإسلامية فقد عُنت عناية بالغة بالتربية الإسلامية في جميع المراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية والجامعية»^(١).

أخطار الغش في الاختبارات التعليمية:

«تعد عمليات الغش التعليمية من أخطر الانحرافات السلوكية التي يرتكبها طالب العلم لشمولها على معانٍ متعددة من الآثام والمعاصي التي جاء الشرع الحنيف بتحريمها، وللأضرار الجسيمة التي توقعها بالطالب الغاش نفسه في سلوكه ومسيرته التعليمية ومستقبله في حياته العملية كما تعرض المجتمع لأخطار وأضرار بليغة»^(٢).

عملية الغش في الاختبارات من الانحرافات الآثمة شرعاً:

لقد حدد الهدي النبوي الضوابط التي تفصل بين الاستقامة السلوكية وبين الانحراف الآثم فعن النّوّاس بن سمعان أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن البر

(١) «التربية الإسلامية بين المنهج والمدرس» للدكتور محمد العروسي (ص ٢٨-٢٩) بتصرف.

(٢) «الغش في الاختبار» (ص ٣١).

والإثم فقال النبي ﷺ: «البر حسن الخلق والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس»^(١)، فجاء ضابط البر وهو جماع الخير بحسن الخلق كما جاء تعريف الإثم: وهو جماع الشر بما تتحرك به الأهواء النفسية المنحرفة وتختفي من فعله حتى لا يطلع عليه الناس.

كما حذر القرآن الكريم المؤمنين من اتباع الأهواء الضالة التي تسوقهم إلى ظاهر الإثم وباطنه فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١٦٤﴾ وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَفْعَرُونَ﴾^(٢).

والغش في الاختبارات التعليمية يمثل شكلاً من الإثم المحظور لما يحتوي في صورته ومعناه على مجموعة من أوصاف الانحرافات الآثمة التي جاء الشرع الحنيف بتحريمها كالخداع والحيلة والكذب وسوء الأمانة والسرقة وقول الزور والكسب الحرام، كما تتنافى عملية الغش بمعانيها وصورها مع الاستقامة السلوكية التي أمر الشرع الأمثل بالتحلي بها كالصدق والأمانة والنصيحة الخالصة والعدالة عند كل تعامل.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه، التقوى هاهنا، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم»^(٣)، وأكد الهدي النبوي على نفي الإيمان عن الغاش مهما كان شكل غشه أو موضوعه وإخراجه من جماعة المسلمين وعاقبته الوخيمة حكماً مطلقاً يشمل جميع حالات الغش، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من غشنا فليس منا والمكر والخداع في النار»^(٤)^(٥).

(١) رواه مسلم (٢٥٥٣).

(٢) سورة الأنعام: (آية ١١٩-١٢٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) «الغش في الاختبار» (ص ٣٢-٣٣).

أخطار الغش التعليمي على مسيرة طالب العلم ومستقبله :

«حين يرتكب طالب العلم المسلم عملية الغش التعليمية سواء ما يجري منها في الاختبارات الدورية والنهائية أو عند إعداد الرسائل الجامعية فإنما يعرض نفسه لخسائر جسيمة وانحرافات خطيرة تمس إيمانه وسلوكه ومستقبله وسلامة كسبه المادي كما يفصله بعون الله تعالى فيما يلي :

أولاً : يتخلى الغاش في الاختبارات التعليمية عن نيته الخالصة في طلب العلم ويخالف أحكام عقيدته الإسلامية حين يتجه بأهدافه التعليمية للحصول على النجاح والشهادة بأية طريقة كانت ، والتعلم والتعليم ابتغاء المال وحده وتلهفاً على المنفعة الشخصية المحضة كما هو ديدن الألوف اليوم هو في الحقيقة استهانة بقيمة العلم وإضاعة لرسالته .

ويرتكب الغاش في التعليم مخالفات فادحة تمس سلامة إيمانه ، فهو يختفي عن أنظار المراقبين ويتستر عن أعينهم ويغفل عن مراقبة رب العالمين الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وينسى قدرته في كشف الأستار وفضح الأكاذيب والقضاء بالحق كما قال سبحانه : ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ ﴿١١﴾﴾ .

وهو يبتعد أيضاً عن معنى التوكل على الله الذي جاءت به عقيدة التوحيد في قوله سبحانه : ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾﴾ .

وتستحوذ عليه روح القنوط من رحمة الله تعالى مخالفاً قوله سبحانه : ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴿٣﴾﴾ . كما يتخلى الغاش في اختباره التعليمية عن الاستعانة

(١) سورة غافر : (آية ١٩ ، ٢٠) .

(٢) سورة إبراهيم : (آية ١١) .

(٣) سورة الزمر : (آية ٥٣) .

باللَّهِ والدعاء إليه وطلب حفظه ورعايته وتوفيقه بل يعتمد على خطط الشيطان وخطواته ويركن إلى هواجس النفس الأمارة بالسوء فيخالف وصية معلم الناس الخير للشباب، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال: «يا غلام إنني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»^(١).

ثانياً: يقترف الغاش في اختباراتهِ وعند إعدادهِ لرسائلهِ الجامعية عددًا من الانحرافات السلوكية مجتمعة، فهو يغش نفسه التي يعمل على تكوينها حين يمنحها درجة علمية لا تستحقها ويحرمها من إعادة استكمال المعلومات التي ضيعها أو خسرها فيبقى بها جاهلاً أو نصف متعلم، وهو كذلك يسرق المعلومات التي لا يملكها من شخص آخر أو من ورقة أعدها للغش منها ثم يدعي نسبتها إليه كذبًا وخداعًا، وهو أيضًا يخدع إدارته وأساتذته وذويه حين يظهر أمامهم بمظهر المجد في تحصيله المتفهم للعلم الذي تلقاه أو الرسالة التي قدمها فينال بعدها درجة علمية زورًا وبهتانًا، ويخون الغاش المجتمع الذي سيتعامل معه حين يتقدم لهم بشهادته التي حصل عليها بالخدعة والكذب والاحتيال.

وقد حذر القرآن الكريم من جميع هذه الانحرافات السلوكية بقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَقْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾^(٢). وقوله سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

ثالثاً: يهدم الغاش في الاختبارات وفي إعداد رسالته الجامعية مستقبله العلمي بنفسه ويعطل مسيرته التعليمية بسبب ما قد يتعرض له من عقوبات تأديبية

(١) رواه الترمذي (٢٥١٦) وهو في «صحيح سنن الترمذي» (٢٠٤٣).

(٢) سورة النحل: (آية ١٠٥).

(٣) سورة الأنفال: (آية ٢٧).

عند الكشف عن خطته الفاشلة فيتوقف فصلاً دراسياً أو سنة كاملة أو أكثر عن متابعة تعليمه .

كما تؤكد عملية الغش التعليمي على عدم جدية الغاش في دراسته وعلى ضعف تحصيله مما ينعكس على تكوينه الثقافي بالعجز العلمي والشلل الفكري والفشل المحتم في الحياة العملية كما يبقى بعد ذلك محل سخرية وكرهية ونقد حين يفقد ثقة الناس المتعاملين معه ، وكثيراً ما ينقطع المتعلم الغاش عن مواصلة دراسته أو المطالعة الحرة ليتدارك ما فاتته من علوم لضعف استعداده وانعدام رغبته في المتابعة بعد أن حصل على الشهادة المنشودة والوظيفة المناسبة ، بل يسبب هذا الغش له نسيان ما تعلمه جزاء الخطيئة التي اقترفها ، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : «إني لأحسب الرجل ينسى العلم كما تعلمه للخطيئة يعملها»^(١) ، وكأنه بعملية الغش ينتحر علمياً ويبلغ به ما يتمناه الأعداء له ولأتمته كما قال الشاعر :

لا يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

رابعاً : عندما يتحل الغاش شهادة تعليمية بالغش والخديعة فإنه يكتسب بها أموالاً حراماً في الوظيفة التي نالها بغير استحقاق ولا جدارة ويستمر بتحمل هذا الإثم الكبير طيلة حياته العلمية ، ويزداد الإثم ويتضاعف قبحة عند العجز عن أداء الواجب الوظيفي أو التقصير في العطاء وعند وقوع الضرر بالآخرين في سوء تصرفاته في مجال عمله المسند إليه وخاصة في مجال الفتوى والتعليم أو في مجال الطب والهندسة أو في مجال الزراعة والاقتصاد .

وقد حذر الهدي النبوي الشريف من الأطماع المادية التي تبعد المسلم عن الإخلاص لله والصدق مع الله في طلب الرزق الحلال فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له

(١) رواه الطبراني موقوفاً كما في الترغيب والترهيب (١/١٢٨) وهو في «ضعيف الترغيب والترهيب» لشيخنا رحمته الله (رقم ١١٠) إلا أن معناه صحيح - والله أعلم .

شملة وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأت من الدنيا إلا ما قدر له»^(١).

خامساً: كثيراً ما يلجأ الغاش في الاختبارات عند اكتشاف محاولته إلى تقديم المبررات الكاذبة للاعتذار عما بدر منه واصطناع التوبة للتخفيف من العقوبة أو طالباً للصفح فيضع نفسه في مأزق حرج إن اتضح كذبه فيتضاعف إثمه ويبقى محل استخفاف واحتقار من إدارته وأساتذته وذويه، وتسوقه خطوات الشيطان إلى الوقوع في المأزق الضيقة وتؤثر على سلوكه التربوي وسمعته التعليمية، وقد حذرنا القرآن الكريم من الخسارة الكبيرة التي يتعرض لها كل من يتخذ الشيطان ولياً له من دون الله فقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾^(٢).

أسباب الغش التربوي والظروف الداعية إليه

١- الظروف الفردية والأسرية الخاصة:

«تنضوي الظروف الفردية والأسرية الخاصة بتلاميذنا على عوامل مثل: طبقة الأسرة ومدى استقرارها الاقتصادي، والمشاركة (الإجبارية أو غير المنظمة) بأعمالها التجارية، ونظام الحياة الأسرية، ونظام التعامل مع الآخرين، والبيئة السكنية للمنزل، واتفاق الوالدين أو نزاعاتهما وفرقتهما النفسية أحياناً، وتواجد الوالدين أو انفصالهما أو وفاة أحدهما.

أما الظروف الفردية فتشمل مواطن القوة أو الضعف في صحة التلميذ، ونوع

(١) رواه الترمذي (٢٤٦٥) وهو في «صحيح سنن الترمذي» لشيخنا رحمته الله (٢٠٠٥).

(٢) سورة النساء: (آية ١١٩-١٢٠).

(٣) «الغش في الاختبار» (ص ٣٧-٤٣) بتصرف.

الأقران الذين يتعامل معهم أو يتبناهم لصحبته، والمشاكل العاطفية أو الخاصة التي يعايشها خاصة مع ١٢ سنة فصاعداً»^(١).

ومما يدخل أيضاً في الظروف الفردية ويعد عاملاً إنسانياً :

«ما يستولي على قلب الطالب من القلق والخوف من شبح الاختبار واحتمال الفشل فيه أو ما قد يطرأ على الطالب من مرض أو حادث أو وفاة قريب فلا يرى الطالب سبيلاً للنجاة وتدارك الخطر المرتقب سوى اللجوء إلى عملية الغش والتلاعب التي تحقق له خسارة فادحة ويقع في هاوية أصعب ويصبح كالمستغيث من الرمضاء بالنار، وبذلك ينساق الطالب المنحرف وراء أهوائه المضللة ويتبع خطوات الشيطان ويغفل عن معاني قلبه المؤمن بعد أن سولت له نفسه عملية الغش والاحتيال وضمان نتائجها وصعوبة المذاكرة ومجهوداتها واستحق وصف الله تعالى له ولأمثاله : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بغيرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾^(٢).

وقد تجاهل الطالب العاش أن الطالب المجد في دراسته، المداوم على أساتذته، المؤدي لواجباته في أوقاتها المتفرغ لطلب العلم سيدخل الاختبارات مطمئن القلب مرتاح النفس واثقاً بقدراته لا يرهبه شبح الاختبارات ولا يتصور كابوسها في خياله مهما طرأت عليه ظروف مفاجئة أو إعاقات عابرة لأن قلبه تعلق بالله متوكلاً عليه واثقاً من توفيقه في مسلكه المستقيم»^(٣).

٢- «تواكل التلميذ أو تكاسله (عدم حافزته العامة) للتحصيل ولبذل

الجهود الضرورية لنموه وتقديمه المدرسي :

والتلميذ لا يلام كثيراً بهذا الخصوص بقدر ما يلام من حوله من معلمين وأسرّة ومجتمع محلي بسبب ما يلاحظ أحياناً على سلوكهم من تباطؤ واسترخاء وتهرب .

(١) «الغش في الاختبارات وأداء الواجبات المدرسية» لد. محمد حمدان (ص ٦).

(٢) سورة القصص : (آية ٥٠).

(٣) «الغش في الاختبار» (ص ٢٧-٢٨) بتصرف.

فالمعلم والإداري والأب والأم وغيرهم الكثير في حياتنا اليومية يؤدون واجباتهم بتناقل مرة وعدم اكتراث مرة أخرى، لا يدركون في الغالب بأنهم يزرعون في التلميذ أو الطفل مثل هذه الميول.

ولماذا يحاول هذا التلميذ نتيجته غير ذلك، ما دام النموذج الذي يقتدي به عادة وينسج سلوكه وشخصيته على غراره يبدو بالصيغ التي يبدو عليها؟!

٣- عدم صلاحية الاختبارات أو عدم هادفتها التربوية:

فصعوبتها الواضحة أحياناً وعموميتها المتناهية أحياناً أخرى، يؤدي لما يعرف عادة باختبارات التعجيز أو الانتقام أو المزاج الشخصي.

يضع المعلم الاختبارات الصعبة ليثبت للتلاميذ تفوقه الشخصي وقدرته على غربلتهم في مصائرهم فيذعنون أكثر لسلطته ويمثلون حرفياً بأوامره.

وقد ينهج في مناسبات أخرى الصيغ العامة التي لا تحدد مباشرة هوية الإجابة المطلوبة، بحيث مهما كانت نوعية هذه الإجابة أو كفايتها، فإن العلامة المستحقة لها تبقى بيد المعلم ليضعها حسب مزاجه أو ميوله الشخصية نحو التلميذ. . . غبن تربوي أعمى ما بعده غبن، وقتل فاضح لقيم التلميذ الغضة وإنسانيته السوية النامية لديه.

وفي أحوال ثالثة، يعود الضعف الذي يعترى اختبارات التحصيل كصعوبتها أو عدم وضوح المطلوب فيها، أو سلبية إدارتها أو تصحيحها أو تفسير نتائجها، لعدم كفاية المعلم التربوية التقييمية.

في مثل هذه الحالات جميعاً، يميل التلاميذ الذين يتوفر لديهم استعداد مسبق للغش إلى الحصول على الإجابات المطلوبة، حيث يعتبر النجاح بالغش لدى هؤلاء أفضل من لا شيء. من الرسوب أو عدم النجاح.

٤- ضعف قدرة التلميذ على القراءة، وبالتالي تدني تعلمه وتحصيله للمادة

الدراسية.

٥- ضعف قدرة التلميذ على المثابرة والتركيز خلال القراءة وتعلم المطلوب أو أثناء القيام بواجباته، نتيجة القلق أو عدم فهمه لقدراته أو لمشاكل.

٦- ضغط الأسرة أو المعلم على التلميذ لمزيد من التحصيل دون مراعاة لقدراته الذاتية في هذا المجال.

٧- تأثر التلميذ بأحد أفراد أسرته أو أقرانه، وتبنيه لعادة الغش دون إدراك أو وعي ذاتي منه لمخاطرها ونتائجها السلبية على شخصيته بوجه عام.

٨- صعوبة المادة الدراسية جزئياً أو كلياً، أو عدم مناسبة المنهج لقدرات التلميذ وحاجاته.

٩- تحدي سلطة المعلم أو تعليماته نتيجة لنوع معاملته أو صفة غير مستحبة فيه من قبل التلميذ.

١٠- تعدد متطلبات المادة، أو المواد الدراسية مجتمعة:

مما يشجع التلميذ على اللجوء إلى أساليب غير تربوية لإنجازها كالنقل الحرفي لبعضها من كراسة أحد أقرانه أو التلاعب في إنجازها كما هي في الحال في أعمال النسخ لمواضيع المطالعة في اللغات، أو أية واجبات أخرى تتصف بالروتينية في التنفيذ من قبل التلميذ، والتصحيح والتوجيه من قبل المعلم ذاته.

١١- عدم قدرة التلميذ على تنظيم وقته واستعماله بشكل مفيد وبناء^(١).

(١) «الغش في الاختبارات» (ص ١٧-١٩) بتصرف.

أساليب الغش ووسائله

١- تقنيات المعلومات تساعد التلاميذ على الغش :

«يبدو أن الأسلوب القديم في تمرير الملاحظات الورقية أثناء الامتحانات، الذي يحتاج إلى حركة مختلصة^(١) سريعة تمرر من خلالها قطعة مطوية من الورق إلى يدي شخص آخر، قد أصبح حديثاً بعد استخدام التقنيات المعلوماتية المتطورة التي تغني الطلاب عن استخدام الورق في تبادل ملاحظاتهم «السرية».

فقد انتشرت في الأسواق حالياً مجموعة من أجهزة الاتصالات اللاسلكية الموجهة لمن هم في سن ما قبل المراهقة، تتيح للأطفال بث رسائل صوتية أو نصية لآخرين لديهم أجهزة مماثلة.

ومن هذه الأجهزة ما يسمى «ليزر شات» المحمول، الذي يساعد في بث رسائل صوتية رقمية لغاية ١٢ متراً، والمفكرة الرقمية «جوت ميل»، التي تتيح تبادل رسائل نصية سرية، من خلال بطاقات بلاستيكية توضع فيها.

وهناك أيضاً جهاز «سايبكوكو» الذي يمكن اعتباره كمزيج بين جهاز «بالم بايلوت» ولعبة «جيم بوي»، مع جهاز لاسلكي، حيث يسمح للأطفال بالتحادث إلكترونياً، وإرسال الرسائل الإلكترونية، وترتيب المواعيد، أو حتى اللعب مع مستخدمين آخرين لديهم نفس هذا الجهاز.

وأكدت أليسون دروين - الأستاذة في جامعة ماريلاند الأمريكية - من خلال

(١) كما رأيت أحد طلاب الماجستير في امتحان مادة التاريخ في جامعة البنجاب - باكستان - قد أخرج من جيبه رول ورق - لا أبالغ إذا قلت إن طوله يبلغ نحواً من مائة متر - وأخذ يتصفحه وينقل منه في قاعة كبيرة، مع غياب الرقابة الشديدة في تلك القاعة.

دراستها لأثر التقنية على الأطفال، أن تمرير الملاحظات أمر مهم، سواء كان ذلك إلكترونيًا أو صوتيًا، أو بواسطة كرة مصنوعة من الورق.

ويستهدف الكثير من هذه الأجهزة الفئات العمرية في سن ما قبل المراهقة أو حولها، أي ما بين ٨ - ٩ سنوات وسنوات المراهقة المبكرة، حيث يعتبرهم العلماء من المجموعات المثقفة تقنيًا بشكل كبير، بسبب تربيتهم في بيئة تحتوي على الأجهزة الحاسوبية، حيث يقضي معظمهم وقتهم في العمل على الإنترنت بشكل متواز مع مشاهدة التلفاز، والاستماع للموسيقى^(١).

ويقول الخبراء: إن الأجهزة الجديدة لا تشبه الألعاب كثيرًا، لكنها تستخدم مجموعة من التقنيات المتوفرة في المنتجات التقنية المخصصة للكبار، بما في ذلك تقنية الأشعة تحت الحمراء، والتسجيل الرقمي، وأجهزة الإرسال الرقمية عالية التردد.

وحسب ما ذكرته مجلة (عربيات) الإلكترونية، فإن من المتوقع أن تعلن شركة (تايجر إلكترونيكس)، وهي جزء من مصنع الألعاب (هاسبيرو) عن مجموعة مختلفة من أجهزة الاتصال اللاسلكية خلال الأشهر القليلة القادمة، بعد أن قررت شركة «جوت ميل» إنتاج جهاز «لايتنينج ميل» في أواخر الخريف الحالي.

وأشار الباحثون إلى أنه سيكون بإمكان الأطفال إرسال رسائل البريد الإلكتروني بمجرد وصل هذا الجهاز بخط الهاتف، كما ستتيح هذه الأجهزة، التي من المتوقع أن تبلغ تكلفتها ٨٠ دولارًا أمريكيًا، إرسال الرسائل لاسلكيًا إلى أجهزة «لايتنينج ميل» أخرى إذا كانت في مجال ١٥ مترًا.

ولا يفوت الشركات المنتجة للألعاب استهداف البنات أيضًا، لاسيما وأنهن نادرًا ما يحصلن على منتجات تعتمد على التقنيات الحديثة، لذلك أعلنت باتي

(١) الاستماع للموسيقى حرام في شرعنا، ولكن ليس بعد الكفر ذنب!!

سائتو، نائبة الرئيس لشئون التسويق في شركة راديك، التي تتخذ من مدينة دالاس الأمريكية مقرًا لها، عن خط منتجات جديد يحمل اسم «غيرل تيك»، تم تأسيسه خصيصًا لجعل تقنيات المعلومات شيئًا مسليًا للأطفال.

ومن هذه المنتجات ما يحمل اسم «ليزر شات» الموجه للبنات من سن ثماني سنوات فما فوق، ويباع بمبلغ ٩٩,٤١ دولارًا، ويشبه جهاز الهاتف المحمول وهو ملون باللونين الزهري والفضي، وبأزرار زرقاء، ويتيح لمستخدميه تسجيل رسائل صوتية لغاية عشرة أصوات، ثم بثها لاسلكيًا لجهاز آخر مماثل.

ويتحدد عمل الجهاز لبث الرسائل منه بواسطة الأشعة تحت الحمراء، أن يكون الجهاز الآخر معه على الخط نفسه تقريبًا من دون أن تكون بينهما أية عوائق، ومع ذلك، يبدو الصوت الرقمي مشوشًا نوعًا ما.

ويستخدم جهاز «سايبيكو»، الذي يباع بحوالي (٥٠) دولارًا، تقنية إرسال رقمية عالية التردد لإرسال الرسائل لغاية ٤٦ مترًا في الداخل، و٩٢ مترًا في الخارج، ويأتي بلون شفاف، أو بألوان شبه شفافة من الأرجواني أو الأصفر أو الأخضر.

وأشار الباحثون إلى أن لهذا الجهاز الذي يستغرق ٣٥ ثانية ليبدأ في عمله، بعض العيوب، فهو يستخدم للبريد الإلكتروني مجموعة من سبعة أحرف أو أرقام للعناوين، مما يجعل تذكر البريد الإلكتروني أمرًا صعبًا، كما أن تتبع الألعاب يتطلب تفريغ جزء من الذاكرة كلما أراد الطفل لعبة جديدة. ومع ذلك، يرى هؤلاء أن للجهاز مزايا فريدة، بالرغم من كونه موجهًا للأعمار بين ١١ و١٥ عامًا، حيث تتيح للمستخدمين إدخال ما يرغبون فيه من الصفات التي يجب أن يتحلى بها صديق مثلاً، فيقوم بعدها بمسح المنطقة ليجد من تنطبق عليهم الشروط، وعندما يتم تحديد أحدهم، يبدأ الجهاز بالاهتزاز، إلا أن التغطية اللاسلكية قد تكون متقطعة،

وقد تختلف من مكان إلى آخر^(١).

٢- الهاتف النقال :

«أصدر عدد من المدارس الخاصة في لبنان قرارًا يقضي بمنع التلاميذ في الصفوف المتوسطة والثانوية من حمل جهاز الهاتف النقال واستعماله ضمن الدوام المدرسي، والسبب كما أفاد مدير إحدى هذه المدارس في (منطقة سن الفيل- شرق بيروت)، هو ضبط أكثر من تلميذ يتحدث على النقال للغش في امتحانات نهاية العام الدراسي، إذ تبين أن عددًا من التلاميذ كانوا يحاولون تلقي الأجوبة على موجات الهاتف النقال من متعاونين^(٢) خارج المدرسة... وتفضي طريقة الغش أن يتصل التلميذ بصديق أو قريب خارج المدرسة، وعبر خدمة الرسائل يستوضحه عن سؤال في مادة من مواد الامتحان، فيقرأ الطرف الآخر الجواب الصحيح ليضمن التلميذ وبكل بساطة^(٣) الصواب.

وتتطلب «شروط اللعبة» إذا جازت التسمية، أن يبرمج التلميذ هاتفه النقال بحيث لا يرن على مسمع من أحد، بل يرتج ارتجاجًا، كما يتعين أن يكون حجم الجهاز صغيرًا يخفيه التلميذ في كف يده، ويتمكن من دسه بسهولة في جيبه عند الحاجة أو يصله بسماعة صغيرة، وتستطيع الفتيات إخفاء هذه السماعة خلف الشعر المنسدل^(٤).

وفي الإمارات العربية: «تفتخر الطالبة (م. غ) الطالبة في السنة الأولى بالجامعة بأنها حققت إنجازًا العام الماضي عن طريق الغش باستخدام الهاتف المتحرك، وتقول: «استخدمت الهاتف المتحرك في امتحانات العام الماضي،

(١) تقنيات المعلومات تساعد التلاميذ على الغش بمهارة بالولايات المتحدة تاريخ الإصدار (١٥/١١/٢٠٠٠) - موقع إسلام أون لاين.

(٢) أي على الإثم والعدوان لا على البر وطاعة الرحمن.

(٣) الصواب أن يقال: «بكل سهولة».

(٤) صحيفة لبنانية (العدد: ١٢٢١٧) يوم السبت ١٥/٥/١٤٢٢ - ١/٤/٢٠٠١.

حيث خبأت سماعات الهاتف المتحرك خلف غطاء الرأس، وبمجرد أن تسلمت ورقة الأسئلة انتهزت فرصة انشغال المراقب في تنظيم اللجنة، وتوزيع أوراق الأسئلة، واتصلت بإحدى صديقتي، وقرأت عليها كل الأسئلة دفعة واحدة ثم انتظرت حتى وافتني بالإجابة كاملة، وأضافت لم أكن بحاجة إلى الحديث إلى أحد، أو الالتفات حولي. . فقط كان علي الاستماع إلى صديقتي على الهاتف، والكتابة وراءها، فقد نبهت عليها أن تتحدث بصوت هادئ وبأن حتى يتسنى لي ملاحظتها بالكتابة».

وترى (م. غ) أن الطالبات أقدر على ممارسة الغش من الطلاب، حيث إن صفات الطالبة وظروفها الخاصة تحرم على مراقبي لجان الامتحانات السعي لملاحقة وسائلهن في الغش، مؤكداً أن الطلاب يعجزون عن استخدام وسائل الطالبات، ومنها استخدام الهاتف المتحرك، خاصة أن سماعه الأذن ستكون مكشوفة أمام المراقبين»^(١).

٣- الغش بواسطة شبكة المعلومات «الإنترنت»:

«استعان طلبة الجامعات في السابق بشبكة إنترنت لشراء، وبيع، وتوزيع، ونسخ أوراق الأبحاث المطلوبة منهم كواجبات دراسية. أما الآن فيستخدم أساتذة الجامعات إنترنت لكشف الأبحاث المسروقة.

كانت ورقة بحث عن بيل جيتس، أعدها أحد الطلبة بمثابة جرس الإنذار الذي نبه لهذه الممارسات. حدث ذلك عندما لاحظ جورج دايسون، أستاذ تاريخ التقنية في جامعة ويسترن واشنطن، أن اللغة المستخدمة في إعداد تلك الورقة، كانت معقدة جداً بالنسبة لمستوى ذلك الطالب، كما لاحظ أن عمر جيتس، الذي ذكره الطالب كان أقل عامين من عمره الحقيقي.

أدخل الأستاذ دايسون أحد المقاطع الواردة في الورقة البحثية، ضمن أحد

(١) الغش في الإمارات العربية المتحدة- تاريخ الإصدار (١/٦/٢٠٠٢)- موقع إسلام أون لاين.

محركات البحث في إنترنت ، فوجد أن الورقة التي قدمها الطالب هي ورقة بحثية ،
 قدمت قبل عامين في أحد المسابقات الدراسية حول علوم الكمبيوتر في جامعة
 ميتشجان ، وقال دايسون : «لم يكن من الصعب اكتشاف أن الورقة التي قدمها
 الطالب كانت منتحلة ، إذ لم يكلف نفسه عناء تغيير الكلمات ، على أقل تقدير» .

ويقول جس كرافاس ، نائب مدير شؤون الطلاب في جامعة ولاية واشنطن :
 «عندما يصبح فضاء إنترنت ملك يديك ، ومعلوماته الغزيرة أمام ناظريك ، تصبح
 الفرص المهيأة للغش كثيرة» .

ومن الواضح أن من الصعب تحديد المدى الذي يمكن أن يصل إليه الغش .
 اكتشفت جامعة واشنطن ، ثمان حالات غش عام ١٩٩٨ ، وعشر حالات عام
 ١٩٩٧ ، وسبع حالات عام ١٩٩٦ ، ومن بين هذه الحالات ، استخدمت مصادر
 إنترنت في الغش ثلاث مرات عام ١٩٩٨ ، ومرة واحدة عام ١٩٩٧ ، وأربع مرات
 عام ١٩٩٦ .

ولأن معظم حالات الانتحال والغش يتم التعامل معها بواسطة العميد أو
 أستاذ المادة ، بدون اتخاذ إجراءات تأديبية رسمية بحق الطلبة «الغشاشين» ، فإن
 عدد حالات الغش التي يتم فيها استخدام إنترنت لا بد وأن يكون كبيراً ، نظراً لعدم
 شمول تلك الحالات في الإحصائيات ، حسب قول إيرنست موريس ، نائب مدير
 الجامعة لشؤون الطلاب .

ويقول فريد دي كاب ، العميد المشارك في مدرسة ألبرت للأعمال
 والاقتصاد : «حالات الغش وتلفيق الأبحاث نادرة الحدوث في كليتنا ، إلا أنها
 عندما تحدث فإن استخدام إنترنت يكون وثيق الصلة . فقد ضبط أحد الطلبة العام
 الماضي وهو يسرق مقالات من إنترنت ، وينسبها لنفسه»^(١) .

ولقد «أصبح الغش وسرقة الأفكار سهلة وميسرة في ظل عالم الإنترنت ، حيث

(١) موقع بي بي سي أون لاين (إنترنت) .

يمكن الحصول على المعلومات في طرفة عين بدون مجهود، ففي الولايات المتحدة، يكفي دفع مبلغ ٩,٩٥ دولارات سنويًا للاشتراك في موقع «تشت هاوز» (دار الغش) ليحصل الطالب الأمريكي على المادة التي يريدتها من بين ٩٥٠٠ موضوع آخر، ويزور الموقع ألفا طالب يوميًا.

لكن المدرسين في الولايات المتحدة قرروا مواجهة هذه الظاهرة مستخدمين الأدوات نفسها، فقد أعد أستاذ الفيزياء في جامعة فرجينيا «لويس بلومفيلد» برنامجًا يتيح معرفة الموضوعات المغشوشة . .

فخلال خمسة فصول دراسية، كشف لويس بلومفيلد ١٢٢ نسخة «مشبوهة» من أصل ١٥٠٠. ويتيح له البرنامج التعرف على النصوص التي تتضمن الجمل نفسها التي تتكون من ست كلمات، وعليه قد تم إلغاء شهادات ٦٠ طالبًا. ويقول بلومفيلد: «في السابق كان الغش شديد الصعوبة، لكن الكشف عن الغشاشين كان أصعب بكثير، ولكن الأمر الآن مختلف».

وهناك أيضًا موقع «كانيكسوس دوت كوم» الذي أنشئ العام الفائت محتملاً عليه برنامج «إيف» وعن طريقة تحدد مصادر الغش على الإنترنت، كما أعدت أستاذة الأدب الأمريكي «بربارا غلات» برنامجًا للكشف عن الغشاشين عبر موقع «بلاجياريزم دوت كوم»، يتيح معرفة الجمل المنسوخة مقابل ٣٠٠ دولار، وللموقع آلاف الزائرين في بريطانيا والهند وكندا.

وتقول بربارا غلات: «إن محاربة الغش في عصر الإنترنت ليس هدفه التضييق على الطلبة، بل دفعهم للتفكير الذي يعد أساس التعليم، وعندما يقومون بالغش فإن عملية التعلم تصبح غير ذات جدوى.

ومن بين مواقع مواجهة الغش «سيرف دوت كوم دكتور»، الذي يمنع عمليًا على الدارسين نقل النص بأكمله أو فقرات منه، فالأعمال المشهورة يجب أن تُستخدم فقط كمراجع، وألا تقدم بوصفها من بنات أفكار زائري الموقع، لأن ذلك

يعد غشًا، وهو مخالف للقانون في بعض الولايات الأمريكية، ولكن هذه التحذيرات لا تلقى أذانًا صاغية لدى الطلاب .

ولاحظت جامعة بيركلي تضاعف حالات الغش بين طلابها، ولاسيما في الأعمال المنقولة عن الإنترنت خلال الأعوام التالية ١٩٩٤ و١٩٩٩» .

وهذه صورة أخرى لكشف الكمبيوتر عن ستين حالة من الغش في إحدى الجامعات الأمريكية: الكمبيوتر يكتشف الطلاب الغشاشين .

يمكن للطلاب الحصول على معلومات أكاديمية على الإنترنت في الوقت الذي يخضع فيه معظم الطلاب في الولايات المتحدة للاختبارات الدراسية، يزداد الجدل حول إحدى الجامعات في ولاية فرجينيا فقد اتهم أكثر من مائة وعشرين طالبًا بالغش في مادة الفيزياء، وتشير الجامعة إلى أن برنامجها للكمبيوتر هو الذي تمكن من ضبطهم .

ويذكر أن جامعة فرجينيا التي أسسها واحد من أوائل قادة الجمهورية، تفتخر بسمعتها والتزام الطلاب بميثاق الشرف الذي يراقب سلوكهم .

فبعد أن وجه أحد الطلاب الغاضبين نظر الأستاذ المشرف على الفصل إلى حالات الغش، قام الأستاذ بوضع ما كتبه الطلاب من أبحاث عبر برنامج كمبيوتر مصمم لتحري حالات الغش، ويقوم البرنامج المذكور بالتعرف على الأعمال التي تحتوي نفس التتابع من الكلمات لست كلمات متوالية أو أكثر، وبعد مرور خمسين ساعة وأكثر من ألف وثمانمائة بحث وتقرير أعده الطلاب عثر الكمبيوتر على ستين حالة من الغش لنفس الفصل .

ويذكر أنه مع الزيادة الهائلة في مواقع المعلومات المتخصصة في تبادل وبيع البحوث الأكاديمية، فإن الغش أصبح من أهم دواعي القلق في جميع أنحاء الولايات المتحدة . ولكن بالنسبة لطلاب جامعة فرجينيا فقد يكون الثمن باهظًا، فميثاق الشرف الخاص بالجامعة يسمح للطلاب بالرقابة على أنفسهم، ولكن

العقوبة شديدة، فمن يثبت أنه نقل مواد خاصة بطالب آخر يواجه الطرد من الجامعة أو سحب الدرجات العلمية الممنوحة إليه سابقاً^(١).

وفي سبيل محاربة الغش «يستخدم أعضاء هيئة التدريس في الكليات مواقع ويب المخصصة للندوات، والبريد الإلكتروني، ومنتديات النقاش، والمكتبات، للحصول على ملاحظات حول وسائل اكتشاف الغشاشين.

وينشر بعض أعضاء هيئة التدريس الآخرون، قوائم بمواقع ويب التي توفر أوراق بحث مجانية، ويستخدم بعضهم برامج تجارية للتحقق من غش الطلبة.

فالبرنامج الذي تبيعه شركة Glatt Plagiarism Services في شيكاغو، يعمل على إزالة الكلمات المهمة من المقالات، ثم يطلب من كاتب هذه المقالات ملء الفراغات. ويمكن بذلك الكشف عن الطلبة الذين قاموا بالغش، حيث يحصلون على نتائج متدنية، حسب ما قالت باربرا جلات، صاحبة الشركة.

ومما يسهل مهمة كشف الغش على الأساتذة، استخدام التشفير الإلكتروني في الوثائق، والصور الموجودة في بعض مواقع الإنترنت. ويقول عدد من الأساتذة أن بالإمكان اكتشاف حالات الغش من خلال الانتباه الزائد، وباستخدام المنطق السليم.

أما كيفن لايرتي، الأستاذ المساعد في كلية التجارة- جامعة واشنطن، فيقول: «بإمكاني اكتشاف الغش في الأوراق البحثية خلال ١٥ دقيقة، وهو الوقت الذي يستغرقه الطلبة في تليفق هذه الأوراق. ويمكنني اكتشاف ذلك، إن لاحظت أن الكتابة ذات أسلوب صحفي، وليس أكاديمياً».

اقترح آخر لكشف الغش، يقدمه الأستاذ روبرت هاريس، أستاذ اللغة الإنجليزية في جامعة ساوثرن كاليفورنيا، وهو اختبار قدرة الطالب على قراءة

(١) موقع بي بي سي أون لاين- العرب - arabic@bbc.co.uk

البحث الذي أعده، بدون لعثمة وتردد.

وتقول ليزا هينكليف، أمينة المكتبة في جامعة إلينوي: إن بعض الطلبة يطبعون أوراق الأبحاث المطلوبة من مواقع ويب مباشرة. ويمكن ملاحظة ذلك من عنوان الموقع الموجود أعلى أو أسفل الصفحة، أو ملاحظة الحروف الرمادية في البحث المقدم.

وأخيراً، يقول رون جونسون، نائب رئيس قسم الحوسبة والاتصالات في جامعة واشنطن: «إن اقتباس فقرات من مصادر متنوعة لن يفيد الطلبة الغشاشين، فحين يقوم أحدهم بقص ولصق فقرات مختلفة، فسيكون البحث المنتج غير سلس. فقد ينجحون في إخفاء غشهم، إلا أنهم لن يحصلوا على معدلات عالية، لأن البحث ذاته غير متقن».

تتعقد مسألة اكتشاف الغش، بالنسبة للأوراق البحثية المكتوبة باللغة العربية، لأن ترجمتها من الإنجليزية إلى العربية، يجعل البحث عن الورقة الأصلية في إنترنت أكثر صعوبة، واستهلاكاً للوقت. ويفضل أن تنطلق عملية البحث عن الغش من المصطلحات الإنجليزية الواردة ضمن الوثيقة، أو من جمل قصيرة وبسيطة التركيب يسهل إعادتها إلى أصلها الإنجليزي^(١).

في بريطانيا: «كشفت صحيفة «صاندي تايمز» البريطانية عن قيام بعض المدرسين^(٢) في بريطانيا بإنشاء مواقع على الإنترنت تساعد الطلبة على الغش، حيث تقوم بتزويدهم بأبحاث ومقالات جاهزة، فضلاً عن أنها تمنحهم وعوداً بالنجاح في الامتحانات!». وذكرت الصحيفة البريطانية الأحد ٨ / ٤ / ٢٠٠١ أن موقع www.revise.it الذي أسسه مدرسون بمدرسة «إيتون» ومدرسة «بيرس»

(١) موقع بي بي سي أون لاين arabic@bbc.co.uk.

(٢) الأصل في هؤلاء المدرسين أن يكونوا قدوة لتلاميذهم، ويعملوا على محاربة الغش بدلاً من ترويجه وتشجيعه، لكن كما قيل:

يقوم بتوفير كافة الأبحاث والمقالات التي يطلبها المدرسون من الطلبة كواجبات دراسية، كما يضع الطلبة اسمهم عليها بطريقة تجعل من الصعب كشفها.

وأشارت الصحيفة إلى أن عدد مرات دخول الطلبة على ذلك الموقع تبلغ مليون مرة أسبوعياً، وأن ٥٢ مدرساً قاموا الشهر الماضي بإنشاء موقع آخر هو www.studyzones.com يقوم باستقبال أبحاث الطلبة ومراجعتها، وإضافة الملاحظات وإرجاعها لهم بعد ٤٨ ساعة من استقبالهم للبحث أو المقال، مؤكدة أن الهيئات التعليمية البريطانية تحظر مثل هذه المساعدات التي تقدمها المواقع للطلبة.

وقد أعرب أحد المسؤولين التربويين في بريطانيا عن مخاوفه من أن هذه المواقع ستتسبب في ضعف أداء الطلاب للواجبات المدرسية. كذلك وصف مسئول آخر هو «ديفيد هارت» تلك المواقع بأنها تطور خطير، مؤكداً أنها ستؤدي إلى تدهور مستوى الطلبة^(١).

٤- الغش عن طريق بيع الأسئلة:

وهذا ما جرى في بنجلاديش: «حيث تعتبر ممارسات الغش في بنجلاديش واسعة الانتشار وخصوصاً في المناطق الريفية، وقد ابتكر التلاميذ طرقاً جديدة للغش في الامتحان.

التفوق في الامتحان يقود إلى وظائف مرموقة.

فالطرق التقليدية للغش تتضمن جلب بعض الأوراق التي تتضمن أجوبة للأسئلة التي يعتقد التلميذ بأنها ستأتي ضمن الأسئلة إلى قاعة الامتحان بشكل سري، لكن بعض التقارير أشارت إلى أن نسخاً من أسئلة الامتحان أصبحت متوفرة للبيع في السوق السوداء.

(١) بحث تفصيلي صادر بتاريخ (٩/٤/٢٠٠١) بعنوان مواقع إنترنت تساعد الطلبة على الغش - تاريخ الحدث (٨/٤/٢٠٠١) - موقع إسلام أون لاين.

كذلك أصبح بإمكان التلاميذ الآن أن يطلعوا على أسئلة الامتحان مقدماً مقابل دفع مبلغ معين من المال»^(١).

وفي سبيل محاربة الغش «وضعت السلطات التعليمية البنغالية إعلانات في صدر الصفحات الأولى للصحف البنغالية لحث التلاميذ على عدم الغش في الامتحان. وتحذر الإعلانات من أن الحكومة اتخذت إجراءات صارمة لوقف الغش في الامتحانات وأن أي شخص يضبط غاشاً في الامتحانات سيعاقب عقوبة صارمة.

ويتوقع أن يؤدي الامتحان في آخر الشهر الحالي آلاف التلاميذ البنغاليين وتقول الحملة الإعلانية ضد الغش في الصحف والتلفزيون: إن الغش يجب أن يتوقف من أجل بنجلاديش وإن على التلاميذ أن يتحلوا بالجرأة في محاولاتهم للقضاء على ممارسات الغش»^(٢).

ومع ذلك فإن السلطات التعليمية في بنجلاديش قد وجدت صعوبة جمة في القضاء على هذه الظاهرة بسبب أهمية النجاح والتفوق في الامتحان فيما يتعلق بفرص العمل ونوعيته بعد التخرج واعتماد ذلك على نتيجة الامتحان.

فكلما كانت نتيجة الامتحان جيدة تحسنت فرص التلاميذ في الحصول على الجامعة التي يرغبون فيها أو الحصول على وظيفة في دوائر الدولة.

أما بالنسبة للمدارس التي لا تظهر نتائج جيدة فإنها ستخسر التمويل الذي تحصل عليه من الحكومة ويمكن أن تواجه الإغلاق أو التقليل، كذلك فإن المدارس الأهلية لا بد أن تبرهن للآباء بأن تلاميذها يصلون إلى أعلى المراتب كي تتمكن من المنافسة مع المدارس الأخرى.

وقد أشارت الصحف البنغالية مؤخراً إلى العديد من الحالات التي قام بها

(١) موقع بي بي سي أون لاين.

(٢) الأخبار العالمية لموقع بي بي سي أون لاين.

مدرسون^(١) بتعليم التلاميذ كيف يغشون في الامتحان كما اقترحت جمعية المعلمين البنغاليين بتعليق نشاطات اتحاد الطلاب إلى ما بعد الامتحان المقرر في العاشر من مايو / أيار^(٢).

واقعة عجيبة: (هجوم بالقنابل ردًا على منع الغش)!!:

«قالت الشرطة في مدينة باتنا: إن طلبة في كلية بيطرية بولاية بيهار الهندية التي تعصف بها الجريمة أصابوا عميد الكلية بحروق شديدة حين هاجموا سيارته بقنابل حارقة بعد منعهم من الغش في امتحان.

وأفادت الشرطة: إن البروفيسور ماني موهان براساد أصيب بحروق بنسبة ٣٠ بالمائة حين هاجم الطلاب سيارته بينما كانوا يركبون دراجات بخارية.

وقالت الشرطة أنه تم إلقاء القبض على اثنين من الطلاب وأغلقت الكلية إلى أجل غير مسمى^(٣).

أما في بنجلاديش: ف«تقول جمعية المعلمين أن اتحاد الطلاب الذي ينشط سياسيًا، يساعد التلاميذ على الغش مقابل حصوله على تأييدهم السياسي.

واتهمت الجمعية اتحاد الطلاب بتهديد المراقبين بالعنف، والوقوف وراء مصادمات حصلت مؤخرًا بين الشرطة وبعض الأشخاص غير المرخص لهم بدخول قاعة الامتحان، وقال وزير التعليم البنغالي إن قوات الأمن ستكون متأهبة لأي احتمال كما تم تحذير المراقبين ليكونوا محترسين ومتنبهين لأي أعمال غش^(٤).

(١) انظر التعليق السابق (ص ٢٥١).

(٢) الأخبار العالمية لموقع بي بي سي أون لاين.

(٣) «مجلة البيان الإماراتية» - الجمعة (٨/٤/١٤٢٢هـ - ٢٩/٧/٢٠٠١).

(٤) الأخبار العالمية لموقع بي بي سي أون لاين.

يسمونها بغير اسمها :

«يعتبر الغش ليس إلا مراجعة جماعية لما تم استذكاره طوال العام . . إنه نوع من التعاون تفرضه أجواء «الامتحانات المتوترة»، هذا باختصار رأي طالبات إماراتيات في الغش في الامتحانات، فلم يجدن منه بُدًا، ولم يريته شيئًا شائنًا .

وتطفو مناقشة ظاهرة الغش وفنونها وتداعياتها على سلوك كثير من الطالبات في الإمارات مع بداية امتحانات الفصل الأول من العام الدراسي ٢٠٠١-٢٠٠٢، فتكشف دراسة ميدانية أجرتها باحثة تربوية بوزارة التعليم «نورا راشد» عن أن ٤٨,٦٪ من طالبات المرحلتين الإعدادية والثانوية يرين أن الغش في الامتحانات نوع من التعاون لا غبار عليه .

وإدعى حوالي ٤١,٢٪ منهن أنه أشبه بمراجعة جماعية لما تم استذكاره طوال العام الدراسي، حيث إن الطالب الذي اجتهد طيلة العام يمكنه استرجاع ما نسيه من معلومات إذا ما تشاور مع زملائه أثناء الامتحانات .

وبررن موافقهن بأن رهبة الامتحانات مسئولة عن نسيان ما تم استذكاره طوال العام . وذهبت الدراسة التي شملت ٢٠٠ طالبة من المرحلتين الإعدادية والثانوية أن ظاهرة الغش في الامتحانات تكثر بصورة لافتة بين طلاب المرحلة الإعدادية دون غيرها من مراحل التعليم المختلفة، حيث أجمعت الطالبات أن بداية عهدهن بالغش كانت في المرحلة الإعدادية .

وأكد ٧٤,٦٪ من عينة البحث أن بداية ممارستن للغش كانت في المرحلة الإعدادية، في حين ذهبت ١٨,٧٪ منهن إلى أنهن مارسن الغش لأول مرة في سنوات المرحلة الثانوية .

وأشارت الدراسة إلى أن نسبة كبيرة من الفتيات لا يجدن أي حرج في تبادل

وسائل الغش المبتكرة مع زميلاتهن باعتباره نوعاً من التعاون^(١) من أجل النجاح وواجب تفرضه الزمالة والصدقة^(٢).

معالجة الغش :

١- «ترشيد الحياة / التربية الأسرية : إن التعرف على أساليب الحياة والتربية الأسرية وما يعترها من قوة وضعف يؤدي بالجهات المدرسية المعنية لمشاركة الأسرة في التغلب على المظاهر الأسرية التي تضعف من تركيز أبنائها على الدراسة ورفع قدراتهم بالتالي على التعلم والتحصيل .

٢- تنظيم دورات تدريبية مكثفة وورش عمل تقييمية لمن يحتاج من المعلمين ، بإدارة أفراد مختصين مؤهلين من إدارات التعليم المركزية أو كليات ومعاهد التربية، تتراوح هذه الدورات أو الورش بين يومين وخمسة أيام ، وتهدف بالدرجة الأولى لتطوير ميول ومهارات التقييم المتنوعة لدى المشتركين فيها بما يفيد تعلم التلاميذ ويوجه تحصيلهم المدرسي .

٣- استطلاع عام في أول السنة الدراسية ومنتصفها لأفراد التلاميذ حول مواطن الصعوبة التي تواجههم في تعلم المادة الدراسية، سواء كانت هذه الصعوبات تخص المعلم أو المنهج أو الأقران أو الإدارة المدرسية أو الغرفة الدراسية أو البيئة المحلية ثم تحليلها وتحديد معوقات التعلم لدى كل تلميذ ومعالجتها نفسياً وتربوياً حسب طبيعة هذه المعوقات .

٤- (الرفق في المعاملة والنصيحة عند الخطيئة) تجنب (العقوبات الصارمة) والضرب والوعيد والتهديد للتغلب على مواطن الضعف في التحصيل المدرسي . وما يثيره من رغبة بالغش في اختبارات وأداء واجباته . «لأن الرفق ما كان في شيء

(١) التعاون الشرعي : هو ما كان على البر والتقوى ، أما التعاون على الغش فهو من التعاون على الإنم والعدوان ؛ لأن الغش حرام في ديننا ، بل في كل الشرائع والقوانين الدولية .

(٢) «الغش في امتحانات الإمارات» - موقع «إسلام أون لاين» - .

إلا زانه وما انتزع من شيء إلا شانه»، بل إنه «لا يأتي إلا بخير»، «ومن يحرم الرفق يحرم الخير كله» لذلك فإن الله ﷻ يقول مخاطباً نبيه: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(١)، فمدار الدعوة: الرفق والمجادلة بالتي هي أحسن.

٥- تعليم التلاميذ للمبادئ والمفاهيم الأساسية المتعلقة بمواطن ضعف التحصيل لديهم، فإذا كان قصور التلميذ يتركز على سبيل المثال في القسمة، فلا سبيل لنا للتغلب على هذا إلا بتعليمه عمليات أساسية سابقة لمهارة القسمة الرياضية كالجمع والطرح والضرب.

ونؤكد هنا بأن التربية المدرسية تتكون من سلسلة متدرجة من المعارف والمفاهيم والمهارات، تبدأ بسيطة محدودة في التربية الابتدائية وتنتهي مركبة متخصصة في الثانوية والجامعية.

فكل نوع من المعارف والمفاهيم والمهارات يجسد في الواقع مطلباً سابقاً لقريناته اللاحقة.

٦- تطوير الخرائط التربوية لأساليب الإدراك الخاصة بالمعلمين والتلاميذ.

٧- الميل للإيجاز في المتطلبات الكتابية أو الدراسية للواجبات والاختبارات. إن الصفحات الكثيرة والتفاصيل المتناهية لا تستجيب لرغبات التلاميذ ومشاكلهم (أو مشاكلهم) الخاصة هذه الأيام كالفديو والرحلات والسفر والسيارة والكرة والنوادي وسهرات أو جلسات الشلل والهوايات الخاصة الأخرى البناءة (أو السلبية) التي تتوفر لدى العديد منهم وتأخذ قسطاً كبيراً من تركيزهم وانتباههم وتغلب على أفضلياتهم واهتماماتهم الشخصية.

وعليه، نرى بأن الإيجاز التربوي أصبح ضرورة ملحة لسببين رئيسيين:

(١) سورة آل عمران: (آية ١٥٩).

الأول: يفرضه روح العصر، حيث نعيش ما يعرف بعصر السرعة. . . عصر الساندويش في معظم مظاهرنا الحياتية. . . فلماذا التطويل الزائد إذن في متطلبات تربيتنا المدرسية؟ للحشو. . . هذا لا يفيد. . . للتعجيز وهذا بطبيعته غير إنساني وغير عادل، أو لإشغال الوقت. . . وهذا بدوره لا يؤدي في الغالب للمطلوب، لأن التلاميذ باهتماماتهم ومشاغلتهم الخاصة غير مستعدين للتخلي عما يريدون خاصة إذا أدركوا مدى الروتين وعدم الفائدة الكبيرة التي تسود تعلمهم.

والثاني: تنص عليه نتائج الدراسات التربوية الحديثة، ويتمثل في تدريس المفاهيم والمبادئ والقواعد العامة التي تخص المادة الدراسية دون هوامشها وتفصيلها ثم توفير الفرص التربوية المدرسية المناسبة لممارستها وتعميمها.

وماذا يبقى لأفراد التلاميذ إذا وفرنا لهم وعلمناهم تفاصيل كل شيء. . . لا شيء يذكر، سوى تحولهم لنسخ كربونية، أو مرايا عاكسة لما نقول ونفكر ونسلك. . . الأمر الذي يدركه كثير من التلاميذ الآن فيتمردون علينا برفض التعلم والنمو الذي نريده لهم، متحددين سلطاتنا التربوية عادة بالغش في تنفيذهم للمطلوب.

لقد حان الوقت لتحديد المبادئ والعموميات في موادنا وخبراتنا المدرسية والعمل على تدريسها للتلاميذ بصيغ وأساليب مناسبة لإدراكهم ولغتهم ثم تركهم يقومون بتفسيرها وتوضيحها والتعبير عنها بطرقهم الخاصة وحسب تصوراتهم الإدراكية الذاتية.

إن هذا النوع من التعلم هو أعمق أثرًا في شخصياتهم وحياتهم، وأكثر تذكراً واستخداماً لديهم من نظيره القائم على الإملاء والتفصيل المتناهي الرتيب.

٨- تنسيق المعلمين فيما بينهم يوميًا أو أسبوعيًا على الأكثر بخصوص ما يكلف به التلاميذ من واجبات واختبارات.

إن إعطاء كل المعلمين في آن واحد لواجبات متعددة أو اختبارات تخص

موادهم الدراسية سوف يؤدي في غمرة ضعف التلاميذ أو عدم قدرتهم على تنظيم أوقاتهم لإهمال القيام بها كلياً أو جزئياً أو إلى اللجوء للغش في أدائها .

إن التنسيق التربوي البناء كمّاً وكيفاً ونوعاً بين المعلمين لمتطلبات موادهم الدراسية سيحفز في التلاميذ الرغبة على التركيز ويشجع فيهم عموماً الأداء الأمين الجاد لواجباتهم .

٩- توفير الوقت الكافي لتعلم أفراد التلاميذ لمتطلبات المادة الدراسية .

فالحصة الواحدة المخصصة رسمياً لذلك لا تكفي في العادة لتعلم جميع تلاميذ الفصل للمطلوب ، حارمة بعضهم من استيعابه أو فهمه جزئياً أو كلياً ، يؤدي هذا الأمر- إذا لم نتداركه في حينه- لشعور هؤلاء بعدم كفاية تعلمه وعدم قدرتهم بالتالي على أداء الاختبارات أو الواجبات المدرسية الأخرى ، مما يحفز لديهم- كطريقة سهلة للنجاح وتمير المادة الدراسية- الغش أو النقل .

١٠- التعرف على ظروف التلاميذ الأسرية والشخصية وتحديد المشاكل الرئيسية التي تأخذ منهم جل وقتهم واهتماماتهم ثم الاستجابة لها إنسانياً وتربوياً بما يتفق مع ميولهم وقدراتهم الفردية ومتطلبات النجاح المدرسي في الوقت ذاته .

١١- التعرف على أسباب أو مواطن عدم ميل التلاميذ للمعلم ثم التحقق من صحة مشاعرهم هذه وإقناع المعلم بعدئذ بإجراء التغييرات المطلوبة على سلوكه أو تدريبه والتغيير المباشر لصالح التربية المدرسية .

١٢- تكوين عادات تنظيم الوقت لدى التلاميذ ، إذا كانت سبباً في عدم قيامهم بواجباتهم أو دراستهم في الوقت المناسب ، مؤدياً بهم إلى الغش بالنقل عن أقران لهم أو الاعتماد على الغير في إجاباتهم لأسئلة الاختبار .

١٣- متابعة الأسرة لأبنائها مدرسياً . فهناك الكثير من الأسر لا تعرف الفصل أو المدرسة التي يتعلم فيها أبنائها .

إن هذا التسبب في التوجيه وعدم الاهتمام بما يقوم به التلاميذ وما يواجهونه

من مصاعب ونجاحات يشجع فيهم اليأس وخيبة الأمل والشعور بالعزلة ويسهل لديهم تبني أي سلوك قد يساعدهم على تحقيق ما يحتاجون .

إن ساعة أو اثنتين شهرياً يقضيها الأب أو الأم في زيارة المدرسة أو الاتصال الهاتفي بها بالإضافة لمتابعتها الأسرية ستكون كفيلة بإبقاء قنوات الاتصال المدرسي - الأسري مفتوحة، فعالة وفورية في معالجة الكثير من مشاكلنا التربوية كالغش والتسرب وضعف التحصيل .

١٤- رفع الضغط النفسي وغير النفسي عن أفراد التلاميذ لمزيد من التحصيل وعدم مطالبة الأسرة أو المعلم أي تلميذ لإنجاز ما لا يستطيع أصلاً أو يمثل خلف قدرته أو طاقته الإدراكية والتحصيلية، وإذا كان لابد من زيادة تحصيل التلميذ فيجب توجيهه لأنشطة إضافية متدرجة في صعوبتها وتتفق بشكل أساسي مع قدرته الحاضرة ثم تقوية هذه القدرة مرحلة بعد أخرى حتى يصل التلميذ ذاتياً إلى المستوى التحصيلي المطلوب .

١٥- التعليم الخاص للتلاميذ من قبل الأسرة مباشرة أو الاستعانة بمعلم مؤهل لذلك .

١٦- التعليم الخاص للتلاميذ من قبل المدرسة بتخصيص فترات مسائية لمن يرغب أو يحتاج لذلك .

١٧- إنشاء أكاديميات الشارع أو ما نسميه بالكافتيات الأكاديمية . يمكن أن تتنوع هذه الأكاديميات في تخصصاتها الدراسية وعددها بقدر تعدد مدارس المدينة أو المنطقة وتنوعها، وعلى العموم نستطيع خلال فترة تتراوح بين أسبوع وشهر واحد وبتكاليف محدودة نسبياً تأسيس هذه الأكاديميات وتخطيط أهدافها وبرامجها وأنشطتها التربوية واختيار عاملها بصيغ تكفل معها إغناء التعلم لدى بعض التلاميذ والتغلب على مواضع الضعف لدى البعض الآخر، مؤدياً هذا لارتفاع قدراتهم التحصيلية وتحسين مفهوم الذات لديهم والقضاء بالتالي على

عادات تربوية سيئة كالغش والتسرب واللامبالاة بالتربية المدرسية .

١٨- إنشاء خدمة هاتفية مدرسية، عمالها هم معلمون مختصون ومؤهلون يقومون خلال فترات محددة وحسب خطط موضوعة بالإجابة على أسئلة واستفسارات التلاميذ، بما يخدم تعلمهم وقيامهم البناء بواجباتهم الدراسية بما في ذلك الاستعداد للاختبارات والأداء الناجح لمتطلباتهم . الأمر الذي يصبح معه الغش أو النقل سلوكًا غير ضروري لدى الكثير من التلاميذ، ويمكننا خلال أسبوع واحد وبقليل جدًا من التكاليف تأسيس هذا الإجراء التربوي في مدرسة أو أكثر بالمنطقة التعليمية وتخطيط البرامج والعمليات والأحكام التنظيمية التي تجعل منه أداة فعالة في تحقيق الأهداف المدرسية والتغلب على كثير من مشاكلها بما في ذلك الغش وضعف التحصيل .

١٩- إنشاء خدمة هاتفية عامة، متخصصة بالمشاكل والقضايا المدرسية . حيث يبادر أفراد التلاميذ أو أولياء أمورهم بالاتصال بها في أي وقت وعرض المشكلة التي يواجهونها»^(١) .

وإن السبب الرئيس لانتشار ظاهرة الغش في الامتحانات غياب الوازع الديني بين الطلبة المتورطين في هذه الجريمة، وإن «على الأسرة أن تنمي الوازع الديني في نفوس أبنائها، فالخطوة الأولى للقضاء على هذه الظاهرة تبدأ من التربية الدينية السليمة، وغرس قيم العمل والكد في نفوس الأبناء حتى لا يستسهل الأبناء النجاح بوسائل غير مشروعة ومحرمة . . . في ظني أن المسئول عن انتشار هذه الظاهرة أن بعض من نجحوا بالغش ربما حققوا تفوقًا يزيد عن اجتهدوا طيلة العام، واعتمدوا على أنفسهم، وبالتالي فإن هؤلاء شكلوا نموذجًا سيئًا يغري المجتهدين بتكراره، خاصة أنه سيعفيهم من مجهود السنة كلها»^(٢) .

(١) «رسالة الغش في الاختبارات» (ص ٢٥-٤٠) بتصرف .

(٢) المرجع السابق، بتصرف يسير .

إضافة إلى «أن نظام المناهج والامتحانات يشجع على الغش ومكافأة الغشاشين، حيث يحرص واضعو أسئلة الامتحانات على صياغة أسئلة تتطلب إجابتها الحفظ والإجابة، كما ورد في الكتاب، وبالتالي نجد من ينجحون بالغش يحققون تفوقاً غير مستحق يتجاوزون به من اعتمدوا على أنفسهم، ولم يمارسوا الغش»، فيجب المطالبة بأن تعتمد الامتحانات على استكشاف قدرة الطالب على الاستنتاج والفهم دون أن يجد نفسه مضطراً لحفظ ما بين دفتي الكتاب، مؤكدة أن هذه هي الطريقة الوحيدة لمحاصرة الظاهرة، خاصة أنها ستجعل الغش دون فائدة، وبالتالي فلن يلجأ إليه الطلبة مهما اختلفت وسائلهم^(١).

نصائح

أولاً: «الإدارات التعليمية»:

تشمل مديري الإدارات التعليمية وعمداء الكليات والمعاهد ومديري المدارس في مختلف مراحلها التعليمية، وتناط بهذه الإدارات التعليمية مهمة وضع الأنظمة والتعليمات الخاصة بالاختبارات ثم مراقبة تطبيقها مع الإشراف على وضع أسئلة الاختبارات النهائية وتشكيل لجان التصحيح وإعلان النتائج كما تتولى معالجة المشكلات التعليمية كضعف المعلم التعليمي أو السلوكي أو صعوبة المنهج ومدى ملاءمته للمستوى الفكري للطلاب أو ظاهرة التخلف الدراسي ومعرفة أسبابها وغيرها.

لذا كان اللقاء مع الإدارات التعليمية هاماً جداً في إنجاز عمليات التنظيم والضبط وتحقيق السلامة والاستقامة وتدارك الكثير من الزلات والأخطاء وسد أهم الثغرات المخلة في عمليات الاختبارات وأهم توصياتي لهم:

(١) «الغش في الإمارات العربية المتحدة» موقع إسلام أون لاين.

١- الإشراف المباشر والميداني على تطبيق الأنظمة ومراعاة التعليمات بكل دقة ومتابعة حتى لو كانت إجراءات شكلية وبسيطة في نظر البعض ، وعدم الاكتفاء بالتوجيه المكتبي معتمداً على الآخرين من مساعدين وأساتذة .

٢- تأمين أجهزة الرقابة الحازمة على الاختبارات لتكون العين اليقظة والقدرة الواعية التي تمنع كل حركة مشبوهة أو التفاتة خاطفة أو محاولة خادعة ، ولا ينشط الطلاب في عملية الغش والاحتيال سراً أو جهراً إلا عند ضعف هذه الرقابة أو تغافلها .

٣- المحافظة على سرية أسئلة الاختبارات والحرص على إخفائها في مختلف مراحل إعدادها باختيار الأسئلة المناسبة من مجموعة كبيرة يعدها أساتذة المادة ثم طبعها لدى من يوثق بدينه واستقامة سلوكه حتى لا تتسرب هذه الأسئلة إلى من يجامل بها أو يتاجر فيها .

٤- الحرص على حسن اختيار المعلم من حيث صحة معتقداته الإيمانية واستقامته الخلقية وقدراته التعليمية ومتابعة الرقابة على حسن عطائه وسلامة أدائه وبذلك نحقق في قلوب الطلاب محبة للمعلم وللمادة التي يدرسها وانسجاماً في الدراسة وحرصاً على الدوام مما يقيهم شر التفكير في أية عملية غش في مسيرتهم التعليمية .

٥- الاعتماد في تقويم المعلم على أسس سليمة بعد التأكد من قدراته التعليمية وبحوثه الفكرية وتعلق الطلاب بحضوره واستفادتهم من عطائه من خلال الجولات الميدانية المفاجئة لمحاضراته .

ومن الخطأ الجسيم أن يتم تقويم المعلم من خلال نسبة نجاح طلابه فقط لأن ذلك سيدفعه إلى ارتكاب أخطاء تعليمية متنوعة أهمها التساهل في نوعية الأسئلة وتحديد موضوعات الاختبارات أو اختصارها وزيادة الدرجات الممنوحة للطلاب بغير استحقاق كما سيشجعهم على ترك الرقابة الحازمة عند اختبار طلابه

أو توضيح الإجابة لهم أو مساعدة المقصرين منهم .

٦- ترك الفرص الكافية قبيل مواعيد الاختبار وبين المادة والأخرى حتى يتسنى للطلاب إكمال استعدادهم وتحضيرهم بكل ثقة وطمأنينة وبذلك نسد عليهم ما قد يتذرعون به من أعذار متنوعة تدعوهم إلى ارتكاب عملية الغش»^(١) .

٧- القيام بحملات توعية مكثفة للطلاب^(٢) قبيل الاختبارات التحذير من عملية الغش»^(٣) .

ثانياً : المعلمون :

١- «الإخلاص في القصد في عملية التربية والتعليم ابتغاء مرضاة الله ورغبة في ثوابه لأنه المنطلق الصحيح لسلامة المسلك وصحة العمل ونيل الفضل وذلك بالتوجه الكامل نحو إعداد شخصية الطالب المتعلم إعداداً متكاملًا في سلامة عقيدته وإقامة عباداته واستقامة سلوكه وتفوقه العلمي ، وكل إخلال بهذا القصد النبيل سيعقبه تقصير في هذه الرعاية الشاملة وفقدان للمثوبة وخيانة للأمانة»^(٤) .

٢- «التحلي بالفضائل الخلقية التي أمرنا بها ديننا القويم كالحلم والأناة والصبر والعدل والرفق والتواضع والعفة واللطف في الحديث لأن المعلم هو المثل الأعلى في أعين طلابه يقتدون به ويتخلقون بأخلاقه ويستمعون إلى نصحه ، وهذه الفضائل الخلقية هي الوسيلة العملية لارتباط الطالب بأستاذه ومحبته له

(١) «الغش في الاختبار» (ص ٥٢-٥٤) .

(٢) قلت : من الواجب أن يقوم بهذه الأمانة علماء ربانيون أو طلاب علم مجتهدون ممن عرفوا بسلامة المنهج وصحة العقيدة كي يكون في قلوب الطلاب خاصة والمستمعين عامة أثر بالغ في دعوتهم فلا تعطى لمن ظاهره المعصية فترد عليه نصيحته وتقلب عليه دعوته ولا لمن ظاهره التقوى والاستقامة على الدين وقلبه يقطر بدعًا ويسيل حقدًا فيزيدون الجرح شقًا ويدسون في العسل سمًا يخدعون أنفسهم وما يشعرون ويظنون أنهم مصلحون أولئك هم المفسدون .

(٣) المرجع السابق (ص ٥٥) .

(٤) المرجع السابق (ص ٥٦-٥٧) .

وللمادة التي يدرسها لديه ، وهي الأسلوب الأمثل لتمكين المعلم من أداء واجباته وبلوغ الأهداف التربوية والتعليمية التي يتطلع إليها .

٣- الإتقان في أداء الواجب التعليمي ؛ لأن المعلم هو العنصر الفعال في عملية التعليم فعلى قدر ما يحمل في رأسه من علم وفكر وما يحمل في قلبه من إيمان برسائله ومحبة لتلاميذه ، وما أوتي من موهبة وخبرة في حسن طريقة التعليم يكون نجاحه وأثره في أبنائه وطلابه .

ويتحقق هذا الإتقان الوظيفي بالتحضير الجيد للمادة العلمية وإلقائها شفهيًا بعد استعراض مخطط الدرس وفقراته الرئيسية وتكرار النقاط الغامضة فيه والاستعانة بالوسائل التعليمية المناسبة والتأكد من فهم الطلاب للمعلومات التي ينقلها إليهم بمراجعتة السريعة في نهاية الدرس وتلقي الأسئلة الاستفسارية والتعرف الشخصي على الصعوبات والمعوقات الدراسية التي يعرضها عليه الطلاب ، وتخصيص دقائق في مطلع الدرس لمراجعة الدرس السابق لحث الطلاب على المراجعة المستمرة وربط السابق باللاحق ، ثم الاعتماد على الاختبارات الدورية الشفهية التي تكشف قدرات الطالب العلمية ومستواه الدراسي ، ويتولى المعلم أيضًا مهمة معالجة مشكلة التخلف الدراسي والتأخر عن الدوام والتقصير في أداء العبادات والانحراف السلوكي لأنها أبواب الفشل الدراسي والداعية إلى الغش التعليمي .

٤- الحرص على استغلال المناسبات لعملية التوجيه والإرشاد لتقديم الموعدة الحسنة والنصيحة النافعة ، لأن مهمة المعلم لا تقتصر على نقل المعلومات من الكتاب المقرر إلى عقول الطلاب وإنما تتعداها إلى هدف أسمى وأعظم هو تكوين شخصية الطالب فكريًا وخلقياً واجتماعياً وثقافياً ليكون عضواً نافعاً في المجتمع وداعية مخلصاً لدينه ورجل البناء والعطاء في مستقبل أمته ، وتتركز هذه التوجيهات التربوية التي يجب أن يهتم بتقديمها المعلم مهما كان نوع اختصاصه في دعم مفاهيم العقيدة الصافية وإقامة العبادات الخالصة والتحلي

بالأخلاق الفاضلة والاستزادة من العلوم النافعة وإشغال وقت الفراغ بالأنشطة الهادفة والبعد عن سبل الغواية والخمول واجتناب عمليات الغش والاحتيال»^(١).

٥- «حسن اختيار المعلم لأسئلة اختباراته لتكون بعيدة عن التعقيد والغموض حتى لا تثير القلق والاضطراب في نفوس الطلاب مما يؤثر على أداء امتحانهم، والأفضل أن يختار المعلم الأسئلة الاستنتاجية والمسائل التطبيقية قدر الإمكان حتى يقطع على من ينوي الاستفادة من الملخصات التي يخفيها والورقات التي ينوي الغش بها»^(٢).

ثالثاً : اللجان التأديبية :

«لا يكفي في مهمة اللجان التأديبية أن تتولى سرعة إنزال العقوبة بالطالب الغاش بعد ثبوت الغش والتعرف على ظروف العملية بل يجب أن يسبقها توجيه تربوي وتأنيب شديد حتى يشعر الطالب بسوء تصرفه وخطر فعلته ويندم على ما فرط في حق نفسه وحق الجهة التعليمية التي ترعاه.

ومهما أبدى الطالب الغاش من مبررات وأعدار صادقة كانت أو كاذبة فلن يقبل منه كمسوغ للإقدام على عملية الغش الخطيرة والاحتيال المحرمة ولا بد من إيقاع العقوبة المناسبة بحقه بعد مراعاة ظروفه الصادقة والتأكد من توبته وندمه على خطئه وعدم وجود سابقة سلوكية له أملاً في تصحيح سيره التعليمي وتعديل مواقفه السلوكية، وعند تكرار الطالب لعمليات الغش تعمد اللجنة التأديبية عندئذ إلى اتخاذ العقوبات الأشد وقد تبلغ الفصل النهائي بعد تأكدها من عجزه عن متابعة تعليمه بكل جد وإخلاص حتى لا يحصل على الشهادات التعليمية بالزيف والاحتيال والغش فيؤذي نفسه ومجتمعه»^(٣).

(١) «الغش في الاختبار» (ص ٦٠).

(٢) المرجع السابق (ص ٥٧-٥٩).

(٣) نفس المصدر (ص ٦١-٦٢).

رابعًا: الطلاب:

١- «لا يظفر طالب العلم بمرضاة الله ورعايته وعظيم ثبوته إلا بإخلاص النية في طلب العلم وطلب العون منه والتوكل عليه فهو السبيل الأقوم لسلامة مسيرته التعليمية وكمال تحصيله وراحة نفسه وسعادتها.

وحين يتخلى طالب العلم عن هذه النية الخالصة ويتجه بأهوائه نحو المكاسب المادية والأطماع الوظيفية فإنها ستدفعه حتمًا إلى طريق الانحراف والجشع وارتكاب عمليات الغش والاحتيال.

٢- لا يقبل طالب العلم على الاختبارات التعليمية باطمئنان وثقة إلا بعد التحصيل العلمي الكافي وتوفير القدرات الفكرية المناسبة له وذلك من خلال المواظبة على حضور المحاضرات وبذل الوقت والجهد في المذكرات وإزالة الغموض والإشكالات بالاستفسارات، وعند اللقاءات والاستعانة لها بملخصات مكثفة ومخططات موجزة ترسخ في ذهنه المعلومات المحفوظة، وتسهل له مراجعتها ليلة الاختبار مع الابتعاد عن الشواغل التافهة والملهيات الضارة، وعندما يستعد الطالب لخوض الاختبارات بإمكانات متفوقة فإنه يتجاوز كل العثرات الطارئة والصعوبات المتوقعة معتمداً على نفسه بعد توكله على المولى جل وعلا.

٣- لا يتوفر لطالب العلم الاطمئنان القلبي والراحة النفسية يوم الاختبارات إلا بالابتعاد عن كل ما يثير القلق ويسبب الإرهاق العصبي من السهر الطويل والإكثار من تناول المنبهات مما يضعف الذاكرة وينسي المعلومات المحفوظة، ويزيد الخوف من شبح الاختبار وعندئذ سيدفعه قلقه إلى اتباع خطوات الشيطان بالمخاطرة في عملية الغش والانتحال فيكون مصيره الفشل المحتوم والخسران الفاضح.

٤- عند تعرض طالب العلم لحادث طارئ قبيل الاختبار عليه أن يتحلى

بالإرادة الحازمة وعلو الهمة والتجمل بالصبر ذاكراً قول الحق - تبارك وتعالى - في علاج مثل هذه المواقف الحرجة والظروف الصعبة : ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(١) ، وعندما يستعمل المؤمن عقله الرصين في الموازنة بين نتيجة تقصيره في الاختبار واحتمال ضعف الدرجات أو الرسوب في إحدى موادها وبين المخاطرة في عملية غش تعرضه لعاقبة وخيمة وعقوبة شديدة تؤثر على سيره الدراسي وسمعته السلوكية فإنه حتماً سيختار الطريق الأسلم والضرر الأخف وسيستعيد بالله من شرور النفس الأمارة بالسوء ومن سيئات الأعمال وأخطارها .

٥- بعدما يتورط طالب العلم في عملية غش وتزوير سولت له نفسه بها وأملى عليه شيطانه بها فإنه لا يكفي للطالب المسلم أن يشعر بالخطأ ويعلم الندم بل لابد له من التوبة الصادقة والاستغفار المخلص والرضا بالعقوبة التي استحقها ولو كانت قاسية على نفسه عسى أن تكون كفارة عن الخطأ يوم العرض الأكبر ووسيلة ردع له وإصلاح لنفسه .

وكم يجب أن يشتد الغاش خوفاً واضطراباً عند ظفره بعملية الغش دون أن تقتربن بإجراءات تأديبية لأن إخفاءها عن أعين البشر لا ينقذه من العقوبة يوم القيامة : ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾^(٢) ، وفي هذه الحال يجب أن تتضاعف لدى طالب العلم عملية المحاسبة الذاتية ويتكرر منه التائب النفسي ويعمد إلى إصلاح حاله بالإقدام الجريء والعزم الصادق على الاعتراف بما غش فيه وكشف ما أخفاه أمام إدارته أو معلميه ليتمكن من إعادة دراسة المادة التي غش فيها فينال إعجاب أساتذته وتقديرهم ويقتدي بمواقف السلف الصالح باعترافهم الصريح بالجريمة التي ارتكبوها والخطأ الفاحش الذي اقترفوه إعلاناً لتوبتهم الصادقة وتكفيراً لذنوبهم في الحياة الدنيا قبل العرض يوم الآخرة حتى ولو كلفهم اعترافهم

(١) سورة التوبة : (آية ٥١) .

(٢) سورة الحاقة : (آية ١٨) .

فقدان حياتهم .

وبهذه الإجراءات التصحيحية والتصرفات الإصلاحية يتدارك طالب العلم خطر تخرجه بمؤهلات ناقصة أو قدرات ضعيفة أو سلوك منحرف ويحفظ نفسه من غضب الله ونقمته لعل الله بعدها يقبل توبته ويغفر ذنبه كما قال سبحانه : ﴿ كَتَبَ رِيبَكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنْتُمْ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) (٢) .

غش الأدوية والأعشاب والأطباء والمستشفيات

نماذج من غش الأدوية والأعشاب والأحجار كما وردت في كتب الأدوية المفردة

«اعلم أن هذا الباب من أهم الأشياء التي ينبغي للمحتسب الاعتناء بها والكشف عنها ويجب على المحتسب أن لا يمكن أحداً من بيع العقاقير وأصناف العطر إلا من له معرفة وخبرة وتجربة، ومع ذلك يكون ثقة أميناً في دينه، عنده خوف من الله تعالى، فإن العقاقير إنما تشتري من العطارين مفردة ثم تُركَّب غالباً، وقد يشتري الجاهل عقاراً من العقاقير معتمداً على أنه هو المطلوب ثم يبتاعه منه جاهل آخر فيستعمله في الدواء متيقناً منفعته فيحصل له باستعماله عكس مطلوبه ويتضرر به، وهي أضرت على الناس من غيرها؛ لأن العقاقير مختلفة الطبائع والأدوية على قدر أمزجتها فإذا أضيف إليها غيرها أحرقها، فحينئذ يعتبر المحتسب على العطارين ما يغشون به العقاقير» (٣) .

(١) سورة الأنعام: (آية ٥٤) .

(٢) «رسالة الغش في الاختبار» (ص ٦٣-٦٦) .

(٣) «معالم القرية في أحكام الحسبة» لابن الأخوة (ص ١٢١-١٢٢) - دار المنبهي .

غش القسط البحري :

قال الملك المظفر الرسولي : ومنه صنف ثالث رائحته رائحة الصبر ، وهو إلى السواد ، والرومي من هذه الأصناف له رائحة ساطعة ، وأجوده الأبيض الحديث الممتلئ غير المتآكل ، يلذع اللسان ، ثم الهندي الأسود الخفيف ، وهو يغش بأصول الراسن الصلبة ، وهو لا يحذي اللسان ولا رائحة له قوية^(١) .

وقال ابن الأخوة : «ويغشون القسط الحلو بأصل الراسن ، ومعرفة غشه أن القسط له رائحة ، وإذا وُضع على اللسان له طعم ، والراسن بخلاف ذلك»^(٢) .

غش قفر اليهود :

القفر اليهودي بعضه أجود من بعض ، والجيد منه ما كان لونه شبيهاً بلون الفرفير ، براقاً قوي الرائحة رزينا ، وأما الأسود الوسخ فرديء ، لأنه يغش بزفت ، ومنه جنس رطب يتولد من ماء البحر وفي غيره من المياه القائمة بمنزلة الزبد ، وما دام فوق الماء فهو رطب سيال ، ثم إنه يجف بعد ذلك حتى يصير أصلب من الزفت اليابس^(٣) .

غش الكندر :

وأما قشور الكندر فأجوده ما كان ثخيناً يلزق طيب الرائحة حديثاً أملس ليس بدقيق ، وقد يغش بقشر الصنوبر وقشر الينبوت ، وقد يحرق كما يحرق الكندر^(٤) .

غش لبان الذكر :

«يغشون اللبان الذكر بالصمغ والقفونية ، ومعرفة غشه أنه إذا طُرح منه شيء

(١) المعتمد في الأدوية المفردة (ص ٣٨٧) .

(٢) «معالم القرية» (ص ١٢٣) .

(٣) المعتمد (ص ٣٩٣) .

(٤) المعتمد (ص ٤٣٥) .

على النار التهبت القلغونية ودخنت وفاحت رائحتها»^(١).

غش المصطكا :

وأجوده ماكان يبرق وكان أحمر مشرقاً، وما كان أبيض بياضه مثل بياض الموم ثقيل الحصى مفرط اليبس هين الانفراك طيب الرائحة، وأما الأصفر فهو دون .

وقد يغش بالكندر وصمغ الصنوبر، والأبيض منه يسمى علك الروم^(٢).

غش العنبر :

وأجوده الأشهب القوي، ثم الأزرق، ثم الأصفر، وأردؤه الأسود، ويغش من الجص والشمع واللادن والمنده وهو صنفه الأسود، وكثيراً ما يوجد في أجواف السمك الذي يأكله ويموت^(٣).

«وغش العنبر المعجون إذا أضيف إليه الشمع، فإذا حميت مسلة وتشكها في خرزة العنبر فإن سال على المسلة فهو شمع، وإن انكسرت الخرزة وبان فيها عشب أخضر فهو عنبر، ويغش أيضاً بشيء يقال له لسان حب العصفور، ومعرفة غشه إن عمل على النار وتصلب فهو لسان عصفور، وأن عمل في ماء وانحلّ فهو لسان عصفور»^(٤).

وإن «فيهم من يعمله من زبد البحر والصمغ الأسود والشمع الأبيض والعندروس والعود والسنبل ويخدمه ويخلطه بمثله»^(٥).

(١) «معالم القرية» (ص ١٢٢).

(٢) المعتمد (ص ٥٠٠).

(٣) المرجع السابق (ص ٣٣٩).

(٤) «معالم القرية» (ص ١٢٥).

(٥) المرجع السابق (ص ١٢٦).

غش اللؤلؤ:

يغش اللؤلؤ البحري الأنفس والأثمن والأجود باللؤلؤ النهري الأقل جودة والأرخص ثمنًا، كما يغش اللؤلؤ المستدير باللؤلؤ المستطيل وغيره من اللؤلؤ المثقب، وهذا الأمر استفدناه من أحد إخواننا المشتغلين بتجارة اللؤلؤ أثناء زيارتنا في هذا العام لأندونيسيا إلى جزيرة (لُمبُو) للدعوة إلى الله تعالى.

غش الكاشم الرومي:

«ينبت في الجبال الشاهقة وله ساق صغيرة دقيقة شبيهة بساق الشَّبَث، وعُقد عليها ورق شبيه بورق إكليل الملك إلا أنه أنعم منه، طيب الرائحة . . . وعلى طرف الساق إكليل فيه ثمر أسود مصمت إلى الطول ما هو شبيه ببزر الرازيانج . . . ويغش ببزر ساساليوس^(١)»^(٢).

غش البنفسج:

يستخلص من البنفسج زيت بكلفة مالية كبيرة، فإن خمسة عشر (١٥) طنًا من البنفسج تعطي رطلًا واحدًا من الزيت (الرطل = ٢٥٦٤ غرامًا)، ولما كان العطر البنفسجي الحقيقي نادرًا ومرتفع الثمن جدًا فقد استبدل بالمستحضرات الصناعية التي تؤخذ من الأيوئين، وهي مادة كيماوية لها رائحة البنفسج، ولما كانت رائحتها نفاذة جدًا، فإنها تستعمل في صنع عطر البنفسج على مدى واسع وبكلفة يسيرة^(٣).

غش الزعفران:

قال أحمد قدامة في قاموس الغذاء: وفي الأطعمة كان الزعفران يحتل مكانًا أوليًا في صنع أكثر المأكولات وتطبيب طعمها، ولكن في الأطعمة الحديثة فقد

(١) ينظر لشرح هذه المفردات الطيبة كتابي الموسوعي: «التوعية في إصلاح مضار الأغذية والأدوية» يَسَّرَ اللهُ طبعه.

(٢) المعتمد (ص ٤٠٦).

(٣) قاموس الغذاء والتداوي بالنبات لأحمد قدامة (ص ٩٠).

أيضاً مكانته، وزاحمه العصفر^(١)، وحل محله في المجالات الباقية له، بل أصبح عنصراً يغش به الزعفران في استعمالاته الصناعية وغيرها^(٢).

«ومنهم من يغش الزعفران الشعري بلحم الدجاج أو لحم البقر بعد سلقه بالماء ثم ينثر بالملح ويجفف، ثم يخلطه فيه، وعلامة غشه أن يأخذ منه شيئاً وينقعه في الخل، فإن تقلص فهو مغشوش باللحم، وإن لم يتقلص فهو خالص، ويغش المطحون بأبو مليح أو الجريش، وإظهار غشه أن يُذوّب منه شيء فيترك في خرقة فيبقى فيها شيء لا ينزل، وفي مطحنه خشونة، وإذا صبغت منه شيئاً كان صبغه مائلاً إلى الخضرة ورائحته ضعيفة، وأيضاً يؤخذ منه شيء فيذوّب في الماء، فما رسب كان مغشوشاً.

وأجود الزعفران الطري الحسن اللون الشديد الحمرة الذكي الرائحة، ومنهم من يخلط الجنوي مع الكيتلاني ويبيعه بجنوي، والمعسل بالكيتلاني ويبيعه بجنوي»^(٣).

غش الصبر:

«شجرة الصبر لها ورق كورق الإشقييل، وله رطوبة تلتصق باليد... وفي حرفي كل ورقة شبيه بالشوك، وجميع هذه الثمرة ثقيل الرائحة، مر المذاق جداً وعرقها واحد شبيه بوتد.

وقد يغش بصمغ، ويتبين الغش فيه من المذاق وشدة الرائحة، ومن أنه لا ينفرك بالأصابع إلى أجزاء صغار، ومن الناس من يخلط به الأفاقيا... والصبر إذا عُشَّ انكسرت حدته، والمغشوش أسرع في ذلك»^(٤).

(١) العصفر: قال في المعتمد (ص ٣٢٧): هو الذي يصيغ به، ومنه ريفي ومنه بري، وكلاهما ينبت في أرض العرب وبزره القُرْطَم.

(٢) قاموس الغذاء والتداوي بالنبات لأحمد قدامة (ص ٢٥٩).

(٣) «معالم القرية» (ص ١٢٣-١٢٤).

(٤) المعتمد (ص ٢٨١-٢٨٢).

غش جوز الشرك - هو تين الفيل - :

«شجر ينبت ببراري السودان أطراف الحبشة ويعظم حتى يقارب الجوز الشامي، ويثمر ثمرًا كالجوز؛ لكنه دقيق القشر أحمر يبلغ في السنبله فتسقط عنه هذه القشرة ويبقى أغبر إسفنجي لطيف محشو ببزر كالفلفل لكن إلى استطالة . . . وإذا طبخ مسحوقًا مع ربهه فلفل وسلقت الكرسنة في مائه وجففت غش بها الفلفل ولم يكديعرف»^(١).

غش الزمرد :

«معدن شريف في الجامدات كالذهب في المطرقات . . . ويغش بالماشت، ويفرق بأن الماشت يحكي ما تحته»^(٢).

غش الراوند :

«أصله أسود قريب إلى الحمرة، لا رائحة له، رخو إلى الخفة، وأقواه فعلاً ما كان منه غير مسوس، وكانت له لزوجة وقبض ضعيف، وإذا مُضغ كانت في لونه صفرة وشيء من لون الزعفران.

وهو خشب يغش بأن يطبخ جيداً وتؤخذ مائته، فتجفف عصارته ثم يجف خشبه بعد الطبخ، ويباع كما هو، فيكون حيثئذ أشد قبضاً وتكاثفاً وهو صنفان: صيني وخراساني، ويعرف براوند الدواب»^(٣).

غش القُسط الهندي :

«وهو غليظ أسود خفيف مرّ المذاق. يغش بأصول الراسن الصلبة وهو

(١) تذكر داود الأنطاكي (١/٢٥١).

(٢) المرجع السابق (١/٤٢٩-٤٣٠).

(٣) المعتمد (ص ١٨١-١٨٢).

لا يحذي اللسان، ولا رائحة له قوية»^(١).

وكثير من الغشاشين يبيعون للناس القسط القديم المتآكل والمسوس والمتعفن، فلا ينتفع منه بشيء، بل ربما أضر من استعمله.

غش الدارصيني:

«شجر هندي يكون بتخوم الصين كالرمان؛ لكنه مبسط وأوراقه كأوراق الجوز؛ إلا أنها أدق ولا زهر لها ولا بزر له، والدار صيني قشر تلك الأغصان لا كل الشجرة»^(٢). ويغش بالقرفة «فجسمه يقرب من جسم القرفة على الحقيقة في خفته وتلاحمه وحمرة لونه، إلا أن حمرة أقوى ولونه أشرق وجسمه أرق وأصلب، وأعواده ملتفة رفاق مقصفة شبيهة بأنابيب قصب الساج، إلا أنها مشقوقة طولاً غير ملتحمة ولا متصلة، وطعمه ورائحته مشاكلة لرائحة القرفة على الحقيقة وطعمها في ذكائها وعطريتها وحرافتها، إلا أن الدار صيني أقوى حرارة وأقل حلاوة وعفوصة، وأما القرفة بالحقيقة فمنها غليظ ومنها رقيق، وكلاهما أحمر وأملس، مائل إلى الحلو فيه قليلاً، وظاهره حسن أحمر اللون إلى البياض قليلاً، على لون قشر السليخة، ورائحتها ذكية عطرة، وفي طعمها حدة وحرافة، مع حلاوة يسيرة، وأما المعروفة بقرفة القرنفل، فهي رقيقة صلبة إلى السواد مائلة، ليس فيها تخلخل، ورائحتها وطعمها كالقرنفل، إلا أن القرنفل أقوى قليلاً، وهذا الدواء في غاية الحرارة من الدرجة الثالثة... وأما قرفة الدار صيني فكأنها دار صيني ضعيف، وبعض الناس يسميه دار صيني دون»^(٣).

غش الساساليوس «ويقال سيسالي»:

هو «نبت رومي وفارسي تمنشي منه عريض الأوراق ودقيقها وأما بزره

(١) المعتمد (ص ٣٨٦-٣٨٧).

(٢) تذكرة داود (١/٤٣٩).

(٣) المعتمد (ص ١٤٥-١٤٦).

كالكمون وكالحنطة وكالشبت وكالخردل . . . يغش بالكاشم، ويعرف بعدم الصفرة والحدة في ذلك، وبالأنجدان، ويعرف بطيب الرائحة»^(١).

غش السورنجان:

«نبت يتقدم غالب النباتات آخر الشتاء إثر الثلوج في الجبال والروابي وأولاد الشام تأخذه فتشويه وتأكله ويسمونه الأزار وهو يطول إلى شبر ويزهر أبيض وأصفر، وأصوله كأنها البصل الصغير إلى استدارة ولين قد حشيت رطوبة وعليها قشر أحمر، وأجوده الأبيض الطيب الرائحة وغيره من الأحمر والأسود سم قاتل. ويغش باللعة والفرق بينهما قشر كالبصل عليه ويدرك بشمس الثور»^(٢).

غش البلسان:

«شجرة مصرية تشبه السذاب ولونها أبيض . . . والجيد منها ما كان حديثاً قوي الرائحة، خالصها، ليس فيه رائحة الحموضة شيء، سريع الانحلال بالماء، لين قابض ويلذع اللسان لذعاً يسيراً.

وقد يغش بالآدهان، كدهن حبة الخضراء، وكدهن شجرة المصطكا.

والسبيل إلى معرفة الخالص منه أن تقطر منه على صوفة، ويغسل بالماء فإن لم ير فيها أثر فهو خالص - والمغشوش يبقى في الصوفة منه أثر، وأيضاً الخالص منه إذا قطر على لبن أجمده والمغشوش لا يفعل ذلك، والخالص منه إذا قُطر منه على ماء ينحل ثم يصير إلى قوام اللبن بسرعة.

والمغشوش يطفو مثل الزيت ويجمع ويتفرق، ويصير مثل الكوكب، والخالص على طول الزمان يثخن ويجمد ويفسد، وأجود العود ما كان حديثاً، دقيق العيدان، أحمر اللون، طيب الرائحة، وخشناً يفوح منه رائحة البلسان،

(١) تذكرة داود (١/٤٥٢).

(٢) المرجع السابق (١/٤٨٩).

وأجود حبه الأشقر الممتلئ الثقيل الذي يلذع اللسان ويحذو حذواً يسيراً ويفوح منه رائحة دهن البلسان»^(١).

غش الزباد (عرف حيوان):

«يشبه السنور البري بين سواد وبياض . . يرتعي المراعي الطيبة ويعلف السنبل الرطب، ويوضع في أقفاص الحديد، ويلعب فيسيل الزباد من حلم صغار بين فخذه فتمد له معالق الفضة أو الذهب ويؤخذ .

وهذا الحيوان لا يعيش غالباً إلا بالبلاد الحارة كالحبشة وأطراف الصين . . . ويعرف الأجود منه بوجود طيور حمر فيه كالذباب الصغير وإذا دلكت به اليد لم يدبق، وإن غسل بالماء لم تنزل رائحته .

ويغش بمحلول الظفر في الغالية ونحو المصطكى وبعض الطيوب ويعرف بما ذكر»^(٢).

غش الحلتيت:

«وهو صمغ الأنجدان أو هو صمغ المحروث - ويسمى بمصر الكبير، وهو صمغ يؤخذ من النبات المذكور . . . أجوده المأخوذ من جبال كرمان وأعمالها، الأحمر الطيب الرائحة الذي إذا حل في الماء ذاب سريعاً وجعله كاللبن .

والأسود منه رديء قتال، ويغش بالسكينج والأشق فيضرب إلى صفرة وقوته تبقى إلى سبع سنين»^(٣).

غش الجنطيانا: بالفارسي (كوشد) وبالعجمية (شلشكة):

«وهي أغلظ من الراوند، وورقها مما يلي الأرض كورق الجوز ثم يصفر

(١) المعتمد (١/٣٣).

(٢) التذكرة (١/٤١٦-٤١٧).

(٣) التذكرة (ص ٢٩١).

مشرفا ويطول الأصل، ويزهر زهراً أحمر إلى الزرقة يخلف ثمراً في غلف كالسمسم، وكلما احمرّ هذا النبات كان أجود، ويدرك بآب وأيلول، وتبقى قوته إلى ثلاث سنين، وقوة عصارته إلى سبعة إذا خزنت في الخزف.

وتغش بالأفستين، والفرق جودة الرائحة هنا وقدم الصفرة^(١).

غش الساذج (بلانون):

«نبت يقوم على خيوط شعري تطول قدر الماء كالبشتين بمصر. . . ينبت من قابل حتى يفرش ورقه على الماء، وهي مبسطة لا خطوط فيها دون سائر الأوراق ولذلك سمي ساذج. . . ويغش بورق السنبل الهندي لشدة اشتباههما حتى ظن أنه هو وبورق الجوز ويعرف بعدم الخيوط وقد يكون في ورقته خط واحد»^(٢).

غش الزئبق. أحد أصلي المعادن كلها:

«يوجد قطرات تزيد إلى أن تمتزج ويستخرج أيضاً من أحجار زنجفرية بالنار على طريق التصعيد، أما في البلاد الباردة الجبلية كأقاصي المغرب، والروم وأطراف السابغ، فيسيل فيها إلى الأغوار ويجتمع فيلتقي بذهب أورصاص، وإنما كثر لعدم الكبريت هناك والشرقي منه المصعد والغربي الخام، ويغش بتراب يلتقط من النواحي المذكورة، ويعرف جيده بالاجتماع بعد التقطيع بسرعة، وهو في الحقيقة ما صفي من تراب لطيف قطرات بعد قطرات محلولة، لا فضة معلومة كما ذكر؛ لأنه أصل الفضة وغيرها»^(٣).

غش الجندبادستر:

«وهو حيوان يصلح أن يحيا في الماء وخارج الماء، وأكثر ذلك يكون في الماء

(١) المرجع السابق (١/٢٤١-٢٤٢).

(٢) المرجع السابق (١/٤٤٢).

(٣) التذكرة (١/٤٤٠). وسيأتي بيان بعض المحاذير في استعماله في مبحث التحذيرات والتنبيهات.

ويتغذى فيه بالسّمك والسرّاطين، وخصاه هو الجندبادستر وأكثر ما يكون مع الحيتان والتماسيح.

وقد يغش بأشق أو بصمغ معجوناً بدم وجندبادستر، ويصيرونه في مثنات ويجففونه»^(١).

غش المسك :

«يغش المسك بالراوند التركي أو دم الأخوين ورامك القاطر، يعمل في نافجة . ومعرفة غشه أنه إذا سُحق في ماورد فإن الماء يحمرّ والراوند يطفو على وجه الماورد لأنه خشب .

والمسك الخالص إذا سُحق قويت رائحته ورشح ، ومنهم من يغش المسك فإنهم يعملون نافجة المسك من قشور الأملج والشيطر ج الهندي ، وعليها سادروان ويعجنونه بماء وصمغ الصنوبر ، ويجعلون من هذا أو مثله مسكاً ، ويحشون به النافجة ويسدّون رأسها بالصمغ ثم يجففونها على رأس تنور . ومعرفة غشها وسائر غشوش النوافج أن يفتحها ويلثمها كالمتحسّي للشيء ، فإن طلع إلى فيك من المسك حدّة كالنار فهو فحل لا غش فيه من دم ولا غيره ، وإن كان بالضدّ فهو مغشوش . ومعرفة غش أنواع المسك أن تضع شيئاً في فيك ثم تتفله على قميص أبيض ثم تنفضه ، فإن انتفض ولم يصبغ فلا غش فيه من دم ولا غيره ، وإن صبغ ولم يُنفض فهو مغشوش ، ومنهم من يسحقه بدم الغزال ثم يحشيه في مصرانها ، ومنهم من يغشه بالخبز المحروق ، ومنهم من يغشه بالكبود المحرقة»^(٢).

وقال الملك التركماني : «يغش بالدم وغيره . وإن سلم من الغش وأودع برانيّ الزجاج ، وأحكم عفاصها ووكاؤها ، ورد إلى الأمصار كالتبتي»^(٣).

(١) المعتمد (ص ٧٣-٧٤).

(٢) «معالم القرية» (ص ١٢٤-١٢٥).

(٣) المعتمد (ص ٤٩٦).

غش المقل :

«وهو صمغ شجرة تكون ببلاد العرب وأجوده ما كان مُرًّا صافي اللون، لا يخالطه شيء من خشب ولا وسخ، إذا بُخِّرَ به كان طيب الرائحة . .

وقد يغش بصمغ عربي يخلط به، والمغشوش ليس له من المرارة ما للخالص ولا إذا بُخِّرَ به كانت رائحته طيبة مثل رائحة المقل»^(١).

«ويغش المقل الأزرق بالصمغ القوي، ومعرفة غشه أن الهندي له رائحة ظاهرة، ومنهم من يغش قشور شجر اللبان بقشور شجر الصنوبر، ومعرفة غشه : أن يُلقى في النار فإن التهب وفاحت له رائحة فهو خالص، وإن كان بالضد فهو مغشوش»^(٢).

غش القنة :

«هو صمغ نبات شبيه القثاء في شكله، وأجوده ما كان شبيهاً بالكندر، وكان متقطعاً نقياً متدبّقاً باليد، وليس فيه كثير من الخشب، ولكن فيه شيء يسير من بزر نباته، وخشبه ثقيل الرائحة ليس بمفرط الرطوبة ولا مفراط اليبس، وهو يغش براتينج يخلط به ودقيق باقلاء وأشق»^(٣).

غش الماورد الدمشقي :

«يغش الماورد الدمشقي، وصفة غشه : أن يُعمل في عشرة أرطال ماء ويسير من شحم الحنظل وشبّ، حتى يعطي عفوصة بمرارة، ويظهر غشه بالذوق»^(٤).

(١) المعتمد (ص ٥٠٣).

(٢) «معالم القرية» (ص ١٢٣).

(٣) المعتمد (ص ٣٩٨).

(٤) «معالم القرية» (ص ١٢٥).

غش الجاوشير :

«وهو صمغ شجرة ورقها خشن، شبيه بورق السلق، شديد الخضرة، ولها ساق شبيه بالقتا طويلة، وعليها زغب شبيه بالغبار أبيض، وورقه صغار جدًا، وعلى طرفها إكليل شبيه بإكليل الثَّبت، وزهر أصفر، وبزر طيب الرائحة حاد، وله عروق متشعبة من أصل واحد أبيض ثقيلة الرائحة، عليها قشر غليظ مرّ الطعم. . . وأجود ما يكون من ثمره ما كان منه على الساق، وأجود ما يكون من صمغه أشده مرارة، أبيض الباطن، زعفراني الظاهر.

فأما الأسود منه اللين فهو مغشوش بالأشق وأجود ثمره ما على الساق»^(١).

غش الطباشير :

«هو شيء يكون في جوف القنا الهندي، ويجلب من ساحل الهند كله، وأكثر ما يكون بموضع منه يسمى سندابور، من بلدكلي، حيث يكون الفلفل الأسود، ويقول الهند: بأن أجوده أشده بياضًا، وخاصة عقده التي في جوف قصبه، وشكلها مستدير شكل الدرهم، وإنما يوجد هذا مما احترق من ذاته عند احتكاك بعضه ببعض بريح شديدة تهب عليه. وقد يغش بعظام رءوس الضأن المحرقة»^(٢).

وقال ابن الأخوة: «يغش الطباشير بالعظم المحروق، ومعرفة غشه إذا طُرِحَ في الماء رسبت العظام وطفأ الطباشير، وقيل: إنه أصل القني المحترقة، وقيل: إنها تحترق لاحتكاك أطرافها عند عصوف الرياح فيخرج عنها الطباشير، وأجوده الخفيف الوزن الأبيض السريع التفرك والسحق، وهو بارد في الدرجة الثالثة فيه قبض ويسير تحليل»^(٣).

(١) المعتمد (ص ٦٢).

(٢) المعتمد (ص ٣٠١).

(٣) «معالم القرية» (ص ١٢٢).

غش القطران عند العشائين :

«هو دهن شجر منها الشربين والينبوت والعرعر والعُتْمَ ويميز هذا الدهن بالصوف كما يميز الزيت، وأجوده الذي من العرعر وأردؤه الذي من التَّألب»^(١).

غش الحبة السوداء :

«أما كيفية الحصول على الحبة السوداء فهي باللجوء إلى أهل الثقة من التجار»^(٢) حتى تسلم من الغش بعد أن ثبت أن بعض التجار يخلط زيت الحبة السوداء بزيت الطعام غشًا وخداعًا ومكرًا مما يشكك المرضى من الناس في صدق الأحاديث الصحيحة جرياً وراء الكسب الحرام.

ومحصول الحبة السوداء يبدأ مع بداية العام الميلادي تقريباً ويكون ثمن الكيلو في حدود (٥) جنيهات ومسألة الغريلة وغسلها بعد تنقيتها تكون بمنزلك ثم تأتي للطحان فيقوم بصحنها وطحنها ثم عصرها إن أردت ذلك وإلا تناولها مطحونة أو مخلوطة بعسل النحل، وعند عصرها لا بد أن تتابع هذا بنفسك»^(٣).

ومن غش الحبة السوداء تسخينها عند عصرها لتحفيزها لتعطي زيتاً أكثر، ومعلوم أن تسخينها يفقدها كثيراً من خواصها، خصوصاً المواد الطيارة منها، ومعلوم أنها بالتسخين تعدُّ مادة سامة كالسيانيد.

وبعضهم - هداهم الله - يخلطها ببذور البصل، فيغشها به بنسب مختلفة.

غش التنبول :

هندي ويقال تنبل، ورق نبات يقطيني ينسبط على الأرض، ورق كورق الأترج سبط معرق فيه زغب، ورائحته قرنفلية، وفيه حرارة وحرافة، وأجوده الرقيق السبط

(١) المعتمد (ص ٣٩٢).

(٢) على قلتهم وندرتهم.

(٣) معجزات الشفاء، لأبي الفداء محمد عارف (ص ٨).

الطيب الرائحة الشديد إذا قطع .

ويغش بورق القرفة، أو السادج، والفرق إسكاره وتفريجه، قيل وبورق يجلب من الصين قد ربي بماء البحر، والفرق حرافته، وهو حار في الثانية أو الأولى، يابس في أول الثالثة، يقوم مقام الخمر^(١) في كل ما لها من الأفعال النفسية والبدنية، والهند تعاض به عنها^(٢).

غش الأفيون^(٣) المرقد :

«قد يغشون الأفيون وهو المرقد بالباقلاء اليابس المدقوق، وقيل بالعدس، وصفته أنه من عصارة الخشخاش الأسود المصري، أجوده الكثيف الرزين المرّ القوي الرائحة جدًا، السهل الانحلال في الماء الحار، وينحلّ في الشمس ويكون هشًا، وهو أبيض مائل إلى حمرة يسيرة، وفي طعمه مرارة وقبض، يحلّ بماء ويصفى، فإن بقي منه ثقل فهو مغشوش، وأما الأصفر الضعيف الرائحة الصابغ للماء الصافي اللون، فإنه مغشوش، ويغش بالمميثا ولبن الخس البرّي والصمغ، والمغشوش بالصمغ يكون برآقًا صافيًا جدًا»^(٤).

غش زغب السنبل :

«وقد يغشون زغب السنبل بزغب القلقاس، ومعرفة غشه إذا وُضع في الفم

يغثي ويحرق»^(٥).

(١) قلت : القاعدة الشرعية : ما أسكر كثيره فقليله حرام، وبما أنه يسكر كالخمر فهو محرم، وإن أدمن عليه شيوخ الهند وعلمائهما من المتصوفة والتبليغ وغيرهم، وقد رأيتهم يأكلونه بشراهة وإدمان يلوث أفواههم ويلونها بلون الدم، بمنظر قبيح مقرف، فحري بالعلماء أن يفتوا بتحريمه ومنعه.

(٢) تذكرة داود (١٩٩/١)

(٣) الأفيون حرام مغشوشًا كان أم غير مغشوش، لكن إدخال عناصر غريبة فيه، قد تزيد في سميته وأذيته لمتعاطيه، وإذا

كان الدخان عندنا حرام، فكيف بالأفيون!؟

(٤) «معالم القرية» (ص ١٢٣).

(٥) المرجع السابق (ص ١٢٣).

غش الهليلج المرّبي :

«وغش الهليلج المرّبي أن يعمل في بطيخة خضراء بالغة يوماً واحداً، فإذا لان يضاف إليه عسل النحل والرب خرّوب، ومعرفة غش ذلك بطعمه ولونه، فإن عمل البلاد أسود ولحمه عيزار، وهذا يكون لحمه خفيفاً حايلاً، وفي طعمه قوة»^(١).

غش العود الهندي :

«منهم من يغش العود الهندي فيأخذ الصندل يبرده حتى يصير مثل العود، وينقعه في مطبوخ الكرم العتيق، ثم يروّحه ويخلطه بالعود الهندي، ومعرفة غشه أن يلتقى في النار فتظهر رائحة الصندل، ومنهم من يعمل من قشور خشب يقال له الابلين، فينقعه في ماء الورد المدبّر بالمسك والكافور أياماً ثم يخرجه ويغليه ويروحه»^(٢).

غش الكافور :

«منهم من يعمله بنحاة الخراطين المدبّر، ومنهم من يعمله ملحاً من حجارة النوشادر ويكسره قطعاً صغاراً ثم يخلطه به، ومنهم من يعمل من نوى البلح يدهه حتى يصير مثل الزبد ويجعل عليه مثله كافوراً ثم يعجنه بماء الكافور ويبسطه رقيقاً مثل الكافور.

ومعرفة غشوش الكافور التي ذكرناها وما لم نذكرها : هو أن يلتقى منها شيء في الماء فإن رسب فهو مغشوش، وإن طفا فهو خالص، وأيضاً يلتقى منها على خرقة ثم يجعلها على نار، فإن طار ولم يثبت فهو خالص، وإن احترق وصار رماداً فهو مغشوش»^(٣).

(١) المرجع السابق (ص ١٢٥-١٢٦).

(٢) «معالم القرية» (ص ١٢٦).

(٣) المرجع السابق (ص ١٢٦).

غش اللازورد:

«اللازورد الخالص إذا عمل على النار يعطي زرقة ولم يصعد، وإذا كان فيه غش صعد واحترق، ومعرفة غشه الزجاج المغربي والنيل الهندي والجير الرخامي مشوي شيئاً لطيفاً ويظهر ذلك بالنار»^(١).

غش المحمودة:

«غش المحمودة بلبن اليتوع، ويغش أيضاً بدقيق الكرسنة، ويعمل أيضاً في نشارة القرون المحروقة، ويعجن بماء الصمغ معمولة في هيئة المحمودة الأنطاكية الرقيقة، والجيد منها ما كان رقيقاً كلون الغري، وما كان منها يحذو اللسان حذواً شديداً فهو مغشوش بلبن اليتوع وهو يبييض لونها»^(٢).

غش الشمع:

«منه ما يُغش بالزيت الغليظ، ومنه ما يخلط وقت سيله بدقيق الباقلاء والحمص المسحوق، ومعرفة إظهار غشه أنه إذا وضع في ماء فإن طفى فوقه فهو خالص، وإن رسب فهو مغشوش، وخلاص المزغول بالزيت وبالأشنان والماء، ومنهم من يبطنه فيجعل تحته الشمع الأسود ويسمى الزنجاري، أو وسخ الشمع، ويجعل فوقه الشمع الأبيض النقي، فيعتقد المشتري أن جميعه على هذه الصفة، وأيضاً يُكثر القطن إذا كان رخيصاً تحته، وبيعه بسعر الشمع. وهذا كله غش وتدليس، فيراعي المحتسب ذلك جميعه عليهم من غير إهمال»^(٣).

(١) المرجع السابق (ص ١٢٧).

(٢) «معالم القرية» (ص ١٢٧).

(٣) المرجع السابق (ص ١٢٧).

بعض صور الغش في المراكز النظامية والمستشفيات والأطباء

«الطب علم نظري وعملي أباحت الشريعة تعلّمه لما فيه من حفظ الصحة ودفع العلل والأمراض عن هذه البنية الشريفة، وقد ورد في ذلك أحاديث؛ فمنها ما ورد عن عطاء بن السائب قال: دخلتُ على أبي عبد الرحمن الأسلمي أعوده، فأراد غلام له أن يداويه، فنهيته، فقال: دعه، فإني سمعت عبد الله بن مسعود يخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أنزل الله داءً إلا له دواء»^(١)، وربما قال سفيان: «شفاء علمه من علمه، وجهله من جهله». وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يا أيها الناس تداووا فإن الله لم ينزل داءً إلا وأنزل له شفاء»^(٢)، وعن جابر قال: «بعث رسول الله ﷺ طبيباً إلى أبي بن كعب فكواه، وعن جابر قال: رُمي رجل يوم الأحزاب على أكحلّه، فكواه النبي ﷺ بيده، وعن أبي هريرة قال: احتف برجل من الأنصار يوم أحد من أصحاب النبي ﷺ، فدعاه النبي طبيبين كانا بالمدينة، فقال: «عالجاه»، فقالا: يا رسول الله، إنّنا كنّا نعالج ونحتال في الجاهلية، فلمّا جاء الإسلام فما هو إلا التوكّل، فقال: «عالجاه، فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء، ثم جعل فيه شفاء»^(٣)، فعالجاه فبرئ.

وهو من فروض الكفاية، ولا قائم به من المسلمين، وكم من بلد ليس فيه طبيب إلا من أهل الذمة، ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلّق بالأطباء من أحكام الطب، ولا نرى أحداً يشتغل به ويتهافتون على علم الفقه لاسيما الخلافات والجدليات والبلد مشحون من الفقهاء ممن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع،

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٨)، وابن ماجه برقم (٤٣٣٩)، وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٤٥٢).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٧٧/١)، ٤١٣، ٤٤٦، ٤٥٣، وابن ماجه رقم (٣٤٣٨).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٠٤)، وأحمد (٣/٣٣٥)، وابن حبان (٦٠٦٣).

فليت شعري كيف يرخص الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة، وإهمال ما لا قائم به، هل لهذا سبب إلا أن الطب ليس يتيسر التوصل به إلى تولي القضاء والحكومة والتقدم به على الأقران، والتسلط على الأعداء، هيهات قد اندرس علم الدين، فالله المستعان وإليه الملاذ بأن يعيدنا من هذا الغرور الذي يسخط الرحمن ويضحك الشيطان.

والطبيب: هو العارف بتركيب البدن ومزاج الأعضاء والأمراض الحادثة فيها وأسبابها وأعراضها وعلاماتها، والأدوية النافعة فيها، والاعتياض عما ليس يوجد منها، والوجه في استخراجها، وطريق مداواتها بالتساوي بين الأمراض والأدوية في كمياتها، ويخالف بينها وبين كمياتها، فمن لم يكن كذلك فلا يُجْعَلُ له مداواة المرضى، ولا يجوز له الإقدام على علاج يخاطر فيه ولا يتعرض لما لا علم له فيه، وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «من تطيب ولم يُعلم منه طب قبل ذلك، فهو ضامن»^(١).

وينبغي أن يكون لهم مقدّم من أهل صناعتهم، فقد حُكي أنّ ملوك اليونان كانوا يجعلون في كل مدينة حكيمًا مشهورًا بالحكمة، ثم يعرضون عليه بقية أطباء البلد فيمتحنهم، فمن وجده مقصّرًا في علمه أمره بالاشتغال وقراءة العلم، ونهاه عن المداواة.

وينبغي إذا دخل الطبيب على المريض سأله عن سبب مرضه وعن ما يجد من الألم، ثم يرتّب له قانونًا من الأشربة وغيره من العقاقير، ثم يكتب نسخة لأولياء المريض بشهادة من حضر معه عند المريض، وإذا كان من الغد حضر ونظر في دائه، ونظر إلى قارورته، وسأل المريض هل تناقص به المرض أم لا، ثم يرتّب له ما ينبغي على حسب مقتضى الحال، ويكتب له نسخة ويسلمها لأهله، وفي اليوم

(١) رواه أبو داود (٤٥٨٦)، والنسائي (٧٠٣٤، ٧٠٦٨)، وابن ماجه (٣٤٦٦) وغيرهم. وحسنه شيخنا الإمام الألباني رحمته الله في الصحيحة برقم (٦٣٥).

الثالث كذلك ، وفي اليوم الرابع كذلك ، وهكذا إلى أن يبرأ المريض أو يموت ، فإن برئ من مرضه أخذ الطبيب أجرته وكرامته ، وإن مات حضر أولياؤه عند الحكيم المشهور وعرضوا عليه النسخ التي كتبها لهم الطبيب ، فإن رآها على مقتضى الحكمة وصناعة الطب من غير تفريط ولا تقصير من الطبيب قال : هذا قُضِيَ بفروغ أجله ، وإن رأى الأمر بخلاف ذلك قال لهم : خذوا دية صاحبكم من الطبيب ، فإنه هو الذي قتله بسوء صناعته وتفريطه ، فكانوا يحتاطون على هذه الصورة الشريفة إلى هذا الحد حتى لا يتعاطى الطب من ليس من أهله ، ولا يتهاون الطبيب في شيء منه . وينبغي للمحتسب أن يأخذ عليهم عهد أبقراط^(١) الذي أخذه على سائر الأطباء ويحلفهم أن لا يعطوا أحداً دواءً مضراً ولا يركبوا له سماً ، ولا يصفوا سمماً عند أحد من العامة ، ولا يذكروا للنساء الدواء الذي يسقط الأجنة ، ولا للرجال الذي يقطع النسل ، وليغضوا أبصارهم عن المحارم عند دخولهم على المرضى ، ولا يفشوا الأسرار ، ولا يهتكوا الأستار ، ولا يتعرّضوا لما ينكر عليهم فيه^(٢) .

قال تاج الدين السبكي : «الطبيب : ومن حقه بذل النصح والرفق بالمريض ، وإذا رأى علامات الموت لم يكره أن ينبه على الوصية بلطف من القول ، وله النظر إلى العورة عند الحاجة بقدر الحاجة ، وأكثر ما يؤتى الطبيب من عدم فهمه حقيقة المرض ، واستعجاله في ذكر ما يصفه ، وعدم فهم مزاج المريض ، وجلوسه لطب الناس قبل استكمال الأهلية ؛ قال بعض الشعراء :

أفنى وأعمى ذا الطبيبُ بطبه وبكحله الأحياء والبُصْرَاءُ
فإذا نظرت رأيت من عميانه أمماً على أمواته قُرَاءُ

(١) لقد ضيع أكثر الأطباء عهد الله وعهد رسوله ، فضلاً عن عهد أبقراط ، مع أن أكثره صالح ، ولو أخذ به الأطباء بنية صالحة من غير أن يعارض الشرع والدين لأفلحوا وأنجحوا وأنقذوا ملايين المرضى من الهلاك أو المرض ، ولكن هيهات هيهات .

(٢) «معالم القرية» (ص ١٦٥-١٦٨) .

وعليه أن يعتقد أن طبه لا يردّ قضاء ولا قدرًا، وأنه إنما يفعل امتثالًا لأمر الشرع، وأن الله تعالى أنزل الداء والدواء، وما أحسن قول ابن الرومي:

غلط الطبيب عليّ غلطة مورد عجزت موارده عن الإصدار
والناس يلحون الطبيب وإنما غلط الطبيب إصابة الأقدار^(١)

قال الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي رحمته الله في شرح حديث «من تطبب ولم يعلم منه طب فهو ضامن»:

«هذا الحديث يدل بلفظه وفحواه على أنه لا يحل لأحد أن يتعاطى صناعة من الصناعات وهو لا يحسنها، سواء كان طبًّا أو غيره، وأن من تجرأ على ذلك فهو آثم، وما ترتب على عمله من تلف نفس أو عضو أو نحوهما فهو ضامن له، وما أخذه من المال في مقابلة تلك الصناعة التي لا يحسنها فهو مردود على باذله؛ لأنه لم يبذله إلا بتغيره وإيهامه أنه يحسن، فيدخل في الغش و«من غشنا فليس منا»^(٢).

أركان المسؤولية الطبية:

«تقوم المسؤولية الطبية على أربعة أركان هي:

الركن الأول: السائل، وهو الشخص الذي يملك الحق في مساءلة الطبيب ومساعدته كالقاضي ونحوه.

الركن الثاني: المسئول، وهو الذي يوجه إليه السؤال، ويكلف الجواب عن مضمونه، سواء كان فردًا كالطبيب، أو جهة كالمستشفى.

الركن الثالث: المسئول عنه، وهو محل المسؤولية، والمراد به الضرر وسببه الناشئان عن فعل الطبيب أو مساعدته أو عنهما جميعًا.

الركن الرابع: صيغة السؤال، وهي العبارة المتضمنة للسؤال الوارد من

(١) «معيد النعم» (ص ١٠٣).

(٢) بهجة قلوب الأبرار، للسعدي - الحديث الرابع والخمسون - (ص ١٣٩). والحديث قد سبق تخريجه.

السائل إلى المسئول»^(١).

أقسام المسؤولية الطبية:

المسئولية الطبية في الشريعة الإسلامية جانبان:

أحدهما: يتعلق بالآداب والأحكام وهو جانب السلوك.

والثاني: يتعلق بالأعمال والطريقة التي تم بها أداؤها وهو جانب العمل.

فأما القسم الأول: فإنه يسأل فيه الطبيب ومساعدوه عن القضايا المتعلقة بسلوكهم وآدابهم، ومن أمثلته: قضايا الغش والكذب التي تصدر ضد الأطباء ومساعدتهم، فيتهم الطبيب بغش المريض بأن يدعي إصابته بمرض جراحي أو يقوم المحلل أو المصور بالأشعة أو المناظير الطبية بالتزوير والكذب في التقارير التي قام بكتابتها، كل ذلك طلباً لأغراض ومطامع شخصية.

فهذه القضايا وأمثالها تجب فيها مساءلة الطبيب ومساعديه عن صحة دعواها، وعند ثبوتها يحكم بإدانتهم أخلاقياً، فيتم تعزيرهم بما يستحقون، كما يحكم بتضمينهم أو القصاص منهم إذا ترتبت أضرار على تزويرهم وكذبهم.

وأما القسم الثاني: فإنه يسأل فيه الطبيب ومساعدوه عن القضايا المتعلقة بأعمالهم الطبية وما ترتب عليها من أضرار، ومن أمثلته: قضايا الخطأ الطبي، سواء كان واقعاً من الطبيب الفاحص أو الطبيب الجراح أو من المساعدين لهما، أو كان مشتركاً من الجميع، فيتهم هؤلاء مثلاً بكونهم خرجوا في أثناء قيامهم بمهامهم عن الأصول المتبعة عند أهل الاختصاص، فنتج عن خروجهم الضرر الموجود في جسم المريض المدّعي.

فهذه القضايا وأمثالها تجب فيها مساءلة الأطباء ومساعدتهم عن صحة

(١) أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها، للدكتور محمد بن محمد المختار الشنقيطي (ص ٤٤٣) - مكتبة الصحابة.

الدعوى، فإذا ثبتت يحكم بالقصاص منهم أو يضمنهم»^(١).

موقف الشريعة من جناية الطيب :

«لجسد المسلم وروحه حرمة عظيمة عند الله - تبارك وتعالى -، دلت نصوص الكتاب العزيز وأحاديث النبي الكريم ﷺ عليها، وحذرت العباد من الاستخفاف بها، وتوعدت من سعى في هلاك الأرواح وتلك الأجساد بغير حق بشديد العذاب وأليمه.

لذلك فإنه لا يجوز للإنسان أن يقدم على العبث بأجساد الناس وتغيير خلقهم السويّة التي أوجدهم الله تعالى عليها وامتّن بها عليهم»^(٢).

إن «الشريعة الإسلامية راعت أمرًا مهمًا لا بد من الحذر منه ووضع الزواجر الكفيلة بدفع ضرره، ذلك أن الأطباء ومساعدتهم بشر يعتربهم ما يعترى النفس البشرية الضعيفة، فقد يخرجون في بعض الأحيان عن القيود الشرعية ويتجاوزونها، معرضين أرواح الناس وأجسادهم للهلاك والتلف المحقق، إما طلبًا لعرض الدنيا وجاهاها من مال أو شهرة أو دعاية، أو إسرافًا وبغيًا واستهتارًا بحرمة تلك الأرواح والأجساد البريئة»^(٣).

«وعلى هذا فإن إلغاء قصد الجناية عند الأطباء ومساعدتهم يعتبر ضربًا من المكابرة فيما ثبت اعتباره عقلاً وحسًا أن يتعرضوا للمغريات والدوافع السيئة التي توجب صرفهم عن المقاصد الحسنة إلى ضدها، وإذا ثبت وجود القصد السيئ عند الأطباء ومساعدتهم ثبتت المسؤولية الجنائية لثبوت موجبها، ووجبت محاسبة الطيب ومساعديه على تلك التصرفات الآثمة ومؤاخذتهم عليها بحسب جرمهم

(١) المرجع السابق (ص ٤٤٦).

(٢) المرجع السابق (ص ٤٥١).

(٣) المرجع السابق (ص ٤٥٢).

وخطيئتهم»^(١)(٢).

من غش أطباء النسائية والتوليد :

١- تدخل الحامل إلى قسم النسائية والتوليد للولادة، وبعد الفحص يتبين أنه لا يوجد توسع في عنق الرحم، فيقوم الطبيب بوضع طلق صناعي مما يسبب إرهاق الجنين فتتحول عملية الولادة الطبيعية إلى عملية قيصرية.

٢- عمليات الإجهاض تتم تحت غطاء عمليات التنظيفات.

٣- نظام العمولات السائد حيث يقوم الطبيب العام بتحويل المريض إلى الطبيب الأخصائي مقابل ١٠٪، ويقوم الطبيب الأخصائي بتحويل الحالة إلى المستشفى، وهي ليست بحاجة إلى دخول، ويطلب لها الطبيب عدة فحوصات مخبرية لا داعي لها مقابل ١٠٪، ومن ثم يكتب له أصنافاً من الأدوية الغالية حتى يرضي مندوب الأدوية أو شركة الأدوية التي تمنحه الهدايا وأثاث العيادة وتذاكر السفر، فيقوم بوصف الدواء بدون داعي إرضاءً لهذه الشركات ومقابل ١٠٪ من الصيدلاني.

٤- بيع العينات الطبية المجانية- والتي لا يجوز شرعاً بيعها-، حيث يقوم الطبيب ببيعها للمريض، وغالباً ما تكون حقن عضلية أو وريدية باهظة الثمن.

٥- أحد الأطباء في الزرقاء يطلب من المريض أن يشتري من الصيدلية المقابلة له إبرة عضلية غالية الثمن (حوالي ١٣ ديناراً) وعندما يحضرها المريض يقوم الدكتور بتبديل الإبرة بأخرى موجودة بالعيادة قيمتها ربع دينار، وبعد خروج المريض يعيدها مرة ثانية للصيدلية حسب الاتفاق، وقد ذكر أن الإبرة نفسها ذهبت وعادت في يوم واحد إحدى عشرة مرة^(٣).

(١) المرجع السابق (ص ٤٥٥) بتصرف يسير.

(٢) ومن أراد التفصيل في أقسام الأطباء وخصائصهم فعليه بالطلب النبوي لشيخ الإسلام الثاني ابن قيم الجوزية رحمته الله.

(٣) قاتل الله أمثال هذا الطبيب؛ إنه والله مجرم كبير يجب أن تنزل فيه وفي أمثاله أقسى العقوبات، حماية للمرضى من مافيا الطب التي وصلت إلى أدنى دركات الوحشية والإجرام المرخص.

٦- أحد أطباء^(١) النفسية يقوم بإعطاء مرضاه إبر عضلية عبارة عن ماء مقطر، ويدفع المريض عشرة دنانير مقابل كل إبرة، وقد أخبرني أحد مندوبي المستلزمات الطبية أن معدل مصروف هذا الطبيب خمسمائة إبرة ماء مقطر شهرياً .

معظم الأطباء يضعون في عياداتهم أجهزة سونار (التراساوند) وعند فحص المريض على الشاشة يقول له الطبيب إنه شاهد التهابات في المعدة وديداناً، أو القولون، أو أملاحاً في الكلى، علمًا بأن هذه الأمور لا يمكن رؤيتها خلال الجهاز، وهو استهزاء بالمريض^(٢).

في معظم المستشفيات الخاصة تقوم القابلة بإجراء عملية الولادة للحامل بالاتفاق مع الطبيب الذي يكون نائماً في بيته أو مشغولاً في عيادته. وقبل الولادة تعطي الوالدة إبرة (DONMICIUM) حيث تهلوس هلوسة شديدة ولا تذكر أي شيء، وتبقى بعد خروج الطفل في غرفة الولادة دون إعلام الأهل أنها أنجبت، حتى يصل الطبيب على راحته، ومن ثم يخرج ليكمل المسرحية ويتقاضى أجر الولادة دون أن يكون له أي يد فيها.

- أما غش أطباء الجراحة، فمعظم حالات الزائدة الدودية لا تكون سوى التهابات بسيطة في الأمعاء.

- أحد أطباء النسائية والتوليد المشهورين والذي يكتفي بمرضاه من دول الخليج وسوريا، ولا يعالج إلا حالات العقم المستعصية بطريقة بسيطة جداً حيث يقوم بحقن حيواناته المنوية^(٣) بدلاً من الحيوانات المنوية للزوج.

- أما غش الصيادلة، فيقوم الصيدلاني بتبديل الدواء وإعطاء البديل. أما

(١) نفس التخريج السابق.

(٢) نفس التخريج السابق.

(٣) وهذا جرم كبير وإثم عظيم؛ ففيه خلط للأنساب، وإلحاق أبناء آباء ليسوا منهم، وهو أشد من الزنا المحرم، ومثل هذا الطبيب يجب على السلطان أن يعززه بما يردعه ولو بهدر دمه والتشهير به.

البديل فلا يكون سوى دواء له عرض خاص ومن مصلحة الصيدلاني تصريفه ،
فيجب دائماً العودة للطبيب بعد أخذ الدواء للتأكد من عدم تبديله .

- ومن صور الغش في المستشفيات وعند الأطباء ما نشرته جريدة الأسواق
العدد: ٢٤٥٤- يوم ٢٢ تموز ٢٠٠١ ص ١٦ بعنوان:

جامعة أمريكية خرجت عن قواعد اللعبة فأوقفت تجاربها

تجارب دوائية تتحول إلى جرائم قتل :

ستضطر جامعة «جونز هوبكنز» الأمريكية المرموقة إلى تعليق جميع تجاربها
السريية على الإنسان- والتي تحظى بتمويل فدرالي- بعد وفاة فتاة كانت تخضع
لاختبار دواء ، وتشير هذه الحادثة بشكل مأساوي إلى الإهمال الذي يتسم به الطب
الاختباري أحياناً .

واعتبر مكتب الحماية الفدرالي في مجال الأبحاث على البشر أن جامعة جونز
هوبكنز خرقت ٢٤ مرة التشريعات التي تنظم التجارب السريية على الإنسان
وأمرتها بتعليقها حتى إشعار آخر .

وجاء هذا الخبر نتيجة وفاة شابة هي أيلين روش كانت بصحة ممتازة، إثر
مشاركتها في تجربة^(١) سريية لدواء اختباري لمعالجة الربو هو الأكراميتونيوم .

وافقت هذه المخبرية الشابة (٢٤ عاماً) مقابل ٣٦٥ دولاراً على استنشاق هذا
الدواء الذي يؤدي إلى انقباض المجاري الرئوية .

(١) متى كان الإنسان حقلاً للتجارب حتى يخاطر بأرواح البشر من أجل أن يثري أصحاب الشركات الدوائية المصنعة
ثراءً فاحشاً، ولو على حساب صحة الناس وسلامتهم، مع صيانة الشرائع السماوية وحتى القوانين الوضعية لحياة
البشر وحقوقهم الإنسانية .

وفي ٧ أيار بعد يومين على تنشقيها الجرعة الأولى ، أصيبت بعجز تنفسي قوي فنقلت على الفور إلى المستشفى غير أنها توفيت في ٢ حزيران بعد أن نازعت ثلاثة أسابيع .

ولم تعلن الجامعة الخبر إلا بعد أسبوعين ، وهي أول حادثة وفاة إنسان خضع لتجربة سريرية منذ ١٩٨٦ .

واتهم مكتب الحماية الفدرالي في مجال الأبحاث على البشر بصورة خاصة الطبيب الاختصاصي في المناعة الدكتور «أل كيس توجياس» الذي أشرف على التجربة السريرية .

ومن بين الأخطاء التي ارتكبتها :

- (١) استخدام مادة لم يتم اعتمادها لبشر .
 - (٢) إهمال تدوين التأثيرات الجانبية التي لوحظت لدى مريض آخر .
 - (٣) تعديل البروتوكول الاختباري من دون العودة إلى رؤسائه .
 - (٤) التخلف عن استشارة دراسات علمية حول تأثيرات الأكراميتونيوم السامة على الرئتين .
 - (٥) كما أنه لم يتم إطلاع المتطوعين للمشاركة في الاختبار على المخاطر التي يتعرضون إليها .
 - (٦) ولم يبلغوا بأن الوكالة الفدرالية لمراقبة الأدوية تعتبر تناول الأكراميتونيوم عن طريق الاستنشاق إجراءً تجريبياً .
- ووجه اتهام صارم إلى الجامعة نفسها بالإهمال في الإشراف على التجارب على الإنسان . .
- وأعلنت الجامعة أنها ستتحمل المسؤولية الكاملة عن حادث الوفاة مشيرة أنها

ستسرع عملية اتخاذ إجراءات تصحيحية، غير أن المسؤولين فيها احتجوا بحدة على التعليق القسري للتجارب السريرية الجارية.

وذكروا أن هذا الإجراء «متسرع»، وهو بلا جدوى ولا مبرر وقد اتخذ بازدرء تام بحياة المرضى الذين يخضع بعضهم حالياً لعلاجات اختبارية، وهم يعانون من أمراض جديدة.

وحذروا من أن وقف التجارب السريرية العلاجية؛ كتلك التي تُجرى على مرضى السرطان مثلاً قد يكون بمثابة كارثة وإن كان مؤقتاً . . .

غش الحقن:

ومن هذا النوع ما أعلنته جريدة «السييل الأسبوعية» يوم الثلاثاء ٢١-٢٧ آيار (٢٠٠٢م) - السنة التاسعة - العدد (٤٣٦) (ص ١٠) بعنوان عريض:

(٤٠٠٠) حقنة دخلت مستودعات البشير دون وجود فحص مخبري يؤكد

صلاحيتها، بعضها صرف للمرضى

تضمنت ما يلي:

وصلت إلى صحيفة «السييل» شكوى بأن هناك أنواعاً من الحقن دخلت إلى مستودعات مستشفى البشير وأعطي بعضها للمرضى دون أن تمر على أي فحص مخبري يؤكد صلاحيتها.

واستطاعت «السييل» أن تحصل على وثيقة رسمية تؤكد صحة هذه الشكوى وتؤكد وجود هذه الحقن في مستودعات البشير، وأن هذه الحقن لم ترسل للفحص المخبري لغاية تاريخ الوثيقة ١٧/٢/٢٠٠٢، علماً بأن الحقن دخلت المستودعات قبل حوالي سنة من ذلك التاريخ.

وأكد أصحاب الشكوى أن الحقن غير صالحة، وأن الترسبات في العبوات يمكن ملاحظتها.

ويبلغ عدد الحقن التي تتحدث عنها الوثيقة (٤١٠٠) حقنة: «Metronedazol 500» وهي حقن ضد الالتهابات و(٤٨٤٢) حقنة (Endoxan 500) وهي حقن تعطى لمرضى السرطان .

ولا تقف المشكلة عند هذا الحد، بل إن الوثيقة تشير إلى أن هذه الكميات لم يتم عمل ضبط استلام بها حسب الأصول ليتم التأكد من مطابقة الحقن للشروط الموجودة في عقد توريدها مع المورد بالنسبة للمترونيديازول، إضافة لعدم إرسال حقن الاندوكسان للفحص المخبري للتأكد من صلاحيتها .

اللامبالاة والخديعة والغش المتعمد :

كتب الوالد «ح . س . ق» إلى المركز (ع . ق) والجراحة الخاصة أطباء وإدارة ومالكين المركز .

الموضوع : المرحوم «ب . ح . س» رَحِمَهُ اللهُ .

لقد قام ولدنا المرحوم «ب . ح . س» بمراجعة أطبائكم في هذا المركز الموقر منذ أشهر خلت، حيث إنه كان يعاني من مرض الروماتيزم المزمن في المفاصل، وقد كان يتعاطى الكرتزون، وقد كان من المضار الجانبية لهذا الدواء أن أصيبت عظامه بالتآكل والتلف، وقد قمنا أنا وولدي المرحوم وزوجتي بمراجعة الدكتور «ز . ع» وهو أحد أطبائكم، وقال لنا بأن المريض بحاجة إلى أربع عمليات لتغيير وزراعة المفاصل، وكل العمليات تعتبر من العمليات الدرجة الأولى، وقد كان على اطلاع كامل بحالة المريض، وأخبرنا بأنه سيجري اتصالات بالدكتور «ه . ذ» المشرف على حالة المرحوم في مدينة الحسين الطبية للتشاور معه، وتم تحديد موعد العملية الأولى، بعد أن أخبرنا الطبيب والمستشارون الأطباء بضمامهم لنجاح العملية، وقد استمرت العملية حوالي الست ساعات وقد تم استخدام البنج الموضعي البالغ التأثير لكون العملية من عمليات الدرجة الأولى، وبعد انتهاء العملية علمنا من الأطباء بأن العملية قد نجحت وأن النتائج كانت كما يرجى، وقد

أصر الأطباء على إخراج المرحوم (بإذن الله) من المستشفى بعد حوالي الأسبوع فقط من العملية، وقد استغربنا هذا القرار وكنا نتوقع أن تكون فترة إقامته في المستشفى أطول، كون العملية وما يتبعها بحاجة إلى فترة متابعة طويلة المدى، وقد أخبرت والدة المرحوم (بإذن الله) الأطباء بأن بول (ب) لونه أحمر كالدم، وطلبت منهم إجراء اللازم لذلك، لكنهم أخرجوه من المركز قبل أن تظهر نتائج فحوصات البول، وكان همُّ الأطباء والقائمين على المركز فقط هو إخراج المريض وإغلاق حسابه وهذا ما حصل، وتم إخراجه من المستشفى وقد بلغت قيمة فواتير المستشفى ما يقارب الخمسة آلاف دينار أردني دفعت بالكامل، وبعد أقل من يومين من خروجه من المستشفى ساءت حالته جدًّا، وأصبح لون بشرته وجسمه مائل إلى الاصفرار بشدة، وعلى الفور اتصلنا بالطبيب الدكتور «ز.ع» الذي نصح بإرساله إلى المستشفى (خ) كونه أقوى من حيث المختبرات، وعلى الفور قمنا بحمل المرحوم (بإذن الله) إلى المستشفى (خ)، وتم وضعه في العناية المركزة لما كان يعاني من وضع حرج، وطلب المستشفى خمس وحدات دم؛ لأن المرحوم (بإذن الله) بات يعاني من فقر حاد في الدم وصعوبة وضيق في التنفس، وبعد أقل من ثمانية عشر ساعة من دخوله المستشفى، اتصل بنا المستشفى - وقد كانت الساعة الثالثة صباحًا - ليخبرنا بالفاجعة الكبرى بأن (ب.ح.س) قد توفاه الله بعد أن كنا نرجو من العملية كل الخير، نتيجة تكسر الدم وفشل كلوي.

السادة القائمين على (م.ع):

- كيف تقومون بإخراج المريض من المستشفى ولم تظهر نتائج فحص البول، علما بأن بوله كان يرافقه دم، مما أدى إلى إصابته بفقر الدم الحاد.
- كان الأطباء والمركز يعلمون بخطورة وضع المريض وضرورة بقائه تحت المراقبة فترة أطول، لكنهم أصرروا على إخراجه، وشددوا على تسكير فواتير المستشفى قبل إخراجه.

- هل تسمح سمعة المركز الموقر بإخراج مريض تم إجراء عملية خطيرة له تعتبر من عمليات الدرجة الأولى بعد أقل من أسبوع من إجرائها له .

- هل حياة الناس قابلة للمغامرة بهذا الشكل من الاستهتار واللامبالاة وإخراج مريض لا نعتقد أن الأسبوع كان يكفي لزوال تأثير البنج عنه بعد، فالعملية كما تعلمون عملية كبيرة وخطيرة علمًا بأنه قد ظهر على المريض انعكاسات بعد العملية بمرافقة البول دمًا .

- نطلب من المستشفى موافقتنا بتقرير وتحقيق عن ملابسات وفاة المرحوم (بإذن الله) (ب. ح. س) بالسرعة القصوى لنقوم بعد ذلك بوضع القضية أمام القضاء ليقول كلمته، فكافة الدلائل تشير إلى وجود استهتار وتجارة^(١) في حياة الناس .

والد المتوفى (ح. س. ق)

الواقعة الثانية :

ما قدمه أمين عام المجلس العربي لمكافحة التدخين الدكتور (م. ش) في ورقة عمل خلال الورشة التي نظمها مركز الأردن الجديد للدراسات، أول من أسس حول «المسئولية الطبية والتأمين ضد الأخطاء الطبية» :

- «م» فتاة مقبلة على الزواج قررت إجراء عملية جراحية لاستئصال «اللحمية» الزائدة في أنفها كانت تسبب لها إزعاجات لكنها توفيت نتيجة إعطائها كمية زائدة من «البنج» من قبل طبيب غير أخصائي ودخلت على إثرها في «غيوبة» لمدة سنتين وما لبثت أن فارقت الحياة .

(١) لقد أصاب والد هذا الشاب الذي فجع به كما فجع كثيرون بأمثال هذه الجرائم المنظمة المحمية قانونيًا، إن الذين يموتون بسبب الاستهتار والانحجار تحت أيدي الجزائريين من الأطباء أكثر ممن يموت في الحروب والمعارك، وهل نسينا قصة ذاك الرجل الذي نسي الطبيب مقصًا في بطنه ستة أشهر وظل يشتكي ويعاني آلامًا مبرحة طيلة تلك الفترة، ولم تكتشف الحقيقة إلا متأخرة بعد أن فتحوا بطنه أكثر من مرة، تارة يزعمون أن معه الزائدة الدودية، وتارة يزعمون أنه مصاب بالبواسير، وكل مرة فاتورة أكثر من الأخرى على حساب صحته . نعم إنها مافيا الطب - والعياذ بالله - .

- مريضة سقطت على رجلها ، شخّص حالتها الطبيب المعالج بـ «شلل» إلا أن ذويها طلبوا عمل صورة أشعة ، لكن الطبيب رفض ذلك وادعى أنه يملك إبراً خاصة يحضرها شخصياً من دولة أوربية ، وسعر الإبرة «٧» دنانير ، ودفع الأهل «١٤٠» ديناراً ثمن لـ «٢٠» إبرة رغم إصرار الطبيب أنها تحتاج لإبر أكثر وهو لا يستطيع أن يستنفد الكمية بحوزته على مريضة واحدة . وبعد ذلك راجعت المريضة طبيباً آخر إذ أجرى لها صور أشعة وتبين وجود كسر عادي نتيجة سقوطها ، وأن الإبر التي كانت تعطى لها هي ابر مهدئة ويمكن أن تحدث إدماناً للمريض ، وتنعكس سلباً على الطفل الرضيع الذي يتأثر بكل ما يدخل لجسم والدته^(١) .

قلت : وكم لأمثال هذا الطبيب المتاجر بصحة المرضى من وجود في مجتمعنا - لا كثرةم الله- لا ينصحون للمرضى ، وإنما همّهم تسويق وبيع المنتجات الطبية والتي في غالبها عينات مجانية ، وليتهم يبيعونها بنفس سعرها في الصيدليات أو قريباً من سعرها بل بعشرات الأضعاف ، حتى إن أحد المرضى كان مصاباً بدوالي الساقين وكان يتردد على طبيب للعلاج ، فكان هذا الطبيب يبيعه الإبرة الواحدة بخمسين ديناراً ، وسعرها الحقيقي (٣٨٠ فلساً) في إحدى المؤسسات العلاجية ، فلما اكتشف المريض ذلك كاد أن يقتل الطبيب . قال المريض : كيف يستغلني هذا الاستغلال البشع يربح بالإبرة أكثر من مائة ضعف ثمنها . هلا ربح عشرة أضعاف عشرين ضعفاً . وأخذ يلعنه ويشتمه ، وانقطع عن عيادته .

لقد أساء أمثال هؤلاء الأطباء -زعموا- للطب ومهنة الطب تلك المهنة الإنسانية الشريفة .

(١) من صحيفة الرأي ليوم الخميس ٢٠/٩/٢٠٠١ العدد ١١٢٣٤ (ص٥).

وأعلنت جريدة الدستور العدد- / ١١٦٨٤ الجمعة ١٣ ذي القعدة ١٤٢٠ الموافق ١٨ / ٢ / ٢٠٠٠ أن «دراسة رسمية نشرت يوم الخميس من أن حوالي خمسة آلاف شخص يموتون سنوياً من أمراض معدية يصابون بها في المستشفيات البريطانية، وذكر التقرير الذي نشره مكتب التحقيقات الوطني أن الظروف الصحية السيئة وخصوصاً الأطباء الذين لا يعتنون بنظافة أيديهم والشروط الصحية غير الكافية من الأسباب التي تؤدي إلى هذه الإصابات، وترتكز الدراسة إلى ٢١٩ مستشفى مؤكدة إلى مراقبة أفضل الأوضاع الصحية، إجراءات أكثر صرامة للحد من انتشار الأمراض ويمكن أن يقلل نسبة الإصابة بالأمراض من المستشفيات بنسبة ١٥٪.

وقالت الدراسة: إن معالجة هذه الإصابات تكلف ميزانية القطاع الصحي البريطاني مليار جنيه سنوياً (١,٦ مليار دولار).

ومن الناحية العربية فقد أعلنت نقابة الأطباء بالأردن تعديلاً لقانون وقف الدعاية الطبية الزائفة.

وحول دعوة لتشكيل لجنة لوقف التجاوز على المهنة والصحة ومحاربة أذى التداوي بالأعشاب جاء في صحيفة الرأي:

«لفت أطباء عاملون في القطاعين (العام والخاص) إلى تجاوزات يمارسها بعض زملائهم في توظيف الدعاية الطبية الزائفة لتحقيق كسب مادي عبر ترويج مقصود لأجهزة طبية حديثة أو إمكانات وخبرات شخصية أحياناً تكون غير دقيقة.

ويعتقد هؤلاء الأطباء أن الأمر يحتاج تدخلاً سريعاً من نقابة الأطباء ووزارة الصحة لوقف هذا النوع من التجاوزات لما له من آثار سيئة على سمعة الأردن وتقدمه اللافت في المجال الطبي، إضافة إلى التضليل والخداع الذي يتعرض له المريض الباحث عن الشفاء.

ويقول الأطباء: إن بعض زملائهم يستغلون وسائل الإعلام لنشر دعايات لا تركز على أسس علمية وتهدف للإيقاع بالمرضى وخداعهم بواسطة إعلانات غير دقيقة وغير صحيحة عن طرق تشخيصية وعلاجية جديدة وانتصارات «كرتونية» شخصية.

والمسألة عند الأطباء لا تقف عند هذا الحد بل تتجاوزها إلى ظاهرة أخرى لا تقل خطورة يمارسها باعة الأعشاب وتجار الخرافات الذين يملئون بعض الصحف التجارية بدعايات يصعب على العقل تفهمها بحيث غدت جميع الأمراض في العالم حتى والمستعصية مثل السرطان تعالج بسحرية^(١) دون أدوية ولا حتى أطباء.

ويلفت الدكتور (ع) إلى أن بعض الأطباء يستخدمون أجهزة طبية ليست من اختصاصهم، وهذا خطأ طبي كبير فيه إضرار بالمرضى، ولا يحقق الفائدة المرجوة، ويؤثر كذلك إلى بعض السلوكيات والترويج غير الدقيق للقدرات العلاجية والتشخيصية من قبل بعض الأطباء مؤكداً أن هذه القضايا ستعالج بتعديل التشريعات ذات العلاقة.

وأمام قابلية النقابة وإدراكها لهذا الواقع يُقدّم الأطباء؛ ومنهم د. (س. ص) مقترحات يرون أنها ستكون ذات أثر من خلال توظيف نصوص تشريعية في أكثر من بلد ومستشهداً بالتشريعات الطبية في فرنسا التي تنص على مادتين:

أولاً: يحظر قطعياً على الطبيب التحدث أمام الأوساط غير الطبية أو الطبية عن طرق تشخيصية أو علاجية حديثة دون أن تكون مثبتة وموثقة علمياً بدرجة كافية ودون موافقة أطروحتة بتحفظات.

فيما تنص المادة الثانية: يحظر على الطبيب القيام بدعاية شخصية مباشرة أو

(١) كذاك المشعوذ الدعي القابع في بيرين- في أطراف عمان من جهة الزرقاء- الذي فتن به كثير من الخلق من داخل البلاد وخارجها، يزعم أنه يجري عمليات جراحية للمرضى عن طريق الجن، وقد أثرى من وراء ذلك ثراءً فاحشاً، ولأهل العلم فتوى في التحذير منه ومن أمثاله من السحرة والكهنة.

غير مباشرة له أو لجهة أخرى مثل مصنع أدوية أو شركة أو مؤسسة صحية أو جامعة يعمل فيها أو من أجلها مهما كانت وسيلة الإعلام .

وفي هذا السياق يقول أمين سر نقابة الأطباء السابق وعضو في المجلس الحالي د. (ب. ك): إن النقابة حريصة على أن تكون الإعلانات عن أي إنجاز أو تقدم طبي أو القدرة على علاج أمراض من خلال بعض الأجهزة متوافقة مع الأصول الطبية السليمة لمنع أي متاجرة أو تضليل أو خداع للمواطنين .

وأشار إلى أن النقابة وجهت كتباً رسمية للجهات المعنية لمنع نشر أي إعلانات، أو أخبار أو إنجازات أو تقنيات حديثة دون الرجوع إلى الجهات المختصة في النقابة، أو الوزارة، حتى يتم التأكد أن الإعلان يعطي المعلومة الدقيقة، ولا يستغل حاجة المريض خاصة، والمواطنين عامة .

ويقولون (أي الأطباء) . . . يكاد لا يمر يوم إلا ونقرأ أنباء ومقالات وشكرًا لجراحين وأطباء عملوا معجزات ما هي سوى افتراءات أو تضخيم لعمليات أجري منها أعداد لا تحصى في الخارج وحتى في بلدنا أو عن أطباء أردنيين يحصلون على شهادات لم يسبق أن حصل عليها أحد، فلا يبقى قريب أو نسيب إلا ويعظمه في دعايات ضخمة .

وكذلك هناك مرضى بعضهم ليس له وجود يبعثون بأسمى آيات التبريك لنطاسي بارع وفريقه عما قاموا به من جهود نادرة عجز عنها الآخرون أدت بهم إلى النجاة من برائن العذاب والموت، وشركة مصنعة لجهاز طبي تنشر مباركة لطبيب أصبح بمجرد أن ابتاع جهازها نابغة فريداً

ويشير الدكتور [ص] أن مصلحة المرضى تتطلب أن تقوم نقابة الأطباء وبالتعاون مع رؤساء تحرير صحفنا اليومية المعروفين باحترامهم لمهنتهم وموضوعيتهم وحديثهم بمنع نشر أي إعلان فيه دعاية لطبيب أو مؤسسة علاجية أو شركة أدوية أو مستلزمات طبية دون أن تقوم لجنة مختصة بالتأكد من خلوها من

دعاية شخصية أو غير علمية، ومعاينة كل من يمارس الدعاية النابعة من مصلحة تجارية بحتة والقيام بتحذير الرأي العام بعدم مصداقيته^(١).

ومن جهة أخرى فقد وضع قانون للأخطاء الطبية والتأمين ضدها من قبل بعض الدكاترة خلال الورشة التي نظمتها مركز الأردن الجديد للدراسات حول «المسئولية الطبية والتأمين ضد الأخطاء الطبية».

فكان مما قرره الدكاترة ما يلي:

«قال الدكتور (م.ب.ش): إن تقسيم وتصنيف الأخطاء الطبية يساعد المريض بشكل كبير، فالإهمال نوع من الخطأ كأن يتأخر الطبيب للحضور للكشف على مريضه، أو أن تكون امرأة حامل لم تلق العناية اللازمة حتى انفجر رحمها، أو نسيان أدوات داخل جسم المريض أثناء الجراحة، موضحاً أن حالات الإهمال تشكل (٧,٤٨)٪ من معظم الحالات التي تراجع النقابة.

واستعرض الدكتور (ش) دور مجلس التأديب الذي يتكون من النقيب أو نائبه وطبيين لهما خبرة لا تقل عن عشر سنوات يعينهما المجلس وطبيين يعينهما الوزير لا تقل درجتهم عن الدرجة الثالثة، وهذا المجلس خاص بأطباء القطاع الخاص إذ يقوم المجلس بإصدار حكمه بالعقوبات المحددة له في المادة (٥٥) ويرفعها لمجلس النقابة صاحب الحق بالقرار النهائي.

وأضاف: هنالك مجلس التأديب الأعلى الذي حسب المادة (٥٨/أ) يتكون من وزير الصحة رئيساً وأربعة أطباء يعينهم المجلس بخبرة لا تقل عن (١٥) سنة وطبيين يعينهما الوزير لا تقل درجتهم عن الدرجة الثانية وقراراته غير قابلة للطعن إلا أمام محكمة العدل العليا.

وصنف الدكتور (ح) الأخطاء الطبية إلى أمور عديدة منها الخطأ الجزائي

(١) جريدة الرأي الاثنين ١٥ تشرين أول ٢٠٠١ (العدد ١١٣٥٩، ص ٣).

كالأفعال التي يعاقب عليها قانون العقوبات كالاغتصاب، وهتك العرض وإعطاء المخدرات، وهناك خطأ مسلكي كالخلل في سلوك الطبيب، وهناك أخطاء في تجاوز الأجر موضعاً أنه يجب التفريق بين الخطأ الذي يكون انحرافاً عن الصواب وبين المضاعفات التي تندرج تحت قائمة القضاء والقدر والذي يبذل الطبيب قصارى جهده وعنايته تجاه المريض، لكن حدوث المضاعفة قد يحدث.

وطالب أيضاً بضرورة وضع استراتيجية تتعامل مع قضية الأخطاء الطبية وتشتمل على ضرورة أن يكون هناك نظام التعليم الطبي المستمر إضافة إلى ضرورة ضبط الجودة والرقابة النوعية في المستشفيات كأن يقوم المستشفى بإجراء رقابة على العمليات الجراحية التي أجريت به خلال مدة زمنية معينة.

وطالب أيضاً بأهمية استحداث غرف قضائية في المحاكم للبحث في القضايا الطبية التي تحتاج إلى عناية خاصة ودراية بالموضوع موضعاً أننا لا نريد محاكم متخصصة بالطب لكننا نريد خصوصية معينة في هذا الموضوع.

وأشار إلى أن القانون وبتعامله في هذا الموضوع لم يعتبر أن الفعل الذي يجيزه القانون جريمة، شريطة أن تحصل الموافقة، مستشهداً بحالة فتاة وافقت على إجراء تنظير علوي للجهاز الهضمي وبعد تخديرها قام الطبيب وحسب رؤيته الطبية بإجراء تنظير سفلي^(١) لها لنفس الغرض وعند الانتهاء فوجئت المريضة بهذا الإجراء الذي لم توافق عليه سابقاً.

هذه الحالة تعتبر حالة ضرر نفسي للمريضة رغم أن الطبيب قد أجرى السلوك الذي يعتبره الأفضل لها، إلا أنها لم تمنحه الموافقة على هذا السلوك مما سبب لها ضرراً نفسياً...»^(٢).

(١) فساق الأطباء مولعون بالكشف السفلي، وقد حدثت فضيحة لأحدهم كانت له عيادة في إحدى مدن الأردن الكبرى، كان يعتدي على النساء في عيادته وهن يراجعنه لأغراض الحمل. ففي كل مهنة تجد سفهاء يسيئون للأفاضل منهم، فالله حسيبهم.

(٢) صحيفة الرأي ليوم الخميس ٢٠/٩/٢٠٠١، العدد ١١٢٣٤ - (ص ٥).

ومن الغش والأذى والضرر، إعطاء هرمونات للأطفال لتطويل قامتهم، كما جاء في أخبار الخليج البحرينية في ١٤ / ١ / ١٩٩٤، تحت عنوان: «هرمونات النمو لتطويل القامة تقتل ٢٤ طفلاً».

«إنها جرائم طبية كاملة، ولو عن غير قصد... يذهب الأولاد الأقرام إلى المستشفيات لتلقي هرمونات تطويل القامة، فإذا بتلك الهرمونات سموم قاتلة... تلك خلاصة الفضيحة الطبية التي تهز فرنسا منذ أسابيع.

الفتى «الياسيل بنزيان» توفي أخيراً بعد احتضار طويل... والطبيب الشرعي اضطر إلى تشريح دماغه لتحديد سبب الوفاة. والذي تبين أنه مرض «غروتزفلد-جاكوب»، وهو على غرار «الألزهايمر». مرض غريب جداً ونادر جداً، ويتمثل بخلل حاد ومميت في الدماغ.

ومن هنا بدأت الشبهة الأولى؛ فهذا المرض على ندرته لا يصيب إلا المسنين ممن تجاوزوا السبعين أو الثمانين... بينما المتوفى «الياسيل» لا يزال فتى يافعاً دون الخامسة عشرة من عمره.

كان «الياسيل» قصير القامة بشكل لافت. وكان أهله قد أخذوه إلى المستشفى لتطويل قامته... فكانت النتيجة تقصير عمره، وانجلى ما كان غموضاً طبياً. لقد قتلت هرمونات النمو.

وفي حينه تقدم أهل الفتى بدعوى قضائية مؤرخة في العاشر من سبتمبر ١٩٩١، ومسجلة ضد مجهول، وكل من يظهر مسئولاً في التحقيق... وظلت القضية منسية حتى العشرين من يوليو الفائت، عندما أصدرت القاضية «ماري أوديل جيوفري» مذكرة توقيف رهن التحقيق بتهمة القتل غير المتعمد بحق كل من البروفسور «جان كلود جوب» رئيس جمعية «فرنسا - النخامية» الطبية، والمختصة بأبحاث واختبارات الغدد النخامية، والبروفسور «فرناند داري» الباحث في «معهد باستور الطبي»، والذي يقوم باستخراج هرمونات النمو من تلك الغدد البشرية... .

الإجرام الطبي :

في الوقت نفسه تقريبًا ، تلقى القضاء الفرنسي شكوى مماثلة من أهل فتى آخر مات متسممًا في «ليون» بعد خضوعه كذلك لجرعات هرمونية لعلاج من قصر قامته .

شكوى أخرى من عائلة قتيل آخر في مدينة «تولوز» ، والجريمة نفسها ؛ هرمونات نمو نخامية .

وتتالت الشكاوى ، وتطورت القضية إعلاميًا إلى مستوى الفضيحة الطبية الكبرى بعدما وصل عدد الضحايا إلى الأربعة والعشرين ولدًا .

الرقم قياسي وكوارثي ، ويجعل من فرنسا الأولى عالميًا في ضحايا الهرمونات النخامية ، سيما وأن هذه الهرمونات لم تقتل في كل الولايات المتحدة سوى عشرة فقط ، وسبعة فقط في إنجلترا .

مرض الأقزام :

ما هي هرمونات النمو النخامية هذه؟

هناك حالات في قصر القامة لدى بعض الأطفال يكون السبب فيها عائدًا إلى نقص في هرمون النمو الذي تقوم بإفرازه طبيعيًا الغدة النخامية . . وهي غدة صغيرة تقع في الدماغ . . . والأطفال المصابون بهذا النقص الهرموني تبقى قامتهم عندما يكبرون دون المتر الواحد إجمالًا ، وتصل إلى المائة وعشرين سنتيمترًا كحد أقصى في بعض الحالات .

في العام ١٩٥٨ كان العالم الأمريكي «ديفيد راين» أول من قام بمحاولة علاج قصر القامة بحقن من هرمونات النمو . وبما أن الغدة النخامية هي المصدر الأوحدهرمونات النمو ، وبما أنه لا غدد موازية لها لدى السلالة الحيوانية ، وبما أنه لا يمكن العبث بغدة نخامية لدماغ إنسان حي ، فقد كانت غدد أدمغة الموتى هي

المصدر الوحيد الممكن لتلك الهرمونات .

ابتكار الدكتور رايبين جاء إنجازاً مهماً على المستوى الطبي ، سيما وأن حقنه نجحت فعلاً في تحويل عدد من الأقرام إلى أشخاص عاديين ذوي قامات طبيعية . على أن المشكلة الأساسية تكمن في التقنية الطبية الخاصة جداً في علاج الهرمونات النخامية ؛ والتي قد يتسبب أدنى خطأ فيها إلى مضاعفات كوارثية . . . ذلك أن علاج الولد القزم أو القصير القامة لا يتم بحقنة واحدة ، بل بسلسلة طويلة من الحقن المتتالية على امتداد سنة بأكملها على الأقل . . . وبحيث إن علاج ولد واحد يستلزم ما لا يقل عن خمسين غدة نخامية ، أي أن المطلوب هو خمسون جثة على الأقل لعلاج ولد واحد . . . وهذا يعني ضرورة تخزين الغدد النخامية المستأصلة من أدمغة الموتى لاستحلاب عصارتها من الهرمونات عندما تكون الحاجة .

وبإمكاننا أن نتصور ماذا يمكن أن يحدث في حال تسببت تقنيات التبريد والتخزين أو الاستحلاب أو الحقن بتلف أو فساد بعض تلك الغدد المأخوذة أساساً من موتى .

وفي تقارير سرية اتهامية ، أن الجمعية النخامية كانت في العام ١٩٨٠ قد طلبت من البروفسور «لوك مونتانيه» رأيه بالمضاعفات التي يمكن أن يتسبب بها استخدام الهرمونات النخامية ، وكان جوابه أن هناك احتمالاً لكنه ضئيل بظهور مرض «غروتزفيلد- جاكوب» النادر الحصول جداً ، والذي لا يتجاوز معدل ضحاياه في فرنسا معدل الواحد على عشرة آلاف ، والذي كان لا يزال مرضاً مجهول الطبيعة والسبب حتى ذلك الحين . وكل ما كان معروفاً عنه هو احتمال حدوثه بفعل بروتين فاسد ، وهو ما يستحيل كشفه في أي اختبار وقائي ، بالإضافة إلى الصعوبة البالغة في محاولات عزله .

وحسبما يوضح البروفسور «مكسيم شوارتز» مدير معهد باستور ، فإن كل

واحد من الغدد النخامية كانت تصل في كبسولة منعزلة، غير أن هذا التدبير الاحترازي يصبح بلا جدوى على الإطلاق عندما نعلم أن الخبراء الفرنسيين يعمدون إلى خلط ما يقارب الألفي غدة نخامية لتسهيل عمليات استحلاب هرمونات النمو المطلوبة منها، ومعنى ذلك بكل بساطة أنه يكفي أن تكون هناك غدة واحدة مصابة فقط لكي تتلوث الطبخة الهرمونية بأكملها.

تضيف المحامية «مور» من جهة أخرى، أنه كان على النخامين الفرنسيين أن يحتاطوا بنوع خاص اعتباراً من إبريل ١٩٨٥، عندما وصلت من الولايات المتحدة أبناء عن وفاة ثلاثة أطفال كانوا يتلقون علاجات بهرمونات النمو النخامية، تلتها أبناء عن حالتها وفاة مماثلتين حصلتا في إنجلترا في أواخر العام نفسه.

وتساءل المحامية «مور»: لماذا لم تفعل فرنسا مثل الولايات المتحدة وبريطانيا اللتين أوقفتا على الفور واعتباراً من مطلع ١٩٨٦ أي علاج بالهرمونات المستأصلة من الغدد النخامية بانتظار التوصل إلى ابتكار هرمونات تركيبية اصطناعية مأمونة العواقب بدل الاستمرار في الاستهتار والمخاطرة بحياة الأطفال الأقرام.

من يتحمل إذن مسئولية عدة آلاف من الأطفال الذين تلقوا علاجات نمو هرمونية في فرنسا خلال العام ١٩٨٨/١٩٨٩؟ ولماذا لم يفكر أحد بمحاولة تحليل وتصنيف العينات الهرمونية تلافياً لظهور وفيات أخرى بين الأطفال القصار.

جمعية «تطويل القامة» تلقي تهمة التقصير والإهمال على وزارة الصحة الفرنسية بصورة أساسية، وهذا ما ينذر باحتمال تحول هذه القضية الطبية إلى قبلة سياسية قد تفجر الحكومة الفرنسية الجديدة من الداخل.

وبانتظار جلاء الأمور بصورتها النهائية، لوحظ أن أهالي الأطفال الأقرام الفرنسيين بدءوا يمارسون ما يشبه المقاطعة غير المعلنة لعلاجات هرمونات النمو النخامية... وعلى أساس أن قصر القامة يبقى أفضل ألف مرة من تقصير العمر... على أيدي الأطباء!!!.

يا رويضة الطب! ماذا بعد «السيل ايد»؟؟؟

لقد انتشر في الآونة الأخيرة في الأوساط الطبية مستحضر لقبوه بـ «السيل ايد»!! حيث زعم مخترعه أنه كان مريضًا بداء التهاب الكبد وأنه عجز عما في أيدي الأطباء ولم يجد ما يشفي العليل ولا يروي الغليل وجال الأقطار والأمصار بحثًا واستكشافًا لعلاج مرضه، واعتكف في مختبره الصغير جدًا ليلاً ونهارًا حتى أخرج لنفسه وللناس ما هم بحاجة إليه وأنه دواء لعدة أدواء مستعصية. فشاع ذكره في البلاد، وذاع خبره عند القريب الحاضر والباد، وما هو إلا فقاعة صابون طارت وأذنت بالزوال؛ بدليل:

- ما أثبتت هذه الأيام في الأوساط الطبية والإعلامية والدولية ضجة من القبول والرد والترك والأخذ لهذا المخترع؟ لعدم وجود فعالية ذات أثر تفتح للناس مدخلًا صحيًا لاستعماله والتداوي به.

ولقد وجدت بعض الصحف المشتراة وسيلة تآكل بها من تأييدها والدعاية لهذا المستحضر بدون ذكر أي دليل قطعي يرفع عن المتهم ستار الاتهام بالغش والخداع ولا لهذا المستحضر رصيد للدوام والاستمرار.

وإنما الذي استقر عليه حال هذا المستحضر إنما هو مستحضر زينة لا غير!! في البلاد وخارج البلاد كما سيأتي تبينه.

ومما روجته إحدى الصحف عاكسة وجه الحقيقة على الناس وكاشفة عواره أمام الذكي والبليد، والطبيب والمريض، بدون قصد منها، وازداد صاحبنا اختراعًا على اختراعه أحدث الكذب وألمع الزور، بدعايات ما لها في حقيقة الواقع من سلطان ولا لصدقها من برهان.

ولقد رفض الأطباء في داخل البلاد وخارجها استعمال هذا المستحضر إلا

كمستحضر تجميل لا غير .

تشديد الرقابة على القطاعات الصحية :

«أكدت الجمعية الوطنية لحماية المستهلك على أهمية تفعيل الدور الرقابي لوزارة الصحة في ظل العولمة والمنافسة واقتصاد السوق .

وقال رئيس الجمعية: إن هناك ضرورة ملحة ومسئولية كبيرة تقع على عاتق وزارة الصحة لمراقبة أداء القطاعات الطبية المختلفة بما ينعكس إيجابياً على السياحة العلاجية للوافدين من الدول العربية الشقيقة .

وشدد على ضرورة مراقبة وبحث ودراسة ما تشتمل عليه بنود أية فاتورة علاجية للمستشفيات الخاصة والتأكد من مطابقتها لقيمتها للكلفة الحقيقية للخدمة العلاجية التي يتم تقديمها عن تلك الفاتورة .

وقال: إن من شأن هذه الإجراءات الرقابية ضبط فاتورة الإنفاق الطبي العائدة من الإجراءات والمدخلات التي تقوم بها هذه المستشفيات والأطباء في القطاع الخاص .

وحول قرار وزارة الصحة الأخير المتعلق بفتح بنوك للدم في المستشفيات الخاصة قال: «إن نظام المستشفيات الخاصة يحتم على هذه المستشفيات توفير مختبر وبنك للدم فيها ، كما نصت المادة ٢٥/ج / ٤ من ذلك النظام حيث اعتبرته شرطاً من شروط الترخيص لهذه المستشفيات واستمرارية هذا الترخيص . . .»^(١) .

ومن جهة مقابلة «نوه إلى إمكانية قيام وزارة الصحة بالمساعدة في إعداد الفنيين اللازمين لمثل هذه البنوك مقابل قيام المستشفيات الخاصة التي تربح الملايين بالمساهمة في كلفة الإعداد والإدارة لمثل هذه البنوك .

وأشاد الدكتور بتجربة المستشفى الإسلامي الناجحة في هذا المجال حيث

(١) انظر: مجلة حماية المستهلك، العدد السابع عشر، ٢٠٠٠- المجلد الرابع (ص٢٢)، بتصرف وحذف يسير .

يوجد في هذا المستشفى مختبر وبنك للدم وهناك تعاون وثيق بين المستشفى ووزارة الصحة وجهات طبية خارجية لضبط الجودة في تقديم الخدمات الطبية ومنها فيما يتعلق بالدم ونوعيته الذي يحتاجه المستشفى لمساعدة مرضاه»^(١).

حيث «أوضح أن إنشاء بنك الدم هذه لن يكون بمنأى عن الرقابة سواء أكانت من قبل وزارة الصحة أو من قبل المستشفيات نفسها لأنها ستكون حريصة على سمعتها الطبية ولن تسمح بأي خطأ، كما أن الوزارة لن تسمح بأن تكون مثل هذه البنوك دكاكين للتجارة بالدم»^(٢).

موت آلاف الأشخاص من أمراض يصابون بها في المستشفيات :

ذكرت دراسة رسمية نشرت أن حوالي خمسة آلاف شخص يموتون سنوياً من أمراض معدية يصابون بها في المستشفيات البريطانية، وذكر التقرير الذي نشره مكتب التحقيقات الوطني أن الظروف الصحية السيئة، وخصوصاً الأطباء الذين لا يعتنون بنظافة أيديهم والشروط الصحية غير الكافية، من الأسباب التي تؤدي إلى هذه الإصابات، وترتكز الدراسة إلى ٢١٩ مستشفى مؤكدة أن مراقبة أفضل للأوضاع الصحية وإجراءات أكثر صرامة للحد من انتشار الأمراض يمكن أن يقلل نسبة الإصابة بالأمراض في المستشفيات بنسبة ١٥٪.

وقالت الدراسة: إن معالجة هذه الإصابة تكلف ميزانية القطاع الصحي البريطاني مليار جنيه سنوياً (١,٦ مليار دولار).

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

غش المدعين للطب والرقية الشرعية

لقد انتشر في الأزمنة الأخيرة من يدعي العلم والفهم وهو عنها بمعزل، وكان من جملة ما يُدعى في العلم (علم الطب النبوي والرقي الشرعية) فإن كثيراً من الدجاجلة والغششة نسبوا لأنفسهم - ظلماً وزوراً - أنهم مهروا في علم الرقي الشرعية، وأنهم قهروا الجان - كما أعلن عن بعضهم في بعض الصحف المحلية - فلان قاهر الجان، وكل هذا افتتان بالنفس وعجب بها . وأمثال هؤلاء لا يوفقون؛ لأن استعانتهم بالله ضعيفة، وتوكلهم على الله قاصر، فمثلهم يخذلون ولا ينصرون ﴿إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَضُرَّكُمْ وَيَبْتَئِنُّ أَعْدَاكُمْ﴾ . . . فنصبوا أنفسهم حاملين لهذه الأمانة ولم يعبأوا بثقلها؛ لأنها ستكون عليهم يوم القيامة حسرة وندامة . . . ونسوا أن عملهم هذا ضمان لأنفسهم من منجاتهم من عذاب ربهم قبل أن يكونوا ضامنين لحياة إخوانهم، فإن رسول الله ﷺ قال: «من تطبب ولم يعلم منه طب فهو ضامن»^(١).

* هناك من المطبيين - زعموا - : من يدعي ظاهراً التمسك بالدين وأنه على سنة سيد المرسلين ﷺ ثم يعمد إلى الخلوة بالنساء الغافلات - اللواتي بدينهن جاهلات وعقولهن ناقصات - فيختلي بهن - موهماً لهن أن المعالجة لا تحصل ثمرتها إلا وهو معها على انفراد وخلوة - فيخيل إليها أنه يعالجها وإنما هو يسحرها لتكون فريسة جاهزة متى شاء أن يلتهمها فعل، فتقع المسكينة في حبال مكره وغدره وفساد طويته وسريرته - وهذا واقع وللأسف في مجتمعاتنا - كثيراً وقد بلغني عن أحد هؤلاء السحرة المجرمين - من أوقع في شباكه أكثر من خمسين امرأة - في بلادنا، فزنى بهن خداعاً وإغواءً.

وسبب هذا كله الجهل بشرع الله الحنيف ومعرفة جريمة إتيان الكهان وضررها

على العقيدة، وغلبة النساء على الرجال في الخروج من بيوتهن متى شئن دون رقيب ولا حسيب من زوج أو ولي، فهي لا تسأل عما تفعل، ولا تراجع في أمر تقرره، ويشتد الأمر أهمية وإلحاحاً عند المرأة- إلا من رحم الله- إذا تأخرت في الإنجاب أو شمت رائحة من زوجها أنه يطلب امرأة أخرى، تكون ضرة لها تنازعها زوجها، فترتكب لذلك السهل والذلول والحرام بكل صنوفه وأشكاله لتبقى هي سيدة الموقف وصاحبة الحظوة لا غير، ولو تنازلت عن دينها وعرضها وشرفها.

* ومن هؤلاء الخونة الأشرار: من يبيع للمرأة عقاقير سحرية. فتحسب أنها تجلب لها الألفة والهناء، والحقيقة أنها تجلب لها الخزي والعار وغضب الجبار- عياداً بالله-.

وهذا كله سببه ومردّه ضعف الوازع الديني في القلوب. ذلك: أن كثيراً من المعالجين لا يراقبون الله ﷻ في أعمالهم ولا يتقونه، وأن النساء برأيهن الفاسد وحلمهن الكاسد يأتين الذئاب متبرجات ولجلايبهن نازعات ولوجوههن مزوقات، وإذا أتين متحجبات لم يتكلمن من وراء حجاب، فهل حسين أنهن خير من نساء النبي ﷺ اللواتي خاطبهن الله ﷻ بقوله: ﴿يٰۤاَيُّهَا النِّبِيُّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۚ إِنَّ أَنْفِيَّتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٣﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴿٣٤﴾﴾.

* ومن هؤلاء: من يعمد إلى تخويف المرضى بالجن بذكر عجيب قدراتهم المسيرة تحت مشيئة الله ﷻ وبإذنه وأن لهم كذا وكذا... ويروي عنهن حقائق واقعات وربما دلّس ودسّ القصص الواهيات... فبدل أن يربط المرضى بالله رب العالمين يربطهم بحبائل الشيطان الرجيم، ويخدعهم بأنه لا قبل لأحد بقوتهم إلا هو، وأنه ليس لأحد أن يخرجهم من جثمان المرضى أذلة صاغرين إلا هو^(١).

(١) سورة الأحزاب: (الآيتان ٣٢-٣٣).

(٢) قلت: ويتناسى قول الله تعالى عن إبراهيم ﷺ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠] وقوله أيضاً: ﴿أَنْ يُجِيبَ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفَ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢].

فينقادون تحت زخرف قوله ومعسول لفظه وشديد مكره وخبثه ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكَمَّ
لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ كالشيطان سواء بسواء، وعلى نفسها جنت براقش.

* ومن هؤلاء: من ينصب نفسه - دون علم ولا أهلية، بل ظلماً وزوراً - على أنه هو الطبيب العليم، وأن هنالك أدوية لأحاد الأمراض لا يملكها إلا هو ولا يحضرها أحد إلا هو، وأنها مجربة على كثير من المرضى، وأنها بانة بنجاح ظن فيه عدمان الرجا. وبعسيل كلامه المغشوش سماً يوقعهم ويوقفهم على عجب عمله - كذباً - ويطالبهم بأثمان باهظة لهذا الدواء أو ذاك لا يقدر عليها إلا ذوي الجاه وأولي الغنى. بل لعل هؤلاء ينكرونها، فيأخذون من المساكين عظيم المال، ويضطرونهم إلى الاستدانة أو إلى بيع ما هو ضروري لا غنى لهم عنه من متاع أو أثاث.

* ومما يدخل في هؤلاء: من يركب الظلمات فيغش الخلق غشاً ما فوقه غش، وخداع ما فوقه خداع. معالجين يحسبهم الجاهل على شيء من العلم والصلاح. يعمدون إلى قراءة القرآن، والنفت على قارورة ماء من بعيد، ويبيعونها بمبالغ باهظة ثلاثين ضعفاً، حتى إذا تطب بها المريض لم يعد يجد فيها من النفع من قطمير، ولا أدنى تحسن لا كبير ولا صغير، حتى بلغ بيع القارورة الواحدة من المياه الصحية المقروء عليها من مثل هذا الدجال عشرة دنانير للواحدة، وثمنها لا يتجاوز ربع دينار.

واستخفافاً بعقول المرضى - وحتى لا يكلف نفسه عناء القراءة على مئات القوارير قام بفتحها وفتح المسجل على قراءة أحد القراء المشهورين، وأوهم مرضاه أن هذا يقوم بالمقام، فالله حسيبه.

وإن ما نراه اليوم على الساحة من تخبط وادعاء للرقية والتطب دون معرفة وفهم لأصول الرقية والطب والعلاج، وبُعدٍ عن العلم الشرعي وجهل - لا نقل في الفروع المتعلقة بالأحكام الشرعية، بل الأصول - وحتى تصدر كل جاهل هذا الأمر وأصبح يتكلم في مسائله دون علم أو مستند شرعي، ناهيك عن بعض

المؤلفات التي اتسع فيها الخرق على الراقع .

ولقد طالعنا كتب كثيرة متعلقة بالرقية الشرعية وعالم الجن والشياطين وبعض هذه الكتب قيم في محتواه ومعلوماته ، والبعض الآخر سيئ في فكره ومضمونه ، ومنها ما جمع بين الغث والسمين^(١) .

وتصدر بعضهم «للأساليب والممارسات والمؤلفات لأسباب مادية بحتة ، أو حب الظهور والشهرة والسمعة ، وانتهاك الأعراض ، وبطبيعة الحال فهذه الفئة أبعد ما يكون عن العلم الشرعي وأصوله وقواعده ، وهذه الفئة لن تتوانى عن نفث سمومها وأباطيلها وخرافاتهما بين الناس ، وإطلاق الفتاوى يمينة ويسرة ، ناهيك عن أمر خطير وقع فيه بعض من يتوسم فيه الخير ، ومنشأ الخطورة في هذه القضية هو التوسع والإفراط في مسائل الرقية وأحوالها من حيث المؤلفات والممارسات ، والأخطر من ذلك كله البدع المحدثّة التي فاقت التخيل والوصف»^(٢) .

من مفاسد الرقية الجماعية :

ومن هؤلاء : من يزرع «الوسوسة والوهم في نفوس كثير من مرتادي تلك العيادات ، فأصبح الكل يظن أن به مس من الجن أو اشتباه ضرب من ضروب السحر والكهانة ونحوه ، أو أصابته العين والحسد ، بل قد وصل الأمر في بعض أماكن الرقية الشرعية الجماعية إلى ما يفوق الوصف والتصور خاصة بالنسبة لتصرفات بعض النساء ممن لا خلاق لهن فأصبح ارتياد هذه الأماكن بالنسبة إليهن مكاناً للتمثيل والتهريج وقلة الأدب ، بل قد وصل الأمر في البعض لتصرفات وكلمات تخذش الحياء ، بل تعدى ذلك أحياناً للتفوه بكلمات كفرية . وما أظن تلك الحالات إلا أنها تعاني من مشاكل أو أمراض نفسية أو اجتماعية أو أسرية وأرادت أن تفرغ الطاقات المكبوتة في أماكن المفترض أن تكون أماكن علاج

(١) موسوعة في علم الرقى (٦/١٥٥) .

(٢) المرجع السابق (٦/١٥١-١٥٢) .

بالقرآن واستماع له وتفاعل مع آياته قولاً وعملاً ليكون شفاء لأمراض القلوب والأبدان .

ولابد أن نعتقد جازمين بأن قدرة الجن والشياطين للوصول إلى هذا الحد نادرة، ومن هنا تبرز أهمية شخصية المعالج في التعامل مع المرضى، وإيقاف كل من تسول له نفسه العبث في تلك الأماكن وتشويه سمعتها، وللأسف فإن بعض المعالجين قد أوصلوا بعض المرضى لمثل ذلك الأمر، وأذكر كل من تظاهرت واحترفت مهنة التمثيل في تلك الأماكن بأن الله ﷻ مطلع لا تخفى عليه خافية، وقد تبلى تلك المسكينة بأحد الأمراض التي تصيب النفس البشرية من صرع وسحر ونحوه»^(١).

ومن غش الأطباء النفسانيين :

* ما في هذه القصة الواقعية وهي أن: «امرأة كانت تعاني من بعض الاضطرابات، وبناء على ذلك توجهت للعيادة النفسية لدى أحد الأطباء، ومن خلال جلسة واحدة لم تتجاوز الخمس دقائق، ومن خلال طرح بعض الأسئلة العامة وصف لهذه المرأة دواء معيناً، وقامت هذه الأخت بصرف الدواء وقامت بقراءة المضاعفات الناتجة عن استخدامه»^(٢) فأصابها من جراء ذلك بحالة نفسية أخرى»^(٣).

* ومن ذلك: معرفة الأطباء أن المريض ليس به بأس جسدي وإنما هو مصاب بصرع أو مس أو سحر أو عين ولا يوجهونه إلى من يعالج بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ بل يوهنون من الرقى الشرعية بإنكار المس من أساسه، وإيهامه بأن مرضه عبارة عن وسواس قهري ونحوه، وبالمقابل يوجد أناس يفرطون ويبالغون في أمر

(١) انظر كتاب «نحو موسوعة شرعية في علم الرقى» لأبي البراء أسامة المعاني - (٦/ ٢٣٤-٢٣٥).

(٢) وقال أحد الأطباء: إن كمان المشكلة الحقيقي «في تقصير الأطباء في تهيئة المريض قبل تناول الدواء، وكذلك تخلي بعض المرضى من مسئولية السؤال والتدقيق بما يوصف لهم من دواء».

(٣) الموسوعة في علم الرقى (٦/ ١٠٨).

المس والجن، وربما أوقعوا على المرضى ضرراً شديداً بضعف تشخيص حالتهم، على اعتبار أن فيهم جنًا، والأمر خلاف ذلك.

قال شيخنا العلامة الألباني رحمته الله: «... ولكني من جانب آخر أنكر أشد الإنكار على الذين يستغلون هذه العقيدة ويتخذون استحضار الجن ومخاطبتهم مهنة لمعالجة المجانين والمصابين بالصرع، ويتخذون في ذلك من الوسائل التي لا تزيد على مجرد تلاوة القرآن ما لم ينزل الله به سلطاناً؛ كالضرب الشديد الذي قد يترتب عليه أحياناً قتل المصاب، كما وقع هنا في عمان وفي مصر مما صار حديث الجرائد والمجالس.

لقد كان الذين يتولون القراءة على المصروعين أفراداً قليلين صالحين فيما مضى، فصاروا اليوم بالميئات، وفيهم بعض النسوة المتبرجات، فخرج الأمر عن كونه وسيلة شرعية لا يقوم به إلا الأطباء عادة، إلى أمور ووسائل أخرى لا يعرفها الشرع ولا الطب معاً، فهي عندي نوع من الدجل والوساوس»^(١).

ومثله لمن يدعي الرقية الشرعية فيعلم أن المريض بحاجة إلى طبيب وأن المرض يحتاج إلى عملية جراحية ولكن لجشعه واسوداد طويته لم ينصحه، ومثلهم يفعل بعض الأطباء الجشعين.

* ومما يلحق هؤلاء وهم أشد شراً على المجتمع المسلم بأسره - شرقه وغربه - : الذين حذر منهم رسول الله ﷺ في غير ما حديث ألا وهم الكهنة الأشرار العرافين الفجار الذين عاثوا في الأرض فساداً وإفساداً منذ القديم.

ونقتصر في هذا الموضوع على ما قاله سماحة شيخنا الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمته الله بعد أن سرد أحاديث في النهي عن إتيان الكهنة والعرافين :
«... ولا يجوز للمسلم أن يخضع لما يزعمونه علاجاً كمنمتهم بالطلاسم أو

صب الرصاص ونحو ذلك من الخرافات التي يعملونها، فإن هذا من الكهانة والتليس على الناس ومن رضي بذلك فقد ساعدهم على باطلهم وكفرهم . . .»^(١).
وهذا جواب له أيضاً على سؤال طرح عليه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جاء فيه :

سؤال : هناك فئة من الناس يعالجون بالطب الشعبي على حسب كل منهم وحينما أتيت إلى أحدهم قال لي : اكتب اسمك واسم والدتك ثم راجعنا غداً وحينما يراجعهم الشخص يقولون له إنك مصاب بكذا وكذا وعلاجك كذا وكذا . . . ويقول أحدهم إنه يستعمل كلام الله في العلاج . . . فما رأيكم في مثل هؤلاء؟ وما حكم الذهاب إليهم؟ .

الجواب : من كان يعمل هذا الأمر في علاجه فهو دليل على أنه يستخدم الجن ويدعي علم المغيبات؛ فلا يجوز العلاج عنده كما لا يجوز المجيء إليه ولا سؤاله لقول النبي ﷺ في هذا الجنس من الناس : «من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»^(٢).

وثبت عنه ﷺ في عدة أحاديث في النهي عن إتيان الكهان والعرافين والسحرة والنهي عن سؤالهم وتصديقهم .

وقال النبي ﷺ : «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»^(٣). وكل من يدعي علم الغيب باستعمال ضرب الحصى، أو الودع، أو التخطيط في الأرض، أو سؤال المريض عن اسمه، أو اسم أمه، أو اسم أقاربه، فكل ذلك دليل على أنه من العرافين والكهان الذين نهى النبي ﷺ عن سؤالهم وتصديقهم .

فالواجب الحذر منهم ومن سؤالهم ومن العلاج عندهم وإن زعموا أنهم

(١) «تذكير البشر من خطر الشعوذة والكهانة والسحر» - جمع وتحقيق الشيخ عبد الله بن جار الله بن جار الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٢٣١).
(٣) أخرجه أبو داود (٣٩٠٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو في «صحيح الجامع» (٥٩٤٢) لشيخنا الألباني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

يعالجون بالقرآن؛ لأن من عادة أهل الباطل التدليس والخداع فلا يجوز تصديقهم فيما يقولون، والواجب على من عرف أحداً منهم أن يرفع أمره إلى ولاية الأمر من القضاة والأمراء، ومراكز الهيئات في كل بلد، حتى يحكم عليهم بحكم الله، وحتى يسلم المسلمون من شرهم وفسادهم وأكلهم أموال الناس بالباطل، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله^(١).

كيف نعرف الراقي الشرعي من الراقي البدعي؟

«لابد (للمسلم المريض) من التحري قبل الذهاب لشخص بعينه وسؤال العلماء وطلبة العلم عنه وعن معتقده ومنهجه وطريقته في العلاج، وهم بدورهم سيقودون الناس ويرشدونهم لما فيه الخير بإذن الله تعالى، ويجب الحذر من سؤال العامة الذين لا يدركون خطورة الأمر على العقيدة والمنهج، ومعظمهم لا يفرقون بين الساحر وغيره من المعالجين بالقرآن والسنة، فإن الذي يترتب على ولوج الجهلة والمستغلين للرقية من أوسع أبوابها خطر عظيم على العقيدة والمنهج والدين، وقد يستغل بعض المعالجين^(٢). وهنا تكمن أهمية العودة للعلماء وطلبة العلم لتزكية الرجل واعتماد منهجه وطريقته في العلاج. وبعد الذهاب يجب الحرص على توفر الشروط والقواعد والأسس الخاصة بالرقية الشرعية. وكذلك يجب الحرص والاستفسار عن أية أمور تشكل على المريض خاصة فيما يتعلق بالنواحي الشرعية، وسؤال المعالج لتقديم الإيضاحات حولها، أما إن تطرق المعالج بالسؤال عن اسم المريض واسم أمه أو أنه يتمم بكلام غير واضح ويتحدث بطلاسم وعزائم غير مفهومة المعنى، أو يستخدم البخور ونحوه من الأمور البعيدة كل البعد عن الرقية الشرعية وأهدافها النبيلة السامية كل ذلك يقود

(١) كتاب الدعوة - فتاوى الإمام العلامة عبد العزيز بن باز رحمته الله (١/٢٢).

(٢) وقد سبق كشف عوار بعض منهم.

للحكم على هذا الشخص بأنه ساحر أو مشعوذ أو كاهن . . .»^(١).

قواعد نبوية في الرقية الشرعية

إن إخلاص الدين لله والتوكل على الله من أعظم ما يندفع به تسلط الأرواح السفلية الخبيثة والأمراض الفتاكة، ونستطيع أن نلخص منهج رسول الله ﷺ في حفظ العافية، ودوام الصحة الجسدية والروحية والعضوية والنفسية في الآتي:

١- إخلاص الدين لله سبب لحماية العبد من كيد الشيطان وفتن الدنيا ووقاية للعبد من سلطان شياطين الإنس والجن.

٢- لا بد من الصبر على البلاء، فالفرج يأتي بعد الكرب، واليسر يأتي بعد العسر ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾^(٢)، فأني لعسر أن يغلب يسرين.

٣- احتساب ثواب البلاء مما يعين على الصبر عليه.

٤- ما عند الله لا ينال إلا بطاعته، فمن حفظ أوامر الله حفظ الله عليه بدنه وعافيته في الدين والدنيا.

٥- ينبغي للعبد أن يتعرف إلى الله في الرخاء قبل الشدة، فمن تعرف إلى الله في الرخاء تعرف الله إليه في الشدة، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾^(٣) لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣﴾

٦- الإحسان إلى الخلق والصدقة على الفقراء والمساكين من أسباب دفع

البلاء.

(١) موسوعة علم الرقى (٦/٤٥٧-٤٥٨).

(٢) سورة الشرح: (آية ٥-٦).

(٣) سورة الصافات: (آية ١٤٣-١٤٤).

٧- ينبغي للمريض أن يلجأ إلى الله ويأخذ بأسباب العلاج في شفاء مرضه قبل أن يلجأ إلى أي مخلوق من البشر.

٨- الرقية تطلب للمريض ولا يطلبها هو لنفسه توكلًا على الله، واعتمادًا عليه لحديث ابن عباس في وصف السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب: «لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتبون وعلى ربهم يتوكلون»^(١).

٩- ينبغي للمريض أن يعلق قلبه بالله، ويلجأ إليه عند الاضطرار لا لأحد غيره ﴿أَمِنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾^(٢).

١٠- درهم وقاية خير من قنطار علاج، فلا بد من الوقاية والحذر من كل مؤذ ماديًا ومعنويًا جسدًا وروحًا.

١١- السلاح بضاربه، فلا يكفي قوة السلاح إذا كان حاملة مشلولًا، أو هزيلًا، وهكذا الرقى الشرعية تكون قوية ومؤثرة إذا خرجت من قلب ولسان صادق مؤمن بها قائم بما أوجب الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ.

١٢- القرآن كله شفاء، ولكن تتفاوت آياته في تأثيرها تبعًا للدليل الوارد في بعضها على وجه الخصوص، ولا بأس بالأدعية والأذكار التي لا تشتمل على مخالفة أو نهى أو شرك، لحديث: «عرضوا عليّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا»^(٣).

١٣- لا يجوز الاستعانة بالجن لإخراج الجن وإبطال السحر ولو كانوا مسلمين، لأن ذلك لم يفعله الرسول ﷺ، وليس من عمل السلف، وهو فتح لباب من الشر العظيم، والشياطين يلبسون على كثير من المعالجين ويستدرجونهم، وإغلاق هذا الباب هو الأولى، والاكتفاء بالرقية الشرعية فيه السلامة والنجاة، قال

(١) رواه البخاري رقم (٥٧٠٥) ومسلم (٢٢٠) وأحمد (٤٠١/١)، (٤٥٤).

(٢) سورة النمل: (آية ٦٢).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٢٢٠٠).

تعالى: ﴿وَأَنْتَ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾^(١) أي: طغياناً وتكبراً وتسلطاً على الإنس.

فالموحد لا يستعين إلا بالله وحده، كما لا يعبد إلا الله. وبهذا تصلح القلوب، وتنازل الأفتدة، وتسكن الجوارح لحكم ربها، وتنقاد الأنفس لأمر قابضها؛ «فإن صلاح القلوب أن تكون عارفة ربها وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه، وأن تكون مؤثرة لمرضاته ومحابته، متجنبة لمناهيه ومساخطه. ولا صحة لها ولا حياة- البتة- إلا بذلك، ولا سبيل إلى تلقيه إلا من جهة الرسل، وما يظن حصول صحة القلوب بدون اتباعهم فغلط ممن يظن ذلك»^(٢).

وقال الدكتور محمد بن عبد الله الصغير في توصياته للمعالجين ومن يقومون بالرقية:

- ١- عليهم بتقوى الله تعالى في عقائد المسلمين وأموالهم وأعراضهم.
- ٢- طلب العلم الشرعي، والوعي الصحي، ومحاولة الجمع بينهما، والحذر من المبالغة والتنفير من الأساليب الطيبة.
- ٣- التعاون مع الأطباء عموماً والنفسيين خصوصاً لا التنفير منهم أو تمص شخصياتهم.

وفي توصياته لطلبة العلم:

- ١- تعليم الناس أمور العقيدة، وبخاصة تلك المرتبطة بالتداوي والتوكل على الله تعالى.
- ٢- الاطلاع على الطب النفسي وعلم النفس، للتمحيص والاستفادة، فالحكم على الشيء فرع عن تصوره.

(١) سورة الجن: (آية ٦).

(٢) من كلام العالم السلفي الرباني- ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ. زاد المعاد (٧/٤).

وفي توصياته للأطباء النفسيين :

- ١- الحذر من تسفيه رأي المريض .
 - ٢- عدم حرمان المريض من الرقية الشرعية .
 - ٣- تمحيص العلوم النفسية الغربية على ضوء تعاليم الإسلام .
- وفي توصياته للإعلام :

١- الحد من الإثارة الإعلامية غير المدروسة ، وإخضاعها للمراقبة الشرعية والصحية .

٢- السعي في التوعية والتعليم الشرعي والصحي^(١) .

وأضيف على ما ذكر وأخص بذكر الأطباء المؤتمنين فأقول :

١- الموت ، والخلوة بالنساء ؛ فإن الخلوة بالنساء ولو باسم الطب والمعالجة مشاققة لله والرسول ، وسبب رئيس للفتنة والفاحشة . والطبيب ليس بمعصوم ولو أقسم ألف يمين ويمين ، فما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما ، وكم ذاقت النساء مراً من جراء تلك الخلوات ، وكم اعتدى سفهاء الأطباء والمعالجين من المشعوذين وإخوانهم من جهلة الراقين على كثير من العفيفات أمته على أعراضهن وعوراتهن ، فولغوا فيها ولوغ الذئاب في لحوم النعاج .

٢- لمس النساء سواء فوق رأسها أو غير ذلك ؛ دون ضرورة حتمية ولا إلى استناد إلى أدلة شرعية مع تواتر الأدلة عليهم تزجرهم وتحذرهم من ذلك حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها فإن ثالثهما الشيطان»^(٢) . فكيف إذا كان مع

(١) كتاب «المعالجون بالقرآن» (٢٢٠-٢٢١) بواسطة كتاب «موسوعة في علم الرقى» (١١٤-١١٥)

(٢) أخرجه أحمد (٣/٣٣٩) . وخرجه شيخنا رحمته الله في «الإرواء» رقم (١١٨١٣) .

المرأة شيطانان - شيطان الإنس وشيطان الجن - . وقال أيضا : «لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط خير له أن يمسه امرأة لا تحل له»^(١) .
فكيف إذا كان !؟؟! والله المستعان .

٣- عدم التوسع والتفريط في أحكام الرقية ، فنسعى جاهدين إلى أن تكون رقيتنا موافقة لرقية الرسول ﷺ - فلا نزيد ولا ننقص - ولا نغلو ولا نجافي «خاصة فيما يتعلق بالممارسات والمؤلفات غير المنهجية»^(٢) . ولتقف حيث وقف القوم فعلى هدى وقفوا .

غش الحجاجين والفضّادين^(٣)

«ينبغي ألا يتصدّى للفصد إلا من اشتهرت معرفته وأمانته وجودة علمه بتشريح الأعضاء والعروق والعضل والشرايين ، وأحاط بمعرفتها وكيفيةها ، لثلا يقع المبضع في عروق غير مقصودة أو عضلة أو شريان ، فيؤدي إلى زمانة العضو وهلاك المفصود ، وإذا أراد تعلّم الفصد فليدمن بفصد ورق السلق أعني العروق التي في الورقة حتى تستقيم يده ، ولا يفصد عبداً إلا بإذن سيده ، ولا صبياً إلا بإذن وليّه ، ولا حاملاً إلا طامثاً ، وألا يفصد إلا في مكان فضاء ، وأن تكون آلته ماضية ، ولا يفصد وهو منزعج الجنان .

وينبغي للمحتسب أن يأخذ عليهم العهد والميثاق أنّ في عشرة أمزجة لا يحدث فيها الفصد إلا بعد مشاورة الأطباء ، وهي في السنّ القاصر عن الرابع عشر ، وفي سن الشيخوخة وفي الأبدان الشديدة القضاة ، وفي الأبدان الشديدة اليبس ، وفي

(١) أخرجه الطبراني عن معقل بن يسار رضي الله عنه ، وهو في الصحيحة (٢٢٦) .

(٢) «موسوعة في علم الرقى» (٦/٥٢١) .

(٣) لمزيد من التبيين والإيضاح حول أحكام الحجامة والفصد؛ ينظر كتابي «منهج السلامة في التداوي بالفصد والحجامة»

الأبدان المتخلخلة، وفي الأبدان البيض الرحلة، وفي الأبدان الصفرة العديمة الدم، وفي الأبدان التي طالت بها الأمراض، وفي الأمزجة الشديدة البرد، وعند الوجود الشديد، فهذه الأحوال التي يجب أن تُكشَفَ عن الفاصد في وجودها، وقد نهت الأطباء عن الفصد في خمسة أحوال أيضًا، ولكن مضرّتها دون مضرّة العشرة الأولى المقدم ذكرها. فالحالة الأولى: الفصد عقب الجماع وبعد الاستحمام المخلّد، وفي حال الامتلاء من الطعام، وفي حال امتلاء المعدة والأمعاء من الثفل، وفي حال شدة البرد والحر، فهذه أحوال يتوقى الفصد فيها أيضًا.

واعلم أن الفصد له وقتان؛ وقت اختيار ووقت اضطرار؛ فأما وقت الاختيار: فهو ضحوة النهار بعد تمام الهضم والنفص، وأما وقت الاضطرار: فهو الوقت الموجب الذي لا يتسع تأخيره ولا يلتفت فيه إلى سبب مانع، وينبغي للمفتصد أن لا يمتلئ من الطعام بعده بل يتدرّج في الغذاء ويلظفه ولا يغتاظ بعده، بل يميل إلى الاستلقاء، ويحذر النوم عقب الفصد فإنه يحدث انكسارًا في الأعضاء ومن افتصد وتورّمت عليه اليد فليفصد في اليد الأخرى بمقدار الاحتمال.

وينبغي أن يكون مع الفاصد مباحة كثيرة في ذوات الشعيرة وغيرها، ويكون معه وتر ليشد الذراع به، وأن يكون معه نافجة المسك وأقراصه حتى إذا عرض للمفصود غشي بادر يشمه النافجة ويجرعه من أقراص المسك شيئًا فتنعش قوته بذلك، وليمسح رأس مبضعه بالزيت الطيب، فإنه لا يوجع عند البضع غير أنه لا يلتحم سريعًا، وإذا أخذ المبضع فليأخذ بالإبهام والوسطى ويترك السبابة للجس، ولينشل نشلًا ولا يغرز غرزًا.

واعلم أنه ينبغي أن يوسع الضربة في الشتاء لئلا يجمد الدم، ويضيق الضربة في الصيف لئلا يسرع إليه الغشاوة وأن يحفظ صحة قوة المفصود، ومتى تغير لون الدم أو حدث غشي أو ضعف في البدن فليبادر إلى شدّه ومسكه.

واعلم أن العروق المفصودة كثيرة؛ منها عروق في الرأس، وعروق في اليدين، وعروق في البدن، وعروق في الرجلين، وعروق في الشرايين، فيمتحنهم

المحتسب بمعرفتها وبما جاورها من العضل والشرايين . وسأذكر ما اشتهر منها .
أما عروق الرأس المفصود فعرق الجبهة وهو المنتصب ما بين الحاجبين ،
وفصده ينفع من ثقل الرأس وثقل العينين والصداع الدائم .

ومنها العرق الذي فوق الهامة ، وفصده ينفع من الشقيقة ، وعروق الرأس منها
العرقان البارعان الملويان على الصدغين ، وفصدهما ينفع من الرمد والدمعة
وجرب الأجنان ، ومنها عرقان يسميان الوصواف من خلف الأذنين يفصدان لقطع
النسل . فيحلفهم المحتسب أن لا يفصدوا أحداً فيهما لأن ذلك يقطع النسل ، وفعل
هذا حرام ، ومنها عروق الشفتين ، وفصدهما ينفع من قروح الفم والقلاع وأوجاع
اللثة وأورامها ، ومنها العروق التي تحت اللسان ، وفصدها ينفع للخوانيق وأورام
الرأس .

وأما عروق اليدين فسته : القيفال والأكلح والباسليق وحبل الذراع الوحشي
والأسيلم والإبطي ، وهو شعبة من الباسليق ، وأسلم هذه العروق القيفال ، وينبغي
أن ينحى في فصده رأس العضلة إلى موضع ليين ويوسع بضعه إن أراد أن يثني ، وأما
الأكلح ففي فصده خطر عظيم لأجل العضلة التي تحته ، وربما وقعت بين عصبين ،
وربما كان فوقها عصبه دقيقة مدورة كالوتر ، فيجب أن يعرف ذلك ويجتنب في حال
الفصد ، ويحتاط أن تصيبه الضربة فيحدث منها حدث مزمن .

وأما الباسليق فعظيم الخطر أيضاً ؛ لوقوع الشريان تحته ، فيجب أن يحتاط
لذلك ، فإن الشريان إذا بضع لم يرقأ دمه .

فأما الأسيلم فالأصوب أن يفصد طويلاً ، وحبل الذراع يفصد مؤرباً .

وأما عروق الرجلين فأربعة ؛ منها : عرق النسا ، ويفصد عند الجانب الوحشي
من الكعب ، فإن خفي فليفصد في الشعبة التي بين الخنصر والبنصر . ومنفعة ذلك
عظيمة في القرص ، ومنها عرق الصافن ، وهو على الجانب الأيسر ، وهو أظهر من
عرق النسا ، وفصده ينفع من البواسير ويدر الطمث وينفع الأعضاء التي تحت

الكبد، ومنها عرق مأبض الركبة، وهو مثل الصافن في النفع، ومنها العرق الذي خلف العرقوب وكأنه شعبة من الصافن، فمنفعة فصدّه مثل الصافن، والذي يجوز فصدّه على الأكثر شريان الصدغين والشريان الذي بين الإبهام والسبابة، وقد أمر جالينوس بفصدّه في المنام.

والحجامة عظيمة المنفعة، وهي أقلّ خطرًا من الفصادة، وينبغي أن يكون الحجام خفيًا رشيقيًا خبيرًا بالصناعة، وأن يخفّ يده في الشروط ويستعجل، ثم يعلق المحجمة، وعلامة خفة يده ألا يوجع المحجوم.

وأفضل أوقات الحجامة الساعة الثانية والثالثة من النهار، وأما منافع الحجامة فإنها كثيرة: تنفع من ثقل الحاجبين، وجرب العينين، والبخر في الفم، غير أنها تورث النسيان كما قال النبي ﷺ إن مؤخر الدماغ موضع الحفظ وتضعفه الحجامة»^(١).

حماية المستهلك من الغش كما أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة

حقوق المستهلك والمبادئ الإرشادية لحماية مصالحه كما أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة.

حقوق المستهلك:

«تلخص حقوق المستهلك كما أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة بقرارها رقم ٣٩/٣٤٨ في ٩ إبريل ١٩٨٥ في الثماني حقوق الآتية:

١- حق الأمان: حماية المستهلك من المنتجات وعمليات الإنتاج

(١) «معالم القرية» (ص ١٥٩-١٦٣).

والخدمات التي تؤدي إلى مخاطر على صحته وحياته .

٢- حق المعرفة : تزويد المستهلك بالحقائق التي تساعد على قيامه بالاختيار السليم ، وحمايته من الإعلانات ومن بطاقات السلع التي تشمل معلومات مضللة وغير صحيحة .

٣- حق الاختيار : أن يستطيع المستهلك الاختيار من العديد من المنتجات والخدمات التي تعرض بأسعار تنافسية مع ضمان الجودة .

٤- حق الاستماع إلى آرائه : أن تمثل مصالح المستهلك في إعداد سياسات الحكومة وتنفيذها ، وفي تطوير المنتجات والخدمات .

٥- حق إشباع احتياجاته الأساسية : أن يكون للمستهلك حق الحصول على السلع الضرورية الأساسية وكذلك الخدمات ، كالغذاء والكساء والمأوى والرعاية الصحية والتعليم .

٦- حق التعويض : أن يكون للمستهلك الحق في تسوية عادلة للمطالبة المشروعة ، شاملة التعويض عن التضليل أو السلع الرديئة أو الخدمات غير المرضية .

٧- حق التثقيف : أن يكون للمستهلك الحق في اكتساب المعارف والمهارات المطلوبة لممارسة الاختيارات الواعية بين السلع والخدمات ، وأن يكون مدرِّكًا لحقوق المستهلك الأساسية ومسئولته وكيفية استخدامها .

٨- حق الحياة في بيئة صحية : أن يكون للمستهلك الحق في أن يعيش ويعمل في بيئة خالية من المخاطر للأجيال الحالية والمستقبلية .

المبادئ الإرشادية لحماية المستهلك

اعتمدت الجمعية العامة في ٩ إبريل ١٩٨٥ المبادئ التوجيهية الإرشادية للمستهلك (قرار الجمعية العامة ٣٩/٣٤٨) وتوفر هذه المبادئ التوجيهية للحكومات، ولاسيما حكومات البلدان النامية، إطاراً يستخدم في وضع وتعزيز سياسات وتشريعات حماية المستهلك، كما يقصد من هذه المبادئ التوجيهية تشجيع التعاون الدولي في هذا الميدان»^(١).

أهمية العلامات التجارية في عالم التجارة

«يمكن الإشارة إلى أن العلامة التجارية ليست وليدة الحاضر بل قد استخدمت العلامة قديماً للدلالة على السلعة وجهة أصل إنتاجها وجودتها، ولا شك في أن التعرف على السلعة لغرض تمييزها عن غيرها له أهميته في عالم التجارة منذ أقدم العصور، فتعتبر العلامة من أهم أسباب رواج السلعة وانتشارها.

ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن القبائل العربية منذ زمن سحيق تستخدم العلامات الفارقة وتوسم ما يخصها من الماشية والأغنام والجمال والصقور وذلك لتمييزها عن غيرها من ممتلكات القبائل العربية الأخرى؛ وهو ما كان يطلق عليه اسم الوسم أو الوشم.

كما استعملت العلامة على نطاق واسع عند الرومان وتجار أوروبا مثل تجار هولندا وفينيسيا ولندن، أما في فرنسا فكان استخدام علامات الصناعة إلزامياً في القرون الوسطى؛ إذ كانت الدولة تفرض ذلك لمصلحة المستهلكين لا التجار وإلا أتلفت المنتجات.

(١) حماية المستهلك العدد الرابع عشر المجلد الثالث ١٩٩٨ (ص ٢٥).

(١) ما هي العلامة التجارية :

لقد ورد تعريف العلامة التجارية في مستهل كافة قوانين العلامات العربية ، حيث اتفقت معظم التشريعات على أنه يقصد بالعلامة كل إشارة ظاهرة تستخدم أو يراد أن تستخدم لتمييز منتجات مشروع عن منتجات مشروعات أخرى ، وهي في العادة إشارة توسم بها السلع والمنتجات والبضائع أو تعلم بحيث أنها تمكن التجار أو أرباب الصناعات من تمييز بضائعهم عن منافسيهم بالأسواق ، كما أنها تمكن المستهلك العادي من التعرف على حقيقة مصدر السلعة التي يشتريها أو يقتنيها وتجعله يطمئن إليها ، فما رآه أن المستهلك العادي وصل إلى مرحلة متقدمة من تمييز المنتجات التي يرغب بها أو يفضلها عن غيرها من المنتجات ، فالمدخن^(١) مثلاً يطلب نوعاً معيناً من السجائر ، والطفل يفضل نوعاً من الحلوى دون غيرها ، والمرأة تفضل لزيبتها عطوراً أو مساحيق تجميلية (كوزميتيك) من علامة معينة من العطور أو المساحيق .

ومن هذا المنطلق يمكن القول إن العلامات التجارية تعطي سلسلة من الخدمات والفوائد أهمها يمكن التعرف بسهولة ويسر على رغبات وأذواق المستهلكين للبضائع والمنتجات التي يفضلونها بالإضافة إلى ذلك فإنها تخدم المنتج التاجر الذي يقوم بإنتاج وبيع هذه البضائع والمنتجات التي تحمل العلامة التجارية (الماركة التجارية) وتمكينه من إبراز سمات منتجاته أو ما تتصف به من جودة تميزها عما يماثلها أو يشابهها مما يؤدي إلى تسهيل المعاملات التجارية بين الأطراف ، وليس بالضرورة أن يكون تفضيل استعمال منتجات أو بضائع عن غيرها راجعاً إلى الجودة ؛ فقد يعود إلى أسباب عديدة مثل : رخص البضاعة أو متانتها أو شكلها أو ذوق المستهلك نفسه وتعوده الطبيعي لها كما يحصل في حالات التدخين إذ يعتاد المدخن على نوع من السجائر دون غيره وقلما يغير المدخن سجائره

(١) التدخين حرام في الشريعة الإسلامية بنصوص شرعية من الكتاب والسنة وفتاوى العلماء قديماً وحديثاً .

بغيرها ، وقد يكون السبب تأثير وسائل الدعاية والإعلان على المستهلك لترويج سلعة معينة كما هو الحال عند الأطفال لدى مشاهدتهم دعاية من أنواع الشوكولاته أو الحلوى أو الجبنة أو غيرها على شاشات التلفزيون .

ويمكن أن ننوه إلى أن العلامة التجارية (العلامات التجارية) تعتبر وسيلة إعلانية هامة؛ فعن طريق إذاعة ونشر العلامة يسهل تعريف المصنع سلعته أو خدمته، الأمر الذي يؤدي إلى ثبوت العلامة في ذهن الناس . ولم يعد من السهل تجاهل الآثار الإعلانية في حياتنا اليومية المعاصرة، وذلك من خلال ملاحظة يومية حين مطالعة الإعلانات في وسائل الإعلام المرئية والمقروءة بل قد تقوم المشروعات الاقتصادية في استشارات وكالات الدعاية بالأمور المتعلقة بكيفية العلامة ولونها وتصميمها بشكل مميز حتى تشد انتباه الناس إليها، وذات نغمات موسيقية^(١) رنانة عند سمع أو تلفظ بها وغير ذلك من الإيحاءات المثيرة لأذهان الناس وأحياناً يكون التفضيل ناجماً عن تشجيع ودعم المنتج لمنتجاته الوطنية بغض النظر عن جودتها .

وهذه العلامات بغض النظر عن دلالاتها، فهي إحدى الوسائل التي ينال بواسطتها المصنع أو التاجر كسبه المادي ويحقق شهرته من خلال استعماله لهذه العلامات .

(٢) قوانين الحماية :

استشرفت قوانين حماية الملكية الصناعية خلال العصور الوسطى وكان أبرز تشريع هو قانون البندقية الذي تم وضعه عام ١٤٧٤م . ولم يكتمل صدور قانون الحماية بشكل منتظم إلا بعد الثورة الصناعية، ورواج استخدام الآلات وسرعة المواصلات، وارتفاع مستوى معيشة الأفراد، ووفرة السلع والبضائع، واتساع

(١) معلوم أن الموسيقى حرام في الشريعة، بأدلة من الكتاب والسنة وآثار سلف الأمة .

نطاق المتاجرة بها، إذ اتضحت الحاجة لضرورة قيام تشريعات خاصة لحماية منتجاتهم، فقد صدر التشريع في فرنسا عام ١٨٥٧م، وانطلقت إلى الدول الصناعية المتقدمة، ومن ثم إلى معظم البلدان النامية ومن ضمنها البلدان العربية التي حذت حذو الدول المتقدمة في انتشار تشريعات^(١) خاصة بالملكية الصناعية؛ من أجل الحماية وقمع المنافسة التجارية غير المشروعة، وحماية الجمهور من الغش والتزوير، ونشر الوعي بين أفراد المجتمع عن طريق درء الخطر عن حقوق الأفراد، كي لا يتم التعدي عليها.

(٣) حماية العلامات في الأقطار العربية وأهميتها :

ولقد تسابقت الدول والشعوب نحو تحقيق القواعد الأساسية والركائز الأولى لبناء قانون يسهم في تطوير أساليب الحماية وابتكار أحسن القواعد التي تضمن صيانة تلك الحقوق لما لها من تعلق بالتطور الصناعي ونقل التكنولوجيا غير أن دولاً أخرى وشعوباً غفلت عن أهمية صون هذه الحقوق بسبب الأحوال السياسية الخاصة بها، التي حالت دون تحقيق مثل هذا التطور؛ مما اضطرها إلى الأخذ بأسباب تحقيق تطورها عن طريق سن القواعد الجديدة التي تضمنت ملامح التطور والتحديث؛ لاحقاً للتحويل في الاقتصاد العالمي إثر زيادة أسعار النفط بعد حرب ١٩٧٣م شهدت الأسواق العربية تطوراً كبيراً، الأمر الذي أدى إلى اجتذاب الشركات من كافة أنحاء العالم إلى المنطقة العربية والدخول في منافسة حادة فيما بينها، حيث إن غالبية التشريعات العربية تقتضي تسجيل العلامة من أجل حمايتها، فقد سارعت الشركات إلى اكتساب حق الأسبقية في التسجيل من أجل ضمان حماية منتجاتهم في هذه الأسواق.

(١) لقد نص شرعنا على حماية الحقوق والملكية الخاصة للأفراد والجماعات، فلا حاجة لنا لسن قوانين وتشريعات مستوردة من الغرب والشرق، قال تعالى: ﴿مَّا قَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وحسبنا قول النبي ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه». [أخرجه مسلم (٢٥٦٤)].

ومن هنا زاد الاهتمام بحماية العلامات التجارية وتسجيلها ، والذي أدى إلى ظهور بعض تشريعات العلامات في السبعينات والثمانينات ، واكتملت خير قوانين العلامات التجارية في التسعينات بصدور قانون الإمارات العربية ، وكذا إصدار قانون رقم (١٩) لسنة ١٩٩٤م في الجمهورية اليمنية . ويمثل هذا الاهتمام أيضًا بإنشاء المنظمات العربية الإقليمية بتنسيق مع الاتحادات والجمعيات الدولية ، مثال ذلك ايدكاس (idcas) (مركز التنمية الصناعية للدول العربية) الذي تأسس في ١٨ / مايو / ١٩٦٨م ، وجمعية ابيماف (appimaf) (جمعية الملكية الصناعية في العالم العربي) التي تأسست سنة ١٩٧٣م كعضو إقليمي للدول العربية تابعة للجمعية الدولية لحماية الملكية الصناعية .

وكذلك المجمع العربي لحماية الملكية الصناعية الذي تأسس عام ١٩٨٧م ، يقع على عاتق هذه المؤسسات وإدارات العلامات في العالم العربي لا المساهمة في تطوير وتحديث القوانين المتعلقة بالعلامات ، وكذلك القوانين المرتبطة بها ، بما في ذلك الحماية من المنافسة غير المشروعة والغش التجاري ومحاربة التزوير والتقليد ، ووضع الأسس السليمة اللازمة والمتكاملة من أجل الارتقاء بمهمة العلامات التجارية وتحقيق الأهداف ، بغض النظر على دلالة العلامات فهي إحدى الوسائل التي ينال بواسطتها المصنع أو التاجر كسبه المادي»^(١) .

من صور غش المهن والتجارات والصناعات

غش البناء :

قال ابن الأخوة: «ومن البنائين والنجارين والدهَّانين من يقرب على المستعمل ما يصنعه ويهونه عليه ويقلله ، حتى إذا نُشِّطَ إليه وشرع فيه يُحَوِّجُه إلى

(١) حماية المستهلك - العدد الرابع عشر ، ١٩٩٨ - المجلد الثالث (ص ١٢ ، ١٣) .

أكثر مما قدر، فيكون في ذلك ضرر عليه وغش، وربما يفتقر، وركبهُ الدِّينُ بسبب ذلك، وربما باع الموضع قبل تمامه، وفي هذا أذية عظيمة، وينبغي أن يتقدّم بما يمنع أتمّ منع بالحلف والأيمان المؤكدة بالنصيحة والتخويف والرهبنة، ومتى لم يستعمل من يبني من الصنّاع ما يصحح به عمله من زوايا وموازين وخيوط، وإن جرى فيما يعمل زيف أو ميل أو انحراف عن الاستواء، لزمه عيب ذلك وفساده حتى يعود صحيحاً مستقيماً، ومتى قطع البناءون من أخشاب الناس المستأجرة للدعائم شيئاً لزمهم أرشه وعليه الأدب بعد الإعذار إليهم^(١).

الغش في البناء يتمثل في المواد على أن يطلب حديد بسماكة معينة ويكون سعر هذا الحديد محدداً، فيحضرها الصانع بسماكة أقل وسعر أقل، لكنه يحاسب عليها بسعر الأولى، وهكذا في معظم المواد^(٢)، الأمر الذي نتجت عنه كوارث أزهقت

(١) «معالم القرية» (ص ٢٣٥).

(٢) من ذلك ما وقع في ترميم المتحف البريطاني. فانظر ما أعلنته بي بي سي العرب، يوم ٥/١٢/٢٠٠٠: المتحف البريطاني يتعرض لانتقادات:

الجهة الجنوبية بعد التطويرات الأخيرة التي وفرت مساحات جديدة تعرض مشروع تطوير الساحة الأمامية من المتحف البريطاني، الذي كلف قرابة مائة مليون جنيه استرليني، والذي ستقوم ملكة بريطانيا بافتتاحه الأربعاء، إلى موجة من الانتقادات من قبل مسئولين عن شؤون التراث في البلاد. واتهمت هيئة التراث البريطاني، وهي مؤسسة عامة، مسئول المتحف بالتعاس في أداء واجباتهم بعد أن كشف استخدام المقاولين المكلفين بالبناء أن نوعاً مختلفاً من الأحجار لبناء الجزء الجديد الملحق بالجهة الجنوبية للمتحف هكذا يبدو الجزء المغطى من المتحف. وتقول الهيئة: إن الحجر المستخدم في البناء هو حجر الجير أو حجر الكلس الفرنسي، وليس حجر بورتلاند البريطاني المستخدم في البناية الأصلية التي أقيمت في منتصف القرن التاسع عشر على الطراز النيوكلاسيكي. ويوجه النقاد لومهم على كون تلك الحجارة أخف وزناً من الحجارة البريطانية، ويقول الرئيس السابق لهيئة التراث البريطاني جوسلين ستيفنز في تصريح لـ: بي بي سي، إن إدارة المتحف حاولت حل المشكلة بالغش.

وأكد ستيفنز بأن مسئول المتحف أخفوا بعض الأخطاء والزلات في البناء الجديد لا يمكن أن ترى بالعين المجردة، ويقول: إن مثل هذه البنائيات تصمم وتبنى لتبقى إلى الأبد تقريباً، لكننا نرى الغش جلياً فيها... أما رئيسة المتحف سوزان تافرين فتدافع عن موقف إدارة المتحف بقولها: سواء كانت تلك الحجارة الصحيحة أم لا، تظل النتيجة التي انتهينا إليها صحيحة، فالبناء رائع، ولم تطرح هيئة التراث في أي مرحلة من المراحل اجراء تعديلات عليه.

ويدخل في تكوين السقف الزجاجي للملحق الجديد أكثر من ثلاثة آلاف صفيحة زجاجية، ونحو أربعمائة وثمانية وسبعون طناً من الفولاذ، ونحو ثلاثمائة وخمسة عشر طناً من الزجاج، ونحو أحد عشر كيلو متراً من الهياكل =

بسببها أرواح بريئة، كل ذلك بسبب الغش في المواصفات والمقاييس التي يديرها المقاولون ومتعهدو البناء عن عمد وقصد، يحدث هذا في كل الدول بما فيها الدول الراقية مدنيًا، فالغش لا دين له ولا هوية له ولا وطن له، وأخيرًا: إن الزلزال المدمر الذي ضرب العاصمة الجزائرية فأودى بحياة نحو ثلاثة آلاف قتيل وأكثر من عشرة آلاف جريح، كان من أسباب الزيادة في عدد القتلى والجرحى غش الأبنية،

= السقفية.

ومن زاوية نظر ثانية:

يشار إلى أن مشروع توسيع المتحف البريطاني الذي يموله صندوق الألفية يتعرض كما هو حال مشاريع مماثلة مثل قبة الألفية وجسر الألفية إلى انتقادات وجدل بين أطراف مختلفة بتوزعون إلى فريقين: الأول من أصحاب النزعات المحافظة، والثاني من المجددين المحدثين.

ويقول مصمم المشروع المهندس المعماري اللورد فوستر: إن البناء يعد أكبر ساحة مغطاة في أوروبا، كما أنه يعتبر ساحة عامة رائعة الشكل تقع في قلب العاصمة البريطانية، وسيوفر مساحات واسعة للمتحف الذي أقيم في عام ألف وثمانمائة وخمسين، يمكن استخدامها للعروض بمختلف أنواعها.

ومن ثمار جرائم الغش التي ابتلي بها الناس فإنه في يوم ١٤/٥/٢٠٠٠م:

انهيار مبنى سكني في القاهرة:

- عمال الإنقاذ يتشلون جثة من تحت الأنقاض:

لقي أحد عشر شخصًا على الأقل مصرعهم بينهم عائلة من أربعة أفراد إثر انهيار عمارة سكنية من ستة طوابق في حي الحلمية الجديدة بالعاصمة المصرية القاهرة.

وقالت فرق الإنقاذ إنها تتوقع انتشار مزيد من الجثث من ركام المبنى.

وكان عدد من سكان العقار قد أدخلوه قبل ساعات من انهياره بعد أن بدأت تظهر فيه شقوق وتصدعات.

- أقارب المفقودين يدعون الله أن ينقذهم:

وذكرت السلطات المحلية أنها أصدرت قبل ساعات من انهيار المبنى أمرا بإخلائه تهيئًا لإزالته، وذلك نظرًا لسوء حالته.

غير أن مراسلتنا في القاهرة تقول إنه في ضوء اكتظاظ العاصمة بالسكان فإن المواطنين يضطرون للسكن في بيوت ضعيفة الأساسات وعرضة للانهيار.

- غالبية الحوادث سببها الغش في البناء والإضافات غير القانونية.

وقد تمكن عدد قليل من السكان من النجاة بحياتهم عندما غادروا المبنى فور شعورهم باهتزازه.

يذكر أن حوادث انهيار المباني السكنية في القاهرة ازدادت في التسعينات مما أسفر عن مقتل العشرات، وألقي باللائمة في هذه الانهيارات على الغش في البناء والتعديلات والإضافات غير القانونية في المباني. [نقلًا عن: بي

بي سي أون لاين].

خصوصًا الأحياء الشعبية والفقيرة، أما الأبنية التي روعي فيها المواصفات العالمية فلم تتعرض لأذى بليغ كغيرها . وكل هذا يؤكد أن الغش جريمة قد يصل خطرها إلى القتل غير المباشر، وأن أصحابها يستحقون أشد العقوبات، ولكن من المعاقب، ومن المعاقب؟!!

غش بائعي السجاد المتجولين :

هناك نوعان من الغش :

١- بيعها على أنها من النوعية الجيدة فتباع بسعر الجيدة تقريبًا، وهي من أردأ الأنواع .

٢- بيعها على أنها مقاس (٤X٤) وعند فتحها تجدها (٤X٣) أو (٣X٢) .

ظلم أصحاب العمل للعاملين :

يتفق رب العمل مع العامل في أول النهار على أجرة محددة وفي آخر النهار يعطيه أقل منها ويقول له: «هذا كل الذي معي»، فيأكل حقه بالباطل . وهذا من الغش - عيادًا بالله .

غش الإلكترونيات :

١- إذا كان الجهاز به عطل يسير فيقول لصاحبه: «تأتي غدًا»، فلما يأتيه من الغد يقول له: «لقد ركبت به كذا وكذا» ويطلب بعض القطع، وسبب عطله سلك صغير .

٢- يأخذ من صاحب الجهاز ثمن قطعة أصلية ويركب مكانها قطعة تجارية .

٣- يعمل على تعطيل دائرة إلكترونية في الجهاز بحيث لو حصل أي خلل في الكهرباء الخارجية تعطل الجهاز .

البائعون المتجولون أكثرهم غشاشون :

اشتكى المواطنون من قيام باعة متجولين بعرض منتجات بعضها يحمل علامات تجارية عالمية بأسعار زهيدة الثمن .

لكن هذه المنتجات تتعطل أو تصاب بالتلف .

كما أن هناك بعض تجار الخضار يقومون بالتحايل على المواطنين حيث يجمعون الخضار والفواكه التي لم تنفذ في اليوم السابق ويضعونها في شرحات بوليسترين مستخدمين كميات جيدة على وجه البكسة بينما يضعون في الأسفل المنتج الأسوأ^(١) .

غش في تجارة البطاريات :

قام أحد المواطنين بشراء ٤ بطاريات مغلقة من محل تجاري وعندما ذهب للبيت محاولاً استعمالها اكتشف أن البطاريات لا تعمل ! إلى المسئول حول^(٢) .

غش الحدادين :

«لا يجوز لهم- أي الحدادين- إذا اشتروا قطعة نحاس فيها لحامات إلا أن يطلع المشتري عليها ، وإن كانت مما يبيّض فيأمرهم أن ينقشوا عليها عتيق ملحوم بقلم غليظ حتى يعرفه المشتري ، ويدخل على بصيرته ، فإن أخفاه ولم يطلعه عليه كان غاشاً ، فإن اطلع بعد ذلك المشتري عليه ثبت له الرد وعزّره المحتسب على غشه ، ويلزمهم إذا اشتروا شيئاً بنسيئة أن يخبروا شراؤه بالنسيئة ولا يقولوا شراؤه كذا ولم يُعيّن ، وهذا تدليس .

ويلزم الصناع ألا يخلطوا النحاس الأحمر مع السوسي ، ولا ضرب الحار مع

(١) المرأة العدد ٢٨٣ ليوم الأربعاء ٤/٩/٢٠٠٣م (ص ٢) .

(٢) المصدر السابق .

البارد، ولا يكثروا الرصاص في النحاس المفرغ، فإنه إذا فعل منه هاون أو طاسة أو غير ذلك ثم وقع انكسر سريعًا مثل الزجاج، ولا يمكنهم أن يعملوا الطاسات المفرغة إلا رزينة حتى إذا وقعت لم يصبها شيء. ولهم ضرائب الحمراء الكبيرة رطلين ونصف بالمصري، والوسطانية رطل ونصف، والسفوية رطل وربع، والصينية رطلين وربع، والسراج ستة أرطال منارة السراج ثمانية أرطال، قالب الهناب تسع أواق، والأطباق المفرغة الدست رطلان وربع مخروط.

ويؤخذ على الحدادين ألا يضربوا سكينًا ولا مقراضًا ولا مخصفًا وهي كلبتان للضرس وما أشبه ذلك من أرمهان؛ فإنه لا ينتفع به، ومنهم من يشترط للمشتري أنه فولاذ وهذا تدليس، ولا يخلطوا المسامير الرجعية المطرقة بالمسامير الجديدة المضروبة، ويضعوها حتى لا يشك المشتري أنها جديدة وتباع، وهو الذي يسمى عندهم المزوج، فيعتبر ذلك عليهم في المسامير والمساحي والمحارث وجميع أصناف الحديد، فمن وجده فعل ذلك عزّره وأشهره، فإن تكرر ذلك منه أقامه من بين أظهر المسلمين^(١).

١- ينحصر الغش تقريبًا عند الحدادين عن طريق إحضار مواد نخب ثاني (ستوك) وبيعها جديدة أو بسعر الجديدة.

٢- ويغش أيضًا الحديد في سماكته، كما باع أحدهم زبونًا على أساس أنه حديد صلب، والحقيقة المرة أنه صنع له حديدًا مفرغًا [تيوب] وقد كان ملاءه رملاً ناعمًا مضغوطًا ليوهمه أنه حديد ثقيل صلب [مربع].

٣- وغش آخر لهم: يبيع الزبون بمواصفات عالية، ثم يُخلون عند التسليم، ويكون المستلم بمواصفات تجارية هابطة، مع ما يصاحب ذلك من المماطلة والتسويف والتأخير في التسليم.

(١) «معالم القرية» (ص ١٤٧-١٤٨) بتصرف يسير.

غش الخياطين :

١- في المشاغل الكبرى يرسل العينات بمواصفات عالية ويسلم البضاعة باختلاف كامل عن العينة .

٢- ومن غشهم بيع قماش محلي أو شبيه بالمحلي على أنه ياباني أو إنكليزي ، وذلك بوضع دمغة مزورة عليه توهم المشتري بأنه من منشأ ياباني أو إنكليزي ، ويبيع بأثمان تلك الأقمشة الأصلية .

غش كهرباء المنازل :

يكون في المنزل سلك مُرْتَخٍ من مكانه ، وهذا لا يحتاج جهداً كبيراً ، فيقوم بإيهام صاحب البيت بأن هناك مشكلة ، ويقوم بفحص الخطوط الرئيسية ، ويجعلهم يشترون القطع التي لا علاقة لها بالعتل ، ويستولون عليها في النهاية- أي العمال الفنيون- فوق الأجرة .

غش التمديدات الصحية :

١- يأتي بالبضاعة من النخب الثاني ويحسبها من النخب الأول .

٢- يكون متفقاً مع محل الأدوات على أن أية زيادة في القطع والمواد ترد ويأخذ ثمنها ، ومن هنا يأخذ للورشة التي هي بحاجة إلى ٢٠ قطعة ٣٠ قطعة ، وذلك ليرجع الزيادة ويأخذ ثمنها عامداً ، وأكثرهم يأخذون خصماً وعمولة على البضاعة التي يطلبونها من محلات الكهرباء من وراء الزبون ، وبمواطأة وتآمر مع صاحب المحل متناسين قول الله : ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^(١) . وقول الرسول ﷺ : «كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه»^(٢)

(١) سورة المائدة : (آية ٢) .

(٢) سبق تخريجه .

غش الدهان والطلاء :

«الدهانون يؤخذ عليهم بالقسامة بالله العظيم أنهم لا يدهنون ما يغشونه من جميع علاماتهم وما يتعلق بصناعتهم مما هو لهم خاصة ولسائر الناس عامة، مما يستعملونه عندهم، وأنهم يدهنون ما يبيعونه للناس ثلاث دهنات ويشمونه حتى يشبع شماً قبل دفعه إلى أربابه؛ لأن كثيراً منهم يدهن دهنة أو دهنين فأدنى ما يصيبه من الماء أو النداءة يتلف، فإن قصر أحد منهم دهناً أقل من ثلاث أنكر عليه، ويؤدون الأمانة فيما يتسلمونه من أصباغ الناس، ومهما فضل أعادوه لأربابه، ويؤمنوا من التصاوير، وقد لعن رسول الله ﷺ المصوّر، وفي حديث آخر أن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم أحيوا ما خلقتهم، فمن وجده فعل شيئاً من ذلك أدبه التأديب التام»^(١).

«وكذلك المبيّضون إذا بيّضوا موضعاً لإنسان لا يكثرُوا من أخلاط الجير في جس البياض وقت عجنه ليسهل عليهم بسطه على الحيطان بغير تعب، فإنه يكون كثرة الجير سبباً إلى سقوط الجبس على الحيطان وقت حفظه لها وبنائه عليها، ويلزم الصانع تجربة البياض الجديد ليحصل منه النصح للمستعمل»^(٢).

ومن غشهم: أن يأتي أحدهم بكمية قليلة من الدهان ويخلطه بالماء، ويأخذ ثمن الدهان على أنه كامل.

غش النجارين :

١- تطعيم الخشب يكون من الأطراف خشب لآتية والوسط سويد.

٢- توفير في المواد، فمثلاً قطعة بحاجة إلى عشرة مسامير يتم تثبيتها

بمسارين.

(١) «معالم القرية» (ص ٢٣٨).

(٢) «معالم القرية» (ص ٢٣٦).

- ٣- نخب ثاني وبيعه على أنه نخب أول .
- ٤- يحضر لوحين من النوع الرقيق ويضع بينهما نشارة وبعض الغراء حتى تلتصق ، ثم يدهنها وبيعه على أنها لاته .
- ٥- من أجل سرعة الأعتال يخلط الغراء بالماء .
- ٦- يوضع تحت الفرشة خشب أو كال [مضغوط] بدلاً من اللاتيه .
- ٧- يستعمل في الزرافيل بدلاً من (الاستبات) الزوج بدينارين والخزانة بحاجة إلى ثلاثة دنانير علبة براغي ، ويستعملها لأربع أو خمس خزانات .
- ٨- ومن غش أصحاب الكنبايات أنك تتفق مع بعضهم على خشب سويد تحت القماش والإسفنج ضغط عالي ، ثم تفاجأ بأنه قد استعمل خشب أبيض أو خشب بؤكس [سحاحير خشب] فما أن يجلس عليها ثقليل الوزن أو جسيم بدين حتى تسقط به أرضاً لضعفها وهشاشتها .

غش دهان الموبيليا :

- ١- تخلط المادة بالترنر بدلاً من البنزين ، مما يؤدي إلى فقدان اللمعة .
- ٢- في دهان الخزانة من الداخل يستعمل نوع خاص ، وتكفي العلبة بدون خلطها (وهي الأصل) خزانتين ، فتخلط بمادة (الترابة) فتكفي العلبة لأربع وعشرين خزانة .

غش أصحاب الكراجات والميكانيك :

- ١- إحضار فواتير مزيفة بقطع لا أصل لها .
- ٢- يطلب منك قطع أخرى جديدة بحجة أن الأصلية تالفة ، ويأخذ المستعملة له وبيعهها لآخر بسعر الجديدة .
- ٣- إذا اشترى قطعة بعشرين ديناراً ، يحضر فاتورة بأنها بمائة دينار .

- ٤- المماطلة وتضييع الوقت في تصليح السيارة .
- ٥- سحب بنزين من سيارة الزبون بكمية كبيرة أكثر من الحاجة المطلوبة للدهان أو غسيل الماتور أو تنظيف بعض أجزائه .
- ٦- عدم إتقان العمل أو مراقبة الله في العمل .
- ٧- الغش والسمسرة وتسليم الزبون لعصابات بائعي القطع ، وأخذ عمولة منهم على ذلك مما يرفع سعر القطع على المصلح لسيارته .
- ٨- سرقة قطع صالحة من السيارة ، وربما سرقة عدة السيارة [مفاتيح ومفكات وجك وغيره] .
- ٩- بيع القطع المستعملة والمستهلكة من سيارات الزبائن المصلحة التي قاموا بإصلاحها .
- ١٠- التساهل والإهمال في شد^(١) البراغي وإعادتها إلى مكانها ، وعدم تركيب الكثير منها .
- ١١- عدم النصيحة في تغيير وإصلاح ما يكتشفونه من عيوب وأخطار خفية والسكوت عنها ، مما يوقع صاحب السيارة ، كما حصل لي عندما اشترت سيارة قديمة من رجل تاجر زعم أنه عمل لها صيانة كاملة ، وبينما أنا أسوقها في أحد شوارع الزرقاء بالأردن ، وإذ بالمقود يخرج بيدي ، وتصبح السيارة بلا مقود ، فما وجدت ملاذًا من هذه الكارثة إلا أن أتوجه إلى الله بالاستغاثة قائلاً : ربّ سلّم ، ربّ سلّم ، حتى وقفت السيارة- ولا أدري كيف وقفت ، غير أنها عناية الله وحده سبحانه ، والحمد لله أنني لم أفاجأ بمنعطف أو جسر ، ثم تبين لي أن الرجل بائع السيارة كان قد وصل المقود مع قاعدته بمسمار ، والأصل أن يوصل برباط خاص ،

(١) وهذا ما حصل لسيارة عزيز لدي ، كان قد تساهلت بعض الكراجات بشد براغي [جبر] سيارته ، فمشى عليها إلى بلد مجاور ، ففرط [الجبر] معه ، وتفتت قطعًا كثيرة ، كل ذلك من الإهمال ، ولولا عناية الله لكانت كارثة أودت بحياة السائق ومن معه .

كل ذلك من أجل التوفير القليل ، ولو أدى ذلك قتل الآخرين ، فالله حسيبه .

غش تجليس السيارات :

١- إحضار نوع من الدهان الرديء وحسابه على أنه جيد .

٢- وضع طبقة سميكة من الجبس فوق الإصابة حتى لا يكلف نفسه عناء حفيها وتجليسها وسنفرتها ، وسرعان ما تتقشر وتتكسر هذه الطبقة لأقل عارض ، فيظهر غش صاحب الكراج .

غش أصحاب سيارات المطار والركاب الخارجيين وغيره :

ولنضرب على ذلك صورة من مطار الملكة علياء بالأردن حيث يقوم بتقديم عدة خدمات للمواطنين :

«ومن الخدمات الهامة جداً في هذا المطار خدمة نقل الركاب ، وهذه الخدمة تتم عن طرق سيارات خاصة اسمها تكسي المطار أو عن طريق باصات خاصة تعمل بين هذا المطار ومدينة عمان لكن ما يهمنا هنا هو تكسي المطار .

هذه التكاسي هي من الأنواع الحديثة ولا غبار عليها ، ولكل سيارة عداد وضع من قبل نقابة السواقين ، وقد وضعت وزارة النقل تسعيرة خاصة بهذه السيارات بعد دراسة دقيقة للمسافات ولاستهلاك الوقود ، ولظروف عملها في الليل أو النهار حسب قدوم الطائرات ، وهذه التسعيرة تبدأ بدينار ونصف عند فتح العداد ثم تحسب كل مائة متر بخمسة وعشرين فلساً ؛ أي أن أجرة السيارة من المطار إلى عمان تكون بحدود اثني عشر ديناراً إلى أربعة عشر ديناراً ، وهذه بالتأكيد أجرة مجزية ، وإذا كان المشوار إلى الزرقاء أو إربد أو الكرك فإن هذه الأجرة تتضاعف عدة مرات أحياناً .

إلى هنا والأمر عادي جداً ، ولكن ما هو غير عادي هو قيام بعض سائقي هذه السيارات بابتزاز الركاب بشكل غير مقبول أبداً ويسيء إلى صورة بلدهم .

بعض هؤلاء السائقين لا يفتح العداد ويصر على تقاضي مبلغ من الراكب يصل أحياناً إلى ضعفين أو ثلاثة أضعاف الأجرة المقررة، وبعضهم يشغل العداد لكنه يستعمل أسلوباً رخيصاً هو أشبه بالتسول، فعندما يصعد الراكب أو الركاب إلى السيارة ويبدأ بالشكوى من أن عائلته كبيرة، وأن عليه أقساطاً للسيارة، وأنه يعاني من مديونية كبيرة، وبعد وصوله وإعطائه الأجرة المقررة يصر على أخذ إكرامية من الراكب وبطريقة غير حضارية على الإطلاق.

أما الابتزاز بمعناه الحقيقي فيتم عند استعمال أحد السياح الأجانب أو أحد رجال الأعمال لإحدى هذه السيارات، إذ علمنا بأن بعض هؤلاء السائقين تقاضى من بعض هؤلاء مائة دولار عن الرحلة من المطار إلى أحد فنادق عمان، وبعضهم تقاضى ثمانين دولاراً، وإذا طلب السائح أو رجل الأعمال من السائق إيصاله إلى أحد الفنادق لأنه يكون قادمًا إلى الأردن لأول مرة فإن هذا السائق يتقاضى بدل أتعاب أو سمسة من صاحب الفندق...»^(١).

وزارة التجارة السعودية تلزم وكلاء السيارات بالرفع إليها عند خدمة المستهلك المتضرر:

ألزمت وزارة التجارة السعودية وكلاء السيارات باستدعاء السيارات التي تظهر فيها أخطاء تصنيعية أو عيوب فنية يتم اكتشافها أو الإعلان عنها من قبل الشركات الصانعة للسيارات، ودعوة ملاك وأصحاب تلك السيارات لمراجعة الوكلاء لتقديم الخدمة المطلوبة، وإبلاغ الوزارة بتلك الإجراءات المزمع اتخاذها من قبل الوكيل لمواجهة ذلك، على أن يلتزم كل وكيل بعد استكمال القيام بالإصلاحات المطلوبة بتقديم تقرير نهائي للوزارة.

وقالت الوزارة على لسان مدير عام مكافحة الغش التجاري د. عبد العالي العبد العالي في تعميم موجه إلى مجلس الغرف التجارية أنها شددت على وكلاء

السيارات باتخاذ الإجراءات اللازمة والضرورية لحماية السيارات وذلك بتظليل ساحات التخزين وعدم تركها في ساحات مكشوفة معرضة للعوامل الجوية القاسية لفترات طويلة لما تسببه تلك العوامل (الحرارة الشديدة، الأمطار، والرياح) من آثار سيئة وتلفيات وبشكل مباشر على الإطارات والدهان والمواد البلاستيكية مثل المراتب والطلبون»^(١).

موظف يغش في الرسوم:

- ١- المعاملة تحتاج إلى طابعين، فيقطع طابعًا واحدًا جزأين، ويلصقهما على بعض ليوهم الناظر أنهما اثنان وهما واحد، فيأخذ ثمن الآخر لنفسه.
- ٢- يدخل مع كل يوم حوالي ١٠٠ دينار، حتى اشترى سيارة فخمة وبدءوا يشكون فيه.

غش مخالفات السير:

شطب المخالفة عن المخالف وإصاقها بمجهول بتغيير بعض أرقام المخالفة راميًا عرض الحائط بالظلم الذي هو الظلمات حتى يرمى بهذه المخالفة بريئًا لم يخالف شيئًا من قوانين السير ولم يستحق المخالفة. وهذا مردّه قلة الدين، وعدم مراقبة الله ﷻ، وإنما يفعل ذلك بعض من لا خلاق لهم من الشرطة^(٢).

ومن غش مكاتب الإعلانات:

- ١- نشر إعلان في الجريدة بأن هناك بلدًا ما تطلب عمالًا للعمل لديها، ويكون لها مكتب، فيذهب الشاب فيقدم طلبًا ويدفع رسومه، ويضع رقم الهاتف ويتنظر فيذهب بعد شهر إلى المكتب فلا يجد له أثرًا.

(١) الرياض الاقتصادي- يوم الثلاثاء ٣٣ جمادى الثانية ١٤٢٢ الموافق ١١ سبتمبر ٢٠٠١- إنترنت.

(٢) ومثل ذلك حوادث التصادم، حيث تلتصق المخالفة بأحد المتصادمين لأن الآخر قريب أو صديق الشرطي، أو أنه قام بتقديم رشوة للشرطي، فألصق المخالفة بالطرف الآخر، ومثل ذلك وقع لي شخصيًا، ثم تقدمت بشكوى للدائرة المختصة، فحققوا في الأمر وردوا لي حقي، جزاهم الله خيرًا.

٢- نشر بعض المواد الدعائية على أنها ذات مواصفات عالية الجودة، وعند الوقوف على حقيقتها تجدها مواد رديئة الصنع.

غش الصابون:

وضع طبقة صابون على الخارج والظاهر فقط، والباقي ليس لها علاقة بالصابون أبداً.

الغش في الغاز:

(جريدة العرب اليوم العدد ١٤١٦، الاثنين ٩ / ٤ / ٢٠٠١، الموافق ١٠ محرم ١٤٢٢هـ): ٥٠٠ ألف أسطوانة غاز تهدد حياة المواطنين:

حذر رئيس نقابة المحروقات حاتم العرابي أمس من وجود حوالي ٥٠٠ ألف أسطوانة غاز متداولة في السوق لا تصلح للاستعمال وتشكل خطورة على السلامة العامة.

وقال عقب لقائه ونائبه محمد صبر القطاونه مدير عام شركة مصفاة البترول المهندس عبد الوهاب الزعبي، أن عمر الأسطوانات تجاوز الـ ٢٥ سنة، وهي تزيد عن الحد المسموح به عالمياً بعشر سنوات، ويجب سحبها من السوق واستبدالها بأسطوانات جديدة.

وتم خلال اللقاء استعراض أهم القضايا التي تهم قطاع المحروقات بشقيه (محروقات الغاز)، وتركز على موضوع الأسطوانات المحجوزة، وتم الاتفاق ما بين الطرفين على أن تقوم شركة المصفاة بالإفراج عن ١٠٠٠ أسطوانة من الأسطوانات المحجوزة من الموزعين كمبادرة حُسن نية.

وأوضح العرابي أن الاتفاق الذي تم بين النقابة والمصفاة تبين أنه تم للتسوية والمماطلة لا أكثر، حيث كان هناك اجتماع للهيئة العامة للنقابة صباح يوم السبت الماضي لإطلاع الهيئة العامة على آخر المستجدات حول موضوع حجز

الأسطوانات .

وكانت النقابة قد أعلنت أن المصفاة أفرجت عن أسطوانات الموزعين المحجوزة وأن نائب نقيب المحروقات كان موجوداً في الشركة منذ الساعة التاسعة صباحاً لإحضار كتاب الأمر بالإفراج، كما وعد مدير المصفاة، إلا أننا اكتشفنا أن كل هذه الإجراءات والوعود ما هي إلا من أجل كسب الوقت حتى انتهاء اجتماع الهيئة العامة للنقابة، حيث بقي نائب نقيب المحروقات ينتظر كتاب الإفراج عن الاسطوانات حتى الساعة الخامسة من مساء يوم السبت الماضي .

وأكد أن أسطوانات الغاز ما زالت تخرج من مصفاة البترول دون فحص كما تتطلب إجراءات السلامة العامة، وأن المصفاة ما زالت تعتمد مفاتيح الغاز التايلندية التي ثبت عدم صلاحيتها للاستعمال، ولاسيما أن عدة حوادث حريق حدثت نتيجة استعمال مثل هذه المفاتيح وأدت إلى عدة حالات من الوفيات في مختلف محافظات المملكة .

وقريباً من غش الغاز، غش بيع المحروقات، حيث تم التلاعب والخداع بمادتي البنزين والسولار بالإضافة إلى التلاعب بالعدادات .

يبين هذا ويوضحه ما «أكدته حماية المستهلك على أهمية إجراء حملات تفتيشية بشكل دوري على محطات المحروقات لضبط عملية الغش التي تحدث في بعض المحطات .

ودعت حماية المستهلك الجهات المعنية إلى اتخاذ الإجراءات اللازمة لمنع أو تخفيف عملية الغش في بيع المحروقات .

وأشارت إلى أهمية تطبيق المواصفات الخاصة بالمحروقات بعد وضعها وعدم الاكتفاء بوضع المواصفات دون التأكد من تطبيقها على أرض الواقع وذلك لتسود العدالة في التعامل مع المواطنين .

وكانت حماية المستهلك قد تلقت العديد من الشكاوى حول قيام بعض

محطات المحروقات وصهاريج المحروقات بالتلاعب بمادتي البنزين والسولار بالإضافة إلى التلاعب بالعدادات .

ودعت حماية المستهلك الجهات المعنية في مؤسسة المواصفات والمقاييس إلى القيام بجولات مفاجئة على عدد من المحطات للتأكد من سلامة العدادات نظرًا للشكاوى المتزايدة من قبل المواطنين، كما دعت المواطنين لمراقبة كميات المحروقات المباعة لهم كالسولار والكاز من خلال خزانات الوقود ذات المواصفات المحددة^(١) .

زيادة كبيرة في الاحتيال بالبطاقات الائتمانية

«أكثر من خمسمائة مليون دولار خسائر الاحتيال بالبطاقات في عام واحد . سجلت الاحتيال بالبطاقات والائتمانية في دول الاتحاد الأوربي ارتفاعًا نسبهته خمسون في المائة خلال العام الماضي .

وقالت التقارير : إن معظم عمليات الغش حدثت في المبيعات التي تم سدادها عبر الإنترنت أو الهاتف ، مما يعني أن ذلك قد تسبب في صدمة لمستقبل الاقتصاد الإلكتروني .

وقد أعلنت المفوضية الأوربية أنها مصممة على التصدي لعمليات الاحتيال التي تتم بالبطاقات الائتمانية والتي بلغ حجمها ٥٥٣ مليون دولار في القارة الأوربية وحدها في العام الماضي .

وأعربت المفوضية عن خوفها من أن يؤدي تزايد الاحتيال بهذه الطريقة إلى تهديد الاقتصاد الإلكتروني ، مشيرة إلى أن هذا الاحتمال وارد بالفعل .

(١) صوت المستهلك - العدد رقم ٢٠ ، (ص ٤) .

وتشير الإحصاءات الأخيرة إلى أن الصفقات التي تتم بالبطاقات الائتمانية عبر شبكة الإنترنت لا تزيد عن نسبة ٢٪ من إجمالي الصفقات في حين أنها تمثل ٥٠٪ من شكاوي العملاء.

مخاطر الإنترنت

يقول الخبراء: إن السرية التي توفرها الإنترنت تسهل على المجرمين إبرام صفقات الشراء عبر الحدود بالبطاقات المسروقة في ظل خوف قليل نسبياً من إمكانية اكتشافهم.

وقد بدأت المفوضية الأوروبية تنفيذ خطة مدتها ثلاث سنوات تهدف للتصدي لعمليات الاحتيال بالبطاقات الائتمانية، وتتضمن هذه الجهود فتح خط هاتفي مجاني عبر القارة الأوروبية يستطيع أصحاب البطاقات المفقودة أو ضحايا الاحتيال اللجوء إليه للإبلاغ عن بطاقاتهم أو طلب المساعدة.

ومن المقرر أيضاً أن يتم اتباع إجراءات تقنية جديدة لمنع الاحتيال مثل تزويد البطاقات بشرائح إلكترونية ذكية.

وقد بدأت الشركات الكبرى العاملة في مجال البطاقات الائتمانية مثل فيزا وأمريكان إكسبرس وماستر كارد العمل معاً لزيادة معدلات الأمان في استخدام البطاقات عبر الشبكة.

مواطنون يقعون ضحية الدعاية التجارية الكاذبة والتضليل:

«يشكو مواطنون من تعرضهم للتضليل والخداع، أثر إعجابهم بالإعلان عن سلعة ما خصوصاً تلك المرفق بها جوائز عينية أو نقدية ليكتشفوا بعد شرائها أن الجوائز غير صحيحة وأنها ذات جودة أقل من تلك التي أشار إليها الإعلان على حد

تعبيرهم»^(١).

القبض على نصاب دولي :

ومن الغش أيضاً ما أعلنته صحيفة العرب ، السنة الثالثة - العدد . ٨٩ الثلاثاء ٢٤ ديسمبر ص ٦ بعنوان : «سلطات الأمن الكندية تلقي القبض على النصاب الدولي»!

جاء فيها :

«ألقت سلطات الأمن الكندية على المحتال الدولي ومنتحل هوية الشخصيات العربية الإسلامية م.م.غ- وهو من حملة جواز السفر الإسرائيلي وقد أوقع بالعشرات من الضحايا وسرق مئات الآلاف من دولاراتهم تحت هذه الصفة المزورة في السنوات القليلة الماضية

وكان النصاب م.م.ع- اعتاد في عمليات النصب التي قام بها ، على الاتصال بمنازل ضحاياه المسلمين والعرب مدعيًا أنه أحد الشخصيات المسلمة والعربية المعروفة ، وأنه صديق لأحد هذه الشخصيات والذي قد يكون أحد قادة المسلمين الأمريكيين المعروفين ، أو أحد رؤساء البنوك العربية ، أو أحد المسؤولين الحكوميين أو أحد قيادات المنظمات المسلمة والعربية ، أو أحد الأئمة المسلمين في أمريكا .

وقال بيان مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية : «ثم يقوم النصاب بإخبار ضحاياه بأنه قادم لزيارتهم ضمن وفد هام من القيادات الإسلامية ، وأنه صديق لشخصية معروفة وقد سرقت منه أمواله وتذاكر سفره وجواز سفره ، أو أنه يسافر هو وعائلته وسرقت منه أمواله . ثم يطلب من ضحيته أن يرسل له أموالاً قد تصل لآلاف الدولارات عن طريق تحويل بنكي سريع ، وفور استلام النصاب للأموال يختفي

(١) صحيفة الرأي - العدد (١١٣٤٣) يوم السبت ١٢/رجب/١٤٢٤ ، ٢٩- /أيلول/ ٢٠١٠

وفي الغالب يختار النصاب ضحيته من بين الشخصيات المسلمة والعربية النشيطة والقيادية، ويجيد التحايل عليها بسبب إتقان اللغتين العربية والإنجليزية وإتقان العديد من لهجات الدول العربية كما يستعمل النصاب أسلوبًا خطائياً مقنعاً وجذاباً، ويستخدم عددًا من الأسماء والألقاب المختلفة».

قلت: وقد حاول هذا النصاب الاحتيال على بعض المراكز العلمية بنفس الأسلوب والطريقة، ولولا عناية الله والمشاورة والتريث لابتز هذه المؤسسة العلمية، ولكن الله سلّم.

الاتجار بالمحرمات والتدليس في ترويجها:

أحدث حيلة لجأ إليها تجار المخدرات هي نقلها في عربة إسعاف وكأنها مريض، فعندما أوقفت الشرطة الباكستانية عربة الإسعاف لتفتشها فوجئت بأن المريض الملفوف في بطانية حمراء ليس إلا ٤٧ كيلو غرام من الحشيش، وقالت قوات مكافحة المخدرات أمس: إن سائق عربة الإسعاف اعتقل على الفور، وإن التحقيقات تجرى حالياً لمعرفة شركائه»^(١).

قلت: وآخر المضحكات المبكيات من عمليات النصب والاحتيال ما وقع في أحد مساجد عمان حيث جيء بجنازة ميت فلما صلوا عليها طلب القائمون عليها جمع المال لسداد دين هذا الميت المسجى بين أيديهم فجمعوا له مبلغاً كبيراً من المال فأخذوا المال وفروا وتركوا الجنازة فلما أراد الناس أن يتحققوا منها ومن أصحابها وجدوا أن الجنازة مزعومة مكذوبة، وإنما هي عبارة عن حطبة أو ساق شجرة كفنوه بالبياض وأوهموا الناس أنه جنازة لا يتزازهم ونهبهم، فالله المستعان.

إن حماية المستهلك «تلقت عددًا من الملاحظات حول مدى مصداقية تنزيلات السلع والمواد المعروضة في الأسواق المحلية من ناحية المبالغة في الأسعار.

حيث اشتكى عدد من المستهلكين من أن بعض المحال التجارية خاصة تلك

(١) جريدة الرأي العدد ١٠٧٥٩ الأربعاء ١٨ ذي القعدة ٢٢ شباط ٢٠٠٠.

التي تبيع الملابس تقوم برفع ما تنوي عرضه من سلع في الأسواق بنسبة تتراوح ما بين ١٠-٥٠٪ ثم يتم الإعلان عن التنزيلات على هذه السلع حيث تصبح أسعارها بعد عمليات الرفع تمهيداً ل طرحها في التنزيلات أعلى من أسعارها السابقة^(١).

الغش في زيادة أسعار الإنترنت وبيع الحاسوبات دون أية رقابة وبيع قطع خاصة بأجهزة الحاسوب مقلدة وغير أصلية :

«أكدت حماية المستهلك أن أسعار شركات مقاهي الإنترنت ما تزال مرتفعة وقالت إن السوق المحلية تغص بالشركات الصغيرة التي تقوم بعمليات بيع أجهزة حاسوب دون أية رقابة عليها من قبل الجهات ذات العلاقة .

وأشارت إلى وجود الكثير من القطع الخاصة بأجهزة الحاسوب المقلدة والتي تباع بأسعار عالية جداً على أنها أصلية^(٢).

بعض حالات الغش المختلفة

غش بعض شركات بيع المكانس الكهربائية وأجهزة التنظيف :

ومن ذلك أن بعض شركات بيع المكانس الكهربائية وأجهزة التنظيف العالمية تتصل بالناس في بيوتهم على اعتبار أنهم قد وقعت عليهم القرعة^(٣) لينالوا جائزة من جوائزهم وما على هؤلاء أي الذين وقع عليهم الاختيار إلا أن يسمحوا لهم بزيارتهم في بيوتهم ويشترطون حضور الزوج والزوجة، وفي أثناء ذلك يحضر رجل وفتاة متبرجة جداً، ويأخذون بمحاولة إقناع الزوجين بضرورة شراء آلة

(١) صوت المستهلك- العدد رقم ٢٠ (ص٣).

(٢) مجلة حماية المستهلك- العدد الثامن عشر- المجلد الرابع ٢٠٠١- (ص١٥) بتصرف.

(٣) وهو كذب وتدليس ليتوصلوا إليه ويدخلوا بيته بهذه الحيلة الماكرة الخبيثة.

التنظيف الساحرة التي يروجون لها ، ومعها طبعًا طقم من الصحون المذهبة^(١) من نفس ماركة ماكينه التنظيف التي يروجون لها ويحاولون جاهدين إقناع الزوجين بأن ماكتتهم المستعملة لديهم ضارة ولا تؤدي الغرض وأنه يجب شراء ماكتتهم ، وأنهم سيشترون الماكينة المستعملة ويجعلون ثمنها جزءًا من ثمن ماكتتهم فيقدرونها مثلاً بـ (٢٠٠) دينار من الثمن الكلي لماكتتهم ؛ والتي تزيد عن ألف وأربعمائة دينار ، أي تساوي ثمن سيارة مستعملة صالحة للاستعمال .

ويغرونهم بالتقسيط بفوائد - طبعًا - ويعدونهم بخصم مبلغ محترم إذا كان الدفع نقدًا ، ويلجئون بكل الأساليب إلى إخراج الزوج وزوجته حتى يوافقونهم على إبرام هذه الصفقة الجائرة الخاسرة لكتابة العقد .

ويبيعونهم هذه الآلة التي بالغوا في وصفها ويعدونهم أن يهدونهم قدرًا مذهبًا لكل زبون يأتون به إليهم . فهم يقولون : لا نجبر أصدقاءك على الشراء . وهم يحتالون على الناس في الشراء بالحياء والتخجيل والتغدير .

ويقولون : صديقك له هدية إذا شاهد العرض ، ويشترطون تواجد الزوج والزوجة أثناء العرض من باب إغراء الزوجة لتمارس ضغطًا على زوجها ليشتري ماكتتهم . فيبيعهم - عياذًا بالله - يقوم على التغدير والغبن الفاحش . فغالبًا ما تستحق مثل هذه الآلة ثلاثمائة إلى ثلاثمائة وخمسين دينارًا ، وهم يبيعونها بأربعة أو خمسة أضعاف هذا المبلغ ، كما أنهم يأخذون من وقت الزوجين نحوًا من ثلاث ساعات في تجريب الماكينة ومدحها وذم سائر الماكينات من الماركات الأخرى المستعملة في بيوت الناس . ولا يخفى أن الذين يقومون بالعرض والإغراء لهم عمولة تزداد مع زيادة المغرر بهم ، مع ما في دخول نسائهم المتبرجات من فتنة وفساد إلى بيوت الناس ، وهم لا يعلنون قيمة الماكينة الحقيقية إلا بعد أن يتورط الزبون ويجد نفسه فريسة في عملية مدبرة ومكيدة خطيرة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . فالنصب والغش

(١) وهي طناجر تقليدية ليست حقيقية يدلسون بها على الناس ويغرونهم بها فهي كالطعم للصيد .

والتغريب له فنون كثيرة وأساليب شتى ، وهذا هو زمانه - عياداً باللَّه - .

غش مؤسسات بيع الأجهزة الكهربائية :

ومن ذلك ما تقوم به بعض مؤسسات شراء الأجهزة الكهربائية المستعملة من دول أجنبية حيث يبيعونها على أنها صالحة للاستعمال وأنها لم تمس كما وردت من بلادها ولكنها في الحقيقة (استوكات) مستعملة ومستهلكة وغير صالحة للاستعمال ، لكنهم قد أجروا لها صيانة ووضعوا لها بعض الماتورات المحلية ، وأعملوا فيها أيديهم ، وربما زادوا في تخريبها وإفسادها ، ثم يغرون بها الزبائن ولا يضمنون لها كفالة في أن يستعملها الزبون شهراً لإصلاحها ، ولكن هيئات ، مع أن ثمنها قد يصل إلى أكثر من مائتي دينار . ولما يأخذها الزبون سرعان ما يكتشف الحقيقة وأنها أجهزة مستهلكة مؤقتة الصلاحية ، ثم يكسل المشتري في معاتبهم ومراجعتهم ويطلبهم لعمل صيانة لها ، فيرفضون إلا بعد أجره وعوض . فقاتل الله الغشاشين والنصابين ، ما أكثرهم في زماننا ، حتى ملئوا السهل والواد ، وأن منهم العباد .

الغش في عدم تحديد نوعية الأخشاب التي يصنع منها الأثاث المنزلي :

«تلقت حماية المستهلك عدداً من الشكاوي والملاحظات من المستهلكين حول نوعية الأثاث والمفروشات المحلية والمستوردة . حيث تركزت هذه الشكاوي على العديد من الملاحظات من بينها عدم قدرة المستهلك تحديد نوعية الأخشاب التي صنع منها الأثاث المنزلي المراد شراؤه .

بالإضافة إلى عدم وضع الأسعار على السلعة في مكان بارز بالرغم من تعليمات مديرية الأسواق بوزارة الصناعة والتجارة . ودعت حماية المستهلك الجهات الرقابية إلى ضرورة مراقبة مصانع الأثاث وإلزامها بوضع بطاقة بيان مفصلة على كل قطعة أثاث يتم صناعتها من حيث نوع الصناعة وتحديد ماهية الأثاث الذي تتم صناعتها لأن من حق المستهلك معرفة سعر أي سلعة قبل شرائها

بالإضافة إلى المكونات الأساسية لها .

كما دعت الجهات الرقابية أيضًا لمراقبة محلات ومعارض الأثاث وإلزامها بوضع أسعار الأثاث في مكان بارز وبأسلوب واضح . كما ناشدت المستهلكين إلى التفاوض على السعر الموضوع على قطعة الأثاث وبشكل حازم .

وناشدت المشتريين لهذه القطع من الأثاث إلى ضرورة التنبه إلى نوعية الأثاث ومكان صنعه ومدى مطابقته ما يعلن عنه من مواصفات مع الأسعار المعلنة أو المطلوبة له وقبل الإقدام على شرائها لكي لا يتعرض للغش^(١) .

كما ناشدت حماية المستهلك المشتريين بإعلامها عن أية صور من الغش أو الخداع التي قد يتعرضون لها من بعض التجار الذين يحاولون بيع ماركات من الأثاث بإخفاء مكان صنعها والمبالغة بأسعارها^(٢) .

الغش في بيع قطع غيار السيارات والحافلات المقلدة المستوردة على أنها أصلية وبأسعار غالية :

يبين هذا ويوضحه ما لاحظته «حماية المستهلك أن العديد من التجار المستوردين لقطع غيار السيارات والحافلات يقومون باستيراد قطع غيار مقلدة من دول آسيوية بأسعار زهيدة وبيعونها على أنها أصلية وبأسعار مبالغ فيها .

وأكدت على أهمية وجود بطاقة البيان على أية سلع خاصة على قطع الغيار المستوردة وذلك بهدف تعريف المستهلك بنوعية ومصدر السلعة ومنشئها داخليًا المستهلكين إلى ضرورة التعرف على مكان صنع قطع الغيار ومصدرها والتأكد من

(١) وكم تعرض الناس لضروب من مثل هذا الغش، حيث يخفون الخشب الأبيض الرديء الهش بقماش مزوق جميل . والخشب أهم شيء في الأثاث، وما أن يدخل بيت المستعمل حتى يسمع قعقة تكسره وتحطمه، فيكشف عنه فإذا هو خشب صنديق الفواكه الذي يشبه البسكويت، ويكون المسكين قد دفع في ثمنه مئات الدنانير، كما فعل ذلك بي أحد تجار الأثاث في مدينة الزرقاء من الأردن، وكنت قد اشترت الطقم منه بثلاثمائة وخمسين دينارًا، فالله حسبي .

(٢) حماية المستهلك - العدد الثامن عشر - المجلد الرابع ٢٠٠١، (ص٧) .

جودة هذه القطع ومثانتها .

وقالت : إن من حق المستهلك التأكد من معرفة محتويات السلعة التي يقوم بشرائها أصلية أم مقلدة قبل شرائها وذلك ضماناً له وتحقيقاً لحقه المتمثل في الحصول على سلع آمنة وسليمة مع بطاقة بيان تحتوي على كافة المعلومات الواضحة والدقيقة حول تلك السلع .

وأضافت أن على المستهلك معرفة منشأ ونوعية قطع الغيار التي يقوم بشرائها مشيراً إلى أن اسم البلد المنشأ يجب أن يكون محفوراً على جسم قطعة الغيار وليس على الغلاف الخارجي أو العبوات الخارجية لتلك القطع وذلك تفعيلاً لما جاء في القوانين والأنظمة بهذا الخصوص^(١) .

المواصفة القياسية الأردنية ١٩٩٧/٢٨٦ لمياه الشرب

«تعتبر هذه المواصفة بديلة لنفس المواصفة الصادرة عام ١٩٩٠ المياه- مياه الشرب .

١- المجال: تختص هذه المواصفة القياسية بالاشتراطات والخصائص الجرثومية والفيزيائية والكيميائية للمياه الصالحة للشرب .

٢- التعاريف: مياه الشرب: المياه الصالحة للشرب المستخدمة للاستعمالات المنزلية والصناعية الغذائية والثلج .

٣- الاشتراطات القياسية :

يجب توافر الاشتراطات والخصائص الآتية في مياه الشرب :

(١) حماية المستهلك- العدد الثامن عشر- المجلد الرابع ٢٠٠١، (ص ١٣).

٣-١ الخصائص الجرثومية .

٣-١-١- أن يكون العدد الأكثر احتمالاً لبكتيريا القولون الكلية أقل من ١,١ / ١٠٠ مل من المياه المختبرة عند فحصها بطريقة الترشيح .

٣-١-٢- أن تخلو الـ ١٠٠ مل من العينة المختبرة من :

أ- بكتيريا القولون المقاومة للحرارة .

ب- الجراثيم والفيروسات المعوية الممرضة .

٣-٢ الخصائص البيولوجية :

أن تخلو مياه الشرب من :

- جميع أطوار الحيوانات الأولية الممرضة .

- جميع أطوار الديدان المعوية الممرضة .

- الكائنات الحية الطليقة .

- الفطريات .

٣-٣ الخواص الفيزيائية :

أن تكون الخواص الفيزيائية لمياه الشرب كما يلي :

- الطعم : مستساغ لمعظم الناس .

- الرائحة : مقبولة لمعظم الناس .

- اللون : الحد المسموح به ١٠ وحدات وفي حالة عدم إمكانية الالتزام بهذا

الحد يسمح بحد أقصى ١٥ وحدة بلاتينيوم كوبلت .

- العكارة : الحد المسموح به وحدة واحدة وفي حالة عدم وجود إمكانية

الالتزام بهذا الحد يسمح أقصى ٥ وحدات (NTU) .

٣-٤ الخواص الكيميائية لمياه الشرب :

٣-٤-١ في حالة استعمال أحد مركبات الكلورين لتطهير مياه الشرب فيجب أن تحتوي المياه فائضاً حرّاً من الكلورين في شبكة التوزيع لا يقل عن ٠,٢ مغ/ لتر ولا يزيد على ١ مغ/ لتر بعد مرور وقت لا يقل عن ١٥ دقيقة من إضافة الكلورين للمياه وفي جميع الأحوال يجب أن ينقضي ١٥ دقيقة قبل وصول المياه المطهرة لأول مستهلك .

٣-٤-٢ أن تكون الخواص التي لها تأثير على مدى استساغة مياه الشرب ، كما هي موضحة في الجدول (١) المعروفة سابقاً بعصيات القولون البرازية :

الرقم	الخاصية	الرمز	الحد المسموح به (مغ/ لتر)	الحد الأقصى المسموح به* (مغ/ لتر)
١	الرقم الهيدروجيني	PH	٨,٥-٦,٥	
٢	المواد الصلبة الذائبة الكلية	S. D. T	٥٠٠	١٥٠٠
٣	العسر الكلي	S. D. T	١٠٠	٥٠٠
٤	المنظفات الكيماوية**	(MBAS)S. A. L	٠,٢	٠,٥
٥	الأمينيوم**	NH4	٠,٥	-
٦	الألمنيوم	Al	٠,١	٠,٢
٧	المنغنيز	Mn	٠,١	٠,٥
٨	الحديد	Fe	٠,٣	١
٩	النحاس	Cu	١	١,٥
١٠	الخارصين	Zn	٣	٥
١١	الصوديوم	Na	٢٠٠	٤٠٠
١٢	الكلورايد	Cl	٢٠٠	٥٠٠
١٣	الكبريتات	SO4	٢٠٠	٥٠٠

* ملاحظة في حالة عدم وجود مورد أفضل .

** يعتبر مؤشر تلوث

٣-٤-٣ أن تكون الحدود القصوى لترامز المواد الكيماوية التي لها تأثير على

صحة الإنسان كما هي موضحة في جدول (٢)

جدول (٢) حدود تراكيز المواد الكيميائية التي لها تأثير على صحة الإنسان

الحد الأقصى مغ/ لتر	الرمز	اسم المادة الكيميائية
٠,٠١	As	الزرنيخ
٠,٧	Ba	الباريوم
٠,٠١	Pb	الرصاص
٠,٠١	Se	السيلينيوم
٠,٣	B	البورون
٠,٠٠٣	Cd	الكاديوم
٠,١٥	Cr	الكروم
٠,١٧	CN	السيانيد
٠,٠٠٢	Hg	الزئبق
٠,١	Ag	الفضة
٠,٠٢	Ni	النيكل
٠,٠٠٥	Sb	الأنثيمون
١,٥	F	الفلورايد
٢	SO _٤	النيتريت
*٥٠	NO _٣	النترات
١٥٠ ميكروغرام/ لتر**	***TTHM	مجموع هالوجينات الميثان

* في حالة عدم وجود مورد أفضل يسمح بحد أقصى ٧٠ مغ/ لتر

** الحد الأقصى للتراكيز في نهاية شبكة التوزيع .

*** تشمل المركبات التالية: الكلورفورم، بروموفورم، بروموداي

كلوروميثان، داي برومو كلوروميثان .

٣-٤-٤ المواد المشعة:

يجب ألا تزيد المواد المشعة في المياه على الحدود الموضحة في الجدول

الجدول (٣) المواد المشعة

اسم المادة	الحد الأقصى
مشعات ألفا	٠,١ بيكورييل/لتر
مشعات بيتا	١ بيكورييل/لتر

٣-٤-٥ الملوثات العضوية .

٣-٤-٥-١ يجب ألا تزيد نسبة الملوثات العضوية في مياه الشرب على الحدود المبينة في الجدول (٤).

جدول (٤) حدود الملوثات العضوية في مياه الشرب

اسم المادة	الحد الأقصى المسموح به * (مغ/لتر)
باراثيون	٠,٠٣٥
أندرين	٠,٠٠٠٢
لندين	٠,٠٠٤
ميثوكسي كنور	٠,١
توكسافين	٠,٠٠٥
الملائيون	٠,١٩
برمثرين	٠,٠٠٢
دايمثويت	٠,٠٢
دايبازينون	٠,٠٢
هكسا كلورو ساينوهكسان BHC	٠,٠٤
المواد العضوية الكلوروفينوكسية	-
D-٢,٤	٠,١
TP-٢,٤,٥	٠,١

* على ألا يزيد المجموع الكلي للمبيدات عن ٠,١ مغ/ لتر.

٣-٤-٥-٢ يجب ألا تزيد نسبة الملوثات العضوية الأخرى غير المذكورة في جدول (٤) عن الحدود المسموح بها المعتمدة من قبل منظمة الصحة العالمية .

٤- مراقبة النوعية .

٤-١ عدد العينات وتكراريتها .

٤-١-١ يجب مراعاة عدد العينات المفحوصة من المواقع المراقبة كما هو وارد في جدول (٥) .

جدول (٥) مواقع المراقبة وعدد العينات الواجب فحصها

الرقم	الموقع	الخواص الكيميائية والفيزيائية	الخواص الجرثومية
		التي لها تأثير استساغي	بكتيريا القولون وبكتيريا القولون المقاومة للحرارة
١-	محطات المعالجة:		
أ-	المصادر الجوفية غير الملوثة برازياً	عينة/٦ شهور	عينة / سنة
ب-	المصادر الجوفية الملوثة برازياً	عينة/٦ شهور	عينة / سنة
ج-	المصادر السطحية	عينة /شهر	عينة / شهر
٢-	خزانات التوزيع العامة	عينة/٦ شهور	-
٣-	الشبكات / حسب عدد السكان المخدمين :		
أ-	أقل من ٥٠٠٠ نسمة	-	عينة / شهر
ب-	من ٥٠٠٠ وحتى ٥٠٠٠٠ نسمة	-	عينة/٥٠٠٠ نسمة/ شهر
ج-	٥٠,٠٠٠ نسمة فأكثر	-	عينة/١٠٠٠٠ نسمة/ شهر مضافاً إليها عشرة عينات

٤-١-٢ يجري الفحص على البكتيريا الممرضة والأوليات والديدان المعوية

حسب الحاجة .

٤-٢ يعتبر الموقع الذي جمعت منه العينات ملوثاً في حالة وجود بكتيريا

القولون و/ أو بكتيريا القولون المقاومة للحرارة في عينتين متتاليتين في يومين

متتالين بعد ظهور تلوث في العينة الأولى .

٣-٤ يعتبر الموقع ملوثاً في حالة ظهور أي من الملوثات الواردة في بند (٣)-

(٢) .

٤-٤ في حالة ثبوت تلوث المياه في أي موقع يتم وقف ضخ المياه من ذلك الموقع وتعمل السلطة المسؤولة عنه على التحري عن أسباب التلوث وإزالتها إن وجدت .

٤-٥ يعاد استغلال الموقع الملوث بعد ثبوت صلاحية المياه لمدة يومين متتالين من المراقبة .

٤-٦ يجب أن لا تتجاوز نسبة العينات غير الصالحة جرثومياً من أي موقع المعدلات الآتية :

أ- المصدر : ٥٪ من العينات المفحوصة في الشهر .

ب- الشبكات ٥٪ من العينات المفحوصة في السنة .

٥- جمع العينات وفحصها :

تعتمد طرق جمع العينات وفحصها الواردة في أي من المراجع الآتية :

كتاب الطرق القياسية لتحليل المياه والمياه العادمة الصادرة عن جمعية الصحة العامة الأمريكية وتعديلاته .

الطرق القياسية الواردة في كتاب (جودة المياه) الصادرة عن منظمة المواصفات الدولية .

٦- المصطلحات الفنية :

مشعات ألفا Alpha emitters

مشعات بيتا Beta emitters

المواد العضوية الكلوروفينوكسية Clorophenoxy Acids

acetic -(Diclorophenoxy -2.4)

acid 2.4 - D

pionic Acid 2.4.5 -TP -pro -(Triclorophenoxy -2.4.5)

ديازينون Diazinon

دايمثيويت Dimethoate

أندرين Endrin

لندي Lindane

(L.A.S) Lin- ear Alkyl benzen Sulfonate الكيل البنزين الخطي

Membrane Filteration test طريقة الترشيح الغشائي

فينيل الكيل بنزين سلفونيت» .

(MBAS) Methyl Alkyl Benzen Sulfonate

Multiple tube test طريقة الأنابيب المتعددة

ملاثيون Malathion

(NTU) Nephelometric Turbidty Unit وحدة عكارة نيفلومترية

باراثيون Parathion

Toxaphene توكسافين

٧- المراجع العلمية

WHO- Guidelines for drinking water quality- edition 2- volume 1- 1993.

Standerd methods for waste water, American public Helth Association.

١) ISO- Environment- water quality Vol. 1.2 &3.

غش الخضار والفواكه :

- ١- يقوم التجار بشراء مائة صندوق ويعملون على تنقيص كل صندوق حبتين أو أكثر حتى يزيدوا عدد الصناديق ، ويبيعونها بنفس السعر .
- ٢- يقوم بتوجيه البضاعة وجعل الحبة الجيدة في الأعلى والرديئة في الأسفل . ويسمونه التوجيه ؛ لتغريب الناس حتى يظن المشتري أن جميع ما في الصندوق سواء .
- ٣- يأخذ بعض أنواع البضاعة إلى البيت ويقوم بغسلها بمواد كيميائية كالهائيكس وغيره بالماء حتى اليوم التالي .
- ٤- قطف الخضار وهي فجة من أجل إدراك الموسم في أوله ، للحصول على أسعار باهظة .
- ٥- حقن الخضراوات بالهرمونات- الضارة جداً- للتعجيل في إنضاجها قبل أوانها ، ولإعطائها حجماً ضخماً ، بينما هي في الداخل فجة وغير ناضجة ، كما هو الحال في البطيخ والبندورة ؛ فترى البطيخة من الخارج- ما شاء الله- وعند فتحها تجدها بيضاء ، وترى حبة البندورة من الخارج حمراء ، بينما تجدها من الداخل خضراء . كل ذلك يفعل دون خوف أو وجلٍ من الله ، سعيًا وراء الكسب الحرام ولو بالغش ، وكم هدرت من أموال على حساب ثراء هؤلاء التجار الجشعين الذين لا يراقبون الله في أفعالهم ، مع ما يُرجع ذلك على الناس من ضرر وأذى بسبب تناول هذه الهرمونات الكيماوية المسرطنة والمسببة لكثير من الأمراض ، ولذا أوصت كثير من سفارات الدول الغربية رعاياها بعدم تعاطي خضروات بعض الدول العربية ؛ لأنها ملوثة أولاً [تُسقى من أنهار وسدود ملوثة] ، وثانيًا : لأنها مهرمنة .

ولقد ردّت إحدى الدول العربية عشرات البرادات الناقلة للبطيخ من دولة عربية أخرى حين اكتشفت الدولة المستوردة أنها فاسدة بفعل هذه الهرمونات . فقام التجار الجشعون ببيعها في أسواقهم المحلية ، وكم لهم من أمثال ذلك ، فكيف إذا كانت المادة المستهلكة التالفة لحومًا أو أسماكًا ، أجزت وسمح بها بفضل الرشوة المحرّمة ، يطعمونها للناس ولو أدت إلى تلفهم وإهلاكهم . المهم الربح وعدم الخسارة .

٦- قلب الحبات المعطوبة من بعض الفواكه ؛ كالشمام مثلاً ، وإظهار الوجه الصالح منها ، ويثبتون الحبات بشريط لاصق في صناديق بولسترين ، حتى لا يتمكن الزبون من قلب هذه الحبات والتعرف على فساد الجزء المخفي منها .

٧- وضع البرتقال في أكياس برتقالية بلون حبات البرتقال ، وإحكام غلق الأكياس لإخفاء ما فسد من أكثرها بتشابه لونها مع لون الأكياس ، فيشتريها الزبون على أنها صالحة ، فيجد أن أكثرها فاسدٌ تالفٌ .

قصة طريفة لها علاقة بهرمونات الخضار :

حدثني صديق أن زوجته أيقظته في جنح الليل قائلة له : قم . فإني أسمع صوتًا في المنزل ، لعل لصًا تسلل إلى داخل البيت . قال الأخ : فأخذت عليّ سلاحي وتسللت بخفة وأصبعي على زناد مسدسي ، فلم أر أحدًا غريبًا أو إنسًا ، فوجهت بصري نحو الصوت ، فلم أر أحدًا ، فحددت مصدر الصوت ، فلم أر إلا صندوقًا فيه حبات من الخيار الأخضر ، فتأملته وأصغيت إليه جيدًا ، ولا زال أصبعي على الزناد ، فرأيت أن هذا الصوت هو تمدد حبات الخيار ، أحدثت تلك الخشخشة في صندوق البولسترين ، وكان تمددها يحدث ذلك الصوت بفعل الهرمونات التي حقنت النبتة بها ، وربما قطفوها في الليل فترًا ، فأصبح عليها النهار شبرًا أو يزيد . فانظريا رحمك الله إلى هذا البلاء العظيم ، فكيف بروعة المؤمن وأهله؟!!

غش الجزائريين :

ويتمثل غشهم بـ:

- ١- ذبح الخروف المريض أو شبه الميت وبيعه للزبائن .
 - ٢- بيع جديان أسترالية بسعر الجديان البلدية .
 - ٣- يأتي بلحم الشاة كبيرة السن الهرمة وسعر الكيلو منها لا يساوي دينار ونصف ، وبيعها على أنها لحم خروف صغير السن .
 - ٤- يقوم بإلهائك بالكلام وذلك لحشو الدهون في اللحم الحمراء ، وهذا خصوصاً في (الكفتة) .
 - ٥- يطري اللحم المجمد وبيعه بسعر البلدي الطازج .
 - ٦- يتلاعب بالأختام بطريقة ما فيبيع البلغاري بلدي ، وغير ذلك .
- ومن صور الغش في اللحوم : ما أعلنته صحيفة الشرق الأوسط العدد / ٨٢٥٨ ، ٨ تموز ٢٠٠١ من زيادة حالات الغش في «اللحم الحلال» بالسوق البريطانية حيث «أعلنت السلطات المختصة في المجلس البلدي في منطقة هارنغاي في شمال لندن أنها وضعت يدها قبل أيام على كمية من لحم الديك الرومي مخزن منذ عيد الميلاد الماضي وهو غير صالح للاستهلاك البشري في محل بيع اللحم الحلال . وأضافت أن مراقبيها ضبطوا كميات من لحم الضأن والماعز التي لا تتوفر فيها الشروط الصحية ، ولا تحمل خاتم الرقابة الرسمية المعتمد وذكرت أن بائعي هذه اللحوم وثلاثة غيرهم ضبطوا في مناسبات سابقة . أكدوا أنهم حصلوا عليها من بائع جملة للحم المذبوح وفق التعاليم الإسلامية في شارع وست غرين في هارنغاي .

وقال الدكتور يونس الليبي الذي يعمل موظفًا رفيع المستوى في هيئة الصحة

البيئية التابعة للمجلس البلدي لمنطقة هارنغاي أن السلطات المعنية في الهيئة عثرت قبل أيام على كميات من اللحم الحلال الذي لا يصلح للاستعمال الإنساني لدى تاجر جملة للحم وخمسة محلات جزارة موزعة في شارعي تورنبايك وويست غرين في منطقة هارنغاي وأضاف أن اللحوم التي ضبطت كانت غير ممهورة بخاتم^(١) رسمي، وهذا واضح يدل على أن السلطات الصحية قد راقبتها حسب الأنظمة المرعية.

وأثبتت الفحوصات أنه في الحقيقة لحم مريض خصوصاً أنه رخو ورطب . والأدهى أن ثمة جزارين يستغلون آيات الله الحسنى وصور مكة المكرمة أو الكعبة الشريفة لترويج بضاعتهم التي يزيد ثمنها عن اللحم غير مذبوح على الطريقة الإسلامية» .

وهذه شهادة أحد الإخوة الثقات لغش بعض الجزائريين، وقد شاهد ذلك بعينه :

بعد أن ألقى الخروف في حاوية النفايات وهو ميت قام أحد الجزائريين بإخراجه من الحاوية- وأقسم على ذلك نحسبه والله حسيبه- وسلخه وفرمه كباباً

(١) من صور تزوير الخاتم الرسمي من أجل غش اللحم البلدي بالمستورد أو المثلج، حيث يعتمد بعض الجزائريين إلى الأختام الرسمية الخضراء المثبتة على اللحوم البلدية، فيأخذون عنها صورة طبق الأصل بواسطة ليمونة ساخنة يلصقونها فوق الختم الرسمي الأخضر، ثم يدمغون فيها اللحوم المستوردة أو المثلجة أو غير الصالحة، فتظهر للمشتري وكأنها لحوم بلدية، بدليل وجود الختم الأخضر عليها . هذا بالنسبة للماعز، أما الضأن، فقد يلصقون له إلية بطريقة ما ولو بالخياطة .

ومن صور غشهم عمل ثقب عميق في فخذي الخروف، كل ثقب أو جراب يتسع لنحو لتر من الماء، فيبيعون الزبون لترين من الماء مع فخذي الخروف، أي بزيادة (٢) كيلوغرام، فإذا كان الكيلو الواحد ثمنه ستة دنانير، فيكونوا قد غشوا الزبون ونهبوا منه اثني عشر ديناراً ثمن الماء المخبأ في اللحم . قاتلهم الله أتى يؤفكون . وبعضهم قاتلهم الله يفرقون اللذيحة بالماء بعد سلخها من الداخل والخارج، فيتشبع اللحم بالماء، فيزيد وزنه بضعة كيلوات؛ لأن جفاف اللحم وتبخر الماء منه ينقص وزنه، وهم لا يحبون الخسارة ولو غشوا الناس وباعوهم ماء مع اللحم بثمن اللحم، فأى جرم أبشع من محاربة الناس في أرزاقهم، ورضي الله عن عثمان حيث قال: «إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن» .

ليأكله الناس .

فكان عاقبة غشه أن عاجل الله له العقوبة فقد خسر كل ما عنده من ممتلكات . وأصابه ذلك المرض - الخبيث - عافانا الله منه - الذي أوشك على هلاكه . وقد علت وجهه سحابة سوداء من سوء صنيعه ، هذا في الدنيا . أما في الآخرة فإن لم يتب ويتوب الله عليه بعد أداء حقوق العباد أو جعلهم له في حل ، فالخاتمة سيئة مظلمة . قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾^(١) ، وكل جسد نبت من حرام فالنار أولى به . نسأل الله العافية والسلامة .

قال الأخ : وكذلك من وسائل الغش التي شاهدناها ورأيناها بأمر أعيننا رجلاً يعمل جزاراً أيضاً وجدته يضع الخصاوي في شاة مذبوحة . فقلت له : لم تفعل هذا؟ فقال لي - حيث قد رأيته على غفلة - : «آه يا شيخ اعمل معروف اسكت» . فأصررت عليه لا بد أن يقول . فقال : «لأن واحداً طلب مني خروف أن أذبحه وأجهزه حتى يأتي ، وأن عندي عبورة^(٢) مذبوحة - أي لا يوجد عندي كبش ذكر - ، فوضعت الخصوة فيها حتى عندما يأتي يرى الخصاوي معلقة فيها فيظن أنه خروف - أي : كبش - ، لأنه لو عرف أنها عبورة - أي نعجة - لم يأخذها» .

ولا يخطر على باله الغش ؛ لأنه لا يراقب الله - تبارك وتعالى - .

زد على ذلك الأيمان الكاذبة عندما يستحلفه المشتري بالله إن هذا لخروف ، فيحلف بالله باطلاً ولا حول ولا قوة إلا بالله .

بل هناك من وسائل الغش والخداع ما يصل إلى درجة عالية من الخبث والدهاء ، فهذا رجل يبيع بقرة في السوق ويريد أن يبيعها على أنها حامل وهو لا

(١) سورة الزمر : (آية ٦٠) .

(٢) العبورة : هي النعجة أنثى الخروف الضأن . سبحان الله ! كيف أصبحت خروفاً ذكراً بعد أن ركب لها خصيتين؟! فماذا يفعل بها إذا قامت تنطحه يوم القيامة وتقول له : كيف حولتني كبشاً وقد خلقني الله نعجة؟ وما ذلك على الله بعزيز .

يدري هي حامل أم لا والمهم جاء مشتري للبقرة فسأله: أحامل هي؟ قال: نعم؟ قال له: كم لها؟ المشتري يقصد كم شهراً لها؟ فقام البائع وأخذ بذيل البقرة وقال: لها أربعة وهذا الخامس. وبهذا أوهم البائع بأن لها أربعة أشهر وهذا الخامس وأما البائع «الغشاش» يقصد بأن لها أربعة أرجل والذيل الخامس وتم البيع على هذا القصد الخبيث.

وهل أتاك نبأ ذلك المجرم الأثيم الذي أراد أن يبيع خروفاً هزيباً عنده من غير أن يكلف نفسه عناء علفه وتسمينه، فماذا فعل، ولبئس ما فعل، حيث عمد إلى ثقب أرجل خروفه الهزيل المسكين، وأتى بمنفاخ الهواء لدراجة هوائية، وأخذ ينفخ وينفخ بهذا الخروف حتى أصبح سميناً جداً، بعد أن ملأه بالهواء، ثم ربط مواضع الثقوب وأحكم إغلاقها، وباعه بثمن غالٍ ودلّس فيه على عباد الله. حدثني بذلك بنفسه مفتخراً، ظاناً أن ذلك ضرب من ضروب الذكاء والفهلوة والشطارة. وقد هلك الرجل ولا تجوز على الميت إلا الرحمة، خصوصاً إن كان مسلماً ولو كان عاصياً. وهذا مذهب أهل السنة والجماعة. والحمد لله أن عافانا من مذاهب أهل البدع الردية.

وآخر - هداه الله - كان يأتي إلى الخروف فيشبعه إغراقاً بالماء، أي يبله بالماء، ثم يغرقه بالتراب الذي يصبح طيناً، فيحمل بضعة كيلوات تراباً وطيناً، ويبيعه للناس، فيبيعهم طيناً إلى خروفهم.

وآخرون يضعون ملحاً في التبن والشعير، فلما يتناول الخروف كميات هائلة من الملح يضطر لشرب ماء كثير، فيبيعه وقد امتلأ كرشه بالماء، فحمل أكثر من نصف وزنه ماءً. كل ذلك يفعل في مجتمعنا بلا خوف ولا استحياء من الله. والله المستعان.

غش الدجاج:

الدجاج المريض يباع لبعض شركات التعليب. وهذا شهادة أخرى للغش في

بيع الدجاج فهذا بائع دجاج والميزان أمامه والموزونات الكيلو والكيلوين والخمسة أكيال موضوعات بجوار الميزان حتى كان يترك بعض الزبائن فيزنون بأيديهم هم . فماذا كان يفعل؟ قام بحف^(١) الوزانات من الأسفل بواسطة «دريل» المثقاب الكهربائي وحينما انكشف ترك المحل وهرب .

ومما يدخل فيه غش الشاورما بيع الدجاج الميت وصنع الشاورما وبيعها وإطعامها للناس في بعض المطاعم على أنها شاورما دجاج طازج . ومما يدخل في غش الكباب: - حيث تفرم قوائم الدجاج مع اللحمه ويبيعونها بسعر الكباب الأصلي .

تشديد الرقابة على بيع الدواجن :

«أكدت حماية المستهلك على ضرورة تكثيف الرقابة على محلات بيع الدجاج الحي «النتافات» .

وقالت: إن من حق المستهلك الحصول على سلع آمنة وغذاء صحي سليم خالٍ من أية عيوب قد تؤثر على صحته وسلامته وبيئته وكذلك حمايته من الغش والغبن الذي يمارسه بعض الباعة .

وأضافت أنها قد تلقت شكاوي عديدة من المواطنين تتعلق بجودة محلات بيع الدجاج الحي من حيث التلاعب في الأوزان واستخدام الحجارة وقطع الحديد كأوزان وتعريضهم أي المستهلكين للخداع وبيع التدليس، الأمر الذي يفرض تدخل الجهات الرقابية لوضع حد لهذا التلاعب والغش .

ودعا رئيس الجمعية المستهلكين إلى ضرورة التنبه للدجاج اللاحم الذي يقومون بشرائه من هذه المحلات من حيث دقة الوزن والجودة محذراً من شراء

(١) أي: بالإنقاص من وزن (العيارات الوزنية) من داخلها، لتكون أخف من وزنها الحقيقي المتعارف عليه عالمياً . وهذا غش جديد خبيث لم نسمع به من قبل . فأَيُّ شيطان زين لهم هذه الجرائم البشعة . تعالى الله عما يفعل الظالمون علواً كبيراً .

الدجاج الذي يكون فيه عيوب ظاهرة مثل العرج أو الأورام والانتفاخ والبقع الملونة»^(١).

ومن جهة أخرى في مقال آخر:

«دعت حماية المستهلك إلى تشديد الرقابة على محلات بيع الدواجن الطازجة.

ودعت للعمل على مراقبة الدواجن التي تباع في مثل هذه المحلات على أنها دواجن طازجة وجديدة في حين أنها تكون من الداخل داكنة اللون وسوداء وتفوح منها روائح كريهة.

وشددت على أهمية مراقبة الكميات المستوردة من الدواجن لحساب هذه المحلات والعمل على مراقبتها مخبرياً من جودتها ونوعيتها وصلاحياتها للاستهلاك البشري قبل السماح بطرحها في الأسواق للمستهلك بالإضافة إلى تشديد الرقابة على عمليات نقل هذه المواد الغذائية الهامة وإلزام أصحابها باستخدام العربات المبردة عند نقلها من مكان إلى آخر لحساسية هذه المواد وقابليتها للتلف.

وطالبت بضرورة وضع بطاقة بيان خاصة بهذه السلع الغذائية تتضمن المعلومات الأساسية حول السلعة مثل بلد المنشأ وتاريخ الإنتاج والانتهاء.

وناشدت المستهلك عدم شراء مثل هذه السلع الغذائية قبل التأكد من جودتها أو صلاحيتها للاستهلاك البشري حتى ولو كانت تباع بأسعار زهيدة»^(٢).

ومما يلحق غش الدجاج غش بيضه حيث إن بعض الجهلة من الباعة اللامبالين بما يبيعون للمسلمين يقدمون على تعريض البيض إلى ضربات الشمس الذي يؤدي

(١) حماية المستهلك - العدد الثامن عشر، المجلد الرابع، ٢٠٠١، (ص ٣٢) بتصرف.

(٢) صوت المستهلك (ص ٢) - العدد رقم ٢٠ بتصرف.

مباشرة إلى فساد البيض ومذوره .

«قالت حماية المستهلك إن موظفيها الميدانيين لاحظوا قيام بعض الباعة بعرض أطباق بيض المائدة على الأرصفة وفي الأزقة وتحت أشعة الشمس مباشرة الأمر الذي يعرض مثل هذا البيض للتلف ويزيد من مخاطره على صحة المستهلك . وأضافت أن شروط المواصفة القياسية الأردنية لا تسمح بنقل أو تخزين أو عرض البيض إلا في درجة حرارة معينة لأن هذه المادة حساسة وتتأثر بسرعة بدرجة الحرارة والرطوبة مما يعجل في تلفها خاصة في أشهر الصيف الحارة .

وناشدت وزارة الصحة والصناعة والتجارة ومؤسسة المواصفات والمقاييس وأمانة عمان الكبرى والبلديات لمراقبة باعة الأرصفة والباعة المتجولين الذين يقومون ببيع بيض المائدة في ظروف مخالفة للشروط الصحية .

داعية المستهلكين إلى عدم شراء بيض المائدة من مثل هؤلاء الباعة مهما كانت إغراءات الأسعار، وذلك حماية لهم ولعوائلهم من مخاطر التعرض لمادة غذائية فاسدة»^(١) .

ومن غش اللحوم وغش الأسماك :

«إن أهمية السمك كغذاء تكمن في حُسن اختياره من حيث نوعه ومن حيث حالته، فمن حيث حالته يجب :

أن يكون طازجاً لم يمض على صيده وقت طويل، ويعرف ذلك من ملمسه ومنظره ورائحته، فإذا لمس بيد كان لحمه قاسياً، ومعدته قاسية منتفخة، وإذا رفع باليد ظل منتصباً لا ينثني، ولون داخل أذنه^(٢) أحمر، وعيونه لامعة براقه وليست غائرة .

(١) حماية المستهلك - العدد الثامن عشر، المجلد الرابع، ٢٠٠١، (ص ٥) بتصرف .

(٢) أرادوا خيشومه وما تحت زعانفه، ولم تسعفهم العبارة .

رائحة السمك الطازج تشبه الطحلب، وهواء البحر، والملح.

السمك غير الطازج إذا لمس كان لحمه طرياً رخوًا، ومعدته غائرة، وإذا رفع انحنى، ولون داخل أذنه يكون أبيض، أو أسمر، والعيون باهتة مظلمة ذابلة، ورائحته تشبه رائحة الأمونياك. هذا السمك غير طازج، ولو كان لون داخل أذنه أحمر فهي صبغة صناعية. مثل هذا السمك لا يجوز شراؤه ولو بأبخس ثمن؛ لأنه مادة سامة خطيرة.

يجب اختيار السمك الأصغر سنًا؛ لأنه يوافق الآكلين من جميع الأعمار، أما السمك المتقدم في السن فهو غني بالمواد الدسمة التي لا توافق الأطفال والمسنين والمصابين في أكبادهم وأجهزتهم الهضمية والبدنيين.

ويستحسن شراء السمك الذي يعيش في مناطق صخرية، فإن لحمه يمتاز بنكهة أطيب من غيره، والذي يعيش في مناطق يتغذى فيه بالنباتات وحدها في لحمه نكهة غير مستساغة^(١).

قلت: ويحذر من شراء الأسماك المجمدة لخوف وجود ديدان مفرزة لمواد ضارة بصحة الإنسان.

ولقد «أقرت مؤسسة المواصفات والمقاييس مؤخرًا المواصفة القياسية الخاصة بمادة السمك المجمد، الغريب في الأمر أن المؤسسة أقرت مواصفة خاصة للسمك تتعلق بكمية الديدان المسموح فيها على أن لا يزيد عدد الديدان في السمكة الواحدة عن دودة واحدة فقط فيما يتعلق بلحم السمك.

الأدهى والأمر في هذا الصدد أن عدد الديدان تركت مفتوحة وغير محددة داخل التجويف الداخلي للأسماك، حتى ولو وصل عدد الديدان في التجويف الداخلي إلى عشرات الديدان.

(١) قاموس الغذاء (ص ٣٠٠).

وللوقوف على أبعاد هذا القرار من النواحي الصحية، وعن ماهية موقف الجمعية في هذا الموضوع كان لنا هذا اللقاء مع المندوبة سناء قمّوه رئيسة لجنة صحة وسلامة الغذاء في الجمعية وممثلتها لدى لجنة المواصفات والمقاييس فقالت: إن لجنة صحة وسلامة الغذاء في الجمعية قد درست هذا الموضوع من جميع أبعاده وحصلت على معلومات عملية عبر مختلف الوسائل المتاحة ومن ضمنها «الإنترنت» ومن جامعة «قلاسكو» في بريطانيا وكل هذه المعلومات بينت أن وجود الديدان وخاصة دودة «النيما توت» في الأسماك وحتى بعد تجميدها تسبب ضرراً على صحة المستهلك كونها تفرز مواد ضارة بالصحة. وقد حدث ذلك في بريطانيا نتيجة لتناول أسماك وجدت بها هذه الديدان بالرغم من تجميدها وطبخها جيداً.

وأكدت المهندسة قموة بأنه بالرغم من عرض هذه المعلومات على اللجنة الفنية في مؤسسة المواصفات والمقاييس إلا أن هذه اللجنة رفضت الاستماع إليها بتاتاً^(١).

وأضافت المهندسة قموة على أنه لدى الجمعية مرجع صادر عن السوق الأوروبية المشتركة يبين ضرورة خلو الأسماك المجمدة من الديدان، وقد طلبت الجمعية إدراج بند في المواصفة يمنع وجود الديدان الضارة في الأسماك بالإضافة إلى رفض الجمعية لوجود أي نوع من الديدان في الأسماك.

وأوضحت رئيسة لجنة صحة وسلامة الغذاء في الجمعية الوطنية لحماية المستهلك بأن الأردن بلد مستورد للأسماك، ويجب على الجهات المسؤولة لدينا تحديد المواصفة القياسية بما ينسجم مع صحة وسلامة غذاء المستهلك.

وأبدت مندوبة الجمعية أسفها الشديد لإقرار هذه المواصفة كما أبدت أسفها

(١) كل ذلك إرضاء لحيتان كبار تجار الأسماك الذين يدخلون تلك الأسماك المعطوبة والملوثة والمدوّدة بطرق حلزونية، وربما برشاوى مالية كبيرة.

لعدم السماح لها بنقل المعلومات الدقيقة والصحيحة عن أضرار الديدان على صحة المستهلك، وطلبت من المستهلكين أخذ الحذر التام عند شراء الأسماك المجمدة خوفاً من وجود ديدان فيها.

وعند سؤال أحد المختصين في مجال مختبرات الأغذية أوضح لنا أنه من المتعذر بل من المستحيل الوصول إلى نتائج حول أضرار الديدان وإفرازاتها لأنه لا يوجد لدينا في المختبرات الحكومية ومختبرات القطاع الخاص القدرة على التعامل مع مثل هذا النوع أو التمييز بين نوعية الديدان خاصة بعد التجميد بالإضافة إلى عدم قدرتها على البحث عن ماهية المواد التي تفرزها هذه الديدان.

ومن الجدير بالذكر أن مؤسسة المواصفات والمقاييس هي الجهة المخولة لتحديد جودة ونوعية المواد الاستهلاكية والتموينية بالإضافة إلى العديد من السلع والكماليات الأخرى، وكانت المؤسسة قد أقرت قبل عدة أشهر مواصفة خاصة تسمح فيها بوجود حشرات أو أجزاء من الحشرات في مادة الجميد^(١).

حادثة تسمم

ما زالت لجنة التحقيق، وفريق الاستقصاء البوائي اللذين شكلتهما الأجهزة المعنية في محافظة إربد لمتابعة ومعرفة أسباب التسمم الجماعي الذي تعرض له عدد من عمال المصنع الصيني للألبسة في مدينة الحسن الصناعية ليلة الإثنين الماضي إثر تناولهم وجبة إفطار مكونة من السمك إلا أن تحقيقاتها في الأمر بعد أن قامت بإغلاق المطعم داخل مدينة الحسن الصناعية الذي أعد وجبة الإفطار.

وأفاد نائب مدير صحة محافظة إربد أنه ولغاية ظهر اليوم لم تظهر النتائج النهائية للفحوصات المخبرية في مديرية الصحة أسباب تسمم العمال.

(١) حماية المستهلك - المجلد الثالث، العدد الثالث عشر، ١٩٩٨، (ص ٥) بتصرف.

وقال أيضًا في تصريح خاص لـ «العرب اليوم» أنه تم التحفظ على محتويات المطبخ الذي أعدت فيه الوجبة المذكورة إلى جانب التحفظ على كمية الأسماك الموجودة في محل متعهد الطعام في مدينة إربد.

وأضاف أن الأجهزة الصحية كثفت رقابتها في الأسواق التموينية في إربد خاصة على الأسماك واللحوم للتأكد من مطابقتها للشروط الصحية والغذائية^(١).

وهكذا صار الغش له مستقرٌ في القلوب فمنهم من هو سائر في تيار هواه وغيه، ومنهم من هو مستخفٍ من الملاء أن يسلموه إلى عدوّه، وصارت أعوان الغش وجنده تلهث وراء كل مسكين وتعود بفسادها وطغيانها لا أحد يردعها ويصدها ويكف أذاها عنهم، فمشت إلى الصناعة والتجارة والتحقيق والتصنيف والتعليم والتأليف والأدوية والتطبيب والمنتجات والمأكولات. فكانت حلوة المذاق ذات شفاء قبل أن يلبس الإيمان بالمظلة، فلما لبس صارت مرّة الطعم كالحنظلة، حتى إن «مطابخ البيوت تغيرت محتوياتها وبشكل سريع من الغذاء.. بعد تفشي أمراض جنون البقر.. وأمراض الحمى القلاعية.. ومن قبلها أمراض الديكوسين.

لذا «علينا أن نكون أكثر انتباهًا إلى مشترياتنا من السوق.. وأكثر تنوعًا في غذائنا» مع العلم أنها ليست أزمتنا لوحدنا:

«إنها بلا شك أزمة بريطانيا أو فرنسا بعد أن أُصيب أكثر من مليون رأس من الماشية.. وبعد أن تم بيع عدد كبير من الماشية المصابة بهذه الأمراض الجديدة لقد اكتشفت الجمعيات الصحية.. أن مرض جنون البقر يمكن أن يصيب الإنسان بفيروس (كروتز فليت- جاكوب) وهذا الفيروس الجديد يفعل فعله في الإنسان أيضًا.

وعلى الرغم من أن اكتشاف هذا الفيروس كان عام ١٩٩٦ إلا أن الإصابات قد

(١) جريدة العرب اليوم- الجمعة ١٢/٨/٢٠٠٠- العدد (١٣٠٠).

حدثت في بعض الدول المستوردة عندها توقف استيراد اللحوم وأغلقت المعامل والشركات أبوابها. . لكن الأعلاف الهرمونية^(١)، وتغذية الدجاج بالديكوسين استمرت فترة أطول.

إن المشكلة هنا وبعد إصابة الأبقار والخراف فإن الدجاج والأسماك وبقية الطيور لم تكن بمنأى من هذه الأمراض الخطيرة وهذا الأمر وحده كفيلاً بأن يجعل المستهلكين في حيرة من أمرهم ويقولون. . ماذا نأكل إذن؟

لكن البحوث وأجهزة السيطرة والتقييس النوعية أثبتت أن الدجاج والأسماك^(٢) غير مهياً للعدوى السريعة كما أن لحومها لا تنقل العدوى على النحو الذي شاهدناه في البقر والخراف.

(١) قلت: «لقد وجدت بقايا العقاقير البيطرية واللقاحات والمضادات الحيوية وكذلك المواد المضافة للأعلاف مثل الهرمونات في أنسجة الحيوان مما يمثل ضرراً بصحة المستهلك عند تناول لحوم تلك الحيوانات ولقد جاء في دراسة لمركز الدراسات والبحوث البيئية بجامعة أسيوط الآتي:

- تضاف الهرمونات لغذاء المواشي لتبقى هادئة بطيئة الحركة لتزداد سميتها قبل بيعها لذبحها بالسلخانات.

- أنسجة لحوم الدجاج تحتوي على هرمونات منع الحمل التي تلتقى للدجاج في المساقى.

- الهرمونات تمزج بأعلاف المواشي وتسرب إلى لحومها وألبانها». جرائم الغش التجاري والصناعي (ص ٢٧٦).

(٢) لكن سموم التلوث البحري والنهري في العالم قد تفتك بالإنسان فتكاً ذريعاً أشد من فتك جنون البقر، فتسرب النفط والحروب وغرق السفن والغواصات والتسرب النووي وموت ملايين الحيوانات البحرية واستيلاء الصيادين الجشعين عليها وبيعها قبل فحصها مما يعرض سلامة آلاف بل ربما ملايين البشر للسموم القاتلة نتيجة تناولهم أسماكاً ملوثة بفعل كوارث الحروب وكوارث تلوث مياه البحار والأنهار بشتى أنواع الملوثات الكيماوية والنوية. وقد عثر قبل فترة على أسماك ميتة بفعل تلوث بعض أجزاء من بحر الخليج قرب الشواطئ اليمنية، وهل نسينا مفاعل تشيرنوبل وما نتج عنه من إصابة آلاف البشر والحيوانات مأكولة اللحم، وكثير منها شحن إلى بلدان ما يسمى بالبلدان النامية، حيث لا رقابة ولا عناية- إلا من رحم الله- وكذا ما أحدثه تسرب أحد المصانع الكيماوية في مدينة بهوبال الهندية ذات الغالبية المسلمة في السبعينات، حيث فرّ الناس والحيوانات جميعاً مذعورين في الطرقات. أما الصالحون ففروا إلى الله- إلى بيوتهم- يجأرون إلى الله بالدعاء والاستغفار، فنجأ أكثرهم، وقد أودت هذه الكارثة بألاف البشر وآلاف البهائم. ولا زال أهل بهوبال يتذكرونها بكل حزن وألم ولعنة لحكومتهم الكافرة الظالمة بسبب تفریطها في سبيل الوقاية والسلامة.

وبعد أن أخرجت جميع المواشي المصابة بـ E.S.B من المراعي والمجازر وأعدمت حرقاً فإن اللحوم الحمراء ذات الألياف قليلة الشحوم غير مهيأة للإصابة بالمرض ولا تنقل العدوى .

مع هذا . . فإنه وبعد الذي حصل . . فإن رأي الخبراء لا يمكن أن يؤثر أو يخفف وبشكل سريع من مخاوف المستهلكين الذين يطالبون بالفحوص الدقيقة جداً للمواشي قبل القيام بعملية الذبح والتوزيع على الأسواق . . وبعد استخدام الطحين البقري وعدم السماح باستخدام منتجات بقرية في المدارس وهذا يعني هدر ١٥ مليار فرنك فرنسي لأجل ٥ مليون رأس ماشية .

تذكر كيف أن المطالبة الشعبية أصبحت خارج السيطرة عام ١٩٩٦ ، بعد أن أعلن وزير الصحة حينها عن عدم وجود علاقة بين مرض جنون البقر والإنسان .

لكن بعد سنوات . . تراجعت الدولة عن آرائها وقررت الإلغاء التام للطحين . إننا اليوم نواجه مشكلة أساسية في اختيار ما نأكله وهذا لا يتعلق في ظهور الأمراض الجديدة بل في تركنا طرق التغذية الصحيحة^(١) .

قلت : المشكلة الحقيقية إنما تكمن فيما أصابنا أعقاب التفكير في جنون العزوف عن الدين والبعث عن الشرع الحكيم ، وإصابة الأنفس بفيروس اللّهُف على الحطام اللعين فصارت لا تفرق بين الذي هو محرم أم هو حلال .

ضرورة تشديد الرقابة على المطاعم :

«دعت حماية المستهلك المؤسسات الرقابية إلى تشديد الرقابة الصحية على المطاعم وخاصة مطاعم الوجبات السريعة .

وقالت : إن هناك حاجة ماسة لمراقبة هذه المطاعم من حيث الجودة والتنوع من ناحية الغذاء الذي يقدم كوجبات سريعة للمستهلكين .

(١) جريدة العرب اليوم - العدد ١٤٩٧ ، الجمعة ٢٩/٦/٢٠٠١ .

وأشارت إلى أن القيمة الغذائية للعديد من الوجبات السريعة^(١) التي أثبتت الدراسات العلمية ضررها على المستهلكين وخاصة على الأطفال، وآخر هذه الدراسات كانت الدراسة الاسكتلندية التي توصلت إلى أن الأطفال الذين يكثرون من تناول الوجبات السريعة هم الأكثر تعرضاً لأمراض الربو^(٢).

ومن جهة أخرى دعت الجمعية الجمعيات المختصة إلى رقابة النظافة في المطاعم الشعبية حيث: «أكدت على أن حصول المستهلك على سلعة آمنة وسليمة حق من حقوق المستهلك الأساسية للحصول على غذاء آمن وسليم.

وقالت الجمعية: إن الحر الشديد يقتضي ضرورة مراعاة النظافة والأمور الصحية في المطاعم وخاصة في بعض المطاعم الشعبية، مشيرة إلى أن هذه القضايا من مسئولية أصحاب المطاعم بالإضافة إلى الجهات الرقابية.

وأضافت أن النظافة في المطاعم تعكس الوجه الحضاري لبلدنا ومن شأنها تشجيع السياحة^(٣)، بالإضافة إلى التقليل من مخاطر التلوث البيئي والصحي في أشهر الصيف الحارة.

كما دعت نقابة المطاعم وطرق تشغيل العاملين فيها من حيث عدم السماح لموظف واحد بتقديم خدمات الطعام واستيفاء ثمن الوجبات في نفس الوقت كون أوراق النقد يمكن أن تنتقل بواسطتها الجراثيم والفيروسات والعمل على تعيين موظف خاص في كل مطعم لإدارة الصندوق (الكاشير) مع ضرورة ارتداء الألبسة الخاصة والتأكيد على نظافتها والمحافظة على المظهر اللائق للعاملين^(٤).

(١) ولا أدري سر هذا الولع الشديد في تناول الوجبات السريعة والتهافت عليها- خصوصاً- من أبناء الأثرياء، إلا الإعجاب والافتتان بكل ما هو غربي وأجنبي، ولو كان سمّاً زعاقاً، ولو كان فقيراً عديم الفائدة الغذائية.

(٢) حماية المستهلك- العدد الثامن عشر، المجلد الرابع، ٢٠٠١، (ص١٦).

(٣) نعمت السياحة تلك التي تقوم على تقوى الله وطاعته والتفكير في آياته وزيارة الإخوة في الله، أو طلباً لزيارة عالم، أو طلباً للعلاج والشفاء. أما الفسق والفجور والخنا، وإن سمي سياحة، فهو ممنوع شرعاً، باطل عرفاً. فالمؤمن لا يقرّ الفاحشة في أرضه ولا بيته.

(٤) انظر: حماية المستهلك- العدد الثامن عشر، المجلد الرابع، ٢٠٠١، (ص٣٧) بتصرف.

دول الخليج تصدر مواصفة لمنع ظواهر الغش والإغراق والتدليس :

حيث قد بينت هذه «المواصفة القياسية التي تستهدف حماية المستهلك الخليجي منع ظواهر الغش والإغراق والتدليس التي انتشرت في أسواق الخليج إضافة إلى رفع جودة المنتج الوطني .

وقد تضمنت المواصفة القياسية الخليجية عددًا من المتطلبات من أبرزها أن يكون المنتج خاليًا من المواد الغريبة مثل الرمال والزجاج وخاليًا من أي طعم أو رائحة غريبة وكذلك اشترطت المواصفة خلوه من الحشرات والقوارض وأجزائها ومخلفاتها ، كما سمحت المواصفة باستخدام النشا بحد أقصى «٥٪» في حالة عدم استخدام مضادات التكتل وألا تزيد بقايا المبيدات في المنتج عن الحدود الواردة في المواصفات القياسية الخليجية وأن يطابق المنتج الحدود الإشعاعية في المواصفات القياسية وبالنسبة للتعبئة والنقل والتخزين ، اشترطت المواصفة أن يعبأ المنتج في عبوات غير منفذة للرطوبة وأن تحافظ على خواص المادة المعبأة ، وأن تحميها من اكتساب الروائح والنكهات والطعوم غير المرغوبة ، كما شددت المواصفة على ضرورة ذكر المواد المضافة على العبوة ونسبتها بالوزن بالإضافة إلى صنف السكر سواء خشن أو ناعم .

ومن جهة أخرى أصدرت هيئة المواصفات والمقاييس لدول مجلس التعاون مواصفة قياسية تختص بجميع أصناف الطماطم المعلبة واشترطت المواصفة القياسية عددًا من المتطلبات في الطماطم المعلبة منها أن تكون سليمة مكتملة النضج وذات صلابة مناسبة ويسمح بوجود تشققات بسيطة بحيث لا تؤدي إلى حدوث فقدان للمكونات الأصلية وأن تكون ذات نكهة ورائحة ولون طبيعي مميز للصنف وخالية من الروائح الغريبة وأن تكون لها نفس النكهة واللون المميز للمواد المضافة في حالة إضافة مكونات خاصة وأن تكون خالية من الشوائب والمواد

النباتية الغريبة وأن تكون خالية من الألوان الاصطناعية وتهدف المواصفة القياسية إلى رفع مستوى جودة المنتج وحماية المستهلك الخليجي والأسواق الوطنية»^(١).

غش الخبز:

قال أحمد قدامة في «قاموس الغذاء»: «من المعروف أن الخبز الحسن المظهر يصنع اليوم من الدقيق الذي نزعت قشرته، فخرس بذلك العناصر الغذائية الأساسية، وأصبح فقيراً بالبروتين والدهن وأكثر الفيتامينات والأملاح المعدنية الأساسية، وبالتالي لم يبق فيه قيمة غذائية كافية، ولم يحتفظ إلا بالنشا الذي لا يقدم للجسم ما يحتاج إليه من العناصر الحيوية، وكمثال على ما فعله (تخزين) القمح، ما أشارت إليه المصادر الغذائية الدولية من أن بعض الدول التي أدركت أخطار الدقيق الأبيض، وأرادت تخفيف أسوء الخطأ الكبير الذي يرتكب، فأخذت انكلتره وفرنسا تضيفان إلى الدقيق مادة الكالسيوم، والولايات المتحدة تضيف الكالسيوم والحديد وبعض الفيتامينات، ولكنها رغم هذه الخسارة المادية لم تستطع أن تعوض المواد الطبيعية الكثيرة التي فقدت بانتزاع قشرة القمح بالطحن والنخل والتصفية، واليوم أصبح المستهلك يزدرى هذا الخبز الذي صار غثاً»^(٢) تافهاً يذكر بحلوى ناشفة تقدم للبلهاء. إنه لا يمكن حفظه من يوم إلى آخر، ولا يصلح إلا مظهرًا للدعاوى الخادعة، يطلقها السياسيون والمترفون والتجار الجشعون بأنهم يقدمون للشعب «الخبز الجيد».

إن هناك كثيراً من الخبازين الذين يعرضون على زبائنهم خبزاً يدعون أنه «أحيائي»، وأن الخبز الذي عرفه أجدادنا في طعمه اللذيذ وهضمه السريع، وتغذيته العالية، والاحتفاظ بمزاياه السامة ثماني وأربعين ساعة على الأقل، وإذا

(١) صحيفة سعودية تصدرها مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر- العدد ١٠٤١٦، الخميس ١١ محرم ١٤٢٢هـ، بقلم: عبد العزيز الفراري- الرياض.

(٢) لا يجوز وصف الخبز بذلك، لأن فيه امتهاناً له، وقد نهى الإسلام عن ذلك.

تذكرنا أن التغذية هي معركة بين الجسم والغذاء الذي يجب أن ينسجم مع بنيته من أجل أن يقدم له الفائدة المنشودة، إذا تذكرنا ذلك، تبيّننا حكمة الدكتور «بول كارتون» القائلة: إن الرجل القوي الذي يتعب في عمله، يجب أن يتناول الخبز الكامل، والرجل الصحيح الجسم النشط يجب أن يأكل الخبز الأسمر، أما المصابون بعسر الهضم، وبالتهاب المفاصل فمن المفيد لهم أن يتغذوا بالخبز الأبيض.

إن الخبز الجيد يجب أن يعجن بماء نقي، وأن يكون جيد العجن، ويترك حتى يختمر، ثم يخبز خبزاً معتدلاً حتى نضجه. ويحسن ألا يؤكل ساخناً بعد خروجه من الفرن، إنما بعد أربع وعشرين ساعة، ليفقد شيئاً من رطوبته الداخلية. ويعرف الخبز الجيد بأنه يخف بملامسته الهواء الرطب، وأفضل الخبز وأنفعه هو ما عمل من دقيق لم تنزع منه جميع أجزاء الحنطة، وقد قام كثير من العلماء بتجارب أثبتت خطر الخبز الأبيض الذي نزعته منه نخالة القمح، فقد غدوا كلاباً بالخبز الأبيض فماتت بعد مدة من الزمن، أما الكلاب التي غذيت بالخبز الكامل لم ينزع شيء من قمحه فقد عاشت محتفظة بقوتها، ولذا ينصحون للذين يتذوقون الخبز الكامل الأسمر، ولا يجدونه مكروهاً أن يعتادوا عليه، ليحصلوا على فوائده الثمينة الكثيرة»^(١).

«إن المجادلين في قضايا الغذاء يغرقون مستهلكي الخبز في خضم عميق من الحيرة والشك حين يتصدون للرد على أسئلتهم، إنهم يسألونهم عن الخبز هل يسبب السمنة؟ فيكون الجواب: نعم، مع أن مائة غرام من الخبز تحوى من المواد الدسمة ما بين غرام واحد و١,٢ غم، ولما كان الجسم يتطلب نحو (٦٠غم) في اليوم من هذه المواد، فكم غراماً من القمح يحتاج الإنسان لتأمين متطلبات جسمه. ثم إن المائة غرام تحوي من المواد الحرورية ما بين ٥٠-٥٣٪، والجسم

(١) قاموس الغذاء (ص ١٩٣-١٩٤).

حصّة يومية من هذه المواد هي ٤٥٠ حروريًا، فكم غرامًا يلزمه لتأمين ذلك؟

ويسألون: أي الخبز نأكل: الخبز الكامل أم المعتاد؟

الجواب: الخبز الكامل، مع أن الخبز الكامل يصنع من الطحين الأبيض، وتضاف إليه النخالة، وبالتالي يصبح سعره مضاعفًا، وإذا كان الذين يصنعون الخبز لا يعدون ذلك غشًا للمستهلكين، فإنهم يشترون القمح من المناطق التي يستعمل فيها مييد الحشرات، وقد شوهد أن غلاف القمحة يحوي قليلًا من سموم المبيدات، لذا على من يريد تناول خبز سليم كما كان في الماضي - وغير كيماوي - أن يصنعه بيده أو يشتريه من إنتاج مؤسسة موثوقة في هذا الموضوع، ولا تجرد الدقيق من النخالة ومن الرشيم، ولا تشتريه من مزارعين يستعملون في تسميد القمح الأسمدة الكيماوية السامة^(١).

ومن غش الأفران والمحلات أيضًا: أنهم يضعون الأرغفة القديمة البائتة مع أرغفة طازجة جديدة، حيث إنهم يدسون رغيفًا أو رغيفين بين كل ستة أرغفة تدليسا على المشتري وغشًا وتغريبًا.

ولا ننسى الضجة العظيمة التي حدثت بعد استيراد شحنة القمح الأمريكية القديمة التي عاشت فيها الفئران واحتوت على الضفادع والجرادين وجلود الأفاعي، ورغم الضجة والتلاسن والتراشق والانتهاكات ورفضها من الشعب ونوابه، إلا أن الشحنة قد أجزت ودخلت بسلام، وأصبحت في بطون الأنام. وقد أعرضت عن ذكر الترهات والمقالات الساقيات التي تخللت بعض الصحف لكونها ليست على شرط كتابنا ولا على منهجية دعوتنا.

١- «أعلنت الجمعية الوطنية لحماية المستهلك عن عزمها رفع دعوى قضائية مستعجلة للحفاظ على شحنة القمح الأمريكية الأخيرة التي أجازها مجلس إدارة الغذاء، واعتبرها صالحة للاستهلاك البشري إلى حين صدور قرار المحكمة

المؤيد إما لرفض الجمعية لاستعمال واستهلاك القمح أو لقرار المحكمة التي سمحت باستخدامه .

وأعادت الجمعية في بيان أصدرته عقب اجتماع مطول لهيئتها الإدارية لبحث قرار مجلس إدارة الغذاء بإجازة شحن القمح تأكيدها على موقفها السابق من شحنه القمح الواردة لوزارة الصناعة والتجارة والملوثة بالفئران والحشرات .

وأشارت إلى عدم موافقتها على تفريغ الشحنة في صوامع وزارة التموين حيث بينت الجمعية أن وسيلة الشحن غير مستوفية للشروط الصحية وتحتوي على الصدأ وبكميات كبيرة، إضافة لتلوث القمح بالفئران والحشرات، وبذلك فهي تعتبر مخالفة لشروط نقل وتخزين المواد الغذائية ومخالفة- أيضاً- للمواصفة القياسية بما يتعلق بوسيلة النقل، وبناء عليه لم تستوف الشحنة للشروط الأولية التي تؤهلها للفحوص المخبرية .

وأشارت الجمعية إلى أن وجود الحشرات والقوارض في الشحنة قد دعا وزارة الزراعة للقيام بتبخير القمح للقضاء على الحشرات والقوارض، وكان الأصل رفضها وعدم السماح بتفريغها بالرغم من تبخيرها، إن هذا الإجراء يتخذ عادة لحماية الموانئ مما يمكن أن تحمله الشحنة من آفات .

وقالت الجمعية: إنه وبالرغم مما سبق فقد تم السماح بتفريغ الشحنة وأخذ العينات منها للفحص . ومثل هذا الإجراء لا يتبع مع أية بضاعة مستوردة من قبل القطاع الخاص، والأصل هو التعامل مع جميع المواد الغذائية بغض النظر عن مستورديها بنفس المبادئ والأسس .

واستناداً إلى أن التصريحات الحكومية للتلفزيون والإعلام من أن الشحنة صالحة للاستهلاك البشري وأنها بصدد إجازتها وأن الفحوصات المخبرية التي تبين أن القمح يخلو من متبقيات المبيدات الحشرية ويخلو من سموم الفطريات وأنه مخالف فقط لبعض اشتراطات الجودة وليس الصلاحية، فإن جمعية حماية

المستهلك تود أن تبين التالي :

لا يوجد ما يشير إلى نتائج فحص مخلفات القوارض من روث أو بول .
لا تشير الفحوصات إلى خلو المنتج من المواد التي تم تعقيم القمح بها .
لا تشير النتائج إلى خلو القمح من إفرازات الحشرات التي قد تشكل خطراً
على صحة المستهلك^(١) .

ومن الغش في الخبز : إضافة مواد محسنة له ، يسبب استخدامها السرطان أو
الصرع . حيث إنه قد تفاعلت قضية استخدام المحسنات في صناعة الكعك
والخبز ، . . . ووجود مادة محسنة تدعى برومات البوتاسيوم يتم استخدامها في
صناعة الخبز ، بالإضافة إلى كون هذه المادة مسرطنة .

يقول رئيس جمعية حماية المستهلك : «إن مادة برومات البوتاسيوم تدخل
كتكوين أساسي في جميع أنواع المحسنات المستخدمة لتحسين نوعية الكعك
والخبز وهي مادة مسرطنة» .

وفي دراسة خاصة حول برومات البوتاسيوم ، حذرت هذه الدراسة من النسب
المستخدمة من هذه المادة إذ إن منظمة الصحة العالمية تسمح باستخدام ملغم لكل
كغم طحين في حين أشارت الدراسة إلى أن مخابز كثيرة في المملكة تتجاوز هذه
النسبة وإن لهذه المادة آثار جانبية كالصرع والغثيان والقيء وفقدان الوعي ، وغير
ذلك ، في حال ابتلاع مادة برومات البوتاسيوم ، ودعت الدراسة إلى التوقف عن
استخدام المكونات الصناعية في المحسنات ، ومنعها فوراً واللجوء إلى البدائل
الطبيعية التي هي عبارة عن أنزيمات طبيعية باتت إحدى الشركات تنتجها في
الدنمارك بعد حصولها على براءة اختراع .

وهددت الجمعية في بيان لها برفع دعاوى قضائية على كل مخبز يثبت

(١) جريدة العرب اليوم- الاثنين ١٥/١١/٩٩- العدد ٩١١ ، (ص٣) .

استخدامه لمادة برومات البوتاسيوم المسرطنة، وذلك نيابة عن المستهلكين، وحذرت الجمعية أصحاب المخابز في الأردن من استخدام مادة برومات البوتاسيوم وأن هذه^(١) المادة ممنوعة رسمياً من جانب الحكومة الأردنية وطالبت الجمعية وزارة الصحة تكثيف الرقابة على المخابز بشكل عام.

أخبرني أحد الإخوة الثقات أن بعض المخابز يقوم إلى الخبز البائت فيقطعه قطعاً صغيرة ويضعونه في ماء حتى يشبع من الماء، فيضعونه على العجين وهذا يسمونه (فتوش). وهذا شيء شاهدته ورأيتة.

قلت: فكيف بما خفي عليك وعلى أكثر الناس؟! فالله المستعان.

غش الفلفل:

وهو شجر كالرمان وأرفع وورقه رقيق أحمر مما يلي الشجرة أخضر من الجهة الأخرى، وعوده سبط. وقول بعضهم إنه يتجدد كل سنة غير صحيح، بل يقيم السنين الكثيرة كما شاهدناه ويغش بالكرسنة والبسملة ونحوهما تطبخ في بعض النباتات الحريفة وهو أبيض وأسود^(٢).

ومن الغش في الطعمية (الفلافل):

حيث تضاف «فضلات العيش^(٣) إلى عجينة الطعمية وغالباً تكون بقايا العيش ملوثة، ولقد جرى بحث بكلية الزراعة بجامعة الإسكندرية في أواخر الثمانينات أثبت فيه الباحثون أن قرص الفلافل يحتوي على ٧ جرامات فقط من مكونات الطعمية المتمشية مع المواصفات القياسية والباقي خبز متخلف من وجبات غذائية سابقة من المستشفيات والمطاعم والملاجئ مما هو ملقى في صناديق القمامة ويقوم الزبالون بفرزه وبيعه لصانعي الطعمية، وتظل خطورة هذا الخلط على عكس

(١) في الصحيفة «هذا» والصحيح ما أثبت، والله أعلم.

(٢) التذكرة (٢/٢٨).

(٣) أي: الخبز.

القول بأن النار تأكل كل شيء، فهي لا تنطبق على مكونات قرص الطعمية لأنه برغم غليان الزيت الذي تقلى أو تحمر فيه الطعمية إلا أن قصر المدة التي يبقى فيها قرص الطعمية في الزيت تؤدي فقط إلى تخفيف وتجميد السطح الخارجي، أما داخل القرص فلا يتأثر كثيراً ما بداخله من تلوث، وقد يؤدي العيش الملوث إلى نشاط ميكروبي ويسبب أضراراً للجهاز الهضمي.

ونظراً للضرر الأكيد بصحة المستهلك من استمرار تصنيع الفول والطعمية بالطرق الحالية فقد عقد بجامعة الإسكندرية في أوائل عام ١٩٨٩ مؤتمر لتقديم مشروع لتطوير طرق صناعة الفول والفلافل وقام المركز الدولي للتنمية والبحوث بكندا بتمويله ثم أعقب المؤتمر ندوة بكلية الزراعة مع أصحاب مطاعم الفول والفلافل بالإسكندرية، وللأسف الشديد لم يتم الاستفادة من المشروع وبقي الحال على ما هو عليه. إن عملية قلي أو تحمير الطعمية تتم بطريقة (التحمير العميق) وهذا يعني وضع كمية كبيرة من الزيت أولاً، وكلما نقص الزيت أثناء الغليان تضاف إليه كمية جديدة من الزيت، وبذلك لا يتم تغيير الزيت أو تنظيف الإناء، ويظل الزيت يغلي لفترة قد تصل إلى ١٦ ساعة يومياً عند درجة حرارة ١٧٦ درجة مئوية تتكون فيه بوليمرات مسرطنة^(١).

غش الدهن الحيواني :

قال صاحب القاموس : غير أن الاستغناء عن الدهن الحيواني تماماً والإفراط في الاعتماد على الدهن النباتي وما يغش به من عناصر مشبوهة قد أعطى نتائج سيئة ظهرت جليلة للعلماء والباحثين، فشرعوا من جديد يدعون إلى الاستعانة بالدهن الحيواني في حدود معينة في بعض الحالات المرضية، وتناول المواد التي يدخل الدهن الحيواني السليم في تركيبها إلى جانب الدهن النباتي، وهكذا بدأ الدهن الحيواني يسترد بعض ما كان له من مجد، ومن يدري أن يستعيد مجده كله^(٢).

(١) جرائم الغش التجاري والصناعي (ص ٢٧٤-٢٧٥).

(٢) قاموس الأغذية (ص ٣٢٤).

غش الزيت :

وقال أحمد قدامة : «للزيوت النباتية قيمة غذائية لا يستهان بها ، فهي تحوي مقادير كبيرة من المواد الغذائية الأساسية والأحماض اللازمة للمرضى الذين لا يستطيعون الإكثار من الدهون الحيوانية أو الاقتصار عليها ، إلى جانب ما توصف به من سهولة الهضم وحسن الصنع وجمال العرض ، فهي - كلها - تتمتع بمزايا صحية عديدة ، منها تنشيط عصارات المرارة والكبد ، وتنظيف الأمعاء ، ومكافحة تكس السموم في مجاري الدم .

ويجب ملاحظة أن هذه الزيوت إذا أصبحت رائحتها زنخة أو غير طبيعية - فقد فسدت - وتعتبر غير صالحة للاستهلاك ، وتعريضها للنور والهواء طويلاً يفسدها ، لذا يجب حفظها في أماكن معتمة وفي أوعية بلورية لا ينفذ النور منها .

ولمنع الزيت من الزنخة تتبع الطريقة التالية : يخلط مائة غرام من السكر الناعم مع ستين غراماً من الزيت وتمزج مزجاً جيداً وتضاف بعد ذلك إلى ٢٥ لترًا من الزيت فلا يزنخ ولا يتغير طعمه .

وإذا تزنج الزيت فعلاً فيعالج زنخه كما يلي : يخلط كل لتر من الزيت ١٢٠ غم من فحم المجروش في إناء من زجاج أو فخار مطلي ، ويترك ثلاثة أيام مع تحريكه من آن لآخر ، وبعدها يرشح الزيت ويفصل عن الفحم .

وإذا كان التزنج شديداً : يخلط ١٥ غراماً من حمض الكبريتيك بـ ١٥٠ غراماً من الماء ، ويرج المخلوط مع لتر من الزيت رجاً قوياً ، ثم يترك ثمانية أيام وبعدها يؤخذ وتترك الرواسب .

وإذا كانت الزيوت معكرة يضاف إليها مثل حجمها من الماء النقي وتمخض مخضاً شديداً ، ثم تترك لتهدأ ، ويؤخذ الزيت الذي يطفو على سطح الماء .

ويمكن ترويق الزيوت أيضاً بترشيحها من خلال طبقة من نشارة الخشب أو

فحم الخشب المجروش توضع في قمع التصفية»^(١).

وهناك أنواع للزيوت: «منها زيت النخيل، وزيت بذرة القطن، وزيت الذرة . . . إلخ، وهذه كلها زيوت نباتية آمنة لا تضر بصحة المستهلك طالما روعيت الاشتراطات الصحية في تصنيعها وتخزينها ونقلها وبيعها، ولم تصل إليها أساليب الغش التجاري. إلا أن البعض يضيفون إلى الزيوت النباتية الصحية زيت الشلجم المحظور استخدامه دولياً بواسطة منظمة الصحة العالمية ولجنة كودكس التابعة لمنظمة الأغذية الزراعية (الفاو) لخطورته على صحة المستهلك حيث يصيب القلب والكبد والكلى بالتليف لاحتوائه على نسبة عالية من حمض الأيروسيك، وزيت الشلجم يعتبر أحد مكونات الورنيش وشحوم السيارات وزيت البويات»^(٢).

سحب زيت الزيتون الإسباني من الأسواق السعودية لخطورته على

الصحة:

«تسارعت الأحداث المتعلقة بالإجراءات الاحترازية التي اتخذتها الحكومة الإسبانية لإيقاف تداول الزيت المستخلص من عمليات عصر سابقة والذي يعرف «بزيت لب الزيتون المسحوق» وإعلان وزارة الصحة الإسبانية سحب كمياته المطروحة في أسواقها عقب الكشف عن آثار لمادة هيدروكربونية تعرف باسم «البنزوبيرين» المسببة للسرطان في بعض عينات زيت الزيتون، وقد اتخذت عدة دول إجراءات احترازية «موازية» للإجراءات الإسبانية بما فيها الحكومة السعودية التي قررت سحب جميع أنواع زيت الزيتون الإسباني من أسواقها وإخضاع عينات منها للفحص المخبري الدقيق؛ لضمان خلوها من المادة المسرطنة.

وانضمت البحرين إلى كل من الكويت وقطر في قائمة الدول التي حظرت الزيت الإسباني وأكد الدكتور حمد العوفي مدير إدارة المختبرات ومراقبة الجودة

(١) قاموس الأغذية (ص ٢٦٣).

(٢) جرائم الغش التجاري والصناعي (ص ٢٧٥).

النوعية في وزارة التجارة السعودية أمس أن الإجراءات التي اتخذتها الوزارة اشتملت على سحب كافة كميات زيت الزيتون الإسباني الموجودة في الأسواق المحلية بجميع أنواعها ومستوياتها ومنع استيراد أية كمية من زيت الزيتون الإسباني بشكل مطلق مبيناً أنه تم تعميم مختبرات^(١) الوزارة بعدم فسح جميع إرساليات زيت الزيتون الإسباني الواردة من المنافذ السعودية بشكل عام كإجراء احترازي حتى ظهور نتائج الفحص والتحليل المخبري.

وأوضح العوفي أن التشديد في مراقبة عينات زيت الزيتون ستشمل جميع الأنواع المتواجدة في الأسواق السعودية دون تحديد، إضافة إلى التشديد على فحص العينات المستوردة لتفادي عمليات الغش المحتملة والمتمثلة في إعادة تصدير زيت الزيتون الإسباني من دول أخرى على أنه من الإنتاج المحلي لهذه الدول مشيراً إلى أن هذا الإجراء يأتي من مسؤولية الوزارة بحماية المستهلك خاصة أن الإجراءات الإسبانية كانت قوية بما يكفي لتأكيد خطورة الوضع مناشداً رجال الأعمال السعوديين بعدم إبرام عقود مع جمعيات التصدير الإسبانية لمنتجات زيت الزيتون حيث صدور النتائج المخبرية المحلية والدولية في المنظمات الدولية والإسبانية خلال فترة تتراوح ما بين أسبوعين وثلاثة أسابيع.

وبين أن اتصالات بدأت بين الأجهزة المختصة في الحكومتين السعودية والإسبانية ومع بعض المنظمات الدولية لتوفير معلومات إضافية حول هذا الموضوع لتفادي تسرب المنتجات الغذائية الملوثة بمادة «البنزوبيرين» المسببة للسرطان إلى الأسواق السعودية موضحاً أن الموضوع لم يأخذ سعودياً أكبر من حجمه لأن السلطات الإسبانية سحبت العبوات من أسواقها وأوقفت التعامل مع ١٣ ماركة لديها لتقوم السعودية بإجراءات احترازية موازية ليتم سحب المنتجات الإسبانية المنشأ، وأخذت عينات قبل إصدار قرار نهائي بالمواعيد المسموح بعودتها للأسواق والممنوعة منها بناء على النتائج المخبرية، مبيناً أن المفوضية

(١) في الأصل «كميات» ولعل الصواب ما أثبت.

الأوربية ستجتمع لبحث هذا الموضوع تحديداً .

من جانبه اعتبر «الفريد ومارتينس سيرانوا» القائم بالأعمال الإسباني في الرياض أن الإجراءات الاحترازية التي اتخذتها السعودية وبعض الدول الأخرى هي من قبيل حرصها على حماية المستهلك نظير الإجراءات التي اتخذتها وزارة الصحة في بلاده نظراً لاكتشافها وجود مادة «البنزوبيرين» في بعض العينات المنتجة محلياً مما دفعها إلى اتخاذ الإجراءات القصوى في حماية المستهلك نظراً لكون إسبانيا من الدول الأكثر صرامة في تنفيذ مواصفاتها القياسية فيما يخص المستهلك وجودة المنتجات ومقاييس المواد المصدرة .

وأوضح أن هذه العينات الملوثة وجدت في زيت متبقي الزيتون الذي لا يمثل سوى ٤ في المائة من كميات زيت الزيتون الإسباني المصدر للخارج فيما أن كافة منتجات زيت الزيتون الأخرى المصدرة من بلاده لا تعتمد على وسائل يعالج بها متبقي الزيوت لاستخراج الزيوت منه، فهي من نوعية أخرى ذات مواصفات عالية الجودة، بل هي الأفضل على مستوى العالم، وأشار إلى أن اتخاذ الحكومة الإسبانية هذا الإجراء الاحترازي يعود إلى تطبيقها منذ سنوات لمقاييس صحة المستهلك التي تلزم الحكومة بالإعلان عن المنتجات والمواد التي تؤدي إلى أضرار صحية بشكل وطني مهما كانت تسمياتها أو مستوياتها والتعامل مع هذه الحالات بشفافية كبيرة، وهو ما دفع وزارة الصحة إلى التحرك بشكل احترازي ومحاصرتها وجمع العينات التي تم اكتشافها ومناقشة الموضوع على أعلى المستويات، ومحاصرتها وجمع العينات من كل الأسواق الأوربية، وأضاف أن هذه العينات التي تم اكتشافها لم يثبت حتى الآن أن لها أضراراً صحية حقيقية بالأدلة العلمية الموثقة، وهو ما يتم دراسته حالياً، والذي سيتم بموجبه اتخاذ إجراءات فعلية لمحاصرة مصادر الإنتاج والتحقق بكيفية حصول هذه الحادثة التي أثرت على العمليات التصديرية بشكل وقتي ومحدود لتفادي حصول آثار سلبية

واسعة على سمعة المنتجات الإسبانية من زيت الزيتون»^(١).

قلت: فخير صنيع صنعت، وعلى دين الله ﷻ وقتت، وخير سبيل سلكت، وإن هذا لهو الولاء والبراء لله وفي الله، والحمد لله.

بعض حالات الغش التي قدمت لأجلها شكاوى من قبل المستهلكين:

«شاي بدون اسم ماركة!!»

ورد إلى الجمعية عدة شكاوى تتعلق بمادة شاي ليس له اسم صنف (ماركة) وبنكهات متعددة ومكتوب على العبوة من إنتاج عام ١٩٩١ .

حشرات في مشروبات غازية!!:

لا زالت الشكاوى ترد تباعاً إلى الجمعية بخصوص المشروبات الغازية بأنواعها حيث يشكو الإخوة المستهلكين من وجود بعض الحشرات أو الأتربة داخل العبوات . .

محطات المحروقات وتلاعب بالعدادات!!:

ورد إلى الجمعية شكاوى عديدة على بعض محطات بيع المحروقات (سولار - كاز - بنزين) تفيد بقيام عمال المحطات بالتلاعب بالعدادات المحطة . .

قلت: وليت الأمر يقف عند ذلك، بل إن إجرامهم وصل إلى حد خلط الماء بالبنزين، وخلط الكاز بالسولار، ولا يخفى على أحد ماذا يعني هذا الخلط من مزابح حرام لهم، وماذا يجني أصحاب السيارات التي تتزود بالوقود من تلك المحطات من دمار وخراب لمركباتهم نتيجة غش البنزين بالماء، والسولار بالكاز.

(١) صحيفة الشرق الأوسط - العدد ٨٢٥٩ - ليوم الإثنين ٩/٧/٢٠٠١، (ص ٩).

أجبان حمراء!!:

ورد إلى الجمعية عدة شكاوى حول مادة (أجبان) ذو ماركة عالمية معروفة تباع في محافظة الزرقاء حيث إن طعمها غير مستساغ ولونها مائل إلى الاحمرار بدل اللون الأبيض . . .

كتل حليب في الخبز!!:

ورد إلى الجمعية عدة شكاوى على مخازن في عمان الغربية تتحدث عن وجود كتل من الحليب المجفف داخل الخبز . . .^(١).

غش القهوة:

يضاف إليها بعض البقول . أو جذور الهندباء المحمصة ، أو البلوط المحمص أو يضيفون الماء إلى حبوب البن ليزداد وزنها بمقدار الضعفين تقريباً ويحافظون على هذا الوزن بإضافة المواد الصمغية أو الغبسيين إلى الحبوب المغشوشة أثناء التحميص ، وذلك كي تتليف الحبوب فلا تسمح للماء المضاف إليها بالتبخر»^(٢).

«ويستعمل البن في بعض البلدان في غير القهوة، ففي تركيا يؤكل البن المطحون مخلوطاً بالسكر، والقهوة الغليظة القوام.

وفي سومطرة يشرب منقوع أوراق البن كشراب مكيف، وتمزج الهندباء المحمصة بالبن لغشه، وفي أوربا يفضل البن المخلوط بالهندباء على البن وحده. ويرى أطباء القلب أن البن المحمص كثيراً أحسن من المحمص قليلاً، أي الذي يبقى لونه فاتحاً.

والبن الجيد يجب أن يكون لامعاً، ولكن يجب ألا يغش فإن تلميع البن قد

(١) حماية المستهلك - العدد السابع عشر، المجلد الرابع، ٢٠٠٠، (ص ٢٨).

(٢) الغذاء لا الدواء (ص ٢٨٠).

يحصل بالبارافين»^(١).

ويغش أيضًا بإضافة الفول السوداني المحروق بعد طحنه وغالبًا يستعمل الفول القديم الفاسد^(٢)!!

*غش السكر ومخاطر السكر الصناعي:

«إن الإفراط الفظيع في تناول السكر الصناعي قد لفت أنظار الكثيرين من الأطباء وعلماء التغذية إلى إجراء أبحاث واسعة في هذا الموضوع، وظهرت لبعضهم أسوأ فظيعة نتجت عن تناول السكر الصناعي»^(٣).

غش السمن:

باستعمال ألوان صناعية تفوق المسموح به عالميًا وتعبئة السمن في علب صفيح سريعة الصدأ.

قلت: وقد حدثت فضيحة لبعض المطاعم المشهورة، حيث قام بتهريب أطنان من السمن من بلد مجاور داخل بلده- لاستعماله في أطعمته وحلوياته- في صهاريج تستعمل في العادة للنضح، لتهريبها داخل البلد. أفلا يستحي هؤلاء التجار الفجار من الله!؟

غش البسطرمة:

باستخدام اللحوم الفاسدة منتهية الصلاحية بعد غسلها ثم إضافة خلطة من التوابل أكثر من المعتاد للتغلب على رائحة عفن اللحم.

غش اللانشون:

بإضافة عناصر لتقليل حجم اللحوم المستخدمة في صناعة اللانشون مثل

(١) انظر: قاموس الغذاء (ص ٨٣). ولمزيد من الدراية انظر ما سيأتي من مضار القهوة في باب التحذيرات.

(٢) انظر: الغش التجاري والصناعي (ص ٢٧٤).

(٣) قاموس الغذاء (ص ٢٨٣).

الجلد والأحشاء والدقيق .

غش ملح الطعام :

باستخدام ملح من مستنقعات وبرك لا يصلح للاستخدام الآدمي .

غش الحلوى :

باستخدام سكر ملوث يباع بسعر رخيص .

غش التوابل :

بإضافة برادة الحديد الناعم للتوابل المطحونة أو أي مسحوق ليزيد الوزن

ويعطي نفس القوام للتوابل .

غش الشاي :

بإضافة نشارة الخشب الناعمة بعد صبغها أو استخدام برادة الحديد الناعمة أو

الملوخية الناشفة أو الردة وقشر الفول والترمس بعد تنشيفه وسحقه وصبغه .

ويفعلون أكثر من ذلك في غش زعتر الطعام .

أمثلة من أساليب الغش في الفول المدمس :

١- استخدام فول لا يصلح للاستهلاك الآدمي وقد يكون مستوردًا على أساس

علف للحيوان .

٢- إضافة كميات كبيرة من الماء ومادة نشوية مثل الأرز أو كمية من النشا ليزيد

قوام وكثافة الفول ، وتكسب هذه الإضافات الفول اللون الأبيض وحتى يغير البائع

هذا اللون الأبيض ويجعله اللون المعروف في الفول يضيف إليه بعض مكسبات

كاللون الصناعية من أكسيد الدهانات والبويات وهنا يكمن الضرر الأكيد حيث إن

هذه الألوان لها أثر تراكمي ضار بالصحة .

٣- إضافة زيت غير صالح للاستهلاك الآدمي مثل زيت الشلجم، المحرم عالمياً إلى الفول»^(١).

غش العسل :

ويعرف العسل المغشوش إذا «ظهر فيه طعم الموم (شمع العسل) أو وسخ الكور أو سقطت منه رائحة قوية حادة. أو كان رقيقاً فليس بمحمود»^(٢).

«تختلف صفات العسل باختلاف البلاد الآتي منها، والفصول، ونوع النحل، والنباتات التي يطوف عليها، وأحبها إليه: البرسيم، والزيزفون، والنعناع، وأكثر أشجار الحمضيات.

إن العسل المنقى سائل صافٍ، وهو حلو مقبول ورائحته عطرية، والأسمر طعمه حريف ورائحته غير مقبولة، وأجوده للأكل الأبيض الصافي، أو الأزرق الصافي الخالي من الحدة والحرافة وكراهة الرائحة.

وأما المر الأحمر الثخين المتقطع، والأسود، واليابس فرديء كالعتيق.

وأجوده الربيعي، ثم الصيفي، وأردؤه الشتوي.

يباع العسل مصفى وبشده، ويندر أن يكون المصفى غير مغشوش بمادة الجلوكوز (سكر العنب) الذي يباع بأقل من نصف قيمة السكر.

ويغش العسل بالدقيق المحمص، ويعرف بواسطة الغول (الكحول) الضعيف، حيث لا يرسب فيه، كما يغش بالنشا أو الدقيق غير المحمص، فيزيل منه خاصية سيولته بالحرارة وعدم ذوبانه بالماء البارد، ويكتسب اللون الأزرق بمادة اليود، وبذلك يعرف هذا الغش»^(٣).

(١) جرائم الغش التجاري والصناعي (ص ٢٧٤).

(٢) المعتمد في الأدوية المفردة (ص ٣٢٣).

(٣) قاموس الغذاء (ص ٤٠٤).

غش الخل :

قال صاحب القاموس : ويغش الخل بإضافة الماء إليه^(١)، أو بإضافة أحماض أخرى . غير حامض الخليك ويجب ألا تقل نسبة حامض الخليك عن نسبة (٦) غرامات في كل مائة سنتيمتر مكعب وألا تزيد على ثمانية (٨) غرامات^(٢).

غش الجبن :

«إضافة الفورمالين وزيادة نسبة الماء لزيادة الوزن، واستخدام ملح فاسد، وخلط لبن جاف منتهى الصلاحية مع لبن طازج»^(٣).

ولما كان بعض الجنود- في المملكة- الصادقين في عملهم، اليقظين على أمن بلدهم ويحسون بعبء ونقل الأمانة التي على ظهورهم فإنه قد تم ضبط منتجات مخالفة للشروط الغذائية .

فضمن مسلسل المخالفات الصحية وعدم الالتزام بالشروط الصحية لسلامة المنتجات الغذائية التي تباع للمواطنين، ضبطت أجهزة الرقابة الغذائية بوزارة الصحة عددًا من المخالفات لبعض الشركات والمصانع الغذائية الكبرى بالزرقاء والتي وردت منتجات غير صالحة للاستهلاك للسوق المحلي .

فقد حصلت السبيل على عدة كتب رسمية تكشف مجموعة من هذه المخالفات والإجراءات الرسمية المتخذة بحق مرتكبيها . حيث أكدت مديرية صحة الزرقاء أن تلك الشركات ستبقى تحت الرقابة الصحية المستمرة .

فحسب كتاب لمدير صحة الزرقاء رفع لأمين عام الوزارة بتاريخ ٥/٤/٢٠٠١، فقد تبين بالفحوص المخبرية لجبنة حلوم (وزن ٢٥٠غم) وتحمل تاريخ

(١) قلت : أي قبل يبعه للناس .

(٢) قاموس الغذاء (ص ٢١٠).

(٣) جرائم الغش التجاري والصناعي (ص ٢٧٣-٢٧٤).

إنتاج ٧ / ١ / ٢٠٠١ إلى ٧ / ٣ / ٢٠٠١ غير مقبول لارتفاع العدد الكلي للكوليفورم .
 كما تبين الفحوص أن عينة جبنة طرية ماركة (مها) وزن ٢٥٠ غم تاريخ إنتاج
 ١٦ / ١ / ٢٠٠١ - ١٦ / ٢ / ٢٠٠١ تحتوي بكتيريا الأشريكية القولونية وبذلك تعتبر
 غير صالحة للاستهلاك البشري . كذلك جبنة أخرى من جبنة (مها) إنتاج ٢٨ / ١ /
 ٢٠٠١ اعتبر غير صالح للاستهلاك البشري ، والمنتجات الثلاثة المذكورة هي من
 إنتاج شركة الألبان الأردنية .

وحسب كتاب مدير صحة الزرقاء التحري عن وجود كميات في مصنع الشركة
 من المنتجات المذكورة ليتم إتلافها ، ولم تتوفر أية كمية . وأحيل مدير الشركة إلى
 المحكمة في ثلاث قضايا لتداولهم لمادة غذائية غير صالحة للاستهلاك .

وأشار مدير الصحة إلى أنه تم الكشف على الشركة وتقويمها صحياً ، حيث
 تبين أن الوضع الصحي جيد ، وتم أخذ عينات مختلفة من إنتاج الشركة فتبين
 صلاحيتها للاستهلاك^(١) .

قلت : ومن غش الأجبان البيضاء إضافة ملح كثير لها حتى درجة التشبع ، وملاً
 نصف التنكة بالملح على أنه جبن ، وعلى حساب كمية الجبن المتعارف عليها في
 التنكة أو نصف التنكة .

* غش اللبن :

١- جمع اللبن المنتهي مدته في البقالات بعد فساد ، فيوضع مع اللبن الصالح
 بنسبة الثلث إلى الثلثين ، ثم إعادة تصنيعه أو جعله لبن أب .

٢- عدم الاهتمام بالنظافة .

٣- توزيع اللبن الفاسد والمنتهي مدته والذي أصابه العفن .

٤- تغيير مدة صلاحية اللبن رغم فسادهِ وبيعه على البقالات .

بخلطه بالماء ثم إضافة النشا والجلاتين والبوراكس وكربونات الصوديوم والكالسيوم والفورمالين ، والأخير له تأثير تراكمي ضار بالصحة ، واللبن من السلع الغذائية التي يسهل غشها ، ويعتبر بيئة صالحة لنمو الميكروبات وخاصة أثناء التسويق»^(١) .

وما يجدر التنبيه إليه أن «اللبن الرائب هو من أكثر الأغذية قبولاً للغش وقد يتم الغش بنزع القشدة من حليبه ، أو صنعه من حليب نزعت منه الزبدة ثم أضيف النشا أو مسحوق الأرز إليه ، وبعض ذوي الضمائر الفاسدة من الباعة لا يتورعون عن إضافة مادة «الشب»^(٢) إلى اللبن المغشوش لتماسك ذراته ويغدو قوامه على شكل كتلة واحدة وهي توحى للرائي بغناه بالزبدة والمواد الدهنية .

ويمكن اكتشاف الغش في اللبن بطريقة سهلة وذلك بتحريك قليل منه حتى يغدو متجانساً ثم تضاف إليه بعض قطرات من صبغة اليود فإذا أصبح لون اليود أزرق دل ذلك على وجود النشا أو مسحوق الأرز في اللبن ، أما مادة «الشب» القابضة المؤذية للمعدة والأمعاء فيصعب اكتشاف الغش فيها إلا بتحليلها في المختبر»^(٣) .

«غش الزبادي : بإزالة القشدة وإضافة مواد كيميائية حافظة وكذلك إضافة حمض البوريك أو حمض الساليسيدليك أو بوراكس أو ماء أكسجين مع إضافة النشا ، فيلاحظ زيادة الحموضة وكثرة الماء»^(٤) .

(١) انظر: جرائم الغش التجاري والصناعي (ص ٢٧٤) .

(٢) وقال الملك المظفر الرسولي في «المعتمد» (ص ١٨٧): «وشربه (أي الشب) يضر جداً حتى أنه ربما قتل ، ويعرض عنه سعال شديد ، وربما أدى إلى السُّل .

قلت : هكذا قال الأطباء في مضار الشب وغوائله ، فهل اتقى الله هؤلاء القتل المجرمون عند خلطهم اللبن بالشب لإيهام الناس أن لبنهم غاية في الجودة والسلامة .

(٣) انظر : الغذاء لا الدواء للدكتور صبري القباني (ص ٣٦٣ - ٣٦٤) .

(٤) انظر : جرائم الغش التجاري والصناعي (ص ٢٧٤) .

قلت : المواد الحافظة والمواد الكيماوية أسباب رئيسة للإصابة بالسرطان ،
فكيف إذا أضيف أشياء أخرى ضارة إلى المنتج الغذائي ؟

ومما يلحق به الغش في الجميد السائل :

«ما تقوم به بعض مصانع ومعامل الألبان من عمليات تصنيع للجميد السائل
وتسويقه بعبوات في الأسواق المحلية وبدون الحصول على التراخيص اللازمة
لذلك .

إن قيام بعض المصانع والمعامل بتصنيع سائل الجميد في غياب مواصفة
أردنية للجميد السائل يعتبر في رأينا إصراراً على انتهاك كافة القوانين والأنظمة
التي تنظم عمليات إنتاج وبيع المواد الغذائية .

وإن خلو عبوات الجميد السائل من بطاقة البيان التي تعتبر بمثابة جواز سفر
للسلعة وتوضح ما تحتوي من مكونات تدخل في تصنيعها بالإضافة إلى تاريخ
التصنيع ومدة الصلاحية وبلد المنشأ وإعلان سعر السلعة في مكان بارز خاصة وأن
سائل الجميد لا بد أن تتوفر فيه بعض المتطلبات التكوينية بالإضافة إلى تحديد
واضح في مدة الصلاحية التي لا تكون إلا لأيام معدودة جداً»^(١) .

غش السمن وزنخته :

قال أحمد قدامة «ومما يذكر هنا أن السمن الحيواني (العربي) يتعرض للغش
أكثر من جميع المواد الغذائية بسبب ارتفاع ثمنه وسهولة مزجه بشحوم ودهون
وزيوت وسمون أقل ثمناً منه»^(٢) كما يغش بإضافة دقيق إليه أو بطاطا مطبوخة أو نشا
وغيره^(٣) .

ولمعرفة غشه يذاب مقدار منه في عشر أمثاله من الماء في أنبوبة صغيرة فتسقط

(١) حماية المستهلك - العدد الثامن عشر، المجلد الرابع، ٢٠٠١، (ص١٦) بتصرف .

(٢) كالأسماك المستوردة والمعلبة .

(٣) كتلونه بمادة تضي عليه لوناً أصفر أو أخضر يانعا .

الأجسام الغريبة في قاع الإناء وتتجمد، ولمعرفة غش السمن بالشحم، يذاب السمن ويوضع في ميزان الحراب (ترمومتر) فإن كان مغشوشاً صعد الزئبق عند ذوبان السمن إلى ٥٦ أو ٥٧، وإن لم يكن مغشوشاً لم يصل إلى تلك الدرجة، وبطريقة سهلة بدائية بسيطة يمكن الاستدلال على الغش بالشحم وذلك بإذابة قليل من السمن وطرحه على حفنه من التراب، فإن تجمد السمن فإنه مغشوش بالشحم، وإذا تزنخ السمن بملامسة الهواء يمكن تنقيته بعجنه بالماء ثم تصفية الماء مراراً حتى يخرج السائل نقياً، أو يذوب كلور الكلس في الماء ويخفق به السمن ويترك ساعتين، ويراق عنه ويخفق ثانية بماء ويراق عنه فتذهب الزنخة^(١).

غش الآيس كريم:

وذلك «بإضافة المواد الحافظة مثل الفورمالين وكذلك الاستعانة بالألوان وأخطرها المادة المعروفة باسم (التفته) أو (اللعللى) التي تسبب التخلف العقلي للأطفال أقل من ثلاث سنوات لاحتوائها على مادة الرصاص السامة، كما أنها تصيب الجنين في بطن الأم»^(٢).

من نتائج معصية الله:

أعلنت جريدة العرب العدد (١٠٠٦) ليوم الجمعة ٨ / ٢ / ٢٠٠٠: قالت الشرطة أمس: إن نحو ٣٠ شخصاً ماتوا وأن ٥٠ شخصاً آخرين في حالة بالغة الخطورة بعد تناول مشروبات كحولية مغشوشة في بلدة فيني بجنوب شرق بنغلادش.

وأضافت الشرطة أن الضحايا اجتمعوا في جلسة لشرب الخمر مساء الثلاثاء وقال ضابط شرطة أن عدد الضحايا ربما يرتفع، وأنه تم إغلاق العديد من المتاجر التي تباع الخمر المغشوشة في البلدة الواقعة على مسافة ٢٠٠ كيلو متر من

(١) قاموس الغذاء (ص ٣٠٧).

(٢) انظر: الغش التجاري والصناعي (ص ٢٧٤).

العاصمة دكا .

قلت : هذا جزاء من استخف بحرمات الله فانتهكها ، والخمر حرام مغشوشة كانت أم غير مغشوشة ، وهي قاتلة وضارة ، ما أصاب هؤلاء السفهاء ثمرة من ثمار اجترائهم على الله ، والجزاء من جنس العمل ، فنسأل الله ﷻ العافية وحسن الختام ، والوفاء على التوحيد والاتباع ومنهج السلف الكرام . .

من الغش الإضافات الغذائية :

«الإضافات الغذائية ما زالت تستعمل في العديد من المأكولات رغم خطرها على صحة الإنسان، وحتى بالنسبة للإضافات التي تعتبر غير خطيرة فإن استعمالها لا يجب أن يتجاوز المقادير القصوى المقررة في المواصفة م ت ٠١,١٧٧ لأن المأكولات التي تحتوي على كمية من الإضافات الغذائية تتجمع كلها في جسم الإنسان وتصبح خطراً عليه .

ويرى المصنعون أنهم ينتجون بأقل تكلفة عند زيادة هذه الإضافات الغذائية وأنهم يقدمون منتوجاً جميلاً بالألوان يرغب في شرائه المستهلك ونذكر هنا على سبيل المثال المعطر الذي يستعمل في اليوغرت ليعوض الغلال، واللحوم والأسماك والبيض والإضافات الملونة التي تستعمل لتزيين الحلويات بجميع أنواعها مثل بقلادة الباي «الطواجن» واليوغرت والمشروبات مثل Menthe^(١).

(١) حماية المستهلك - العدد الرابع عشر، المجلد الثالث، ١٩٩٨، (ص١٧).

تحذيرات وتنبيهات

١) المضاعفات الصحية للمواد الكيماوية المضافة إلى الطعام:

«معظم الناس الذين يتناولون الأطعمة المعلبة، المحفوظة، الجاهزة أو المثلجة، بما فيها الهمبرغر والهوت دوغز والآيس كريم والمرطبات، لا يدركون الأسباب التي تدفع منتجي تلك الأطعمة إلى إضافة بعض المواد الكيماوية إليها. كما أنهم لا يعيرون تلك المواد الاهتمام الذي تستحقه لجهلهم بالمضاعفات الصحية التي قد تحدثها.

تستخدم المواد الإضافية إجمالاً للمحافظة على جودة الطعام وثبات شكله وطعمه ورائحته وحموضته أو قلوئيته، ولحمايته من التلوث بالجراثيم أو الفطريات. ونظراً إلى أهمية هذه المواد في الصناعة الغذائية شكلت منظمة الأمم المتحدة ودول السوق الأوروبية المشتركة لجاناً خاصة تراقبها وتبرزها بصورة واضحة فوق غلافات الأوعية أو المعلبات التي تحويها ليتمكن المستهلكون من تمييزها بسهولة وتفاديها إذا كانت تتسبب لهم بالحساسية أو الأعراض الصحية الأخرى مثل الحكاك والهرش وجفاف الفم والحلق والطفح الجلدي والربو.

إن صلاحية الأطعمة قصيرة جداً لهذا اعتمد الإنسان منذ القدم على طريقتين أساسيتين لإطالة صلاحية الطعام باتباع طريقتي التمليح والتخليل اللتين تقومان بوظائف المواد الكيماوية الإضافية المستخدمة حالياً في صناعة الأغذية. فهي تمنع عنف الطعام وتحد من انتشار الأوبئة والأخماج.

تقسم المواد المضافة للطعام تبعاً للوظيفة الموكولة إليها، وتنعكس هذه الوظيفة على تسميتها فهناك المواد الحافظة والمنكهة والملونة والمحلية والمستحلبة والمضادة للتأكسد. من المواد الحافظة التقليدية حامض الأسكوربيك الذي يستخدم في صنع الكعك والأغذية المخبوزة، وحامض

البنزويك لصنع المربيات والمرطبات، وأوكسيد الكبريت المستخدم لمنع تأكسد الزيوت والشحوم وتغير لون الأطعمة، لكن تأثير المواد الكبريتية المضافة إلى الطعام يقلق الأطباء بعد أن تأكد لهم دورها في آثار الحك والهرش في الفم والجلد والشعور بالفوران واحمرار الوجه والإصابة بالربو. ويبدو أن ٥ في المئة من المصابين بالربو يتعرضون لنوبات شديدة تهدد حياتهم عند تناولهم أطعمة تحتوي على تلك المواد، وهذا ما دفع إدارة الأغذية والأدوية في الولايات المتحدة الأمريكية إلى منع استخدامها في الفواكه والخضراوات الطازجة، من المواد الحافظة الأخرى أملاح حامض النتريك التي تعطي اللحوم المحفوظة لونها الزهري ولكنها تسبب باحمرار الوجه والدوار وأحياناً الصداع والطفح الجلدي واضطراب في الجهاز الهضمي.

من الملونات ما يحتوي على صبغ القطران كمادة Tartrazine التي قد تثير الشرى Urticaria أما المنكهات كالبلسم والراتنج والكمون والفانيلا العرعر والنعناع والكرابية، وغيرها من المواد التي تتواجد عادة في الآيس كريم والشوكولاته ومعجون الأسنان والنقائق والساكر والحلوى فإنها تثير الأكزما أو تزيد نوبتها وهياجها.

الأبحاث ما زالت مستمرة للتأكد من تأثير باقي المواد الكيماوية المضافة إلى الطعام وإيجاد بدائل سليمة خالية من المضاعفات. لا بد لهم من قراءة ما يكتب على أغلفة تلك الأطعمة وسؤال الطبيب عن مضاعفاتها إذا اقتضت الحاجة^(١).

(٢) فكروا بأطفالكم:

«تحت هذا العنوان وزع مستشفى فيلاجول الفرنسي هذه النشرة العامة:

معروف أن معظم الصناعات الغذائية تستخدم مواد كيميائية حافظة وتتم الإشارة إليها بالحرف (E) الذي يتبعه رقم من الأرقام وهي مكتوبة على الغلاف

(١) صحيفة الحياة- العدد (١١١٤٩)، ٦/٣/١٤١٤هـ - ٢٣/٨/١٩٩٣م.

ضمن المحتويات .

هذه المواد يجب التحذير منها والتوقف عن استخدامها وعدم شراء المنتجات التي تحتوى على مثل هذه الأرقام، وهي مواد مسرطنة وخطرة تحمل الأرقام التالية بعد الحرف (E):

(١٠٢، ١١٠، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٧، ١٣١، ١٣٢، ١٤٢، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢٢٠، ٢٢٥، ٢٣٠، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٣١١، ٣٣٠، ٤٠٧، ٤٢٠، ٤٥٠).

المواد المشتبه فيها ويجري عليها الاختبار حالياً وتحمل الأرقام التالية بعد حرف (E):

أ- اضطرابات الجلد والحساسية: (٣١٢، ٢٢٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣).

ب- حصى الكلى: (٤٤٧).

ج- كولسترول: (٣٢١، ٣٢٠).

د- السرطان: (١٢٥، ١٤١، ١٥٠، ١٥٣، ١٧١، ١٧٢، ٢١٥، ٢١٦، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٤١، ٤٦٠، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٦، ٤٧٧).

مواد لها آثار محتملة مثل اضطرابات الأمعاء:

(٣٣٩، ٣٤٠، ٤٠٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٦، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٦، ٣٣٠، ٣٢٣).

٣) أعلنت صحيفة الدستور يوم السبت ١٥ جمادى الأولى ١٤٢٢هـ الموافق ٤/٨/٢٠٠١ العدد ١٢٢١٧ ص ٣٧ من أن خبراء يحذرون من المبالغة في تناول السلع الغذائية المعلبة جاء فيها:

«أشار نائب رئيس جمعية حماية المستهلك إلى أن المواد المحفوظة التي

تضاف على الأغذية المعلبة هي مواد كيميائية لها آثار سلبية بشكل محدود وأن بعض هذه المواد يسمح باستخدامها والبعض الآخر لا يسمح لخطورتها على صحة الإنسان .

وأضاف أن هذه المواد تستخدم لحفظ الأغذية خلال عملية النقل والتخزين مما يفقدها قدرًا كبيرًا من قيمتها الغذائية مشيرًا إلى أن جمعية حماية المستهلك^(١) تركز على ضرورة عدم تناول تحديدًا مثل هذه المواد الغذائية التي تحتوي على الأصباغ لتأثيراتها السلبية عليهم وإنما تؤكد ضرورة تناول المواد الطبيعية لما لها من قيمة غذائية عالية بعكس المواد المعلبة وناشد الدكتور الكيلاني المستهلكين عدم شراء السلع التي تحتوي على مواد حافظة وتناولها بشكل يومي داعيًا إلى اللجوء لأساليب أخرى في عمليات التجفيف والتجميد كون هذه الطرق بحاجة إلى مواد كيميائية» .

ومن جهة أخرى :

«أكدت حماية المستهلك على ضرورة مقاطعة السلع التي لا يرافقها بطاقة بيان خاصة بها تحتوي على المعلومات الأساسية التي توضع مصدر السلعة ومنشأها وسنة الصنع وتاريخ الانتهاء والمواد أو المكونات التي تدخل في عملية تصنيعها .

وقالت إن أهمية وجود بطاقة البيان على أية سلعة تمثل جواز السفر لتلك السلعة وهي التي تؤدي إلى قناعة المستهلك بها بعد الاطمئنان إليها ومن ثم شرائها .

وكانت قد تلقت العديد من الشكاوى عبر الهاتف من المستهلكين من مختلف

(١) قلت : الذي جاء في صوت المستهلك ، هو التشديد «على ضرورة تكثيف الرقابة ميدانيًا على المحال التجارية بهدف التأكد من نوعية وصورة السلع الغذائية التي تعرض فيها ابتداء من الحرص على التقيد التام بتاريخ الإنتاج والانتهاء والصلاحية ومراقبة العروض الوهمية التي تعلن عنها المحلات التجارية .

وقالت : إن بعض التجار من ذوي النفوس الضعيفة يسعون إلى تحقيق الكسب من خلال التلاعب بتاريخ صلاحية المواد الغذائية حيث يضعون تواريخ طويلة للإيحاء بأنها حديثة الإنتاج ويبيعها بأسعار مرتفعة . [صوت المستهلك (ص ١) العدد ٢٠] .

مناطق المملكة تتحدث جميعها عن غياب مثل هذه البطاقة عن العديد من السلع، الأمر الذي لا يعرف معها المستهلك مصدر مثل هذه السلع وسنة الصنع والمواد المصنعة منها.

وأضافت أن عدم اعتماد بطاقة البيان لأية سلعة يحمل في ثناياه غشاً مبطناً للمستهلك كما يضع علامات استفهام كبيرة على مصدر مثل هذه السلع وفيما إذا كانت مقلدة أو مغشوشة أم لا؟

وأشارت إلى أن بعض الجهات من التجار والمستوردين الذين يلهثون وراء الأرباح السريعة والفاحشة يقومون بترويج مثل هذه السلع في السوق المحلية، الأمر الذي يحمل هذا التصرف مخاطر صحية كبيرة على المستهلك على المديين المتوسط والبعيد بالإضافة إلى أنه يعتبر انتهاكاً واضحاً - لحقه في المعرفة الضرورية لمكونات ما يشتريه من سلع -.

ومن الغش المندس أن تقوم بعض الشركات بصنع ألعاب للأطفال ومن مواد خطيرة، ولا يnehون عنها ويحذرون منها، لذلك فإن مراقبة الأسر لأطفالها أمر في غاية الضرورة من خلال عدم ترك بعض الألعاب الخطرة بمتناول أيدي الأطفال مشيرة إلى وجود العديد من الألعاب التي يتم تداولها وهي غير آمنة صحياً من حيث المواد المصنوعة منها، بالإضافة إلى أن هذه الألعاب تحتوي على قطع صغيرة يمكن أن يمضغها الأطفال الصغار في أفواههم وقد تسبب الاختناق، كما أن بعض الألعاب تكون محشوة بمسحوق ناعم خليط من الإسفنج أو بعض المخلفات الصناعية التي تسبب لهم الحساسية أو الربو وأمراضاً أخرى خطيرة.

وإن بعض هذه الألعاب الخطرة مثل البنادق التي تطلق طلقات وهمية والنبال بالإضافة إلى الألعاب النارية التي يمكن أن تلحق الضرر الكبير بالأطفال وحتى الكبار إذا ما أصابت أحد الأعضاء الحساسة في جسم الطفل مثل العين^(١).

(١) صوت المستهلك (ص ٤) بتصرف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المملكة العربية السعودية
اللجنة الإعلامية والإرشادية
وزارة الصحة

تحذير رسمي

باسم الله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،
وبعد:

فهذا تحذير رسمي من وزارة الصحة للمواطنين والمقيمين، عن عدة منتجات غربية تستورد إلى المملكة، فقد تم إصدار تقرير العام الماضي وجدلاً حول وجود مسبب لمرض السرطان في منتجات (كورن فلक्स) وتمت محاكمة الشركة الصانعة له في أمريكا، وبالفعل تم التأكد من صحة الأقوال والتقارير، وعلى إثر ذلك تم وقف الإنتاج نهائياً وفوراً في أمريكا، ولكن التصدير ما زال قائماً حتى الآن في المملكة، وللأسف فإن هذا المنتج يستخدم في تجفيفه وتحميصه الأشعة الخطرة التي بدورها تلوث هذا المنتج بالمادة النووية المشعة المسببة للسرطان.

والصنف الآخر هو الببسي والكولا، وبخاصة (كوكاكولا) والتي تحتوي على مركبين خطيرين على الصحة البشرية، وهي المياه الغازية والتي تحتوي كما نعلم على غاز ثاني أكسيد الكربون الذي يتخلص منه الجسم على شكل غاز، وذلك عن طريق الأنف، ويرجع إليه مرة أخرى على شكل سائل عن طريق هذا المشروب، والمادة الأخرى مادة الكولا (النكهة) وهي تدمر البروستاتا وتدمر الكلى، وتسبب هاتان المادتان أيضاً حرقان المعدة والبلعوم، وتسبب الاكتئاب، وسرعة العصبية، ولين العظم، والضعف الجنسي، وعند بعض الأشخاص تسبب في ارتفاع مستوى السكر في الدم.

فهذه المنتجات ومشتقاتها تسبب في العديد من الأمراض والتي سبق ذكرها، ولا نعلم، فقد تسبب في أمراض أخرى خطيرة على المدى البعيد لاستخدامها، لذلك تم تحرير هذا التحذير، ووزعت نسخ مشابهة على معظم المستشفيات في أنحاء المملكة.

والله الهادي إلى سواء السبيل

مدير اللجنة الإعلامية بوزارة الصحة

جاسم عبد العزيز العبد اللطيف

في ١٧/٨/١٤٢١هـ

* وهناك بعض المواد التي هي من استعمالات البيت تحتوي على سموم كيميائية يغفل عنها كثير من الناس ولا ينبه عليها منتجوها وبائعوها فيعين الحذر منها.

«بل يجب حفظها في مكان خاص بعيداً عن أيدي الأطفال مع مراعاة ترقيمها وكتابة محتويات كل عبوة عليها من الخارج، كما نفضل في المعامل الكيماوية تفادياً للخلط بينها وبين أي مواد تشبهها مثل ملح الطعام، والتوابل والخل واللبن وغيرها».

١- محلول البوتاس :

يشبه- إلى حد كبير- اللبن الحليب، وهو مادة كاوية تسبب التهاباً حاداً في القناة الهضمية وتآكلاً في الغشاء المخاطي قد يؤدي إلى انسداد في البلعوم أو قرح شديدة في المعدة لاحتوائه على هيدروكسيد البوتاسيوم، وللعلم فإن معظم حالات التسمم في الأطفال مصدرها هذه المادة المؤذية التي تؤدي- في أغلب الأحوال- إلى إعاقة مزمنة.

٢- مواد التبييض :

يستخدم في الغسيل لتبييض الملابس، وهي تحتوي على الكلور أو حمض

الأكساليك : (مثل الكلوراكس) وهي أيضا تسبب التهابًا حادًا في القناة الهضمية عند بلعها ، كما تسبب التهابًا بالجلد عند التلامس .

٣- مواد تلميع المعادن :

وهي عادة تحتوي على حمض الأكساليك وبعض المذيبات العضوية وخطرها لا يقتصر على بلعها ولكنه يكمن أيضًا في التلامس عن طريق الجلد، لذا يجب استخدام قفاز أو فرشاة لحماية الجسم منها .

٤- ورنيش الأحذية :

يحتوي على النيتروبنزين مع بعض الأصباغ التي يدخل في تركيبها الرصاص وغيره، وزيت التربنتين، ومن الممكن الإصابة بالتسمم عن طريق الجلد عند كثرة التلامس، لذا يجب استخدام فرشاة وتجنب اللمس باليد .

٥- المواد المطهرة والمعقمة :

مثل الفينيك والديتول والفورمالين، وهذه المواد تخدع المستخدم لها برائحتها المحببة (في تركيزها القليل) وكثرة التعرض لهذه المواد- سواء باللمس أو الاستنشاق لمدة طويلة قد يؤدي إلى حالات التسمم (المزمن أو الحاد) بالفينول، مثل انهيار الجهاز التنفسي واحتباس البول والفشل الكلوي، بالإضافة إلى الالتهابات الجلدية المعروفة والبقع البيضاء لذا يجب الحرص على تهوية المكان جيدًا عند استخدام هذه المواد .

٦- الكيروسين :

هذا السائل النفطي له تاريخه في التسمم وحالات الانتحار، فمراكز السموم عادة ما تستقبل حالات عديدة للتسمم بالكيروسين، خصوصًا بين الأطفال في المناطق الفقيرة التي تستخدمه كوقود^(١) .

(١) المهندس الكيماوي (ص ١٠) .

٧- البويات :

تحتوي على أملاح الرصاص وبعض المعادن الأخرى، بالإضافة إلى المذيبات العضوية، والتسمم بالرصاص يعد من أخطر أنواع التسمم، إذ يؤثر على الجهاز العصبي .

٨- المواد اللاصقة :

تباع هذه المواد في أنابيب صغيرة وتحتوي على مذيبات عضوية شديدة الخطورة مثل الأيزوسيانات وهي تؤثر على الجهاز التنفسي والجهاز العصبي، وكذلك على الجلد، ويجب عند استخدام هذه المواد تجنب استنشاق روائحها أو ملامستها .

٩- صبغات الشعر :

تحتوي على مركبات شديدة السمية مثل أملاح الرصاص والفضة .

١٠- طلاء الأظافر :

يحتوي على الأستون السام، ويجب عدم المبالغة في استعماله وتنظيفه .

١١- الحنة السوداء :

تسببت هذه المادة في وفاة ٢٠ طفلاً بالسودان لبلعها خطأ، يجب معرفة أن الإضافات الملونة لهذه الحنة مواد سامة إلا إذا كانت من مصادر طبيعية مثل قشر البصل وغيره^(١) .

١٢- الزجاجات الفارغة :

عبوات المنظفات الصناعية والمطهرات وزيوت التشحيم تعتبر مصدرًا

(١) كإضافة الكتم إليه مثلاً .

للتسمم إذا ما استخدمت في تعبئة المشروبات والمواد الغذائية ومهما بالغنا في تنظيفها .

١٣- بعض الأدوية :

مثل الأسبرين^(١) والمنومات والمهدئات وأقراص الحديد يمكن أن تتحول من دواء إلى سم إذا ما زادت الجرعة عن الحد المسموح أو إذا انتهت صلاحيتها .

١٤- مزيلات الشعر :

تحتوي على «الباريوم» الذي يؤدي التسمم به إلى عدم انتظام ضربات القلب والشلل .

١٥- سم الفئران والقوارض :

يحتوي على الباريوم أو الزرنيخ والفسفور الأصفر، وهذه المادة تأثيرها معروف- وإن قلت- على الكبد والأسنان وعظام الفك والدورة الدموية والجهاز العصبي .

١٦- أعقاب السجائر :

عندما يعبث بها الأطفال فتصيبهم بالأنيميا الحادة، وتيبس الجلد والغشاء المخاطي للقم، نظرًا لتركيز النيكوتين بها .

١٧- الأقلام الملونة والفلوماستر :

يجب التأكد من أنها مكتوب عليها «غير سامة» .

١٨- البطاريات الجافة :

تحتوي على كلوريد الأمونيوم وخليط من المواد الكيماوية الضارة، ويجب

(١) معلوم أن الأسبرين المستخدم كجميع للدم تسبب في حالات نزيف المعدة لدى كثير ممن تعاطاه .

إبعادها عن أيدي الأطفال .

١٩- علب الرذاذ الفارغة :

مثل المبيدات الحشرية والبويات ، تحتوي على بقايا من المذيبات العضوية شديدة الاشتعال والسمية .

٢٠- أعواد الثقاب (الكبريت) :

يدخل في صناعتها الفسفور الأصفر السام الذي يسبب تآكل الأسنان وعظام الفك وتضخم الكبد .

٢١- الألياف الصناعية والإسفنج الصناعي :

توجد بالمنازل ستائر ومراتب من هذه المواد، وهي مصدر كبير للخطر إذا اشتعلت، إذ ينتج عن حرقها غازات وأبخرة سامة .

٢٢- الموكيت والأرضيات

٤٧ من الـ PVC والصوف الصناعي من الـ PAN

تسبب هذه المواد بعض أنواع الحساسية في الجلد بسبب وجود خامات وإضافات ضارة^(١) .

التحذير من الأكياس البلاستيكية السوداء :

حيث أكدت حماية المستهلك على ضرورة الابتعاد عن الاستخدام العشوائي للأكياس البلاستيكية السوداء وعدم استعمالها في حفظ ولف المواد الغذائية وخاصة الخبز والأطعمة الجاهزة الساخنة .

وقالت : إن استخدام الأكياس البلاستيكية السوداء في عمليات حفظ الأغذية

(١) انظر : المهندس الكيماوي (ص ١١) .

ونقل المنتجات الغذائية له ضرر كبير على صحة المستهلك ، كما أنها تلوث البيئة كونها لا تحلل بسهولة في الطبيعة ، كما أنها تؤدي إلى مناظر غير حضارية لتراكم العديد منها بعد الاستخدام في الشوارع والأرصفة .

وأضافت : إن خطورة مثل هذا النوع من الأكياس تكمن في إمكانية انتقال العناصر المكونة منها هذه الأكياس البلاستيكية إلى المواد الغذائية وبالتالي إلى جسم الإنسان ولو بنسب قليلة ، ولكن يكون مفعولها تراكمي ، الأمر الذي يؤدي إلى أمراض لا يعلم إلا الله ﷻ ضررها على المستهلك .

وقالت : إن المواد التي تدخل في صناعة هذه الأكياس لا تعرف تركيبيتها الأصلية ولا المواد الأولية المستعملة في صنعها ، أما اللون الأسود لها فيتم الحصول عليه باستعمال الكربون بكميات متفاوتة مع إضافة كميات قليلة من الأصباغ المعدنية المشتقة من النيكل والكادميوم وهذه عناصر تلوث المحاصيل الزراعية التي يتغذى عليها الإنسان ، وقد تسبب إصابته بالسرطان وتعرضه لمشاكل صحية أخرى .

وأشارت إلى أن مثل هذه العناصر تنتقل إلى المواد الغذائية بعامل الحرارة أو التحلل الكيماوي وبكميات لا يمكن السيطرة عليها .

وقالت : إن المواصفات القياسية المحلية والدولية تمنع استخدام المواد المرسلة والمعاد تدويرها في تغليب المواد الغذائية ، أو لف المنتجات الغذائية بها بجميع أنواعها ، كالخبز والسكر والعجين والخضار والحبوب واللحوم والأسماك وغيرها . وشددت على أهمية وضع وتطوير مواصفات أردنية خاصة بصناعة مثل هذه الأكياس ، وإلزامها للمصانع مع ضرورة تقييد المحلات والبقالات بعدم اقتنائها واستخدامها ، داعية جموع المستهلكين الأردنيين إلى عدم استعمال هذه الأكياس السوداء في لف المواد الغذائية ، والرجوع إلى استخدام حقائق القماش أو الخيش أو السلال في عمليات نقل الأطعمة والمنتجات الغذائية والخضار والفواكه وغيرها .

كما دعت المستهلكين إلى رفض شراء المواد الغذائية من الباعة والتجار الذين يستخدمون الأكياس البلاستيكية السوداء^(١).

لأنها غالبًا ما تصنع من مخلفات المنازل والمستشفيات وهي إحدى مصادر التسمم والتلوث^(٢).

قلت: والغش فيما تقدم من المواد الخطرة؛ في السكوت عنها وعدم التحذير من مخاطرها عند تسويقها، فيأخذها الناس دون معرفة أخطارها.

التحذير من خطورة بعض أدوية السعال لاشتمالها على مادة فينائل بروبانولامين الخطرة:

أصدرت وزارة الصحة في المملكة العربية السعودية تحت رقم (٢/٢٢٥١) بتاريخ ١٥/٩/١٤٢١ تحذيرًا لشركات الأدوية التي يحتوي تركيب بعض أدويتها على المادة المحذورة آنفة الذكر، لما لها من خطر على الصحة، قالت فيه:

إلى جميع الإخوة الزملاء

تجدون طيه قائمة بأسماء الأدوية التي تحتوي على مادة فينائل بروبانولامين والتي توجد في تركيب بعض الأدوية التي تستخدم في علاج الكحة والرشح والزكام، حيث ثبت علميًا أن لها تأثيرًا ضارًا جدًا على الصحة، يتمثل في حدوث بعض حالات نزف الدماغ بناء على التعميم الصادر من وزارة الصحة تحت رقم (٨٢٥١/٢) وتاريخ ١٥/٩/١٤٢١ والذي وصلنا اليوم فقط، ويمنح شركات الأدوية فترة ستة أشهر لسحب الأدوية المذكورة تحت أي ظرف، وإحضار أي دواء من هذه الأدوية إلى عيادة الشركة ابتداءً من اليوم، حيث تم التعميم لجميع الجهات الطبية بعدم صرف مثل هذه الأدوية لمنسوبي الشركة.

(١) حماية المستهلك - العدد الثامن عشر، المجلد الرابع، ٢٠٠١، (ص ٦).

(٢) المهندس الكيماوي (ص ١١).

مع تمنياتنا للجميع بدوام الصحة والعافية .

وقائمة الأدوية الممنوعة هي :

NAME OF MEDICINES	اسم الدواء
PHOLRINE CHILDREN SYRUP	فولرين للأطفال شراب
TUSSAL PED NEML SYRUP PVC BOTTLE	توسال للأطفال شراب
TUSSAL EXPECTORANT 120ML	توسال للبلغم شراب طارد
TUSSAL B.T. SYRUP 120ML	توسال ب.ت. شراب
CONTA FLU TAB	كونتا فول حبوب
NOFLU TAB	نوفلو حبوب
ROBITUSSIN-CF SYRUP	روبيتوسين شراب
DIMETAPP EXTAN TAB	ديميتاب اكستان حبوب
DIMETAPP ELIXIR	ديميتاب شراب اليكسر
ESKORNADE SYRUP	اسكورنيد شراب
ESKORNADE SPAN CAP	اسكورنيد كبسولات
CONTRASAL EXPECTORANT SYRUP	كونتراسال للبلغم شراب طارد
CONTRASAL S.F. ADULT SOLUTION	كونتراسال س.ف. للكبار سائل
CONTRASAL P.G. CHILDREN SYRUP	كونتراسال ب.ج. للأطفال شراب
CONTRASAL B.T. SYRUP	كونتراسال ب.ت. شراب
CONTRASAL P.G. ADULT SYRUP	كونتراسال ب.ج. للكبار شراب
KIDIKOLD SYRUP	كيديكولد شراب
RHINOTUSSAL SYRUP	راينوتوسال شراب
RHINOPRONT SYRUP	راينوبرونت شراب
CORICIDIN-D EXTRA STRENGTH TAB	كوريسيدين د حبوب

التحذير من الشراء من الباعة المتجولين على المنازل :

حذرت حماية المستهلك ربات البيوت من شراء الأصناف الرديئة من المنظفات الكيماوية المقلدة والتي تباع بأسعار مخفضة في الأسواق المحلية ومن خلال الباعة المتجولين .

وقالت : إن بعض منتجي هذه السلع من المنظفات يقومون بتعبئتها في أماكن غير مرخصة بهدف تقليد ماركات أصلية وبيعونها بأسعار زهيدة مستخدمين في ذلك مواد كيماوية ضارة بالإنسان والبيئة ، لذا فإن حماية المستهلك تؤكد على عدم شراء مثل هذه المواد المقلدة والتي يتم تصنيعها تحت الدرج أو في أماكن غير مرخصة .

ولقد دعت ربات البيوت إلى عدم شراء ما يحاول الباعة المتجولون تصريفه إلى المنازل ، سواء باستخدام السيارات التي تمر على المنازل والتي تتكدس على البسطات وفي الشوارع .

كما تناشد المواطنين وربات البيوت إلى عدم شراء هذه السلع أو المنظفات المقلدة بحجة أن أسعارها منخفضة ، لأن النتيجة لهذا الشراء ستكون فقدان ما تدفعه من أموال ثمنها لها ، بالإضافة إلى أضرارها الصحية الكبيرة^(١) .

«ودعت المواطنين إلى ضرورة أخذ الحيطة والحذر عند شراء أي صنف من المنظفات ، والتأكد من وجود بطاقة بيان على العبوة تتضمن المواد المكونة وتشرح طريقة الاستعمال بوضوح مع إبلاغ الجهات ذات العلاقة بسلامة السلع أو المواد عن أية محاولات تقوم بها هذه الفئة الظالمة والشريرة من تجارة هذه المواد أو السلع الفاسدة»^(٢) .

(١) حماية المستهلك- المجلد الرابع، العدد الثامن عشر، ٢٠٠١، (ص ٦) بتصرف .

(٢) المرجع السابق .

التحذير من العروض الوهمية المغشوشة من قبل بعض الشركات :

حذرت حماية المستهلك المواطنين من العروض التضليلية والوهمية والمخادعة التي تقوم بها بعض الشركات في عمليات الترويج لسلعها أو خدماتها بهدف الربح وعلى حساب القدرات الشرائية من ذوي الدخل المحدود .

وقالت : إن بعض الشركات تقوم بعمليات تسويق مضللة للمستهلك وتستخدم أساليب تسويقية أقل ما يقال فيها بأنها قصيرة النفس وتفتقر إلى الشفافية الواجب توافرها في عمليات تسويق السلع أو الخدمات ، وخاصة إننا نعيش الآن في عالم صغير يجب أن تحكمه مبادئ الشفافية والوضوح والمنافسة الشريفة .

وأضافت أن بعض الشركات تقوم بترويج أجهزة كهربائية وغيرها من السلع باستخدام مثل هذه الأساليب الرخيصة ، كما أن بعض الشركات السياحية تقوم بنشر عروض غير حقيقية حيث تعلن عن رحلات للسفر خارج البلاد تؤكد من خلالها على توفير كل وسائل الراحة ، وفي مقدمتها الإقامة في فنادق سياحية من ذوات الأربع أو الخمس نجوم وفي حقيقتها تكون أقل من ذلك .

وقد تلقت العديد من الشكاوى من المواطنين الذين تعرضوا لمثل هذه المواقف من قبل شركات ترويج للسلع والخدمات تضمنت تهرب تلك الشركات من تصويب الوضع وإرجاع ما أخذته من جيوب المستهلكين تضليلاً وخداعاً من نقود أو مبالغ دفعت مقدمة»^(١) .

وفي بيان آخر لها قالت :

«إن اتباع هذه الأساليب البيعية المخادعة من قبل الشركات المعنية يعتبر انتهاكاً واضحاً لحق المستهلك في الحصول على سلعة سليمة من جهة ، بالإضافة إلى أنها تفترض جهله من خلال إعطائه معلومات غير دقيقة أو صحيحة عن السلعة

(١) حماية المستهلك - العدد الثامن عشر، المجلد الرابع، ٢٠٠١، (ص ٢٧).

أو الخدمة التي يراد بيعها من جهة أخرى .

وأكدت أن هذا السلوك غير المشروع من قبل هذه الفئة من الشركات العاملة في مجال بيع السلع أو الأجهزة الكهربائية أو الخدمات كالخدمات السياحية أو تلك التي تباع الوهم والخيال يعتبر اعتداء واضحاً على المستهلك وحقه، ولا بد من وقفه؛ ذلك أن هذه الشركات تحاول استغلال جهل بعض المشترين من خلال المبالغة في العروض البيعية المتكررة والتي توجه للمستهلكين والمشترين أثناء تواجدهم في الشوارع والمحلات والبقالات والسوبر ماركت، وحتى من خلال الاتصال الهاتفي المتكرر مع البيوت وإزعاج سكانها بعروض وهمية وكلام فارغ ليس له علاقة بالمكونات الفعلية للسلعة التي تحاول هذه الشركات المفلسة تصريفها باستخدام هذه الممارسات الرخيصة والمضللة^(١).

وناشدت ربات البيوت والمواطنين عدم الاستجابة للإلحاح المستمر الذي يمارس من قبل مندوبي هذه الشركات وتدعوهم لعدم شراء أية سلعة أو خدمة يحاول مندوبي البيع بهذه الشركات خداع المستهلكين وتضليلهم ودفعهم لشراء ما يعرضونه باتباع أساليب بيعية وترويجية عفا عليها الزمن من الناحية التسويقية المعاصرة^(٢).

التحذير من شراء الأجهزة الكهربائية المستوردة القديمة الرديئة :

«ومن الغش السماح باستيراد الأجهزة الكهربائية المستعملة أو التي مر على صنعها سنوات تمتد من ١٠ إلى ١٥ سنة حيث يتم بيعها في الأسواق المحلية على أنها جديدة .

وقالت^(٣): إن القطاع الخاص يستورد سنوياً أكثر من (٢٠٠) حاوية محملة

(١) كما حصل معنا من خلال شركة لإنتاج ماكينات التنظيف المنزلية، حيث مارس المروجون لها كل وسائل الابتزاز الرخيص، فحصل من ذلك غبن وأيما غبن، والحياة مدرسة .

(٢) انظر: صوت المستهلك - العدد رقم (٢٠)، ص (٢).

(٣) أي: حماية المستهلك.

بالأجهزة الكهربائية المستعملة والتي تكون نوعياتها في أغلب الأحيان سيئة ورديئة .

وأضافت أن رداءة الأجهزة المستوردة لا تكمن في قصر عمرها الأدائي فقط ، بل في رداءة نوعيتها وماركاتهما المقلدة الأمر الذي يثقل كاهل المستهلك الأردني بعد شرائها واستعمالها وعدم قدرته في الحصول على قطع غيار لها في السوق المحلية ، كما أنه لا توجد مشاغل كافية لصيانتها وارتفاع كلفة إصلاحها .

وأشارت إلى أن المستوردين من التجار يتقيدون ظاهرياً بشروط الجمارك في استيراد الأجهزة الكهربائية ويعمدون إلى إبراز شهادات تفصيلية عن الأجهزة على أنها قطع غيار بالإضافة إلى إبراز شهادات المنشأ لها تكون في معظم الأحيان غامضة أو عامة ، وبذلك تدخل هذه الأجهزة القديمة إلى السوق حيث يتم بيعها إلى المستهلكين بدون وجود أية كفالات تضمن صلاحيتها لفترة زمنية لا تقل عن سنة أو ستة أشهر على الأقل .

وطالبت بضرورة تشديد الرقابة على دخولها بالحالة التي تعود المستهلك عليها بالإضافة إلى ضرورة زيادة التدقيق في الأوراق المقدمة للجمارك لغايات استيراد هذه الأجهزة المستعملة وذات القيمة الأدائية المنخفضة .

وقالت : إن هذه الممارسات تحمل في ثناياها هدراً للمال العام أولاً واستنزافاً منظماً للعمولات الصعبة ، وبالتالي استنزاف الاقتصاد الوطني من خلال ضياع ملايين الدنانير من أموال المستهلكين .

واعتبرت أن حجم الاستيراد من هذه الأجهزة المستعملة يزيد من المخاطر البيئية حيث أن سرعة تلفها تزيد من حجم النفايات منها ، الأمر الذي يزيد من خطورتها في البيئة الأردنية لما تتضمنه مثل هذه الصناعات من عناصر كيماوية ثقيلة خطيرة يمكن أن تتحلل نتيجة لعوامل الطقس والمناخ فتلوث التربة والمياه وتكون خطراً على صحة المستهلكين .

ونوهت إلى أن استغلال المستهلك وبيعه أجهزة كهربائية قديمة الصنع أو مستعملة يعتبر بيع تدليس، وفيه اعتداء صارخ على حق من حقوقه الأساسية في الحصول على سلع آمنة وجيدة ومكفولة ويتوافق سعرها مع جودتها.

وناشدت المستهلكين عدم الإقبال على شراء مثل هذه الأجهزة المستعملة بالرغم من انخفاض أسعارها ذلك أن دفع أية مبالغ فيها يعتبر نوعاً من أنواع الهدر غير المبرر للقدرات الشرائية لهم باعتبار أن أداء هذه الأجهزة المستعملة ضعيف بالإضافة إلى عدم توفر قطع الغيار المطلوبة، وعدم وجود محطات صيانة كافية لصيانتها عند الحاجة لذلك»^(١).

ومن غشهم أيضًا: ما «يتعلق بعدم التزام أصحاب شركات أو محلات بيع الأجهزة الكهربائية بالالتزامات التي تفرضها عليهم الكفالات أو الضمانات التي تعطى من قبلهم للمشتريين.

وقالت: إن الغريب بالأمر أن هناك عددًا من الشكاوى تتعلق بوكالات معروفة ومشهورة، حيث يرفض الوكلاء المعنيين الالتزام بشروط الكفالة التي تم إعطاؤها للمستهلك من حيث إصلاح الجهاز أو السلعة عند حدوث العطل أو الخلل فيها، وأثناء فترة الكفالة الممنوحة.

واعتبرت موقف هذه الشركات بمثابة اعتداء صارخ على حق أساسي من حقوق المستهلك المتمثل بحقه بالتعويض في حالة الضرر، كما أنه يعتبر خرقًا واضحًا لشروط الكفالة والتي هي بمثابة عقد بين المشتري والبائع يجب احترامه والالتزام بشروطه كاملة باعتبار أن كلفة الالتزام بالكفالة قد تم دفعه مقدمًا من قبل المشتري عند الشراء بهذا السعر أو ذلك»^(٢).

(١) حماية المستهلك - العدد الثامن عشر، المجلد الرابع، ٢٠٠١، (ص ٧) بتصرف.

(٢) حماية المستهلك - العدد الثامن عشر، المجلد الرابع، ٢٠٠١، (ص ٢٩).

الخاتمة

قال الإمام الرباني ابن القيم رحمه الله:

«فحقيق بمن اتقى الله وخاف نكاله أن يحذر استحلال محارم الله بأنواع المكر والاحتيال، وأن يعلم أنه لا يخلصه من الله ما أظهره مكرًا وخديعة من الأقوال والأفعال، وأن يعلم أن لله يومًا تكعُّ فيه الرجال، وتنسف فيه الجبال، وتترادف فيه الأهوال، وتشهد فيه الجوارح والأوصال، وتبلى فيه السرائر، وتظهر فيه الضمائر، ويصير الباطل فيه ظاهرًا، والسرّ علانية، والمستور مكشوفًا، والمجهول معروفًا، ويحصل ويبدو ما في الصدور، كما يبعر ويخرج ما في القبور، وتجري أحكام الرب تعالى هنالك على القصود والنيات، كما جرت أحكامه في هذه الدار على ظواهر الأقوال والحركات يوم تبيض وجوه بما في قلوب أصحابها من النصيحة لله ورسوله وكتابه وما فيها من البر والصدق، والإخلاص للكبير المتعال، وتسود وجوه بما في قلوب أصحابها من الخديعة والغش والكذب والمكر والاحتيال، هنالك يعلم المخادعون أنهم لأنفسهم كانوا يخدعون، وبدينهم كانوا يلعبون ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾^(١)»^(٢).

قلت: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٦﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾^(٣).

«فنختم بهذه الآية حامدين لله، مثنين عليه بما هو أهله، وبما أثنى به على

نفسه.

والحمد لله رب العالمين حمدًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله غير مكفّي ولا مكفور، ولا مؤدّع ولا مستغنى عنه ربنا.

(١) سورة الأنعام: (آية ١٢٣).

(٢) إعلام الموقعين (٧٤/٥).

(٣) سورة الصافات: (الآيات ١٨٠-١٨٢).

ونسأله أن يوزعنا شكر نعمته، وأن يوفقنا لأداء حقه، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يجعل ما قصدنا له - في هذا الكتاب وفي غيره - خالصاً لوجهه الكريم ونصيحة لعباده.

فيا أيها القارئ له، لك غنمه وعلى مؤلفه غرمه، لك ثمرته وعليه تبعته، فما وجدت فيه من صواب وحق فاقبله ولا تلتفت إلى قائله، بل انظر إلى ما قال لا إلى من قال، وقد ذم الله تعالى من يردُّ الحقَّ إذا جاء به من يبغضه، ويقبله إذا قاله من يحبه؛ فهذا خلقُ الأمة الغضبية، قال بعض الصحابة: «وما وجدت فيه من خطأ؛ فإن قائله لم يأل جهد الإصابة، ويأبى الله إلا أن يتفرد بالكمال، كما قيل:

والنقص في أصل الطبيعة كامن فبنو الطبيعة نقصهم لا يجحد

وكيف يُعصم من الخطأ من خلق ظلوماً جهولاً؟ ولكن من عدت غلطاته أقرب إلى الصواب ممن عدت إصاباته.

وعلى المتكلم في هذا الباب وغيره أن يكون مصدر كلامه عن العلم بالحق، وغايته النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولإخوانه المسلمين. وإن جعل الحق تبعاً للهوى؛ فسد القلب والعمل والحال والطريق.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾^(١)، ... فالعلم والعدل أصل كل خير، والظلم والجهل أصل كل شر، والله تعالى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، وأمره أن يعدل بين الطوائف، ولا يتبع هوى أحد منهم؛ فقال تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادَعُ وَاَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَأَمِنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾^(٢)»^(٣).

(١) سورة المؤمنون: (آية ٧١).

(٢) سورة الشورى: (آية ١٥).

(٣) خاتمة مدارج السالكين، للإمام ابن القيم.

قال أبو أنس - كان الله له - : تم الفراغ من هذا الكتاب تصنيفاً وتنزيهاً في مجالس آخرها الخامس عشر من ذي الحجة لعام ١٤٢٤هـ في منزلي قرب مسجد أسعد بن زرارة - الياودة - عمان البلقاء .

رَفَع
عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفهارس

- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الآيات حسب ورودها في المصحف
- فهرس الأحاديث
- فهرس الآثار حسب القائلين
- فهرس الأعلام
- فهرس الفرق والجماعات
- فهرس الأشعار
- فهرس البلدان
- فهرس الفوائد
- فهرس الموضوعات والمحتويات

رَفَعُ
عبد الرحمن العجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

قائمة أسماء الكتب الواردة في الكتاب^(١)

- ١ - الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة، د. صالح الفوزان - السعودية.
- ٢ - أحكام الجراحة الطبية، د. محمد بن محمد المختار الشنقيطي - مكتبة الصحابة.
- ٣ - الأحكام السلطانية والولايات الدينية، أبو الحسن الماوردي - دار الكتب العلمية.
- ٤ - أحكام القرآن، محمد بن العربي - دار المعرفة.
- ٥ - أخطار على المراجع العلمية، عثمان الصافي - دار الفاروق.
- ٦ - أدب الطلب ومنتهى الأرب، محمد بن علي الشوكاني.
- ٧ - الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، تخريج محمد ناصر الدين الألباني.
- ٨ - إرشاد أولي البصائر والألباب، عبد الرحمن بن ناصر السعدي - أضواء السلف.
- ٩ - أرشيف مركز المعلومات بالغرفة التجارية الصناعية بالطائف - السعودية.
- ١٠ - إرواء الغليل، محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي.
- ١١ - أزهار الرياض، أحمد بن محمد المقري، تحقيق: مصطفى السقا.
- ١٢ - الاعتصام، أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي - دار ابن عفان/ دار التوحيد - البحرين.

(١) تشمل: المراجع والكتب الوارد ذكرها في الكتاب.

- ١٣ - الإعلام بحرمة أهل العلم والإسلام، محمد إسماعيل المقدم - دار
طبية .
- ١٤ - إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: طه سعد -
دار الجيل / مكتبة شقرون .
- ١٥ - إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: مشهور
حسن - دار ابن الجوزي .
- ١٦ - إقامة الدليل على بطلان التحليل، ابن تيمية - ضمن الفتاوى الكبرى .
- ١٧ - إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم، القاضي عياض - دار الوفاء .
- ١٨ - الإنصاف، علي المرادوي - دار إحياء التراث العربي .
- ١٩ - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، أبو بكر الكاساني، دار الفكر / دار
الكتاب العربي .
- ٢٠ - بداية المجتهد، ابن رشد القرطبي - مكتبة الكليات الأزهرية .
- ٢١ - البحر المحيط، ابن حيان الأندلسي الغرناطي - دار الفكر
- ٢٢ - البهجة في شرح التحفة، أبو الحسن علي التسولي - دار الفكر .
- ٢٣ - بهجة قلوب الأبرار، عبد الرحمن السعدي - دار المنهاج .
- ٢٤ - بيان فضل علم السلف على الخلف، ابن رجب الحنبلي - دار عمار .
- ٢٥ - البيان لأخطاء بعض الكتاب، د. صالح الفوزان - دار ابن الجوزي .
- ٢٦ - البيان والتحصيل، ابن رشد القرطبي - دار الغرب الإسلامي .
- ٢٧ - التاريخ، أبو زرعة الدمشقي، تحقيق: د. أحمد نور سيف - مركز
البحث العلمي - جامعة أم القرى .
- ٢٨ - تاج العروس، محمد الزبيدي - دار الفكر .
- ٢٩ - التاج المذهب، أحمد بن قاسم الصنعاني .
- ٣٠ - التاج والإكليل شرح مختصر خليل، محمد بن يوسف المواق - مطبوع
بهامش «مواهب الجليل» - دار الفكر .

- ٣١ - تبين الحقائق، فخر الدين الزيلعي - دار الكتاب الإسلامي .
- ٣٢ - تبين كذب المفتري، ابن عساكر .
- ٣٣ - تحرير ألفاظ التنبيه، يحيى بن شرف النووي - دار القلم .
- ٣٤ - تحفة الأحوذى، عبدالرحمن المباركفوري - دار الفكر .
- ٣٥ - تحفة المحتاج لشرح المنهاج، أحمد بن حجر الهيتمي، وبهامشه حاشية عمر البصري المكي .
- ٣٦ - تذكرة داود، داود الأنطاكي - دار الفكر .
- ٣٧ - تذكير البشر، عبد الله الجار الله - السعودية .
- ٣٨ - التربية الإسلامية بين المنهج والمدرس، محمد العروسي .
- ٣٩ - الترغيب والترهيب، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري - دار الفكر .
- ٤٠ - تشريعات الغش، د. عبد الفتاح مراد - مصر .
- ٤١ - التعامل، د. بكر أبو زيد - دار الراية .
- ٤٢ - التعريفات، علي الجرجاني - ط. مصطفى الحلبي .
- ٤٣ - تعريف أهل التقديس بمراتب الموصفين بالتدليس، أحمد بن حجر العسقلاني .
- ٤٤ - تغليظ الملام، حمود التويجري - دار الصميعي .
- ٤٥ - تفسير الطبري (انظر جامع البيان)
- ٤٦ - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير - دار الفيحاء .
- ٤٧ - تفسير المنار، محمد رشيد رضا - دار المعرفة .
- ٤٨ - تلبس إبليس، عبد الرحمن بن الجوزي - مكتبة القرآن .
- ٤٩ - التمهيد لما في الموطأ من الأسانيد، يوسف بن عبد البر النمري، تحقيق: مصطفى العلوي ومحمد عبد الكبير - طبعة وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية / المغرب، ١٣٨٧هـ .
- ٥٠ - التنبيه، إبراهيم بن علي الشيرازي، تحقيق: عماد الدين حيدر - عالم

الكتب - ١٤٠٣.

- ٥١ - التوحيد، محمد بن خزيمة، تحقيق: محمد هراس - دار الكتب العلمية.
- ٥٢ - التوعية في إصلاح مضار الأغذية والأدوية، المؤلف، مخطوط.
- ٥٣ - التوقيف على مهمات التعاريف، محمد المناوي، تحقيق: عبد الحميد حمدان.
- ٥٤ - تيسير العلام شرح عمدة الأحكام - عبد الله البسام - مكتبة النهضة الحديثة.
- ٥٥ - تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي - دار ابن الجوزي.
- ٥٦ - جامع الأصول، محمد بن الأثير - دار إحياء التراث.
- ٥٧ - جامع البيان، محمد بن جرير الطبري - دار المعرفة.
- ٥٨ - جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبد البر القرطبي - طبعة قديمة.
- ٥٩ - جامع التحصيل، صلاح الدين العلائي، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي - عالم الكتب.
- ٦٠ - جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي - دار المعرفة.
- ٦١ - الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي - مصر.
- ٦٢ - جرائم الغش التجاري والصناعي، مصورة لجزء من الكتاب، بدون مؤلف، بدون دار نشر.
- ٦٣ - جماعة واحدة في الإسلام لا جماعات، د. ربيع المدخلي.
- ٦٤ - جمهرة مقالات الاستاذ محمود شاكر، جمع عادل جمال، مكتبة الخانجي
- ٦٥ - حاشية ابن عابدين، محمد أمين - دار الفكر / بيروت.
- ٦٦ - حاشية البجيرمي، سليمان بن عمر البجيرمي، المكتبة الإسلامية / تركيا.

- ٦٧ - حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد الدسوقي - ط. عيسى الحلبي.
- ٦٨ - حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، علي بن أحمد العدوي، تحقيق: يوسف البقاعي - دار الفكر - بيروت، ١٤١٢ .
- ٦٩ - الحسبة في الإسلام، أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، دار الشعب.
- ٧٠ - حدائق الزهر، الحسن بن أحمد عاكش.
- ٧١ - حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني - دار الريان.
- ٧٢ - الخطب المنبرية، صالح الفوزان، مؤسسة الرسالة.
- ٧٣ - درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم - مطبوعات جامعة الإمام - الرياض.
- ٧٤ - درء الفتنة، بكر أبو زيد - دار العاصمة.
- ٧٥ - دلائل النبوة، أحمد بن الحسين البيهقي - دار الكتب العلمية.
- ٧٦ - دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ابن علان الصديقي، دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٧٧ - دليل مكافحة الغش التجاري ICC، ١٩٨٥ م.
- ٧٨ - رد المختار على الدر المختار، ابن عابدين - ط. مصطفى الحلبي.
- ٧٩ - الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي - مكتبة التراث.
- ٨٠ - روضة الطالبين، يحيى بن شرف النووي - المكتب الإسلامي.
- ٨١ - الروض المربع شرح زاد المستقنع، البهوتي - عالم الكتب.
- ٨٢ - زاد المعاد، ابن القيم، تحقيق: الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة.
- ٨٣ - الزهد، عبد الله بن المبارك - المكتبة العصرية.
- ٨٤ - الزواجر عن اقتراف الكبائر، أحمد بن حجر الهيتمي - دار المعرفة.
- ٨٥ - سبل السلام، محمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق: محمد حلاق - دار ابن الجوزي.

- ٨٦ - سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي / مكتبة المعارف.
- ٨٧ - سلسلة الأحاديث الضعيفة، محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي / مكتبة المعارف.
- ٨٨ - السنة، عمرو بن أبي عاصم، تحقيق: الألباني - المكتب الإسلامي.
- ٨٩ - سنن ابن ماجه - ابن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي - دار الفكر.
- ٩٠ - سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد - دار إحياء السنة النبوية.
- ٩١ - سنن البيهقي، أحمد بن الحسين البيهقي - دار المعرفة.
- ٩٢ - سنن الترمذي، أبو عيسى محمد الترمذي، تحقيق أحمد شاکر - مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.
- ٩٣ - سنن الدارقطني، علي بن عمر الدارقطني - دار المحاسن.
- ٩٤ - سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: عبد الله هاشم المدني - السعودية.
- ٩٥ - سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي - دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٩٦ - السياسة الشرعية، أحمد بن تيمية - دار الكتب العلمية.
- ٩٧ - سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة.
- ٩٨ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم اللالكائي، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان - دار طيبة / الرياض.
- ٩٩ - شرح السنة، أحمد بن الحسين البغوي، تحقيق: الأرنؤوط - المكتب الإسلامي.
- ١٠٠ - شرح صحيح مسلم، الأبي - دار الكتب العلمية - بيروت.

- ١٠١ - شرح صحيح مسلم، يحيى بن شرف النووي - دار المعرفة - بيروت .
- ١٠٢ - شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي - المكتب الإسلامي .
- ١٠٣ - شرح العمدة في الفقه، أحمد بن تيمية - مكتبة العبيكان .
- ١٠٤ - شرح مختصر خليل، محمد بن عبد الله الخرشبي، دار الفكر / دار صادر .
- ١٠٥ - شرح مسائل الجاهلية، صالح الفوزان - دار العاصمة .
- ١٠٦ - الشرح الممتع على زاد المستنقع، محمد بن صالح العثيمين - المكتبة الإسلامية / القاهرة .
- ١٠٧ - شرف أصحاب الحديث، أبو بكر الخطيب البغدادي .
- ١٠٨ - الصحاح، إسماعيل الجوهري، تحقيق: أحمد عطا - دار العلم للملايين .
- ١٠٩ - الصحوة الإسلامية، محمد العثيمين، جمع علي أبو لوز - السعودية .
- ١١٠ - الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري - تحقيق: مصطفى البغا - دار ابن كثير - بيروت .
- ١١١ - الصحيح (الإحسان)، محمد بن حبان البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة .
- ١١٢ - الصحيح (الإحسان)، محمد بن حبان البستي، تحقيق وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني - دار باوزير .
- ١١٣ - الصحيح، مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي .
- ١١٤ - صحيح الجامع الصغير، الألباني - المكتب الإسلامي .
- ١١٥ - صحيح سنن ابن ماجه، الألباني - مكتب التربية العربي .
- ١١٦ - صحيح سنن الترمذي، الألباني - مكتب التربية العربي .
- ١١٧ - صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم، عبد الرحمن

الدوسري .

- ١١٨ - الصوارف عن الحق، د. حمد العثمان - الكويت .
- ١١٩ - الضرر في الفقه الإسلامي، د. أحمد موافي - دار ابن عفان .
- ١٢٠ - ضعيف الترغيب والترهيب، الألباني - مكتبة المعارف .
- ١٢١ - ضعيف سنن ابن ماجه، الألباني، مكتب التربية العربي .
- ١٢٢ - الضوء اللامع، محمد بن عبد الرحمن السخاوي - مصر .
- ١٢٣ - الضياء اللامع، محمد بن صالح العثيمين - الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية .
- ١٢٤ - الطبقات الكبرى - ابن سعد - دار صادر .
- ١٢٥ - العقل ومنزلته في الإسلام، المؤلف، مكتبة الغرباء الأثرية .
- ١٢٦ - العلم، زهير بن حرب، تحقيق: الألباني - المكتب الإسلامي .
- ١٢٧ - العلم الشامخ في إثارة الحق على الآباء والمشايخ، صالح المقبلي .
- ١٢٨ - عون المعبود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، مع شرح ابن قيم الجوزية - دار الفكر .
- ١٢٩ - غاية المرام، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي .
- ١٣٠ - الغذاء لا الدواء، صبر القباني - دار العلم للملايين .
- ١٣١ - غريب الحديث، الخطابي - جامعة أم القرى / مكة .
- ١٣٢ - الغش في الاختبار، أحمد كرزون - دار ابن حزم .
- ١٣٣ - الغش في الاختبارات وأداء الواجبات المدرسية، محمد حمدان .
- ١٣٤ - فتاوى ابن تيمية - دار الكتب الحديثة .
- ١٣٥ - فتاوى ابن رشد، ابن رشد القرطبي .
- ١٣٦ - فتاوى إسلامية - مصر .
- ١٣٧ - الفتاوى الإماراتية، الألباني .
- ١٣٨ - فتاوى النووي، ابن العطار .

- ١٣٩ - الفتاوى الجليلة عن المناهج الدعوية، أحمد بن يحيى النجمي - مكتبة الفرقان .
- ١٤٠ - فتاوى الرملي، شمس الدين الرملي، بهامش الفتاوى الكبرى الفقهية .
- ١٤١ - الفتاوى السعدية، عبد الرحمن السعدي - السعودية .
- ١٤٢ - فتاوى الشيخ الألباني، عكاشة الطيبي - مكتبة التراث الإسلامي .
- ١٤٣ - الفتاوى الكبرى، ابن تيمية - دار الفكر .
- ١٤٤ - فتاوى ورسائل الشيخ عبد الرزاق عفيفي، عبد الرزاق عفيفي - السعودية .
- ١٤٥ - الفتاوى الفقهية الكبرى، ابن حجر الهيتمي - دار الكتب العلمية .
- ١٤٦ - فتح الباري، أحمد بن حجر العسقلاني - المكتبة السلفية .
- ١٤٧ - فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك، مطبعة التقدم - مصر .
- ١٤٨ - فتح القدير، ابن الهمام الحنفي - دار الفكر .
- ١٤٩ - فتح المغيث، محمد السخاوي .
- ١٥٠ - الفروع، ابن مفلح الحنبلي - عالم الكتب .
- ١٥١ - الفروق، أحمد بن إدريس القرافي - عالم الكتب .
- ١٥٢ - فقه السنة، سيد سابق - دار إحياء التراث العربي .
- ١٥٣ - الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غنيم النفراوي المالكي - دار الفكر / بيروت .
- ١٥٤ - فيض القدير، عبد الرؤوف المناوي - دار المعرفة .
- ١٥٥ - قافلة الإخوان المسلمين، عباس السيسي - مصر .
- ١٥٦ - قاموس الغذاء، أحمد قدامة - دار النفائس .
- ١٥٧ - القواعد الفقهية، حسن اليعنوردي - مطبعة الآداب .

- ١٥٨ - القوانين الفقهية، محمد بن أحمد الغرناطي (ابن جزي).
- ١٥٩ - القول البليغ، حمود التويجري - دار الصمعي.
- ١٦٠ - الكامل في ضعفاء الرجال، ابن عدي - دار الفكر.
- ١٦١ - الكبائر، شمس الدين الذهبي، تحقيق: مشهور حسن سلمان - دار المنار.
- ١٦٢ - كتاب العلم، محمد بن صالح العثيمين - دار الثريا.
- ١٦٣ - كتب حذر منها العلماء، مشهور حسن سلمان - دار الصمعي.
- ١٦٤ - كشاف القناع على متن الإقناع، منصور البهوتي - مكتبة النصر الحديثة.
- ١٦٥ - كشف الأستار، نور الدين علي الهيثمي - مؤسسة الرسالة / مطبعة الحكومة - مكة المكرمة.
- ١٦٦ - كفاية الطالب، أبو الحسن المالكي، تحقيق: يوسف البقاعي - دار الفكر - بيروت - ١٤١٢هـ.
- ١٦٧ - الكليات، أبو البقاء الكفوي - مؤسسة الرسالة.
- ١٦٨ - لسان العرب، ابن منظور الإفريقي - دار صادر.
- ١٦٩ - اللقطات فيما يباح ويحرم من الأطعمة والمشروبات، محمد الحمود النجدي - جمعية إحياء التراث.
- ١٧٠ - لمحة عن الفرق الضالة، د. صالح الفوزان - السعودية.
- ١٧١ - المبسوط، محمد بن أحمد السرخسي - دار المعرفة.
- ١٧٢ - المجموع شرح المذهب، يحيى بن شرف النووي - دار الفكر.
- ١٧٣ - مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - السعودية.
- ١٧٤ - مجموع الفتاوى، تقي الدين أحمد بن تيمية، جمع عبد الرحمن القاسم - السعودية.

- ١٧٥ - محاضرات في العقيدة والدعوة، صالح الفوزان - دار العاصمة .
- ١٧٦ - المحلى بالآثار، ابن حزم الأندلسي - دار الفكر .
- ١٧٧ - المختار من المنار، عبد العزيز آل الشيخ - السعودية .
- ١٧٨ - مختصر العلو، الإمام الذهبي، تحقيق: الألباني - المكتب الإسلامي .
- ١٧٩ - مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي، تحقيق: علي حسن - دار عمار .
- ١٨٠ - مدارج السالكين، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي - دار الفكر .
- ١٨١ - المدخل، ابن الحاج .
- ١٨٢ - المدونة الكبرى، مالك بن أنس، رواية سحنون بن سعيد - دار الفكر .
- ١٨٣ - مرقاة المفاتيح، ملا علي القاري - دار الفكر .
- ١٨٤ - المستدرک على الصحيحين، الحاكم النيسابوري - دار الفكر .
- ١٨٥ - مسند أحمد، أحمد بن حنبل الشيباني - المكتب الإسلامي / بيروت . .
- ١٨٦ - مسند البزار (كشف الأستار عن زوائد البزار)، الهيثمي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي - مؤسسة الرسالة/ بيروت .
- ١٨٧ - مسند الشافعي، محمد بن إدريس الشافعي - دار الكتب العلمية / بيروت .
- ١٨٨ - مسند الطيالسي - دار الفكر .
- ١٨٩ - مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله التبريزي، تحقيق: الألباني - المكتب الإسلامي .
- ١٩٠ - مصادر الحق في الفقه الإسلامي، عبد الرزاق السنهوري - جامعة الدول العربية .
- ١٩١ - المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي - دار القلم .

- ١٩٢ - المصنف، عبد الرزاق الصنعاني - المكتبة السلفية .
- ١٩٣ - المصنف، ابن أبي شيبة - دار الفكر .
- ١٩٤ - مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، مصطفى السيوطي
الرحياني - المكتب الإسلامي .
- ١٩٥ - معالم السنن، أحمد بن محمد الخطابي - مكتبة السنة المحمدية .
- ١٩٦ - معالم القرية في طلب الحسبة، محمد بن محمد القرشي بن الأخوة -
مكتبة
- ١٩٧ - المتنبي .
- ١٩٨ - المعتمد في الأدوية المفردة، المظفر بن رسول التركماني - دار
القلم .
- ١٩٩ - معجزات الشفاء، أبو الفداء محمد عارف - مصر .
- ٢٠٠ - المعجم الصغير، سليمان بن أحمد الطبراني - دار الفكر .
- ٢٠١ - المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبد
المجيد - دار إحياء التراث العربي .
- ٢٠٢ - معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون -
دار الجيل / بيروت .
- ٢٠٣ - معرفة علوم الحديث، أبو عبد الله الحاكم - دار الفكر .
- ٢٠٤ - معيد النعم، تاج الدين السبكي - مؤسسة الثقافة .
- ٢٠٥ - المغني، عبد الله بن قدامة - السعودية .
- ٢٠٦ - مغني المحتاج، محمد بن أحمد الشربيني - ط . مصطفى الحلبي .
- ٢٠٧ - مفتاح دار السعادة، ابن القيم، تحقيق: علي حسن عبد الحميد - دار
ابن عفان .
- ٢٠٨ - المفردات، الراغب الأصفهاني - دار القلم .
- ٢٠٩ - المقدمات والممهديات، ابن رشد - مطبوع مع المدونة .

- ٢١٠ - مكافحة الغش التجاري، أحمد حسن .
- ٢١١ - الملخص الفقهي، صالح الفوزان - دار الإيمان .
- ٢١٢ - مناهج تحقيق التراث، د. رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجي .
- ٢١٣ - المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي - دار السعادة .
- ٢١٤ - منظومة اللؤلؤ المكنون في أحوال الأسانيد والمتون، حافظ بن محمد الحكمي - السعودية .
- ٢١٥ - منهج السلامة في التداوي بالفصد والحجامة، المؤلف، الدار الأثرية - عمان .
- ٢١٦ - مذهب حكم الانتماء، د. بكر أبو زيد، تهذيب: د. عبد الله التميمي - عمان .
- ٢١٧ - موارد الظمان، الهيثمي - دار الفكر .
- ٢١٨ - مواهب الجليل، محمد بن عبد الرحمن المغربي - دار الفكر .
- ٢١٩ - المورد العذب الزلال، أحمد النجمي - مكتبة الفرقان .
- ٢٢٠ - الموسوعة الجنائية - دار إحياء التراث العربي / بيروت .
- ٢٢١ - الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف الكويتية .
- ٢٢٢ - الموطأ، مالك بن أنس - دار الشعب .
- ٢٢٣ - الموقظة، شمس الدين الذهبي .
- ٢٢٤ - نبذة علمية في منهج السلف في العلم والعلماء، مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية .
- ٢٢٥ - نحو موسوعة شرعية في علم الرقى، أسامة المعاني - دار المعالي .
- ٢٢٦ - نصائح في الاختبارات، محمد بن صالح العثيمين - مؤسسة آسام .
- ٢٢٧ - النصائح الوفية والمقالات الأثرية في نصرة الدعوة السلفية، المؤلف - دار المنهاج
- ٢٢٨ - نصب الراية، عبد الله الزيلعي - دار إحياء التراث العربي .

- ٢٢٩ - نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف: صالح بن حميد - دار الوسيلة.
- ٢٣٠ - النكت على كتاب ابن الصلاح، ابن حجر، تحقيق: د. ربيع بن هادي - الجامعة الإسلامية.
- ٢٣١ - نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة، محمد بن أحمد بن بسام، تحقيق وتعليق: د. حسام الدين السامرائي - مطبعة المعارف/ بغداد.
- ٢٣٢ - نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، جمال الدين الإسنوي - دار الكتب العلمية.
- ٢٣٣ - النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: محمود الطناحي و طاهر الزاوي - دار إحياء التراث العربي / بيروت.
- ٢٣٤ - نور البصائر والألباب، عبد الرحمن بن ناصر السعدي - السعودية.
- ٢٣٥ - نهاية الزين، محمد بن عمر الجاوي - دار الفكر / بيروت.
- ٢٣٦ - هداية الرواة، محمد ناصر الدين الألباني.
- ٢٣٧ - اليواقيت الجوزية، ابن الجوزي - مكتبة السنة.
- ٢٣٨ - الصحف والدوريات
- ٢٣٩ - جريدة الأسواق.
- ٢٤٠ - مجلة الأصالة السلفية، المؤلف وآخرون، العدد (٨) (٢٠) (٣٦).
- ٢٤١ - مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٥٦) - السعودية.
- ٢٤٢ - مجلة البيان - الإمارات.
- ٢٤٣ - مجلة حماية المستهلك، العدد (١٤) (١٧) (١٨) - عمان.
- ٢٤٤ - جريدة الحياة، عدد (١٠٨٦٩).
- ٢٤٥ - صحيفة الدستور، العدد (١٢٢٤٢) - عمان.
- ٢٤٦ - صحيفة الرياض الاقتصادي.
- ٢٤٧ - صحيفة الرأي، العدد (١٠٧٥٩) (١١٣٤٣) (١١٣٥٩) (١٢٣٤) -

عمان .

٢٤٨ - مجلة السنة .

٢٤٩ - صحيفة الشرق الأوسط ، العدد (٨٢٥٩) (٨٧٦٣) - صحيفة سعودية

تصدرها مؤسسة الجزيرة .

٢٥٠ - صحيفة لبنانية .

٢٥١ - صوت المستهلك ، العدد (٢٠) - عمان .

٢٥٢ - صحيفة العرب اليوم ، العدد (٩١١) (١٣٠٠) (١٤٩٧) (١٥٤١) -

عمان .

٢٥٣ - المجلة العربية .

٢٥٤ - مجلة الفرقان ، العدد (٢٢٨) (٢٢٩) - جمعية إحياء التراث

الإسلامي .

٢٥٥ - مجلة المجلة ، العدد (٨٠٦) .

٢٥٦ - صحيفة المرأة ، العدد (٢٨٣) - عمان .

٢٥٧ - إسلام أون لاين ، موقع إنترنت .

٢٥٨ - المصادر السمعية والإنترنت

٢٥٩ - فتاوى العلماء في الجماعات وأثرها على بلاد الحرمين ، شريط

تسجيل .

٢٦٠ - فتوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز عن جماعة التبليغ ، شريط

تسجيل .

٢٦١ - موقع بي بي سي أربك أون لاين .

٢٦٢ - موقع إسلام أون لاين .

٢٦٣ - الغش في امتحانات الإمارات .

المراجع الأجنبية

- * Crim.4 janvier 1962 ,G.P.1962. 1. 220. Luc Bihl .op. Cit.
- * Paris . 24 juin 1974 . G.P.1975.1.61. Luc Bihl. ibid.
- * T.C. A.x - en - provence. 20 September 1978. precite.Luc Bihl.ibid.
- * Cass. Crim. 4 janvier 1977 . 1977.336 . Luc Bihl . ibid.
- * Cass. Crim. 5 juin 1984 . D. 1985 . I. R. 90. Luc Bihl . ibid.
- * C.j.Miller & Brian W.Harvey.General Statutory defences in consumer protection
- * Legislation . op.. Chapter 14. pp. 560 - 561
- * Iain Ramsay . op. cit.. pp. 162 - 163
- * Clarey RL. Prosecution of Consumer Fraud. Article. Criminal Law Bulletin. Vol. 14. No 3. U.S.A. 1978.

* * *

فهرس الآيات
حسب ورودها في المصحف

الآية	رقمها	الصفحة
سورة البقرة		
﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾	١١	١٢٣
﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾	١٢	١٢٣
﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾	٢٩	١١
﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾	٣٠	١١
﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِثْمِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾	٤١	١٦٥
﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾	٤٣	١٩٧
﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ ﴾	٦٥	٩٨
﴿ نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾	٦٦	١٠٠
﴿ مُسَلِّمَةٌ لَا شَيْءَ فِيهَا ﴾	٧١	٥
﴿ يَتَّأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِهَا ﴾	١٧٢	٤٣
﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾	١٨٨	٧٧
﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾	٢٧٥	١٥٨، ٨٤، ٤٣
﴿ يَتَّأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا ﴾	٢٧٩-٢٧٨	١٥٨
﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾	٢٨١	١٥٥
سورة آل عمران		
﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾	٩٧	١٩٨
﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾	١١٠	١٣٤
﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾	١٤٤	١١٠

٢٥٧، ١١٣	١٥٩	﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنْ لَّهُمْ﴾
١١٣	١٥٩	﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾
٩٧	١٦٧	﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾

سورة النساء

٢١٤، ٨٩، ٤٣	٢٩	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ﴾
١١٨	٥٩	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ﴾
١٢٣	٦٢	﴿ثُمَّ جَاءَ وَكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا﴾
٥	٨٢	﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا﴾
٢٣٨	١١٩-١٢٠	﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾

سورة المائدة

٣٤٠	٢	﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾
٤٤، ٦	٣	﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾
١١٦	٧٢	﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾
١١٣	٧٩	﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾
٩٣	٩٠-٩١	﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ﴾

سورة الأنعام

٣٣٣	٣٨	﴿مَا قَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾
٢٦٩	٥٤	﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾
١٦١	٦٨	﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾
١٥٣	١١٢	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾
٢٣٤	١١٩-١٢٠	﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ﴾
٤٢٣	١٢٣	﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾
١٦٦	١٤١	﴿إِنَّكُمْ لَا يُحِبُّونَ الْمُسْرِفِينَ﴾
١٦	١٤٦	﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾

سورة الاعراف

١٩٨	٢٧	﴿ إِنَّهُ يَرْبِكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرْوَنَهُ ﴾
١٥٣	٣٠	﴿ إِنَّهُمْ أَخَذُوا الشَّيْطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾
١٩٩	٧٣	﴿ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾
١٦	٨٥	﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾
٢٠	٨٥	﴿ فَأَزِفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ ﴾
٥٥٨	٣٣	﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴾
٧٩	٨٥	﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾
٩٦	١٦٣	﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ ﴾

سورة الأنفال

١٥٨	٢٣-٢٢	﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ ﴾
٢٣٦، ٢٧	٢٧	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾

سورة التوبة

١٥٦	٣١	﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ ﴾
١٢٤	٤٩	﴿ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾
٢٦٨	٥١	﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾

سورة يونس

١٤١	١٠٦	﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ ﴾
-----	-----	--

سورة هود

١٢٦	٦١	﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾
٢٠	٨٤	﴿ وَلَا تَقْضُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ ﴾
٢٠	٨٥	﴿ وَيَتَّقُوا أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ﴾
١٦٤	٨٨	﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾
١٦	٩٤	﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا ﴾

	سورة يوسف	
٢١٣	١٢	﴿أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَزْتَعُ وَيَلْعَبُ﴾
	سورة إبراهيم	
٢٣٥	١١	﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾
٣٣	٣٦	﴿فَمَنْ تَعْبَى فَإِنَّهُ مِنِّي﴾
	سورة الحجر	
١٢٨	٩٤	﴿فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾
	سورة النحل	
١٢٦	٣٦	﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾
١٩٨	٤٤	﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾
٢٣٦	١٠٥	﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾
١٣٦	١٢٥	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾
	سورة الإسراء	
٢٠	٣٥	﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَرِنُوا بِالْقِسْطَاسِ﴾
٢٦٥	٧٠	﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ﴾
	سورة الكهف	
١٥٧	٥	﴿كَبُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾
	سورة طه	
٩	٧	﴿يَعْلَمُ الْبُتْرَ وَأَخْفَى﴾
	سورة المؤمنون	
١٦٥	٨	﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾
٤٣	٥١	﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾
٤٢٤	٧١	﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ﴾

	سورة النور	
١٦٢	١٧	﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا﴾
	سورة الفرقان	
١٤٠	٧٢	﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾
	سورة الشعراء	
٣١٤ ت	٨٠	﴿وَإِذَا مَرَضَتْ فَهَوَّ يَشْفِين﴾
٢٠	١٨١-١٨٣	﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾
	سورة النمل	
٣١٤ ت، ٣٢٢	٦٢	﴿أَمِنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾
	سورة القصص	
١٦٤	٢٦	﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ آسْتَجَرْتَ الْقَوِيَ الْأَمِينُ﴾
٢٣٩	٥٠	﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ﴾
	سورة العنكبوت	
١٦	٣٧	﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذْتَهُمُ الزَّحْفَةَ﴾
	سورة لقمان	
١١	٢٠	﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ﴾
١٧٦	٢٧	﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾
	سورة السجدة	
١٢١	٢٤	﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَةً يَهْدُونَ بِآيَاتِنَا لِمَا صَبَرُوا﴾
	سورة الأحزاب	
٣١٤	٣٢-٣٣	﴿يَلْبَسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتَنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾
١٩٨	٣٤	﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا بُنِيَ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾
٢٠	٥٨	﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾

سورة يس

١٨٦

١٢

﴿وَنَكُتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَانْتَهُمْ﴾

سورة الصافات

٣٢١

١٤٤-١٤٣

﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْتَجِيبِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ﴾

٤٢٣

١٨٢-١٨٠

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾

سورة ص

١٦١

٢٠

﴿وَأَيِّنُّهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾

١٧

٢٤-٢١

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبْوٌ الْخَصْمِ إِذْ سُورُوا الْمِحْرَابَ﴾

سورة الزمر

٢٣٥

٥٣

﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾

٣٦٩

٦٠

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾

سورة غافر

٢٣٥، ٩

٢٠-١٩، ١٩

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾

سورة فصلت

١٢

٥٣

﴿سَتْرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾

سورة الشورى

٤٢٤

١٥

﴿فَلَيْدَالِكَ فَادْعُ وَاسْتَعِمْ كَمَا أُمِرْتُ﴾

٤٩، ٥٨، ت،

٢١

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ﴾

١٦٤، ١٥٦

١١٣

٤٢

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ﴾

سورة الأحقاف

١٩٨

٢٩

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْعِجْنِ﴾

	سورة الحجرات	
٣١	١٠	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾
	سورة الذاريات	
١٦٢	٥٥	﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾
	سورة النجم	
١٦٦، ١٦٣	٣٢	﴿فَلَا تُرْكُوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾
	سورة الرحمن	
٧٩	٩	﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾
١٩٩	١٣	﴿فِي أَيِّ آءِ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾
	سورة الملك	
٩	١٤	﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾
	سورة القلم	
١٧٦	١	﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾
١٧٦	٢	﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْتُرٍ﴾
	سورة الحاقة	
٢٦٨	١٨	﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾
	سورة المعارج	
١٦٥	٣٢	﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾
	سورة الجن	
٣٢٣	٦	﴿وَأَنْتُمْ كَانِ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُودُونَ﴾
	سورة المدثر	
١٠٢	٦	﴿وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْبِرُ﴾

سورة المطففين

٧٩	١	﴿وَبِلِّئَالِ الْمُتَلَفِينِ﴾
٢٠	٣-١	﴿وَبِلِّئَالِ الْمُتَلَفِينِ﴾
٧٧	٦-١	﴿وَبِلِّئَالِ الْمُتَلَفِينِ﴾

سورة البروج

٩٧	٢٠	﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِم مَّحِيطٌ﴾
----	----	--------------------------------------

سورة الشرح

٣٢١	٦-٥	﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾
-----	-----	---

سورة العلق

١٧٦	٥-٤	﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾
-----	-----	--

* * *

فهرس الأحاديث

الصفحة	الراوي	طرف الحديث
١٣٦	-	أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم
١٠٠	أنس	إذا أقرض أحدكم قرصاً فأهدي إليه
٨٣، ٢٦	ابن عمر	إذا بايعت فقل لا خلافة
٣٢٢	-	اعرضوا عليّ رقاكم
٣١، ٢٣، ١٧	أبو هريرة	أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس
٢٥	عياض بن حمار	ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم
٢٤	أبو بكر	ألا أنبئكم بأكبر الكبائر
٤٤	-	ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي
٢٢٣	-	ألا من غش فليس مني
١١٤	-	اللهم من ولي من أمر هذه الأمة
١٥٦	عدي بن حاتم	ألم يحلوا لكم الحرام
٢٢٨	-	أما معاوية فصعلوك
٢٠٢	-	أمر ﷺ ابن عمر أن يحرق الثوبين
١٥٢	أنس	إن أبي وأباك في النار
٣٤١	-	إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون
٤٣	-	إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً
١٦	جابر بن عبد الله	إن الله ورسوله حرم بيع الخمر
١١٩	-	إن الله يرضى لكم ثلاثاً
٢٢٩	أبو سعيد أو جابر	إن أول ما هلك بنو إسرائيل
٢٤	ابن عمر	إن رسول الله ﷺ لعن الواصلة
٢٥	ابن عمر	إن رسول الله ﷺ نهى أن تتلقى

- ١١٧ - إن المقسطين عند الله على منابر من نور
- ٢٠٤ - إنا آخذوها منه وشطر ماله
- ١٦٤ - إنا لا نعطي هذا الأمر من طلبه
- ١٠٠ - إنما الأعمال بالنيات
- ٢٠٩ معاوية - إنما هلك بنو إسرائيل حين اتخذ هذه
- ٢٠٢ - أنه نهى أن يشاب اللبن بالماء للبيع
- ٢٥٧ - إنه لا يأتي إلا بخير
- ١١٧ - أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط
- ١٦٤ - إياكم والتمايح فإنه الذبح
- ١٤٤ - أيما راع غش رعيته
- ٤٤ جابر - أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب
- ٢٨٦ جابر - بعث رسول الله ﷺ طيبًا إلى أبي
- ٢٣٤ - البر حسن الخلق ، والإثم
- ٣٠ حكيم بن حزام - البيعان بالخيار ما لم يتفرقا
- ٢٦ أبو هريرة - ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر
- ٨٣ ابن عمر - ثم أنت بالخيار في كل سلعة
- ٢٠٤ - حريسة الجبل أن فيها غرامة مثلها
- ٢٢٧ - خذي عليك ثيابك
- ١٥٧ - درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم
- ٢٨٦ جابر - رمي رجل يوم الأحزاب على أكحله
- ١٥٧ - الربا بضع وسبعون بابًا
- ١١٧ - الرجل راع في أهله ومستول
- ٢٥٦ - الرفق ما كان في شيء إلا زانه
- ٢٠٢ - شق النبي ظروف الخمر
- ١٠٠ - صيد البر لكم حلال ما لم تصيدوه

١١٤	-	الظلم ظلمات يوم القيامة
٢٨٦	أبو هريرة	عالجاه فإن الذي أنزل الداء
٣٠	-	فأما معاوية : صعلوك لا مال له
١٥٦	عدي بن حاتم	فذلك اتخاذكم إياهم أرباباً
١٦	جابر	قاتل الله اليهود إن الله حرم عليهم
٣٣٣، ٣٤٠	-	كل المسلم على المسلم حرام
١١٤	-	كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته
٣٢٥	-	لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط
٢٦	علي	لعن الله من لعن والديه
٢٨	ابن مسعود	لعن رسول الله ﷺ المحلل
٣٤١	-	لعن رسول الله ﷺ المصور
٦	-	لقد تركتكم على المحجة البيضاء
١١٦	-	لو أن فاطمة بنت محمد سرقت
٢٢٣	-	ليس منا من غش
١٦٤	-	ليوشك رجل أن يتمنى أنه خر من الثريا
٤٤	المقدم	ما أكل أحد طعاماً قط
٢٨٦	ابن مسعود	ما أنزل الله داء إلا
٦	-	ما تركت من شيء يقربكم من الجنة
١١٤	-	ما من أمير عشرة إلا يؤتى
١١٥، ٢٣	معقل بن يسار	ما من عبد يسترعيه الله رعية
١٧	أبو هريرة	ما هذا يا صاحب الطعام ؟
٩٥	-	من ابتاع محفلة فهو بالخيار
٣١٩	-	من أتى عرافاً فسأله عن شيء
٣١٩	أبو هريرة	من أتى كاهناً فصدقه بما يقول
٢٠٤	-	من أخذ بصيد في حرم المدينة

١١٤	-	من استرعاه الله رعية
١٤٣	أبو هريرة	من استشاره أخوه المسلم
٩٣	-	من أسلم في شيء فليسلم
٢١٩	-	من اشترى غنماً مصراًة
٢٢٣	-	من باع بيعتين في بيعة
٢١٩	-	من باع محفلة أو مصراة
١٧	ابن عمر	من بايعت فقل لا خلافة
٢٨٧، ٢٨٩	ابن عمر	من تطب ولم يعلم منه طب
٢١	أبو هريرة	من حمل علينا السلاح فليس منا
٢١	أبو هريرة	من خبى زوجة امرئ أو مملوكه
١٣٦	الحارث الأشعري	من دعا بدعوى الجاهلية
٢٣٠، ٢٠١، ٣٣	-	من غش فليس منا
٩، ١٧، ٢٠	-	من غشنا فليس منا
٢٢، ٣١، ٤١	-	
٩٤، ١١٤، ٢٢٠	-	
١٣٣	-	من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي
٣٢٤	جابر	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
٢٣٧	أنس	من كانت الآخرة همه جعل الله
٢٥٧	-	من يحرم الرفق يحرم الخير كله
٣١	-	المؤمن أخو المؤمن يشهده إذا مات
٢٨	أبو هريرة	المؤمن غر كريم ، والفاجر . . .
٢١٤	-	المؤمن للمؤمن كالبنان يشد بعضه
٢٦	أسماء	المتشعب بما لم يعط كلابس ثوبي زور
١٤٣	أبو هريرة	المستشار مؤتمن
٢٣٤	أبو هريرة	المسلم أخو المسلم لا يخونه

٢٨	أبو هريرة	نهى رسول الله ﷺ عن بيع الحصاة
٨٨	-	نهى عن بيع الغرر
٢٢٣	-	نهى عن بيعتين في بيعة
٨٣	أبو هريرة	نهى عن تلقي الجلب
٨٤، ٣٠	ابن عمر	نهى النبي ﷺ عن النجش
٢٦	علي	ولعن الله من غير منار الأرض
١٩٧	-	لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته
٩٩، ٧	-	لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود
٩٥	-	لا تصروا الإبل والغنم
٨٣	أبو هريرة	لا تلقوا الجلب
٨٦، ١٧	أبو هريرة	لا تناجشوا
٨٣، ٢٦	ابن عمر	لا خلابة
١٦	جابر	لا ، هي حرام
٢٧	أبو هريرة	لا يتلقى الركبان لبيع
١٠١، ٢٨	أنس	لا يجمع بين مفترق ، ولا يفرق بين
٣١	-	لا يزني الزاني حين يزني
٣٢٢	ابن عباس	لا يسترقون ولا يتطيرون
٢٨٦	أبو هريرة	يا أيها الناس تداواوا
٤١، ٣١، ١٧	أبو هريرة	يا صاحب الطعام
٢٣٦	ابن عباس	يا غلام إني أعلمك كلمات
٢٢	أنس بن مالك	يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل

فهرس الآثار حسب القائلين

الصفحة	طرف الأثر
الإمام أحمد	
١٩٢	إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم
أيوب السختياني	
٩٩	لو أتوا الأمر على وجهه كان أهون عليّ
البخاري	
١٩٢	هذه الطائفة هم أهل العلم
الحسن البصري	
١٨٥	والله إن هؤلاء الصيارفة لأكلة الربا
الربيع بن أنس	
١٤٠	هو أعياد المشركين
الزهري	
١٤٠	شرب الخمر لا يحضرونه ولا يرغبون فيه
سفيان بن عيينة	
٢٣	نمستك تأويله ليكون أوقع في النفوس
سلمان الفارسي	
٦	لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة ، فقال سلمان: أجل
الضحك	
١٤٠	هو أعياد المشركين

طاوس

- ١٤٠ هو أعياد المشركين
- عبد الله بن أبي أوفى
- ٣٤ الناجش آكل ربا خائن
- عبد الله بن سلام
- ١٠١ إنك بأرض الربا فيها فاش
- عبد الله بن عباس
- ١٠١ إذا أسلفت رجلاً سلفاً
- ١٠١ خذ منه سبعة دراهم
- ١٥٨ فمن كان مقيماً على الربا لا ينزع عنه
- عبد الله بن عمر
- ١٠١ رد إليه هديته أو احسبها له
- ٢٢٦ لا ، إلا نكاح رغبة
- عبد الله بن المبارك
- ١٩٢ أبو بكر وعمر
- ١٩٢ أبو حمزة السكري
- عبد الله بن مسعود
- ١٩٣ إنكم في زمان كثير علماءه قليل خطباؤه
- ١٩١ إنكم لن تزالوا بخير ما دام العلم
- ٢٣٧ إني لأحسب الرجل ينسى العلم كما تعلمه
- عثمان بن عفان
- ٣٦٨ إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن

علي بن أبي طالب

٢٠٢

أمره بتحريق المكان الذي يباع فيه الخمر

عمر بن الخطاب

٢٢٦، ٢٢٧

أخبرها أنك عقيم وخيرها

٢٢٧

أيما امرأة غرّبها زوجها ، بها جنون . . .

١٩١

فساد الدين إذا جاء العلم من قبل الصغير

٣٩

كتب إلى أمير الأجناد ألا يتركوا النصارى

٢٠٧

لا يتجر هؤلاء العجم ولا يبيعون في سوقنا

عمرو بن قيس

١٤٠

هي مجالس السوء والخنا

عمرو بن عبيد

١٩٥

ألا تسمعون ، ما كلام الحسن وابن سيرين

عياض (القاضي)

١٩٢

إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة

الفضيل بن عياض

١٢٢

إني لأرحم ثلاثة ، عزيز قوم ذل

مالك

١٤٠

شرب الخمر لا يحضرونه ولا يرغبون فيه

١٥٥

كل رجل يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا

مالك بن دينار

١٦١

الواعظ الذي إذا دخلت بيته تعظك آلة بيته

مجاهد

١٩٤

ذهب العلماء فلم يبق إلا المتكلمون

محمد بن سيرين

- ١٤٠ هو أعياد المشركين
١٥٨ والله إن هؤلاء الصيارفة لأكلة الربا

معاوية بن أبي سفيان

- ٢٦ ما كنت أرى أحداً يفعلُه إلا اليهود

الكنى

أبو ذر

- ٦ لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقرب

أبو العالية

- ١٤٠ هو أعياد المشركين

النساء

عائشة

- ٣٤ كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج
١٦٢ لو علم رسول الله ﷺ ما أحدث النساء بعده

المجاهيل

قائل

- ٦ لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة
١٥٦ لو تتبعت زلة كل عالم لاجتمع فيك الشركه

فهرس الأعلام

الصفحة	اسم العلم
١٤٥	إبراهيم
٢٨٧	أبقراط
٢٨٦، ١٠١	أبي بن كعب
١٤٤	أحمد بن حجر العسقلاني
١٠٦، ٣٣	أحمد بن حنبل
٢١٩	أحمد بن شعيب
٤٠١، ٣٨٩، ٣٨٢، ٢٧٢	أحمد قدامة
١٣٩، ١٢٦	أحمد بن يحيى النجمي
٨٣	إسحاق بن راهويه = ابن راهويه
٤٢٥	أسعد بن زرارة
١٠٦	إسماعيل بن سعيد
١٠١	إسماعيل بن عباس
٨٩	الإسنوي
٢٠٤، ٢٠٣	أشهب
٢١٠	أصبغ
٢٢٢	الأعمش
٣٥٥، ٢٢٤، ١٩٥، ١٨١، ١٨٠، ١٢٩	الألباني
٣٩٥	
١٣١	إلياس
٢٩٣	اليكس توجياس
٢٣٧، ٢٨، ٢٢	أنس بن مالك

٢٢٥	الأوزاعي
٩٩	أيوب السختياني
٩٤	البخاري
١٢٥	البدوي
٧٩، ٣٣	البغوي
١٧٨	بكر أبو زيد
١٠٦	بكر بن محمد
٣٨٣	بول كارتون
٢٤٦	بيل جيتس
٢٨٩، ١٧٤، ١٢٢، ١١١	تاج الدين السبكي
	الترابي = حسن الترابي
٨٤	الترمذي
	التويجري = حمود التويجري
٢١٩	ثابت مولى عبد الرحمن بن زيد
٣٢٤، ٢٨٦، ٢٢٩، ٤٤، ١٦	جابر بن عبد الله
٢٠٠	جابر المعلواني
١٥٩	جاد الحق علي جاد الحق
٣٢٦	جالينوس
٣٠٧	جان كلود جوب
٨٨	الجرجاني
٢٤٧	جس كرافاس
٢٤٦	جورج دايسون
٣٣٥ ت	جوسلين ستيفنز
٣٤٨	حاتم العرابي
١٣٦	الحارث الأشعري

١٤٥	حافظ بن أحمد الحكمي
١٥٦، ١٤٤	الحاكم
٨١	حبان بن منقذ
١٩٥، ١٥٧، ٩٨، ٨٣	الحسن البصري
١٤١، ١٣٩	حسن البنا
٢٠٠، ١٣٩	حسن الترابي
١٣٩، ١٢٥ ت	الحسين
١٩٠	الحسين بن واقد
١٤٤	حصين
٨٠	الخطاب
٣٠	حكيم بن حزام
١٣٩ ت	حمد العثمان
٣٩١	حمد العوفي
١٤٤ ت	حمدي السلفي
١٥٦، ١٤٨، ١٢٦ ت	حمود التويجري
٨٦، ٣٢	الخطابي
٤٣، ١٦	داود عليه السلام
٢٢٧	داود
٣٠٧	ديفيد رابين
٢٥٢	ديفيد هارت
٧٧	الذهبي
٧٦	الراغب
٨٥	الرافعي
١٤٠	الربيع بن أنس
٢٠٧، ١٥٥	ربيعة

٢٠٠	رجاء جارودي
٢٥٠	روبرت هاريس
٢٥٠	رون جونسون
٣٧	زفر
١٤٢	الزنداني
٢٠١، ١٤٥، ١٤٠	الزهري
٢١٩	زياد
١٠٤	زيد بن ثابت
٢٢٧	زيد بن كعب
١٥٦	السادات
٣١	سحنون
١٤٥	السخاوي
٧٨	السدي
٨٨	السرخسي
١٣٠	سعد الحصين
١٢٦	سعود أحمد الدهلوي
	السعدي = عبد الرحمن بن ناصر السعدي
٢٦	سعيد بن المسيب
٢١٩، ٢٨٦، ٢٣	سفيان بن عيينة
٧	سلمان
٢٢٤	سليم الهلالي
٢٥	سيد سابق
١٤٢	سيد قطب
١٩٥	الشاطبي
٢١٨، ١٩٥، ١٥٥، ٨٥، ٨٤، ٤٢، ٣٧	الشافعي

١٢٦	شاه أحمد نوراني
٧٧، ٢٠، ١٥	شعيب
٨٦	شمس الحق العظيم آبادي (أبو الطيب)
١٧٩	الشوكانى
٨٩، ٣٩	الشيرازى
١٣٤	صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
٤٠٠	صبرى القبانى
١٥٦	صلاح الدين
٢٢٩	الصنعانى
١٤٠	الضحاك
٧٦	الطبرى
	طنطاوي = محمد سيد طنطاوي
٣٣	عاصم بن عدي
٢٦	عامر بن وائلة (أبو الطفيل)
١٣٨	عباس السيسى
٨٣	عبد الأعلى
١٤٢	عبد الرحمن خليفة
٩٧	عبد الرحمن الدوسري
٢١٩	عبد الرحمن بن زيد
٣٣	عبد الرحمن بن عوف
٢٨٨، ٩١، ٣٠، ٢٨، ٢١	عبد الرحمن بن ناصر السعدي
١٣٢	عبد الرزاق عفيفي
٨٤	عبد الرزاق بن عياش
١٢٦	عبد السلام القادري
٣٤٦	عبد العالي العبد العالي

	عبد العزيز بن باز = ابن باز
٣٨٢ ت	عبد العزيز الفراري
١٥٩	عبد الفتاح الشيخ
٢٧	عبد الله البسام
٣١٩ ت	عبد الله بن جار الله
٢٣٠	عبد الله حمود
١٤٥	عبد الله بن أبي داود السجستاني
١٠٦، ١٠٤	عبد الله بن سلام
١٤٥	عبد الله بن أبي عبد الله
٣٠	عبد الله بن عمر = ابن عمر
١٣٣	عبد الله بن غديان
٢٢	عبد الله بن مسعود = ابن مسعود
١٥٣ ت	عبد المالك رضاني
١٣١	عبد الله بن المبارك = ابن المبارك
٣٤٨	عبد المحسن العباد
١١٤	عبد الوهاب الزعبي
٨٤	عبيد الله بن زياد
٨٤	عبيد بن مسلم
١٢٨	عبيد بن مهاجر
١٠٤	عتاب بن أسيد
١٥٦	عتبة بن حميد الضبي
٢٨٦	عدي بن حاتم
٢١٠	عطاء بن السائب
٢٢٤	العلاء بن عبد الرحمن
٢٦	علي الحلبي

٣١	علي بن أبي طالب
	علي القاري = ملا علي القاري
٣٨، ١٢	عمر بن الخطاب
٨٤	عمر بن عبد العزيز
١٤٥	عمر بن عبيد الطنافسي
١٤٥	عمر بن علي المقدسي
١٤٠	عمر بن قيس
٢٨٧	عمرو بن شعيب
٢١٩	عمرو بن عبيد
٢٢٤، ٢٣	عياض (القاضي المالكي)
٢٥	عياض بن حمار المجاشعي
١٧٤	الغزالي
١٤٢	الغنوشي
٣٠٧	فرناند داري
٢٤٨	فريد دي كاب
١٠٨	الفضيل
٢٠٠	فهمي هويدي
١٣	الفيومي
١٢	قاويل
	القاري = ملا علي القاري
٨٨	القرافي
	القرضاوي = يوسف القرضاوي
٧٧، ٧٦	القرطبي
٣٦	الكاساني
١٩٤	الكبيسي

٢٢٧	كعب بن زيد
٨٠، ١٤	الكفوي
٢٤٩	كيفن لا فيرتي
٤٠٨	الكيلاني
٣٠٨	لوك مونتانيه
٢٤٨	لويس بلومفيلد
٢١٦، ٢١٠، ٨٤، ٣٨، ١٠	مالك
١٦١	مالك بن دينار
٢٥٤	ماني موهان براساد
١٢٥	محمد بن إبراهيم آل الشيخ
	محمد بن إسماعيل = البخاري
	محمد إلياس = إلياس
١٩٠	محمد بن ثابت
٢٣٩	محمد حمدان
٢٤٢	محمد الحمود النجدي
١٥٩	محمد رأفت عثمان
	محمد بن رشد = ابن رشد
٩٦	محمد رشيد رضا
١٥٨	محمد سيد طنطاوي
	محمد بن سيرين = ابن سيرين
٢٢٩، ١٢٠، ١١٧	محمد بن صالح العثيمين
٢٢٩	محمد بن عبد الأعلى الصنعاني
١٢٦	محمد بن عبد الحامد القادري
٢٢٣	محمد بن عبد الله الصغير
١٩٨	محمد عبده

٣٢	محمد بن علان الصديقي
٢٠٠	محمد عمارة
٢١٩	محمد بن عمرو بن جبلة
٢٠٠	محمد الغزالي السقا
١٢٨	محمد بن القاسم
١٤٠، ١٥٩	محمد متولي الشعراوي
٢١٩	محمد بن منصور
	محمد ناصر الدين = الألباني
٨١	المرداوي
٢٢٤، ١٦٨	مشهور حسن
٣٨	مطرف
١٩٤	معاذ
٣٠، ٢٦	معاوية
٢٢٩	المعتمر
٢٣	معقل بن يسار المزني
١٤٥	مغيرة
٢٧٦	مكسيم شوارتز
٢١٩	مكي بن إبراهيم
٣٢	ملا علي القاري
٤٠٠، ٢٧٠	الملك المظفر الرسولي
٧٦، ١٤	المناعي
٢٠٠	موسى عليه السلام
١٠٦	موسى بن سعيد الدنداني
١٠٦	الميموني
١٥٦	نابليون بونابرت

٨٤	نافع
١٤١	نايف بن عبد العزيز (الأمير)
٢٣٣	النواس بن سمرعان
٢٦	نوح عليه السلام
٩١، ٩٠، ٨٥، ٤٠	النووي
١٢	هاثيل
١٤٢	هشام بن عروة
١٤٢	هشيم
١٤	الهيثمي
١٥	هيجو سترانوس
٣٠٦	الياسيل بنزيان
٧٣	اليحوردي
١٠٠	يحيى بن أبي إسحاق
٢١٣	يوسف عليه السلام
٢٠٠	يوسف القرضاوي
٨٣	يونس بن بكير
٣٦٨	يونس الليبي

الكنى

١٤٢	أبو أحمد بن عدي
٣١٦	أبو البراء (أسامة المعاني)
١٠١	أبو بردة بن أبي موسى
٣٤	أبو بكر الصديق
١٤٥	أبو بكر بن مجاهد المقرئ
٣٠	أبو جهم

٧٨	أبو جهينة
٣٧	أبو الحسن المالكي
٤٦	أبو الحسن الماوردي
٢١٨، ٩٥، ٤٢	أبو حنيفة
٧٨	أبو حيان الأندلسي
٧	أبو ذر
٢٢٩	أبو سعيد
١٠٣	أبو الشعثاء
١٤٠	أبو العالية
	أبو العباس ابن سريج = ابن سريج
١٤	أبو عبد الله بن عرفة
١٣	أبو عبيدة
	أبو غسان
١٥٤ت	أبو قتادة الفلسطيني
	أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء = البغوي
	أبو نضرة
٢٨٦، ١٤٣، ٩٥، ٢٧، ٢٣، ٢٢، ٢١، ١٧	أبو هريرة
٩٥	أبو يوسف القاضي
الأبناء	
٣٣٤، ٢٦٩، ١٦١، ٨٦	ابن الأخوة
٨٣	ابن إسحاق
٣٤	ابن أبي أوفى
٣١٨، ٢٢٩، ١٨٥، ١٢١ت	ابن باز
١١٦	ابن بطال

ابن بطة = أبو عبد الله بن بطة

ابن تيمية = شيخ الإسلام

١٩، ٣١، ٤٢، ٤٥، ٨٥، ٨٩، ٩٩، ت،

٢٥١، ١٩٦

ابن جرير = الطبري

٣٤

ابن الجوزي

٣٨

ابن حبيب

٨٥

ابن حجر العسقلاني

٧٨، ٣٩، ١٤، ٩

ابن حجر الهيثمي

٨٤

ابن حزم

٢٢٩

ابن خزيمة

١٩٤

ابن رجب

٣٨، ٩٠ (وانظر: محمد بن رشد)

ابن رشد

٣٢

ابن رشد الجد

٢٨٨

ابن الرومي

١١٨

ابن سعد

٨٠

ابن السكيت

١٤٣

ابن السيد

١٩٥، ١٥٦، ١٤٠، ١٠٣

ابن سيرين

٢١٣

ابن شعبان

٨٥

ابن الصباغ

١٠٨، ١٤٤، ١٤٥، ت

ابن الصلاح

٣٦

ابن عابدين

٣٢٢، ٢٣٦، ١٥٦، ٧٧

ابن عباس

٢٧٢

ابن عبد البر

ابن عثيمين = محمد بن صالح العثيمين

٢٠	ابن العربي
١٤	ابن عرفة
١٧٣	ابن أبي العز
١٨٥	ابن عساكر
٢٠٢، ٩٥، ٨٤، ٨٣، ٢٤، ١٧	ابن عمر
٧٦، ١٣	ابن فارس
، ٢٠٣	ابن القاسم
٩٥، ٩٤، ٤١، ٣٣	ابن قدامة
٤٢٥، ٢٢٨، ١٨٣، ٨٩ ت	ابن قيم الجوزية
١٤٠	ابن كثير
٣٨	ابن الماجشون
١٩٢	ابن المبارك
٢٨٦، ٢٣٧، ١٨٦، ٢٨	ابن مسعود
١٣	ابن منظور
١١٣	ابن المواز
٢٠٩	ابن نافع
٢١٠	ابن وهب

المجاهيل من الرجال

١١٢	بعض المشايخ
١١٤	شيوخ الإمام مسلم

النساء

٢٦	أسماء
٢٤٣	أليسون دروين
٢٨٧	ايلين روش

٢٥٨	بربارا غلات
١٤٠، ١٣٨	زينب بنت الحسين
٣٧٥	سناء قموة
٣٣٥	سوزان تافرين
١٦٢، ١٤٥، ٣٤	ام المؤمنين عائشة
٢٢٨، ٣٠	فاطمة بنت قيس
١١٦	فاطمة بنت محمد (ﷺ)
٢٥٠	ليزا هينكليف
٣٠٧	ماري أوديل جيوفري
٣٠٩	مور
٢٥٥	نورا راشد

* * *

فهرس الفرق والجماعات والطوائف

الاسم	الصفحة
الاتحادية	١٠٣
الإخوان المسلمین	١٢٥، ١٣٢، ١٤٠
أرباب الحیل	٩٨
أشعري	١٣٠
أصحاب ابن عباس	١٠٣
أصحاب الحیل	١٠٤
أصحاب السبت	٩٨
أصحاب عبد الله بن مسعود من أهل الكوفة	١٠٣
أصحاب فقهاء البصرة	١٠٣
أصحاب المال	١٧
الأنصار	١٠٢، ١٣٦، ٢٨٦
أهل بدر	١٠٢
أهل بيعة الرضوان	١٠٢
أهل الجنة	٢٣، ٢٥، ١١٦
أهل السفسطة والكلام	١٩٣
أهل السنة والجماعة	١٢٣، ١٥٢، ٣٦٩
أهل الكتاب	٢٥
أهل النار	٢٥
بنی إسرائيل	٢٣٠
التابعون	٩٨، ١٤٧، ١٩٨
تابعو التابعین	١٩٨

٤٠٩، ٢٨٢، ٣٩، ١٧، ٩، ٨	التبليغيون = جماعة التبليغ
١٤٢ ت	التجار
١٤٢ ت	التفجيريون
١٢٣	التكفيريون
	الجبرية
	جماعة الإخوان المسلمين = الإخوان المسلمون
١٣٣، ١٢٦	جماعة التبليغ
١٤٠	الجماعات الإرهابية
١٠٣	الجهمية
١٤٢ ت	الحركيون
١٦٥، ١٣٧	الحزبيون
١٠٣	الحلولية
٩٥، ٨١	الحنابلة
٩٥، ٨٠	الحنفية
٦	الخلافيون
١٧	الخلطاء
١٥٤	الخلف
١٢٣	الخوارج
١٢٥	الدعوة السلفية
	الدعوة والتبليغ = جماعة التبليغ
٦	ذوو الحجى
١٨٤، ١٥٢، ١٣٢	الرافضة
١٩	رجال الأعمال الربويون
٢٧	الركبان
٣٣١	الرومان

١٦٩، ١٤٦	الزنادقة
٢٤	السابقون
١٢٦	السرورية
٢٢٥، ١٦٩، ١٦٤، ١٤٨، ٩٢	السلف
١٨٢، ١٢٤	سلف الأمة
٢٦٨، ١٨٦، ١٤٧، ١٢٩	السلف الصالح
١٤٦	السلفيون
١٨٣، ١٤٢، ١٢٥	السلفية
٩٥، ٨١	الشافعية
١٦	الشركاء
٢٥	الشياطين
٤٢٤، ١٨٤، ١٣٢، ٩٨، ٨٣	الصحابة
١٩٣	الصحفيون
١٣٠	صوفي
١٧٩، ١٣٠	الصوفية
١٨٢	صوفيون
٩	الظلمة
٢١٥	العراقيون
١٩٣	العصرانيون
١٢٣	العقلاء
١٩٩، ١٣٩	العقلانيون
١٦٤	العلمانيون
٨	الغشاشون
٣٦، ١٨	الفقهاء
١٠٣	الفقهاء السبعة

١٠٣	فقهاء المدينة
١٣٢	قادرية
١٢٣	القدرية
١٧	القراصنة
١٢٦	القطبية
١٤٢	القطبية السرورية
١٦	قوم شعيب
٦	القياسيون
٢١٥، ١١١، ٩	الكفار
١٣٠	ماتريدي
١٨٥	ماسوني
٩٥، ٨١	المالكية
٦	المتحيلون
١٥٠	المجوس
١٩٢	المتكلمون
٧	المحتالون
١٨٢	مخرفون
١٩٣	المذيعون
١٢٣	المرجئة
٢٠٠	مرجئة العصر العقلانيون
١٨	المستثمرون
١٥٦، ١٥٠، ١٤٠، ١٣٥	المشركون
١٩٩، ١٠٣	المعتزلة
٨	المفسدون في الأرض
١٢٣، ١٠٠	المنافقون

	المنهج الإخواني = الإخوان المسلمون
	المنهج التبليغي = جماعة التبليغ
١٢٩	منهج السلف الصالح
١٣٦	المهاجرون
١٢٧	الموحدون
١٥٢، ١٤٢، ٣٨	النصارى
١٣٠	النقشبندية
١٢٣	النواصب
١٢٧	الوثنيون
٢٧٠، ١٠٠، ٢٦، ١٦، ٧	اليهود
١٥	اليونانيون

* * *

فهرس الأشعار

الصفحة	القافية	القائل	صدر البيت
٢٢٨	والبصراء	-	أفنى وأعمى ذا الطيب بطبه
٢٨٨	قراء	-	فإذا نظرت رأيت من عميانه
١٢٢	أعجب	-	عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى
١٧٧	شعوبا	-	إذا اهتز في طرسه
٤٢٤	يجحد	-	والنقص في أصل الطبيعة كامن
١٣	لصنبور	أوس بن حجر	مخلفون ويقضي الناس أمرهم
٢٨٩	الإصدار	ابن الرومي	غلط الطيب علي غلطة مورد
٢٨٩	الأقدار	ابن الرومي	والناس يلحون الطيب وإنما
٢٣٧	نفسه	-	لا يبلغ الأعداء من جاهل
٢٥١	الرقص	-	إذا كان رب البيت بالدف
١٧٣	وبالفحص	-	فالعلم معروف لأربابه
١٧٣	للنقص	-	من ادعى العلم ولم يوصف
١٩٠	نشاط	-	وكانوا عن طرائقه كسالى
١٩٠	وشاطوا	-	همو حسدوه لما لم ينالوا
١٩٠	التقاط	-	عتا في عرضي قوم
٣٤	تتفع	-	لقد أباحك غشا في معاملة
١٩٠	وإجمال	-	إننا لفي زمن ترك القبيح به
١٩٠	حاتم	-	من كفى الناس شره
١٩٠	المكارم	-	عدنا في زماننا
٤٥	سقم	-	قد تنكر العين ضوء الشمس
١٤	أمين	-	أيا رب من تغتشه لك ناصح

١١٨	لأقوانا	-	لولا الخلافة لم تأمن لنا
١٨٩	البنان	-	فيا عجبًا لمن ربيت طفلاً
١٨٩	جفاني	-	أعلمه الفتوة كل حين
١٨٩	رمانى	-	أعلمه الرماية كل يوم
١٨٩	هجاني	-	أعلمه الرواية كل وقت
١٨٦	يداه	-	وما من كاتب إلا سيلقى
١٨٦	تراه	-	فلا تكتب بكفك غير شيء
٩٤	شرفته	أبو عبيدة	رأت غلامًا قد صرى في
٨	فيه	-	عرفت الشر لا للشر

فهرس الأرجاز

١٤٦	الأثر	حافظ الحكمي	كله غش شديد وغرر
-----	-------	-------------	------------------

* * *

فهرس البلدان

الصفحة	اسم البلد
٣٨٥،٣٣٤	إربد
٣٨٧،٣٧٥،٣٤٥،٣٠٥،٢٩٩	الأردن
٣٩٢	إسبانيا
١٣٢	إسرائيل [فلسطين المحتلة]
٣٨٧،١١٢	الإسكندرية
٤٧٨ت	أسيوط
٢٢٦٢ت،٢٢٤٦ت	الإمارات العربية
٢٧٢	إندونيسيا
٣٨٢	إنكلترا (انظر: بريطانيا)
١٧	أوربا الوسطى
٣٩٤،٣٣٠	أوربا
٢٥٤	باتنا
١٣٠	باكستان
٣٩١	البحرين
٣٧٨،٣٧٤،٣٣٤،٢٧٧،٢٥١،٢٤٩	بريطانيا
١٠٣	البصرة
١٤٥	بلاد الهياطلة
٢٥٤،١٣٢	بنجلاديش
٢٤٥	بيروت
٣٠٢ت	بيرين
٣٩٤	تركيا

٢٧٧	جبل کرمان
٢٧٢	جزيرة لمبو
٢٧٣	الحبشة
٣٣٦ت	حي الحلمية
١٩	الخليج
٢٤٤	دالاس
٤٠٣	دكا
٤٠٤	دول السوق الأوربية
٣٩٢	الرياض
٤٠٠، ٣٩٤، ٢٧١	الزرقاء
٤٢٤، ٣٨٩، ٣٤٥، ٢٣٣، ١٤١، ١٣٢	السعودية (المملكة العربية السعودية)
٢٤٥	سن الفيل
٢٨١	سندابور
٢٩٤	سوريا
٣٩٤	سومطرة
١٨	الشرق الأوسط
٢٧٥	الصين
٣٣٦	العاصمة الجزائرية
٣٩٤، ٣٥٢، ٣١٨، ٣٠١، ٢٢٤	عمان
٣٨٢، ٣٦٨، ٣٣١، ٣٠٦، ٣٠٢، ٦٩	فرنسا
٤٠٣	فيني
٣٣١	فينيسيا
٣٣٦ت	القاهرة
٢٥٠	كاليفورنيا
٣٤٤	الكرک

٣٨٧	كندا
١٠٣	الكوفة
٧١	كولومبيا البريطانية
٣٩١، ٢٢٠	الكويت
٢٤٥	لبنان
	لمبو = جزيرة لمبو
٣٦٨، ٣٣١	لندن
٢٦	المدينة النبوية
٣٧٧	مدينة الحسن الصناعية
٣١٨، ١٥٩، ١٣٩، ١٣١، ٦٤	مصر
٣٦٩، ١٥٨	مكة المكرمة
١٨	نيجيريا
٣٦٨	هارنغاي
٢٨٢، ٣٤٨، ١٣٠	الهند
٣٣١	هولندا
٢٥٠، ٢٤٨، ٧٢	واشنطن
٤٠٩، ٤٠٤، ٢٤٩، ١٣١، ٧١	الولايات المتحدة الأمريكية (أمريكا)
٢٥٤	ولاية بيهار
٢٤٨	ولاية فرجينيا
٢٥٠	ولاية كاليفورنيا
٧١	ولاية نيويورك
٥٢٥	اليادودة
٣٣٣، ١٥٠	اليمن
٢٨٧	اليونان

فهرس الفوائد

الصفحة	الموضوع
	الغش ومفرداته
١٣	الغش لغة
١٤	الغش اصطلاحاً
١٤	تعريف الغش في القوانين الوضعية
٨٠	الغبن في اللغة
٨٠	الغبن في الاصطلاح
٨٠	الغبن اليسير عند الأئمة الأربعة
٨٤	النجش في اللغة
٨٤	النجش في الشرع
١٩	أعلى صورتى الغش صورة الغش الإيجابى
٢١	بعض أحوال الغش
١١٠	غش الإمام لرعيته من الكبائر
٨٣	تلقي الجلب من صور الغبن
٨٦	من المناجشة: كذب البائع في سعر السلعة
١١٧	اقتناء الستلايت (الطبق الهوائى) من غش الرعية
٢٤	تغيير لون العيون من الغش
٢٤	لبس الباروكة من الغش
١٧	غش بعض قوم داود
١٦	غش اليهود بإذابة الشحوم
١٦	قوم شعيب من أوائل من غش
١٥	من أوائل جرائم الغش التجارى

١٥	حاول الغش فمات غرقاً
١٥	تقسيم الغش إلى عمدي وغير عمدي
١١	الغش التجاري قديم قدم التجارة
٩	الغش من أسباب تسلط الكفار على المسلمين
٢١٥	كثرة انتشار الغش دلالة على فساد الزمان وقرب الساعة
٢٤٩	أجهزة مساعدة في الغش في الامتحانات
٢٦	تغيير منار الأرض غش وتدليس
٤٤	عقوبة مرتكب الغش
٥٧	إضافة زيت جوز الهند للسمن الطبيعي من الغش
٧١	غش في ساعات الغواصين

مسائل عقدية

٥٨، ت٤٩	استعمال لفظة (المشروع) في غير موضعها الشرعي
٣٦٩	مذهب أهل السنة والجماعة أنه لا تجوز على الميت إلا الرحمة وإن كان عاصياً
١٥١	الاستهانة بالأحاديث من الكفر
١٥٢	مقاربة الأديان
١٥٢	الداعون إلى المقاربة بين الأديان أضر على السنة من اليهود والنصارى وسائر الملل
٢٠٩	تعليم المسلم النصارى الكتابة
١٦٥	توظيف الآيات للانتخابات حرام
١٢٨	الدعوة سرّاً منسوخة
١٢١	الإمامة في الدين تنال بالصبر واليقين
١٦٢	قراءة القرآن بالألحان منكر

الأوائل

- القلم أول مخلوق
 قوم شعيب من أوائل من غش
 من أوائل جرائم الغش التجاري

الحزبية والأحزاب

- الأسماء الشرعية إذا أريد بها تعصب لغير الله فهي دعوى جاهلية
 الحزبيون الغاية عندهم تبرر الوسيلة
 الحزبيون وإنكار المنكر
 الحزبي ولاؤه لحزبه وليس لله

العقلانيون

- نسبتهم إلى العقل
 ردهم لحديث الذبابة
 توسعهم في رد السنة النبوية الصحيحة
 أبرز رموز المدرسة العقلانية المعاصرة
 من أتباع المدرسة العقلانية : محمد عبده
 تفسير جوهري طنطاوي تفسير عقلي
 تفسير العقلانيين للصلاة والزكاة والصوم على غير ظاهرها

مسائل فقهية

- ثبوت خيار البيع
 حرمة دهن الجلود وطلي السفن بشحوم الميتة
 تحريم الغبن
 أحكام بيع الصبرة
 مسألة العينة
 نفخ اللحم

٢١٣	مسألة بيع الظرف مع ما فيه
١٠٢	نكاح التحليل
٢٢٤	حرمة البيع بالأجل
٢١٩	بيع الصفر بالفضة
٢٨	المصرّاة

القواعد وأصول الفقه

١٠٦	الاعتبار بالمقاصد والمعاني في الأقوال والأفعال
١٥٤	أي قرض جر نفعًا فهو ربًا
٤٢	تحريم الشيء قد يكون لذاته وقد يكون لحق الله أو حق عباده
٣٢٣	الحكم على الشيء فرع عن تصوره
٢٨	الخراج بالضمان
٢٠	الفرق بين القليل والكثير أصل معلوم في الشريعة
٢٨٣	ما أسكر كثيره فقليله حرام

الغريب والألفاظ المشروحة

٢٠١	أصابته السماء
١٧	أكفلنيها
١٧٢	التأليف
٧٣	التدليس
١٤٣	تدليس المحدثين
٩٤	التصرية
٧٦	التطفيف
١٦	جملوه
٩٧	الحيلة
١٦	الخلطاء

٢١٩	السمراء
٢٥	الشنظير
٢٠١	الصبرة
٢٨٧	الطيب
٢٧٢	العصفر
٣٣١	العلامة التجارية
٨٠	الغبن
٨٨، ٢٨	الغرر
١٥، ١٤، ١٣	الغش
٢٩٨	الكشح
٨٢	المسترسل
٧٦	المطففين
٢٠٧	مغمقًا
٣٣، ٣٢	من غش فليس منا
٨٤	الناجش
٩٥، ٨٤، ٣٠	النجش
١٣٨، ١١٩، ١١٥	النصح
٢٠٩	النونة
١٠٨	الوكالة
٢٠٧	ينقش

الأمثال ومحاسن الأقوال

١٧٣	الآخرة تجمع والدنيا تفرق
٢٥	أردنا أن نكحلها فعميناها
١٥٦	ضعها في رأس عالم واطلع سالم

٣٢٣	درهم وقاية خير من قنطار علاج
١٢٣	الدنيا والآخرة ضررتان
١٦١	رب إشارة أبلغ من عبارة
١٦١	رب لحظ أبلغ من لفظ
٣١٥،٢٥	على نفسها جنت براقش
١٣٦	الغاية تسوغ الوسيلة
١٨٠	غيروا الشكل من أجل الأكل
١٧٢	المعاصرة أصل المنافرة
٣٥	الوقاية خير من العلاج
٣٤	يداك أوكتا وفوك نفخ

الحيوانات

٣٨٤	الأفاعي
٣٧٨،٣٧٧،٢٧٢	البقر
٣٩٩	بكتيريا الأشريكية القولونية
٣٦٢،٣٥٠	بكتيريا القولون
٢٧٩	التماسيح
١٠٠	التيوس
٤٠٤،٣٨١،٣٥٧،١٩٨	الجراثيم
٣٨٥	الجرادين
١٥٠	الجُعل
٢٧٩	الجندبادستر
٣٩٤،٣٨١،٣٧٦	الحشرات
١٨٤	الحية
٢٧٩	الحيتان

٣٦٩ ت	الخروف
١٥٨،٩٦،٦٦	الخنازير
٣٧٨ ت	الدجاج
٢٧٤	الدواب
٣٧٥	دودة النيما توت
٣٧٥،٢٩٣	ديدان
٣٦٢،٣٥٨	الديدان المعوية
٣٦٧	الديك الرومي
٣٢٤،٣١٤	ذئب (الذئاب)
١٩٦	ذبابة
٢٧٧	الزباد
٢٧٩	السراطين
٣٧٧،٢٧١،١١٣،١٠١،٨٨	سمك
٢٧٧	السنور البري
٢٦٧	شاة
٣٦٨،٢٨٢	الضأن
٣٨٥	الضفادع
٨٨	الطير
٣٦٩	عبورة (أثنى الضأن)
٢٠٢	العجل
١٤٦ ت	الغراب
٢٨٠	الغزال
٤١٤،٣٨٥	الفئران
١٥٤	فرخة
٣٨١	الفيروسات

٣٥٨	الفيروسات المعوية
١٥٧،٩٦،٦٦	القردة
٤١٤،٣٨٥	القوارض
٣٦٨	كبش
٩	كلب
١٨٥	السبع
٣٦٨	الماعز
١٨٥	المتردية
١٨٥	المنخنقة
١٨٥	الموقوذة
١٨٥	النطيحة
٣٢٤	النعاج

فتاوى

٢١٣	إباحة اللعب للأطفال
٢٢٤	حكم الاشتراك في شركة بزناس
١٥٠	الدخان خبيث
٢٤٣	حرمة الاستماع للموسيقى
١٥٨	صرف الأموال الربوية في المصالح العامة للمسلمين

مسائل طبية

٥٨	ضرر المشروبات الغازية
١٥٠	الدخان خبيث
٣٢٦	النهي عن الفصد عند خمسة أحوال
٣٢٦	عشرة أمزجة لا يحدث فيها الفصد إلا بعد مشاورة الطبيب

تراجم وأعلام

- ٣٤ تحري أبي بكر الصديق الحلال
 ١٢ عندما كان عمر قاضيًا في المدينة لم تعرض له قضية
 ١٢ قابيل وهاييل اسمان لا أثر لهما في كتاب ولا سنة بل هما من
 الإسرائيليات
 ٢٣ كراهة ابن عيينة تفسير حديث « من غش فليس مني »
 ٨٢ حبان بن منقذ بلغ مائة وثلاثين سنة
 ١٥٦ دخول نابليون بعمامة وجبة وافتتاحه دورًا للقرآن
 ١٥٦ خروج الشيطان على المشركين في صورة شيخ

العلم والعلماء

- ١٢٢ أقل درجات العالم
 ١٩٢ العلماء هم فقط من يحدد أولويات وواجب الوقت
 ١٤٨ المفتي موقع عن الله تعالى
 ١٤٨ زلات العلماء من هوادم الإسلام
 ١٤٩ نماذج من زلات أهل زماننا وأخطائهم في الفتاوى

منوعات

- ١٦٧ المقصود من التأليف
 ١٥٧ الدرهم = ٦٠-٧٠ فلسًا

* * *

الموضوعات والمحتويات

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
١١	بين يدي البحث
١٣	تعريف الغش
١٣	- تعريف الغش لغة
١٤	- تعرف الغش اصطلاحاً
١٤	- تعريف الغش في القوانين الوضعية
١٥	- تاريخ تطور الغش التجاري
١٨	حكم الشريعة الإسلامية في الغش
٢١	- أولاً : الأحاديث الواردة في النهي عن الغش
٢٤	- ثانياً : الأحاديث الواردة في ذم انواع من الغش
٣١	- معنى قول النبي ﷺ « من غشنا فليس منا »
٣٤	- ثالثاً : من الآثار الواردة في ذم الغش
٣٤	- وقاية المجتمع المسلم من الغش التجاري
٣٥	- دوافع الغش التجاري
٣٦	- ذكر الغش في كتب الفقه المختلفة
٣٦	أولاً : بعض ما ورد في كتب المذهب الحنفي
٣٧	ثانياً : بعض ما ورد في كتب المذهب المالكي
٣٩	ثالثاً : بعض ما ورد في كتب المذهب الشافعي

- ٤١ رابعًا : بعض ما ورد في كتب المذهب الحنبلي
- ٤٢ - حث الشريعة على المكاسب والاقتصار على الحلال الطيب
عقوبة من ارتكب الغش :
- ٤٤ ١- في الشريعة الإسلامية
- ٤٨ ٢- تحريم الغش في القوانين الوضعية بين الدول
قوانين الدول في منع الغش :
- ٤٩ أولاً : في القانون الوضعي المصري
- ٥٠ جرائم الغش العمدية
- ٥١ أولاً : جريمة الغش في جوهره
- ٥٢ أ - موضوع الجريمة
- ٥٥ ب - الركن المادي
- ٥٦ أساليب الغش المادي
- ثانيًا : صور جريمة الغش من بيع أو طرح أو عرض للبيع لمواد
مغشوشة أو فاسدة أو مما تستعمل في الغش
- ٥٨ - حكمة تجريم هذه الأفعال
- ٦٠ - المساواة بين الغش التام والشروع فيه
- ٦١ جريمة حيازة المنتجات التي نص عليها قانون قمع التدليس والغش ..
- ٦٢ - الركن المادي
- ٦٣ جريمة استيراد أغذية مغشوشة أو فاسدة أو غير صالحة للاستخدام ..
- ٦٤ - علة التجريم
- ٦٥ - موضوع الجريمة

- ٦٦ - الركن المادي
- ٦٧ - العقوبة
- ٦٩ - جريمة الغش في النظام اللاتيني وتمثله فرنسا
- ٦٩ - اهتمام المشرع الفرنسي بجريمة الغش
- ٦٩ أولاً : الركن المادي
- ٦٩ ثانيًا : الركن المعنوي
- ٧٠ ثالثًا : العقوبة
- ٧٠ - جريمة الغش في القانون الإنجليزي والأمريكي
من ضروب الغش في التجارة :
- ٧٢ ١- التدليس
- ٧٣ - أنواع التدليس
- ٧٦ ٢- التطفيف وغش الكيل والميزان
- ٧٦ - التطفيف لغة
- ٧٦ - التطفيف اصطلاحًا
- ٧٧ - حكم التطفيف
- ٧٩ - من مضار التطفيف
- ٨٠ ٣- الغبن
- ٨٠ - الغبن في اللغة
- ٨٠ - الغبن في الاصطلاح
- ٨٠ - أنواع الغبن
- ٨٢ - مسألة خيار الغبن في البيع والشراء

- ٨٤ ٤- النجش
- ٨٤ - النجش في اللغة وفي الشرع
- ٨٧ - صور التناجش
- ٨٧ - مضار التناجش
- ٨٨ ٥- الغرر
- ٩٤ ٦- التصرية
- ٩٥ مسألة
- ٩٦ ٧- استعمال الحيل
- ٩٧ - اشتقاق الحيلة وبيان معناها
- ٩٨ - الأدلة على بطلان الحيل
- ١٠٨ - الحيل المباحة
- ١١٠ من أنواع الغش وصوره
- ١١٠ - غش الولاية لرعيته
- ١١٧ - غش الرعية باقتناء الستلايت
- ١١٨ - غش الرعية لولاية الأمور
- ١٢١ - غش العلماء
- ١٢٤ - غش الجماعات الاسلامية والاحزاب المعاصرة
- ١٢٤ - أولاً الحزبية والدعوة الى التوحيد
- ١٢٤ - فتوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز
- ١٢٥ - فتوى الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ
- ١٢٦ - الشيخ أحمد بن يحيى النجمي

- ١٢٩ - ثانيًا الحزبية والولاء والبراء
- ١٢٩ - فتوى الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني
- ١٣١ - فتوى الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي
- ١٣٢ - فتوى الشيخ عبد المحسن العباد في جماعتي الإخوان والتبليغ
- ١٣٣ - ثالثًا الحزبية وتفريق الأمة
- ١٣٣ - فتوى الشيخ عبد الله بن غديان في الجماعات
- ١٣٤ - رابعًا الحزبية والسلطة
- ١٣٤ - كلام الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
- ١٣٧ - خامسًا الحزبية وإنكار المنكر
- ١٣٨ - سادسًا الحزبية والتحذير من الشرك ومواطنه
- ١٤١ - سابعًا الحزبية واستغلال المواقف
- ١٤٣ - غش المستشارين
- ١٤٣ - تدليس المحدثين
- ١٤٣ - تعريفه
- ١٤٤ - أقسامه
- ١٤٦ - غش بعض المتصدرين للفتيا
- - من الغش تحليل فوائد البنوك الربوية ، وفتوى شيخ الأزهر ،
- ١٥٤ - ومخالفته لإجماع الأمة
- - قرار مجمع رابطة العالم الإسلامي بشأن موضوع تفشي المصارف
- ١٥٩ - الربوية
- ١٦١ - غش بعض المتصدرين للوعظ

- ١٦٣ غش المرشحين أنفسهم للمجالس النيابية
- ١٦٦ غش الكُتَّاب والمصنفين والمحققين والناشرين
- ١٦٩ ملء الكتب بالعث والسمين
- ١٧٠ من الغش السرقات العلمية
- ١٧٤ غش مراكز الصف والتنضيد
- ١٧٦ غش المصنفين والكتاب
- ١٨٠ غش المحققين
- الغش المركب :
- ١٨٢ الطعن في العلماء
- ١٨٦ أسباب ظاهرة التطاول على العلماء
- ١٩٦ العقلانيون الذين غشوا أنفسهم وغيرهم
- ١٩٧ من أبرز سمات هذه المدرسة
- ٢٠٠ أبرز رموز المدرسة العقلانية المعاصرة
- ٢٠١ بعض فتاوى العلماء المتعلقة بالغش
- ٢١٧ فتوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في دار
- ٢٢٠ غش من باع سيارة بها خلل وهو يعلم
- ٢٢٠ أخذ مبلغ مقابل أضرار الغش
- ٢٢١ التزوير بأوراق التبرعات
- ٢٢٢ الغش والتدليس في البيع
- غش الزواج :
- ٢٢٥ ١- الزواج بنية الطلاق

- ٢٢٦ ٢- التغير في الزواج
- ٢٢٩ ٣- غش الخطاب بإظهار المرأة نفسها بخلاف واقعها
- - غش التعلم والتعليم
- ٢٢٩ فتاوى أهل العلم في حكم الغش في الامتحانات
- أهداف الاختبارات التعليمية وأهميتها في تحقيق سلامة المسيرة
- ٢٣١ التعليمية
- ٢٣٢ ظهور الغش التعليمي في غياب الوازع الديني
- ٢٣٣ أخطار الغش في الاختبارات التعليمية
- ٢٣٣ عملية الغش في الاختبارات من الانحرافات الآثمة شرعاً
- ٢٣٥ أخطار الغش التعليمي على مسيرة طالب العلم ومستقبله
- ٢٣٨ أسباب الغش التربوي والظروف الداعية إليه
- ٢٣٨ ١- الظروف الفردية والأسرية الخاصة
- ٢٣٩ ٢- توافر التلميذ أو تكاسله للتحصيل
- ٢٤٠ ٣- عدم صلاحية الاختبارات
- ٢٤٠ ٤- ضعف قدرة التلميذ على القراءة
- ٢٤١ ٥- ضعف قدرة التلميذ على المثابرة والتركيز
- ٢٤١ ٦- ضغط الأسرة أو المعلم على التلميذ
- ٢٤١ ٧- تأثير التلميذ بأحد أفراد أسرته أو أقرانه
- ٢٤١ ٨- صعوبة المادة الدراسية جزئياً أو كلياً
- ٢٤١ ٩- تحدي سلطة المعلم أو تعليماته
- ٢٤١ ١٠- تعدد متطلبات المادة

- ٢٤١ ١١- عدم قدرة التلميذ على تنظيم وقته
- - أساليب الغش ووسائله
- ٢٤٢ ١- تقنيات المعلومات تساعد التلاميذ على الغش
- ٢٤٥ ٢- الهاتف النقال
- ٢٤٦ ٣- الغش بواسطة شبكة المعلومات (الانترنت)
- ٢٥١ - في بريطانيا
- ٢٥٢ ٤- الغش عن طريق بيع الأسئلة
- ٢٥٤ - واقعة عجيبة : هجوم بالقنابل ردًا على منع الغش
- ٢٥٥ - يسمونها بغير اسمها
- ٢٥٦ - معالجة الغش
- - نصائح :
- ٢٦٢ أولاً : الإدارات التعليمية
- ٢٦٢ ثانيًا : المعلمون
- ٢٦٦ ثالثًا : اللجان التأديبية
- ٢٦٧ رابعًا : الطلاب
- ٢٦٧ غش الأدوية والأعشاب والأطباء والمستشفيات
- نماذج من غش الأدوية والأعشاب والأحجار كما وردت في كتب
- ٢٦٩ الأدوية المفردة
- ٢٧٠ - غش القسط البحري
- ٢٧٠ - غش قفر اليهود
- ٢٧٠ - غش الكندر

- ٢٧٠ غش لبان الذكر -
- ٢٧١ غش المصطكا -
- ٢٧١ غش العنبر -
- ٢٧٢ غش اللؤلؤ -
- ٢٧٢ غش الكاشم الرومي -
- ٢٧٢ غش البنفسج -
- ٢٧٢ غش الزعفران -
- ٢٧٣ غش الصبر -
- ٢٧٤ غش جوز الشرك : هوتين الفيل -
- ٢٧٤ غش الزمرد -
- ٢٧٤ غش الراوند -
- ٢٧٤ غش القسط الهندي -
- ٢٧٥ غش الدارصيني -
- ٢٧٥ غش الساساليوس ، ويقال سيسالي -
- ٢٧٦ غش السورنجان -
- ٢٧٦ غش البلسان -
- ٢٧٧ غش الزباد (عرف حيوان) -
- ٢٧٧ غش الحلثيت -
- ٢٧٧ غش الجنطيانا : بالفارسي (كوشد) وبالعجمية (شلشكة) -
- ٢٧٨ غش الساذج (بلانون) -
- ٢٧٨ غش الزئبق (أحد أحلى المعادن كلها) -

- ٢٧٨ غش الجندبادستر -
- ٢٧٩ غش المسك -
- ٢٨٠ غش المقل -
- ٢٨٠ غش القنة -
- ٢٨٠ غش الماورد الدمشقي -
- ٢٨١ غش الجاوشير -
- ٢٨١ غش الطباشير -
- ٢٨٢ غش القطران عند العشابين -
- ٢٨٢ غش الحبة السوداء -
- ٢٨٢ غش التنبول -
- ٢٨٣ غش الأفيون المرقد -
- ٢٨٣ غش زغب السنبل -
- ٢٨٤ غش الهليلج المربي -
- ٢٨٤ غش العود الهندي -
- ٢٨٤ غش الكافور -
- ٢٨٥ غش اللازورد -
- ٢٨٥ غش المحمودة -
- ٢٨٥ غش الشمع -
- بعض صور الغش في المراكز النظامية والمستشفيات والأطباء:
- ٢٨٦ مقدمة
- ٢٨٩ أركان المسئولية الطبية

- ٢٩٠ أقسام المسؤولية الطبية
- ٢٩١ موقف الشريعة من جناية الطبيب
- ٢٩٢ - من غش أطباء النسائية والتوليد
- ٢٩٦ - غش الحقن
- ٢٩٧ - اللامبالاة والخديعة
- ٢٩٩ - الواقعة الثانية
- ٣٠٦ - هرمونات النمو لتطويل القامة تقتل ٢٤ طفلاً
- ٣٠٧ - الإجرام الطبي
- ٣٠٧ - مرض الأقرام
- ٣١٠ - يا رويضة الطب ، ماذا بعد (السيل إيد)
- ٣١١ - تشديد الرقابة على القطاعات الصحية
- ٣١٢ - موت آلاف الأشخاص من أمراض يصابون بها في المستشفيات ..
- ٣١٣ - غش المدعين للطب والرقية الشرعية
- ٣١٦ - من مفاسد الرقية الجماعية
- ٣١٧ - ومن غش الأطباء النفسانيين
- ٣٢٠ - كيف نعرف الراقي الشرعي من الراقي البدعي ؟
- ٣٢١ - قواعد نبوية في الرقية الشرعية
- ٣٢٥ - غش الحجامين والفصادين
- ٣٢٨ - حماية المستهلك من الغش كما أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة
- ٣٢٨ - حقوق المستهلك
- ٣٣٠ - المبادئ الإرشادية لحماية المستهلك

- ٣٣٠ أهمية العلامات التجارية في عالم التجارة
- ٣٣١ ١- ما هي العلامة التجارية
- ٣٣٢ ٢- قوانين الحماية
- ٣٣٣ ٣- حماية العلامات في الأقطار وأهميتها
- ٣٣٤ من صور غش المهن والتجارات والصناعات
- ٣٣٤ - غش البناء
- ٣٣٧ - غش بائعي السجاد المتجولين
- ٣٣٧ - ظلم أصحاب العمل للعاملين
- ٣٣٧ - غش الإلكترونيات
- ٣٣٨ - البائعون المتجولون أكثرهم غشاشون
- ٣٣٨ - غش في تجارة البطاريات
- ٣٣٨ - غش الحدادين
- ٣٤٠ - غش الخياطين
- ٣٤٠ - غش كهرباء المنازل
- ٣٤٠ - غش التمديدات الصحية
- ٣٤١ - غش الدهان والطراشة
- ٣٤١ - غش النجارين
- ٣٤٢ - غش دهان الموبيليا
- ٣٤٢ - غش أصحاب الكراجات والميكانيك
- ٣٤٤ - غش تجليس السيارات
- ٣٤٤ - غش أصحاب سيارات المطار والركاب الخارجيين وغيره

- وزارة التجارة السعودية تلزم وكلاء السيارات بالرفع إليها عند خدمة المستهلك المتضرر ٣٤٥
- ومن الغش الوظيفي ٣٤٦
- موظف يغش في الرسوم ٣٤٦
- غش مخالفات السير ٣٤٦
- ومن غش مكاتب الإعلانات ٣٤٦
- غش الصابون ٣٤٧
- الغش في الغاز ٣٤٧
- زيادة كبيرة في الاحتيال بالبطاقات الائتمانية ٣٤٩
- مخاطر الإنترنت ٣٥٠
- مواطنون يقعون ضحية الدعاية التجارية الكاذبة والتضليل ٣٥٠
- القبض على نصاب دولي ٣٥١
- الاتجار بالمحرمات والتدليس في ترويجها ٣٥٢
- الغش في زيادة أسعار الانترنت وبيع الحاسوبات دون أية رقابة ...
بعض حالات الغش المختلفة ٣٥٣
- غش بعض شركات بيع المكناس الكهربائية وأجهزة التنظيف ٣٥٣
- غش مؤسسات بيع الأجهزة الكهربائية ٣٥٥
- الغش في عدم تحديد نوعية الأخشاب التي يصنع منها الأثاث المنزلي ٣٥٥
- الغش في بيع قطع غيار السيارات والحافلات المقلدة المستوردة على أنها أصلية وبأسعار غالية ٣٥٦

- ٣٥٧ - المواصفات القياسية الأردنية (٢٨٦ / ١٩٩٧) لمياه الشرب
- ٣٥٨ الخصائص الجرثومية
- ٣٥٨ الخصائص البيولوجية
- ٣٥٨ الخواص الفيزيائية
- ٣٥٨ الخواص الكيميائية لمياه الشرب
- ٣٦٢ مراقبة النوعية
- ٣٦٢ جمع العينات وفحصها
- ٣٦٣ المصطلحات الفنية
- ٣٦٤ المراجع العلمية
- ٣٦٥ - غش الخضار والفواكه
- ٣٦٦ - قصة طريفة لها علاقة بهرمونات الخضار
- ٣٦٧ - غش الجزارين
- ٣٧٠ - غش الدجاج
- ٣٧١ تشديد الرقابة على بيع الدواجن
- ٣٧٣ - ومن غش اللحوم وغش الأسماك
- ٣٧٦ حادثة تسمم
- ٣٧٩ ضرورة تشديد الرقابة على المطاعم
- ٣٨١ - دول الخليج تصدر مواصفة لمنع ظواهر الغش والإغراق والتدليس
- ٣٨٢ - غش الخبز
- ٣٨٧ شهادة أحد الأخوة الثقات لغش الخبز
- ٣٨٧ - غش الفلفل

- ٣٨٧ - ومن الغش في الطعمية (الفلافل)
- ٣٨٨ - غش الدهن الحيواني
- ٣٨٩ - غش الزيت
- سحب زيت الزيتون الأسباني في الأسواق السعودية لخطورته على
الصحة
- ٣٩٠
- ٣٩٣ بعض حالات الغش التي قدمت لأجلها شكاوى من قبل المستهلكين
- ٣٩٣ شاي بدون اسم ماركة
- ٣٩٣ حشرات في مشروبات غازية
- ٣٩٣ محطات المحروقات وتلاعب بالعدادات
- ٣٩٤ أجبان حمراء
- ٣٩٤ كتل حليب في الخبز
- ٣٩٤ - غش القهوة
- ٣٩٥ - غش السكر ومخاطر السكر الصناعي
- ٣٩٥ - غش السمن
- ٣٩٥ - غش البسطرمة
- ٣٩٥ - غش اللانشون
- ٣٩٦ - غش ملح الطعام
- ٣٩٦ - غش الحلوى
- ٣٩٦ - غش التوابل
- ٣٩٦ - غش الشاي
- ٣٩٦ - أمثلة من أساليب الغش في الفول المدمس

- ٣٩٧ غش العسل -
- ٣٩٨ غش الخل -
- ٣٩٨ غش الجبن -
- ٣٩٩ غش اللبن -
- ٤٠١ غش السمن وزنخته -
- ٤٠٢ غش الآيس كريم -
- ٤٠٢ من نتائج معصية الله -
- ٤٠٣ من الغش الإضافات الغذائية -
- ٤٠٤ تحذيرات وتنبهات
- ٤٠٤ ١- المضاعفات الصحية للمواد الكيماوية المضافة إلى الطعام
- ٤٠٥ ٢- فكروا بأطفالكم
- ٤٠٦ ٣- إعلان تحذيري في صحيفة الدستور
- خطورة بعض الأغذية المتداولة والمرخصة على سلامة الإنسان
- ٤٠٧ ١- التحذير من بعض المواد التي هي من استعمالات البيت
- ٤٠٩ ١- محلول البوتاس
- ٤١٠ ٢- مواد التبييض
- ٤١١ ٣- مواد تلميع المعادن
- ٤١١ ٤- ورنيش الأحذية
- ٤١١ ٥- المواد المطهرة والمعقمة
- ٤١١ ٦- الكيروسين

- ٤١٢ ٧- البويات
- ٤١٢ ٨- المواد اللاصقة
- ٤١٢ ٩- صبغات الشعر
- ٤١٢ ١٠- طلاء الأظافر
- ٤١٢ ١١- الحنة السوداء
- ٤١٢ ١٢- الزجاجات الفارغة
- ٤١٣ ١٣- بعض الأدوية
- ٤١٣ ١٤- مزيلات الشعر
- ٤١٣ ١٥- سم الفئران والقوارض
- ٤١٣ ١٦- أعقاب السجائر
- ٤١٣ ١٧- الأقلام الملونة والفلوماستر
- ٤١٣ ١٨- البطاريات الجافة
- ٤١٤ ١٩- علب الرذاذ الفارغة
- ٤١٤ ٢٠- أعواد الثقاب (الكبريت)
- ٤١٤ ٢١- الألياف الصناعية والإسفنج الصناعي
- ٤١٤ ٢٢- الموكيت والأرضيات
- ٤١٤ - التحذير من الأكياس البلاستيكية السوداء
- ٤١٦ - التحذير من خطورة بعض أدوية السعال
- ٤١٨ - التحذير من الشراء من الباعة المتجولين على المنازل
- ٤١٩ - التحذير من العروض الوهمية المغشوشة من قبل بعض الشركات
- ٤٢٠ - التحذير من شراء الأجهزة الكهربائية المستوردة القديمة الرديئة

٤٢٣ الخاتمة
	الفهارس:
٤٢٩ المصادر والمراجع
٤٤٥ فهرس الآيات حسب ورودها في المصحف
٤٥٣ فهرس الأحاديث
٤٥٨ فهرس الآثار حسب القائلين
٤٦٢ فهرس الأعلام
٤٧٦ فهرس الفرق والجماعات
٤٨١ فهرس الأشعار
٤٨٣ فهرس البلدان
٤٨٦ فهرس الفوائد
٤٩٥ الموضوعات والمحتويات

* * *

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com

جرم بين الغشيق

لنكتهما وصورة آثارهما الليرة

مكتبة الفرخان



مكتبة الفرخان

دبي - الإمارات